

الدوغمائية عند اتباع الأديان الثلاثة وأثرها في العزلة والإنقسام

عبير الشاذلي

مدرس مساعد بقسم العقيدة والفلسفة
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج
جامعة الأزهر

اسم الكتاب : الدوغمائية عند اتباع الأديان الثلاثة

اسم الكاتبة : عبير الشاذلي

تصميم الغلاف : ناريمان محمد

تدقيق لغوي وتنسيق : نورهان هاني

رقم الإيداع : ٢٠٢٥/٣١٦١ م

الترقيم الدولي : ٩-٨٣-٨٧٩١-٩٧٧-٩٧٨

كافة الحقوق محفوظة للناسر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناسر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقاً لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

الدوغمائية عند اتباع الأديان الثلاثة وأثرها في العزلة والإنقسام



الإهداء

إلى كل من شعرت عندهم بعجزني عن رد فضلهم عليّ.

والدي... أصل وجودي بعد الله سبحانه تعالى، ومن تكبدوا عناء طموحي بلا فتور أو كلل.

أساتذتي ومعلمي من أناروا دربي وانتشلوني من ظلمات جهلي.

إخوتي وأصدقائي من كانوا لي نعم العون والسند.

رفيق دربي وشريك عمري وفكري زوجي الغالي.

إلى تلك النطفة التي مازالت تنمو بداخلي.....أبني الحبيب والذي ادعو الله أن ينبتة نباتا

حسنا ويجعله ذرية صالحة وذخرا لي في الدنيا والاخرة

إلى مشاعل النور علماء أمتنا الكرام الذين استضأت بفكرهم، ونهلت من علمهم وسرت على

خطاهم في هذا البحث، داعية المولى . عز وجل . أن يتقبل مني ومنهم، ويجعل عملي هذا خالصا

لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا وقائدنا ومعلمنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم تسليما كثيرا.

الشكر والتقدير

عملاً بقول الكريم سبحانه : ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ فأني أتوجهُ إلى الله عز وجل بخالص الحمد والثناء، فبِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصالحاتُ ، وبفضلِ جوده نلتقي في مثل هذه المقامات.

كما أتوجهُ بخالص الشكر والتقدير ممزوجين بمعاني الحبِّ والوفاء، إلى والديَّ الكريمين، فهما منبعُ العطاء، وسببُ الفوز ببركات الأرض والسماء، أطال الله عمرَكَ يَا بَارِكُ فَيْكَ، ورحمكَ اللهُ يَا أُمِّي وجعل الفردوس ملقناً وملقاً.

كما أهدى الشكر ممزوجاً بخليط الود والتقدير لزوجي الغالي فكما كانت كلماته المحفزة تذلل لي الصعاب، وتدفعني قدماً للعمل بنشاط وجد من أجل إنهاء هذا الكتاب على الوجه الذي هو عليه الآن، فهو من شجعني على نشر هذا الكتاب والخروج به إلى النور .

هذا.. وبعدُ أن منَّ الله عليَّ بإتمام تلك الرحلة البحثية الشاقة التي امتزجت فيها الآلامُ بالآمال، واتصلتُ فيها الجهودُ والأعمالُ ، تأبى النفسُ أن تبرحَ موطنها دون أن تشيرَ بيدِ العرفان، إلى من كانوا بعدَ الله تعالى عوناً وسنداً في شتى مراحلِ هذا البحث، لذا فإنني أقدِّمُ بتسجيلٍ عظيمٍ امتناني لأساتذتي الكرام:

الأستاذة الدكتورة / نور شيف عبد الرحيم مصطفى رفعت

والأستاذة الدكتورة / عزة سيد عزوز

والأستاذة الدكتورة / لواظ عبد السلام علي

والأستاذ الدكتور / عاطف محمد أبو زيد

وأدعو الله الكريم أن أكون قد وفقت في تقديم هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم وإن وُجِدَتْ فيه ملاحظات فالكمال لله وحده، والخير أردتُ وعلى الله قصد السبيل وهو ولي التوفيق.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما منح من النعماء، والشكر له على عظيم الآلاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونعوذ به من مكر الأعداء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله جعلنا على المحجة البيضاء وحذرنا من الاختلاف والشحناء، والفرقة والبغضاء - صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأوفياء - الذين استقاموا على النهج وقصدوا الحق، فكانوا إخوة أصفياء، ورضي الله عن التابعين المؤمنين الأخلاء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن سار على نهجهم واجتنب سبيل أهل الأهواء..

أما بعد...

فإنه في الآونة الأخيرة قد ظهرت على الساحة الفكرية كثير من المصطلحات الغربية، وارتبطت بشكل أو بآخر بالعبقراطية، ومن هذه المصطلحات (الدوغمائية).

وهذا المصطلح يحمل داخل طياته استبدادية فكرية ومعصومية لفكرة أو لحاملها أو لكليهما معاً، فالدوغمائية ترى أنها وحدها تمتلك الحقيقة المطلقة اليقينية القطعية المؤكدة التي لا مجال للنقاش فيها ولا حولها، وأن ما تتبناه من آراء ونظريات تعتبر حقائق غير قابلة للخطأ، ولا للرد ولا للشك ولا للدحض، وتبالغ في إثبات كل مكرمة وفضيلة وصفة حسنة نبيلة لذاتها، وتجرد من يخالفها من كل خير ومن كل حقيقة، وتراه على باطل محض، فلا يستحق المناقشة؛ وهذا يخالف ما اقتضته طبيعة الحياة، فقد شاءت حكمة الخالق تعالى أن يخلق الناس متفاوتين في الأفهام، والاستنباط وفي العقيدة وفي الشكل واللون إلخ...، ولو شاء - سبحانه - لجعلهم أمة واحدة قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(١) وعلل الخالق تعالى ذلك بمد جسور التعارف بينهم؛ لينهل كل مما عند الآخر من الخير.

لكن الفهم الخاطئ والأحكام المسبقة والغلو و"الدوغمائية" شتتت البشرية ومزقتها كل ممزق ولا عودة إلى مد الجسور، وإلى الحوار الهادف إلا برفع قواعد التسامح، ولن تقوم قواعد التسامح إلا بمعرفة النقيض وهو الدوغمائية؛ حتى نتجنب انحرافات ومظاهرها.

^(١) سورة هود: ١١٨-١١٩.

ففي الماضي منذ خلق آدم عليه السلام كان اليقين المطلق للحقيقة تقريبا ما يتخذ شكلا دينيا فقط؛ كان الحق فقط هو وجود إله واحد، ثم بعد ذلك أضيفت أنواع أخرى قطعية رويدا رويدا كلما كان فكر الإنسان ينفصل عن المحددات الدينية؛ ليصبح أكثر استقلالا وتعقيدا، مثل الحقيقة التي تأتي من العرف، ومن الرئيس ومن العلم، ومن أحد المثل وأصبحت مشاغل كثيرة مضيئة ونقاط كثيرة راسخة، نذكرها في إجلال، وتكتب بحروف استهلاكية كبيرة، أصبحت بديلة الألهة.^(١)

فأضيف للمصدر الإلهي مصادر بشرية غير معصومة، وما نتج عن تلك المصادر لبث ثوب القداسة، والتزم النهج الدوغمائي، فنجد أن كل واحد من الأديان الكبرى يرى نفسه الدين الصحيح أرض، وبقية الأديان باطلة أو مزورة _ وهذا قطعاً باعتبار الأتباع وإلا فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(٢) _ وهذا اليقين اللاهوتي الدوغمائي الجبار هو الذي يتيح لأديان الأغلبية _ من وجهة نظر أتباعها الدوغمائيين _ بل يأمرها برفض الاختلاف والتنوع والتعددية في الاعتقاد، كما يأمرها برفض الهرطقات نهائياً، وكذلك رفض الانحرافات الطائفية فاليقينات الدوغمائية والتعصبية والانغلاقية المتحجرة التي ينغلق داخلها أتباع كل دين هي انغلاقات موجودة في جميع الأديان والمذاهب والطوائف، فكل دين من الأديان يدعي أنه الدين الحق أي الدين الوحيد الصحيح دون سواه بل حتى داخل الدين الواحد كل مذهب يدعي أنه يمثل المذهب الوحيد الصحيح دون سواه من بقية المذاهب، وفي هذا البحث سوف أعرض عقائد أتباع الأديان الثلاثة الدوغمائية وأثرها وما أنتجته من عزله وشقاق في صفوف مجتمع الدين نفسه بشكل خاص والمجتمع الإنساني بشكل عام.

(١) مايكل أنجلو ياكوبوتشي، اعداء الحوار أسباب اللاتسامح ومظاهره، تقديم: أمبرتو إيكو، ترجمة: عبد الفتاح حسن الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٦)

بتصرف)

(٢) سورة آل عمران: ١٩ .

الباب الأول

الدوغمائية تاريخها وخصائصها

ويشتمل على ثلاثة فصول:.

الفصل الأول: التعريف بالدوغمائية وما يتعلق بها من مصطلحات

الفصل الثاني: الجذور التاريخية للدوغمائية

الفصل الثالث: أسباب الدوغمائية وخصائصها وسماتها

تمهيد

شاع على الساحة الفكرية في هذا العصر مصطلح الدوغمائية كاتهام يسوقه البعض إلى الآخرين ممن لا يشاركونه نفس الأفكار أو المعتقدات؛ ليبهرن بهذا الاتهام على أنه وحده دون غيره الأصلح والأقدر على قيادة العمل السياسي والفكر الديني، ولهذا أردت أن أقف على حقيقة هذا المصطلح من خلال تعريفه واشتقاقه اللغوي، ومن ثم استعماله الفكري والمصطلحات القريبة منه، وتلك التي تبدو أنها نقيض له، وتاريخه كفكرة ومفهوم قبل أن يصير مصطلحا فلسفيا ونظرية نفسية، وسمة تلازم العقائد الدينية المنحرفة عن العقل والمنطق، ثم أبين ما هي خصائص التفكير الدوغمائي، وما هي سمات الشخصية الدوغمائية، وما هي الأسباب التي يتولد عنها هذا التفكير الدوغمائي، وذلك من أجل تحرير المراد بهذا المصطلح؛ لتطبيقه بعد ذلك على عقائد أتباع الديانات الثلاثة وسلوكياتهم؛ فيتضح لنا ما ينطبق عليه هذا المصطلح من معتقداتهم الدينية وسلوكهم الاجتماعي، مما سوف أرصده على أنه مظاهر دوغمائية عندهم ليطيرون الحق من الباطل في اتهامهم بالدوغمائية، التي بدأت مظاهرها عندهم إثر انحرافهم عن شريعة الله - عز وجل - واتباع أهوائهم؛ وأختم ببيان أثر هذه الدوغمائية وما أحدثته من عزلة وانقسام في صفوفهم.

الفصل الأول

التعريف بالدوغمائية وما يتعلق بها من مصطلحات

ويشتمل على مبحثين:

- المبحث الأول: التعريف بمصطلح الدوغمائية
- المبحث الثاني: مصطلحات لها علاقة بالدوغمائية

المبحث الأول

التعريف بمصطلح الدوغمائية

الاشتقاق اللغوي وأصل كلمة الدوغمائية:-

كلمة الدوغمائية أو الدوجماتيقية أو الدوجماتية^(١) تعريب للفظ (Dogmatism) الإنجليزي، أو (Le' dogmatisme) الفرنسي؛ لذلك فإن "هذا المصطلح مشتق في اللغات الأوروبية من كلمة (دوجما Dogma) التي تعني في اللاهوت المسيحي الكاثوليكي خاصة "العقيدة" التي تعد من الحقائق الدينية العليا المنزلة والتي تكون بالتالي أسمى وأصدق بشكل مطلق ودائم من أي رأي خاص بيديه أي إنسان في موضوعها، ويصبح من يرفضها زنديقا وخارجا على الكنيسة نفسها، وفي اللاهوت المسيحي الكاثوليكي أطلقت كلمة دوجما على قرارات المجامع المسكونية الأولى للكنيسة (٣٢٥-٧٨٧م)."^(٢)

"فالدوغمائية " إذن: كلمة مشتقة من كلمة " Dogma"، وهي في اليونانية تعني الجمود العقائدي - مذهباً أو رأياً أو مبدأ أو معتقداً - وتعني أيضاً التأييد الأعمى لمذهب أخلاقي ما، أما في اللغة العربية فتشير الدوغمائية إلى الغموض والتطرف بمعنى الغلو والإسراف والبعد عن التوسط والاعتدال، ولذا يترجم المصطلح للعربية بالجمود الفكري.^(٣)

والدوجما في أصلها اللغوي، تعني الأمر أو القاعدة، ولا تعني الحق، جاء في "دانيال": "لأجل ذلك غضب الملك واغتاز جدا وأمر بإبادة كل حكماء بابل"^(٤) وجاء في "إنجيل لوقا": "وفي تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر...."^(٥) فقد ترجم لفظ دوجما بالأمر في هذين النصين.

وجاء في موسوعة "لاند الفلسفية" (Dogma) "عقيدة تقرها وتقيمها مرجعية كنسية ما، والدلالة القديمة للكلمة اليونانية تبدو أنها دلالات القرار السياسي لسلطان أو لجمعية"^(٦).

(١) تصح كتابة الحرف (G) في الكلمات (ج) و(غ)، راجع: مجلة اللغة العربية بالقاهرة العدد ١٧، مايو ٢٠١٦م.

(٢) خشبة، سامي، مصطلحات فكرية، القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م ص ١٠٨.

(٣) ينظر: علي مهدي محمد محمد، الدوجماتية وعلاقتها بالتفوق الدراسي لدى طلبة الجامعة، رسالة ماجستير بقسم التربية وعلم النفس بالأكاديمية الليبية ببنغازي سنة ٢٠١٥م ص ١٣.

(٤) الكتاب المقدس، القاهرة، دار الكتاب المقدس بمصر، ٢٠١٣م، ط ٩، العهد القديم، دنيال (الإصحاح ٢ فقرة ١٢).

(٥) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا، (الإصحاح ٢ فقرة ١).

(٦) أندريه لاند، موسوعة لاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات بيروت - باريس، ٢٠٠١م، ط ٢، المجلد الأول، ص ٢٩٧.

وقد جاء في ترجمة لفظ (Dogmatism) في قاموس المورد " التعسفية الدوغمائية " : تأكيد الرأي أو القطع به، وبخاصةً بغطرسة أو من غير مبرر كافٍ، فالتعسف: وجهة نظر مبنية على مقدمات غير محصنة تمحيصاً وافياً والدوغماتي أو التعسفي (dogmatic-al) : مؤكّد من غير بينة أو دليل^(١)؛ أما ترجمة قاموس أكسفورد للفظ (Dogmatism) فكان بمعنى " تصلب في المذهب، وجزم، وبت"^(٢).

فالدوغمائية إذن تعني صفة للأفراد الذين يسعون إلى فرض آرائهم بالسلطة والنفوذ، أو التعليم الذي يطالب الطلاب بتقبل الأفكار من غير دراسة ناقدة للبرهان، ويشير مصطلح " دوغما " أيضاً إلى علم العقيدة الذي ينبغي أن يقبل كحقيقة مطلقة بغض النظر عن مدى مطابقتها للعقل والبرهان^(٣).

" والدوجما " في معناها الأولي ضد الشك ومع الالتزام بمذهب، وابتداء من القرن الرابع الميلادي أطلقت الكنيسة لفظ "دوجما" على جملة القرارات التي يلتزم بها المؤمن، والتي صدرت عن المجمع المسكوني المسيحي، ومعنى ذلك أن " الدوجما " سلطان وارد من مصدر آخر غير عقل المؤمن^(٤).

وقد تبين بعد تتبع المعنى العربي للفظ الإنجليزي المعرب من خلال الاطلاع على عدد من المراجع، أنه تم استخدام عدد من المصطلحات العربية ترجمة لمعنى كلمة (Dogmatism) مثل: الجزمية، والقطعية، والجمود الفكري، والجمود الذهني، والحقيقة المطلقة، والمعتقد الأوحد، كما استخدمت بعض المراجع مصطلحات أخرى، مثل: التسلطية، والمعصومية، والثوقية، والتفكير المنغلق وأحادية الرؤية كترجمة لكلمة الدوغمائية.

ولكن كل هذه الترجمات وإن كانت تحمل دلالات لمفهوم الدوغمائية (Dogmatism) ومعاني مشتركة إلا أنها لا تحمل مطابقة في المفهوم لمصطلح الدوغمائية، فهذا المصطلح لقدمه واستخدامه في أكثر من مجال كالعقيدة وعلم اللاهوت وعلم الفلسفة وعلم السياسة وعلم النفس، حمل دلالات مركزة تتفرع تحتها كل هذه التراجم دون أن يشتمل أي منها على مفهوم الدوغمائية بشكل كامل.

لهذا فضلت الباحثة استعمال اللفظ المعرب دون تخير أي من مصطلحات الترجمة؛ ليعطي اللفظ المعرب المفهوم الكامل للمصطلح دون إبراز بعض الجوانب وإغفال الأخرى حسب ما يقتضيه مصطلح الترجمة الذي لا يستوعب المعنى الكامل لمفهوم الدوغمائية (Dogmatism).

(١) البعلبكي، منير، ورامز منير البعلبكي، المورد الحديث قاموس إنجليزي عربي، بيروت لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٨م، ص ٣٦٣ .
(٢) جويس م. موكنز، جونوسترن، جوليا سوانل، قاموس أكسفورد المحيط إنجليزي عربي ترجمة د. محمد بدوي، أكاديميا، بيروت، لبنان، ص ٣١١.

(٣) علي مهدي محمد محمد، الدوجماتية وعلاقتها بالتفوق الدراسي لدى طلبة الجامعة، ص ١٣.

(٤) وهبة، مراد، ملاك الحقيقة المطلقة، حركة علمانيون، ص ١٩٠.

التعريف الاصطلاحي لمفهوم الدوغمائية

وردت لهذا المصطلح عدة تعريفات منها ما يركز على طريقة التعامل مع الآخرين، مثل هذا التعريف: " طريقة منغلقة في التفكير، ونظرة تسلطية في الحياة، تقوم على عدم تحمل الأفراد الذين يختلفون ويتعارضون معهم في المعتقدات الدينية في حين يتسامحون مع الذين يتشابهون معهم في تلك المعتقدات" ^(١)

ومنها ما يركز على التعامل مع الأفكار والمعتقدات، فقد عرفت بأنها عبار عن " ذلك التشدد العقائدي الذي يظهر من خلال التزام مفرط وطاعة عمياء لما تفرضه عليه الجماعة من أحكام ومعتقدات دينية" ^(٢)

وقريب منه القول بأنها: " تمسك الأفراد الشديد بالمعتقدات الدينية للجماعة التي ينتمون إليها وبصورة غير قابلة للنقاش أو للتغير أو الشك" ^(٣)

كما عُرف مصطلح الدوغمائية بشكل أكثر تفصيلا وذلك بأنه: "التعصب المطلق لكل ما يؤمن به الفرد أو الجماعة، والاعتقاد بامتلاك الحقيقة كلها؛ وليست الدوغمائية تيارا فلسفيا أو دينيا، وإنما هي - في أكثر معانيها انتشارا - سمة تتسم بها كل فرقة أو مذهب أو فلسفة تزعم امتلاك الحقيقة المطلقة بشكل شامل، ولا تقر بأنها قد تحتل شيئا من الخطأ أو النقص، وتقطع بأن ما تحوزه من معارف ومعتقدات لا يقبل النقاش ولا التغيير حتى وإن تغيرت الظروف التاريخية، فهي مقدسة ومنزهة عن أي نقد رغم أن هذه المعتقدات والآراء غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من العقل أو الواقع، ورغم عدم التمهيد لهذه المعتقدات بفحص نقدي تحليلي للأسس التي تقوم عليها، ودون بحث في حدود وقدرات العقل المعرفية الصحيحة." ^(٤)، وهذا التعريف رغم تفصيله إلا أنه أغفل جانب تعامل الدوغمائية مع الآخرين بطريقة منغلقة غير متسامحة، وربما أشار إلى ذلك في عبارة التعصب المطلق.

كما ورد أن الدوغمائية: نظرية تقرها السلطة المعرفية (دينية كانت أم علمية) ويلتزم بها الأعضاء الواقعون تحت نفوذ هذه السلطة دون تمحيص أو برهان كافٍ؛ فتظهر هنا طريقة الكافرين الدوغمائية في تأكيد معتقداتهم عن طريق سلطة الآباء دون برهان عقلي ودون الاهتمام إلى طريقة التفكير السليم ^(٥)، وهذا المعنى يؤكد ما جاء في موسوعة لالاند من أن الدوغمائية " حيلة فكرية مختلة قائمة على تأكيد المرء لمعتقداته بأمر وسلطان دون القبول بأنها قد تحتل شيئا من النقص أو الخطأ " ^(٦)

^(١) صالح، علي عبد الرحيم، الدوجماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب/ جامعة القادسية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل، ٢٠١٨م، ع ٣٩٤، ص ١٣٢١.

^(٢) المصدر السابق، ص ١٣٢١.

^(٣) المصدر السابق، ص ١٣٢١.

^(٤) علي محمد عبد الله، الإنسان حكمة الروح والجسد: تأويل المعاني والدلالات، الناشر ٢٠١٧م ص ١٧٣.

^(٥) المصدر السابق، ص ١٧٣.

^(٦) اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، ص ٢٩٧.

ومن خلال ما سبق من التعريفات يتبين أن الدوغمائية الدينية تتمثل في: ميل الأفراد نحو التمسك الشديد بمعتقداتهم الدينية بشكل متطرف ومبالغ فيه وصعوبة الانفتاح على المذاهب والأديان الأخرى، فالأفراد الذين يتصفون بالدوغمائية الدينية يحاولون تأكيد ونشر أفكارهم الدينية بين الآخرين بصورة متطرفة، والتمسك بجميع أفكار جماعتهم الدينية حتى وإن كانت قابلة للخطأ والنقد، بالإضافة إلى اعتقادهم العام بأن معتقداتهم الدينية هي أفضل المعتقدات، وأنها تصلح لجميع الناس، والرفض الشديد لأي فرد يحاول أن يناقشهم بمدى صحة أفكارهم أو حتى محاولة تصحيح بعض سلوكياتهم الدينية^(١)، وهذا التعريف يعد أوضح وأشمل من التعريفات السابقة.

مفهوم الدوغمائية في الفلسفة

بالبحث عن مفهوم الدوغمائية في المعاجم الفلسفية تبين أنها: اتجاه يذهب إلى إثبات قيمة العقل وقدرته على المعرفة، وإمكان الوصول إلى اليقين، وإذا كان مذهب الشك يوصي بالامتناع عن إثبات الحقائق أو نفيها، فإن الدوغمائية ترى أن العلم الإنساني لا يقف عند حد، وتؤكد قدرة العقل على المعرفة، والتوصل إلى اليقين^(٢)، كما أن لفظ الوثوقي، أو الدغمائي، أو التوكيدي يطلق تهكما على من يتعصب لرأي يسلم به دون تمحيص، ويحاول فرضه على غيره دون برهان^(٣) وعلى ذلك فالدوغمائية هي صفة من يثق بعقله ونظرياته، ويعترف لها بسلطان عظيم دون التفكير في إمكان اشتغالها على الخطأ والضلال.

ويعتقد (مراد وهبة)^(٤) أن كانط^(٥) هو الذي بلور مصطلح الدوجما فهو يعني به " الاعتقاد الزائف في قدرة الإنسان على اقتناص المطلق؛ لأن الإنسان عاجز بحكم طبيعة العقل عن هذا الاقتناص".^(٦)

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩ هـ ص ٨٥ .

(٢) المصدر لسابق، ص ٨٥ .

(٣) صليب، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب مكتبة المدرسة دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٩٢ .
(٤) مراد وهبة جبران ولد في ١٣ أكتوبر ١٩٢٦ م في مدينة أسيوط في مصر، درس الفلسفة في جامعات القاهرة وعين شمس، ونال الدكتوراه من جامعة الإسكندرية. عمل كبروفيسور وأستاذ الفلسفة في جامعة عين شمس وعضو في مجموعة من الأكاديميات والمنظمات الدولية المرموقة، كما أنه المؤسس ورئيس الجمعية الدولية لابن رشد والتنوير عام ١٩٩٤ م. اسمه مذكور في موسوعة الشخصيات العالمية حيث يعتبر من بين الـ ٥٠٠ شخصية الأكثر شهرة في العالم. ينظر: وهبة، مراد، الأصولية والعلمانية، دار الثقافة، ط ١، غلاف الكتاب.

(٥) كانط، عمانوئيل Kant, Emmanuel (كونيغسبرغ ١٧٢٤ م - ١١٣٦ هـ / ١٨٠٤ م - ١٢١٩ هـ) هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر أهم مؤلفاته نقد العقل الخالص (١٧٨١ م) وتعرف فلسفة كانط بكونها فلسفة نقدية اهتمت بتحليل المعرفة تحليل نقدي . انظر: روني إيلي ألفا ، أعلام الفلسفة العرب والأجانب بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، ط ١ ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

(٦) وهبة، مراد، ملاك الحقيقة المطلقة، ص ١٩٦ .

ذلك أن كانط يعد من أبرز الفلاسفة الذين انتقدوا الدوغمائية الفلسفية وعرفها بأنها: " الميل إلى التسليم بالمبادئ التي يعتمدها العقل منذ قديم دون البحث في طبيعة هذه المبادئ وشرعيتها وقيمتها؛ أي دون القيام بنقد مبادئ العقل المحض"، وهي بهذا مقابلة للنقدية الكانطية، وبتعبير آخر يرى كانط الدوغمائية "هي تمشي العقل المحض الذي لم يتم بنقد مسبق لقدراته الذاتية" (١)

فالدوغمائية من وجهة نظر الفلسفة إذن هي عبارة عن: أسلوب للعقل يخلو من كل نقد ويفترض أصحابه القدرة على اكتساب المعرفة الصحيحة، دون بحث في طريقة اكتسابها، وإقرار معتقد، أو مبدأ ما على أنه صادق دون دليل يكفي للبرهنة عليه؛ لذلك عُرف الدوغمائيون في مجال الفلسفة بأنهم أولئك الذين يقبلون بشكل غير نقدي ما يسمى بالحقائق الواضحة بذاتها، فهم أولئك الفلاسفة الذين يقيمون سلسلة من الاستدلالات العقلية يصلون منها إلى نتائج دون أن يقوموا بدراسة أو تحليل المبادئ الأساسية التي قامت عليها هذه الاستدلالات. (٢)

مفهوم الدوغمائية في علم النفس

يعد روكيش (٣) أول من أدخل مصطلح الدوغمائية في علم النفس، وهو يعرف الدوغمائية بأنها "نظام معرفي مغلق نسبياً، للاعتقاد أو عدم الاعتقاد في الحقيقة أو الواقع، ينتظم حول قاعدة مركزية من المعتقدات، تدور حول سلطة مطلقة - وبتعبير آخر - هي مجموعة المظاهر السلوكية المعرفية، والمعتقدات المنتظمة في نسق مغلق نسبياً حول الأفكار والأشخاص والسلطة". (٤)

كما يرى أيضاً أنها عدم قدرة الشخص على تغيير جهازه الفكري أو العقلي عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، وتركز العقلية الدوغمائية عند روكيش على ثنائية ضدية حادة هي نظام الإيمان واللاإيمان أي أنها تعتمد على مجموعة من المبادئ العقلية، وترفض بنفس الشدة والصرامة مجموعة أخرى وتعتبرها لاغية لا معنى لها، فهي تولد سلسلة من أشكال التسامح واللاتسامح تجاه الآخر. (٥)

(١) جلال الدين سعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر والتوزيع تونس، ص ١٩١.

(٢) ينظر: علي إبراهيم عبد الرحمن محمد، أثر استخدام قواعد هداية العقل لديكارت في تدريس بعض المشكلات الفلسفية الدوغماتية لدى طلاب كلية التربية، كلية التربية جامعة الزقازيق، ١٩٩٨م، ص ١٦٩.

(٣) ميلتون روكيش: عالم نفسي اجتماعي بولندي أمريكي، قام بالتدريس في جامعة ولاية ميشيغان، وجامعة ويسترن أونتاريو، وجامعة ولاية واشنطن، وجامعة جنوب كاليفورنيا. وقد صُنفت دراسة لعلم النفس العام، نُشرت في عام ٢٠٠٢، Rokeach على أنه أكثر عالم نفسي استشهاده في القرن العشرين. ويكيبيديا (إنجليزية). ينظر: الموسوعة لحره .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن محمد علي، أثر استخدام قواعد العقل لديكارت في تدريس بعض المشكلات الفلسفية علي الدوغماتية لدى طلاب كلية التربية، دار المنظومة، ص ١٨٦.

(٥) ينظر: فريال حسن خليفة، الفلسفة والتسامح مع البيئة، الناشر Ktab ink، ٢٠٠٦م ص ٤٣. بتصرف.

كما تُعرف الدوغمائية بأنها "عبارة عن نسق من السلوكيات التي تتميز بالتسلطية نحو أصحاب المعتقدات المضادة، وعدم فتح العقل، وتعظيم الذات، وكلما كان نظام المعتقدات أكثر انغلاقاً اتسم الفرد بالتعصب"^(١) وعلى ذلك فالفرد لا يوصف بأنه دوغمائي، أو منغلق العقل على أساس إيمانه بمجموعة معينة من المعتقدات، وإنما على أساس أسلوبه في التعامل مع هذه المعتقدات، أي هل يتم تناول المعتقدات بعقلية أو نظام عقلي منفتح، أم يتم التناول بعقلية أو نظام عقلي منغلق، فالعقل الدوغمائي عقل منغلق على نفسه ويعد أفكاره ومعتقداته ثابتة لا تقبل المناقشة ومؤكدة على نحو نهائي.

استخدامات مصطلح الدوغمائية

بناء على ما ورد من المعاني المتعددة لمصطلح الدوغمائية فإنه يمكن إجمال مجالات استخدامها في الآتي:

- ١ - تستخدم كلمة الدوغمائية للإشارة إلى عقيدة أو مبدأ لديه مشكلة الزعم بامتلاك الحقيقة المطلقة.
 - ٢ - تستخدم كلمة الدوغمائية أيضاً لوصف الرأي الغير مدعوم بالأدلة والبراهين الصحيحة.
 - ٣ - تستخدم لوصف الممارسات التي يطبقها المتعصبون تحت راية أي دين من الأديان رافضين الاستماع للآخر.
 - ٤ - تستخدم للدلالة على المعتقدات غير العقلانية.
 - ٥ - يستخدم هذا المصطلح اجتماعياً وسياسياً؛ لوصف المناهج والأساليب الفكرية المتعصبة والمتحجرة والتي تجافي المعقولة والمنطق.
 - ٦ - تستخدم في التصلب والتزمت وفرض الرأي بالقوة وليس عن طريق الإقناع بالحجة والدليل.
- من خلال ما سبق عرضه، يتبين أن مفهوم الدوغمائية واسع ولكنه في مختلف الحالات يؤدي إلى نفس المعنى وهو أنه عبارة عن أمر، أو قاعدة، أو عقيدة مبنية على أساس واهٍ لم يسبق نقده، فهي معتقدات وآراء غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من العقل أو الواقع، ولكن تم الإيمان بها إيماناً راسخاً، على أنها حقيقة مطلقة غير قابلة للنقاش أو النقد، حتى وإن وجد دليل ينقضها فهو غير معترف به، ولا يلتفت إلى من يقدمه، مع نبذ من يخالف هذه العقيدة وإنكاره واتهامه بالكفر والهرطقة.

(١) طلعت عبد الحميد، دليل إدارة الذات بالقيم، كلية التربية جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو ص ٥٤ .

المبحث الثاني

مصطلحات لها علاقة بالدوغمائية

مدخل

لإبراز مفهوم الدوغمائية، وفهم ما يرمي إليه هذا المصطلح، لابد من إلقاء الضوء على بعض المصطلحات التي ارتبطت به، وحدث مزج مقصود أو غير مقصود بينها وبين الدوغمائية، وذلك لقرب التناول لكلا من هذه المصطلحات والدوغمائية أو للاشتراك في بعض الخصائص والصفات؛ حتى ظن البعض أن بين بعض هذه المصطلحات والدوغمائية تقارب وتشابه في المعنى يصل إلى الترادف وإحلال أي منهما محل الآخر، رغم ما بين الدوغمائية وهذه المصطلحات من فروق؛ لاحتواء هذه المصطلحات على بعض الصفات والخصائص التي تميزها عن الدوغمائية وإن اتفقت معها في بعض الوجوه، ومن هذه المصطلحات: _

- التعصب.
- النيوقراطية.

التعصب

التعصب من المصطلحات التي كثيرا ما ارتبطت بالدوغمائية، ولتوضيح طبيعة العلاقة بين التعصب والدوغمائية لابد من تعريف التعصب في اللغة والاصطلاح وعرض أشكاله ومكوناته حتى تتضح أوجه الاتفاق والاختلاف بينه وبين الدوغمائية.

أولاً: تعريف التعصب في اللغة: "التعصب من العصبية، وهو: أن يدعو الرجل إلى نصره عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين والعصبية: الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم أي يحيطون به ويشد بهم، وفي الحديث: "ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية" (١)، "والعصبية والتعصب: المحاماة والمدافعة، وتعصبنا له ومعه نصرناه." (٢)

(١) أخرجه أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ط١، كتاب الآداب، باب في العصبية، رقم الحديث: ٥١٢١، ج٧ ص٤٤١، وهو ضعيف بهذا اللفظ، ضعفه الألباني .
(٢) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر - بيروت، ١٤١٤هـ، ط٣، مادة: عصب، ج١ ص٦٠٢ .

ثانياً: التعصب فى الاصطلاح: غلو فى التعلق بشخص، أو فكرة، أو مبدأ، أو عقيدة بحيث لا يدع مكاناً للتسامح، وهو ضرب من الحماسة الشديدة التي قد تؤدي إلى العنف والاستماتة، وهو بهذا حال غير سوية على مستوى الفرد والجماعة ويصاحبها ضيق أفق وبعد عن التعقل.^(١)

ويعرف أيضاً بأنه: "اتجاه نفسي جامد مشحون انفعالياً، أو عقيدة، أو حكم مسبق مع أو في الغالب ضد جماعة أو شيء، أو موضوع، ولا يقوم على سند منطقي أو معرفة كافية أو حقيقة علمية، بل ربما يستند إلى أساطير وخرافات"^(٢).

ثالثاً: أشكال التعصب: للتعصب أشكال مختلفة، وقد يرتبط بعضها ببعض، وقد يعاني الفرد من نوع واحد من التعصب أو من أنواع متعددة معاً، ومن أشكال التعصب ما يأتي:ـ

- ١- التعصب الديني أو الطائفي بين أصحاب المذاهب والأديان.
- ٢- التعصب العرقي أو القومي أو القبلي: وهو تعصب على أساس النوع البشري، سواء اختلفت الألوان أو اتفقت وبين الأعراق والقوميات المختلفة.
- ٣- التعصب الفكري: وهو التفكير دائماً بصفة أحادية، مع إلغاء الرأي الآخر ورفض تقبله ونقاشه وهو إلغاء للعقل.
- ٤- التعصب الاجتماعي: سواء كان طبقياً بين الطبقات الاجتماعية المتسلطة والمهمشة، أم كان للنوع كتعصب النساء للنساء والرجال للرجال.
- ٥- التعصب الاقتصادي: بين الشرائح الغنية والفقيرة، بالإضافة للتعصب السياسي، والتعصب الرياضي.^(٣)

رابعاً: مكونات التعصب:

التعصب له ثلاثة مكونات، أولها: المكون الانفعالي وهو المشاعر التي يحملها المتعصب تجاه جماعة محدودة، وثانيها: المكون المعرفي وهو الآراء والأحكام التي يصدرها المتعصب أو يعتقدها تجاه تلك الجماعة، وثالثها: المكون السلوكي وهو الممارسات العملية العدوانية التي يمارسها المتعصب^(٤).

(١) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ٤٩.

(٢) زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص ٢١٠.

(٣) ينظر: معتز سيد عبد الله، الاتجاهات التعصبية، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٩م، من ص ١٥ - ١٨.

(٤) ينظر: معتز سيد عبد الله، الاتجاهات التعصبية، ص ٥٦ وما بعدها.

خامساً: ملامح الاتفاق بين الدوغمانية والتعصب

إن ملامح الاتفاق بينهما تتمثل فيما يلي:

- ١- أن كلا منهما اتجاه سلبي، غير عقلاني بمعنى أنه لا يستند إلى الدلائل الموضوعية لإثبات صحته، فهو حكم مسبق يطلق على أفراد الجماعات الأخرى.
 - ٢- أن كلا منهما يتجاهل المعلومات الجديدة إذا كانت مغايرة له.
 - ٣- أن كلا منهما ترافقه مشاعر الكراهية وعدم التفضيل نحو أفراد الجماعات موضوع التعصب.
 - ٤- أن كلا منهما له ارتباط بين وصفه اتجاه وما يصدر عنه من السلوكيات الخارجية.^(١)
- وبهذا يتبين مدى الاتفاق والترابط بين الدوغمانية والتعصب.

أوجه التباين والاختلاف بين مفهوم الدوغمانية ومفهوم التعصب

رغم الترابط والتلازم بين الدوغمانية والتعصب في بعض الخصائص والصفات إلا أن هناك تباين واختلاف بين كل منهما يتمثل فيما يلي :

- ١- يرتبط مفهوم الدوغمانية بأنماط التفكير، فهي طريقة إدارة وتعامل مع مضامين وآراء، بينما يرتبط مفهوم التعصب بالميول الانفعالية التي تدفع الفرد للانحياز إلى جماعة بشرية تشترك في خصائص معينة.
- ٢- يرتبط مفهوم الدوغمانية أكثر بالسمات الفردية الشخصية، بينما يرتبط مفهوم التعصب بالاتجاهات الجماعية، حيث يكون الفرد عضو في جماعة معينة يشعر بالولاء لها، فيجتاح إلى الانتصار لثقافتها وأفكارها.
- ٣- يرتبط مفهوم الدوغمانية أكثر بالعمليات المعرفية الذهنية، بينما يرتبط مفهوم التعصب أكثر بالعمليات السلوكية كالعدوانية والتمييز والعنصرية.
- ٤- توجد فروق بين الدوغمانية والتعصب في مدى قابلية كل منهما للحوار مع الآخر، فالدوغمائي يرفض الحوار كمبدأ، أما المتعصب فيقبل الحوار ويعتبره وسيلة للانتصار لنفسه وتحقيق كسب لجماعته.

(١) ينظر: هيوا حاجي ديلوي، الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العرقية، دراسة اجتماعية ميدانية في إقليم كردستان العراق، مطبعة خاني، دهوك، مؤسسة موكرياي للبحوث والنشر ٢٠٠٨م، ط ١، ص ٣٠ - ٣١.

٥- توجد فروق بين الدوغمائية والتعصب في مدى إمكانية تغيير القناعات والآراء والتراجع عنها، فالدوغمائي غير قابل أساساً للتراجع عن اتجاهاته الفكرية، بينما من المحتمل أن يحدث تراجع إلى حد ما للمتعصب عن آرائه.

٦- توجد فروق بين الدوغمائية والتعصب في الاهتمام بجمع الأدلة والبراهين المؤيدة، فبينما يرى الشخص الدوغمائي أن أفكاره يقينية قطعية ثابتة بذاتها غير محتاجة لحجج تؤيدها، تجد الإنسان المتعصب يهتم على نحو ما بسرد أدلته، وتأويل ورفض الأدلة المناقضة لها.

التيوقراطية

تعتبر الشيوقراطية واحدة من المصطلحات التي ارتبطت بالدوغمائية؛ لتبنيها فكرة العصمة الإلهية للحكم فهي "مذهب يقوم على تعليل السلطة لدى الجماعة على أساس الاعتقاد الديني، ومنها نظرية (الحق الإلهي) في الحكم التي تعتبر أن الله - عز وجل - مصدر للسلطة، وأن الحاكم بمثابة ظل الله على الأرض، وتقوم الشيوقراطية على أساس العنصرية"^(١).

وعلى ذلك فإن الشيوقراطية تنظر إلى نظام الحكم على أنه نظام سماوي، أتى من عند الله، وعليه فإن رجال الدين هم الذين يجب أن يكونوا على رأس هذا النظام الحاكم، ومن هنا تتبلور ديكتاتورية متدثرة برداء الدين، إذ يصبح الحاكم بمثابة ظل الله على الأرض، فما هو محلول في الأرض محلول في السماء، وما هو معقود في الأرض معقود في السماء، وهنا يتكرس نظام حكم ديكتاتوري دوغمائي لا مجال فيه للمعارضة أو للرأي المخالف؛ ولهذا ارتبطت الشيوقراطية في الغرب بالتخلف والاستبداد والعبودية والقهر.

ومن خلال النظر في هذا التعريف وتطبيق مفهومه على الدين الإسلامي نجد أن "الإسلام - بمعنى من المعاني - هو دين ثيوقراطي، لكنه بمعنى آخر ليس كذلك؛ إذ لو كان المقصود بالشيوقراطية أن يقوم رجال الدين بتسيير دفة الحكم والسياسة كما في النظام الذي نقله التاريخ عن أوروبا في القرون الوسطى فهو غير ثيوقراطي، أما إذا كان المقصود بها استمداد القوانين من مصدر سماوي (هو في حالة الإسلام: القرآن والحديث) فهو ثيوقراطي، وهذا -أيضاً- ما يميز الإسلام عن الديمقراطيات الغربية التي ترفض الشيوقراطية رفضاً باتاً بكلا المعنيين."^(٢)

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، الناشر عالم الكتاب، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ج١، ص ٣٣٧.
(٢) راجع: محمد أسد، منهج الإسلام في الحكم، ترجمة: منصور محمد ماضي، دار العلم للملايين، بيروت ط١: ١٩٥٧م، ط٥: ١٩٧٨م، ص ٥١، وأيضاً: إبراهيم عوض، فكر محمد أسد (ليو بولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net، ص ٣٩.

"وإن كنا لا نوافق على التسمية أصلا لما فيها من ظلال سيئة الإسلام منها براء فالإسلام لم ير قدسية لأحد بعد رسول الله ﷺ، وكذلك لم ير العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، لذلك كانت الأمة الإسلامية هي الحاكمة وهي صاحبة السلطة هي التي تختار حاكمها، وهي التي تشير عليه، وهي التي تنصح له وتعينه وهي التي تعزله إذا انحرف أو جار، والخليفة ليس نائبا عن الله ولا وكيلا له في الأرض إنما هو وكيل الأمة ونائبا عنها".^(١)

فالدولة في الإسلام بريئة من وصمة الشيوعية، ولم تقم هذه الدولة في أية مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي بطوله؛ على العكس من الغرب الذي ظل قروناً متطاولة تتبع السلطة الزمنية فيه السلطة الدينية، وكل من يخرج على الكنيسة والبابا من الأباطرة والملوك تتاله اللعنات والحرمان مهما كانت قوته وسلطته.

وجه الاتفاق والاختلاف بين الشيوعية والدوغمائية: بعد هذا العرض لمفهوم الشيوعية يمكن فهم طبيعة العلاقة بين الدوغمائية والشيوعية باعتبارها من أشكال الحكومة المدنية، فهي تمثل حكومة دوغمائية؛ وذلك لما تدعيه من عصمة مطلقة لقوانينها وسياساتها وقرارات رجالها تستمدّها من قبل الإله، يستحيل معها النقد أو التوجيه، كما أنها ترفض الآخر رفضا مطلقا وتتغلق على أفكارها ومبادئها انغلاقا تاما، ولكنها تختلف عن الدوغمائية في عدة نقاط منها:

- ١- الدوغمائية نمط فكري، بينما الشيوعية شكل من أشكال الحكومة.
 - ٢- الدوغمائية سمة فكرية قد توجد في أي مجال من مجالات الحياة، بينما الشيوعية مرتبطة بالسياسة ونظام الحكم بشكل خاص.
- وبعد هذا العرض للمصطلحات التي تقترب في مفهومها ومرماها من مصطلح الدوغمائية نعرض تنمة لهذا المطلب المصطلحات التي تتناقض مع الدوغمائية، سواء كان هذا التناقض حقيقيا أم ظاهريا، وأبدأ بأشدّها تناقضا ثم بما يليه.
- وهناك مصطلحات أخرى ارتبطت بمصطلح الدوغمائية ارتباطا تقابلي وتضاد فائتاء تناول أي من هذه المصطلحات ترد الإشارة إلى أنها في مقابل الدوغمائية أو أنها نقيض لها، رغم أن منها ما يتفق مع الدوغمائية في المنهج والجوهر وإن اختلفت في الشكل والصورة، ومن هذه المصطلحات:

- النقدية أو التفكير النقدي.
- الشك أو الشكوية (الريبية).
- اللأدرية.

^(١) توفيق الواعي، أوام العلمانية حول الرسالة والمنهج، دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٨٨م، ص ١٢٦.

وسوف أتناول في هذا المطلب كلا من هذه المصطلحات بشيء من التفصيل مع توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينها وبين الدوغمائية أو أوجه التقابل والالتقاء مع الدوغمائية.

النقدية أو التفكير النقدي

النقد هو فحص مبدأ أو ظاهرة للحكم عليه أو عليها حكما تقويميا، وبهذا المعنى يطلق العقل النقدي على الفكر الذي لا يأخذ بأي إقرار دون التساؤل أولاً عن قيمة هذا الإقرار، سواء من حيث مضمونه (نقد داخلي) أو من حيث أصله (نقد خارجي)، فالنقد يكون أميل إلى إبراز العيوب منه إلى إبراز المحاسن. ^(١)

ويعرفه كانط بأنه: "فحص حر أي غير مقيد بأي مذهب فلسفي، وهذا الفحص عنده ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس". ^(٢)

هذا في الوقت الذي تعني فيه "الدوغمائية" الجمود العقائدي "مذهبا، أو رأيا" أو التأييد الأعمى لمذهب أخلاقي ما، والقول بأن معتقداتها حقيقة مطلقة بغض النظر عن مدى مطابقتها للعقل والبرهان.

ويمكن القول بصفة عامة بأن النقد يعني امتحان شيء ما من جهة قيمته، ويشير المعجم الفلسفي إلى مفهوم النقد في مجال الوثائق التاريخية، وهنا يأتي النقد بمعنيين، نقد خارجي: وهو الذي ينصب على صورة الوثائق التاريخية؛ لتحديد مدى صحتها وأصالتها، ويقابله النقد الداخلي: وهو الذي يحلل النصوص والوثائق نفسها، ويقابل بعضها ببعض. ^(٣) وبمقارنة هذا المعنى مع الدوغمائية نجد أنها على النقيض منه تماما؛ فالدوغمائية لا يمكن أن تكون موضع نقد أو شك أو استنهام من قبل المؤمن وإلا اعتبر مشككا بإيمانه وخارجا عن دينه.

هذا عن معنى النقد أما "المذهب النقدي" Criticism فهو ذلك المذهب الذي يرى ضرورة مناقشة المعارف جميعها، ويرى أنه ليس هناك معرفة مقبولة إلا بعد بحث وتمحيص، وتمثل الفلسفة النقدية لفيلسوف كانط Kant أوضح الصور الفلسفية لهذا المذهب ^(٤)، ولكن الدوغمائية لا تتفق أبدا مع هذا المذهب فهي التزمت لفكرة معينة، دون قبول النقاش بأي دليل ينقضها.

(١) ينظر: لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الاول، ص ٢٣٨.

(٢) مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص ٦٥٥.

(٣) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ط: ١٩٨٣م، ص ٢٠٥.

(٤) ينظر: محمود حمدي زقزوق، دراسات في الفلسفة الحديثة، ط ٣، ص ١٨٤.

ومن خلال الحديث عن معنى النقد والمذهب النقدي تظهر أوجه التناقض بين الدوغمائية والنقدية، فبينما الدوغمائية وجهة نظر مبنية على مقدمات غير محصنة تمحيصاً وافياً، نرى النقد هو الفحص للمبدأ أو الظاهرة، وبينما الدوغمائية لا تقر بأنها قد تحتل شيء من الخطأ أو النقص، نرى النقد يسعى لإبراز العيوب، فيتبين أن النقد أو التفكير الناقد يقابل الدوغمائية ويناقضها.

الشك أو الشكية (الريبية)

الشك حالة نفسية يتردد معها الذهن بين الإثبات والنفي ويتوقف عن الحكم، وذلك للجهل بظروف الموضوع وجوانبه أو العجز عن التحليل والبت في الموضوع.^(١) وذلك بخلاف الدوغمائية التي من معانيها القطعية واليقينية والوثوقية التي لا تعرف تردد.

"وكلمة (شكاك) في اليونانية تطلق على من ينظر بإمعان، من يفحص باهتمام قبل أن يصدر حكماً على شيء أو قبل أن يتخذ أي قرار؛ ولهذا نجد سكستوس امبيريقوس^(٢) يضع (الشكاك) بين الفرق الفلسفية بوصفهم "الذين يواصلون البحث والتحري" في مقابل "الدوغمائيين"^(٣).

فقد "جاء في أحد مؤلفاته أن المبدأ الأساسي للمذهب الشكي يدور على أنه "كل حجة حجة مضادة لها"، ثم يستطرد قائلاً: "إننا نعتقد أن من لوازم هذا المبدأ الوصول إلى نقطة نمتنع فيها أن نكون دوغمائيين"^(٤).

فيتبين من ذلك أنه كان لمفهوم الشك في اليونانية معنى مختلف عن المعنى الذي نفهمه منه اليوم فقد كانت كلمة شك تعني البحث والتنقيب أو الاستطلاع بينما أصبح معناها اليوم على خلاف ذلك فالشاك: هو أحد المفكرين الذين ينكرون إمكان المعرفة، سواء كان هذا الإنكار جزئياً أو كلياً شاملاً لكل معرفة.

وتبعاً لذلك نجد أن الشكية Skepticism: هي مذهب فلسفي يضع إمكان المعرفة الموضوعية للواقع موضع تساؤل، ويعبر عن الشك في كفاية الحواس وكفاءة العقل لبلوغ اليقين حول طبيعة الأشياء، وقد أقرت الشكية وجوب تعليق الحكم والإمساك عن الإثبات^(٥) وفي هذا تقترب كثيراً من الدوغمائية.

(١) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٠٣.

(٢) سكستوس امبيريقوس (١٥٠-٢١٠ ق.م) كان طبيباً وفيلسوفاً، عاش في أثينا والاسكندرية، وترأس المدرسة الشكية من سنة ١٨٠ حتى ٢١٠ ق.م، من مؤلفاته: ضد العلماء، والتعاليم البيرونية. ينظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٩٩٢م، ط ١، ج ١، ص ٥٦٣.

(٣) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ج ٢ ص ١٦.

(٤) وهبة، مراد، الأصولية والعلمانية، سلسلة قضايا العصر (١)، دار الثقافة، القاهرة، ط ١ ص ١٤.

(٥) ينظر: محمود حمدي زقزوق، دراسات في الفلسفة الحديثة، ص ٥٣.

ولكن في صدد العرض لمفهوم الشك يجب التفرقة بين نوعين من أنواع الشك وهما الشك المنهجي والشك المذهبي (الريبية).

فالشك المنهجي: يعتبر مرحلة أساسية من مراحل البحث في الفلسفة، وقوامها تمحيص المعاني والأحكام تمحيصا تاما بحيث لا يقبل منها إلا ما ثبت يقينا ومن أبرز من قال به الغزالي^(١) ثم ديكارت^(٢) فعلى الباحث أن يحرر نفسه من الأفكار الخاطئة بالشك وأن يتروى فيما يعرض له فلا يتسرع في حكمه، ولا يقبل إلا ما ثبت للعقل بدهاة.^(٣)، وهذا النوع من الشك هو الذي يكون في مقابل الدوغمائية.

أما النوع الثاني وهو الشك المذهبي (الريبية): فهو المذهب الذي يرفض الإثبات أو النفي، وبالتالي الحكم على الأشياء ولا سيما في الأمور المتعلقة بما وراء الطبيعة، وهو عموما موقف من يرفض التصديق بالأمور التي يسلم بها عادة فيكتفي بمعاينة هذه الأمور دون إصدار أي حكم رافضا إثبات أو نفي وجود الأشياء التي يحسها أو يتخيلها أو يتصورها^(٤)، فيستند هذا الشك الجدلي إلى حجج تبرر تعليق الحكم بدعوى أن العقل ليس في قدرته اقتناص الحقيقة فلا يوجب ولا يسلب.^(٥)

فالشك المذهبية هي التي تزعم بشكل يقيني - وهنا المفارقة - أن المعرفة غير ممكنة مطلقا؛ فهي دوغمائية سلبية؛ أي هي القفاز نفسه ولكنه مقلوب؛ لأنها تجزم بعدم وجود معرفة صحيحة عند أي فريق وأن موقفها الشكي هو الصواب!^(٦)

فهذا النوع من الشك لا يختلف كثيرا عن الدوغمائية بل يمكن اعتباره دوغمائية مقلوبة، وفي هذا المعنى يقول لا نيو (Lagneau)^(٧): "تنفي الشكية نفسها بنفسها كلما قدمت نفسها على أنها الحقيقة "

(١) الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ = ١٠٥٨ - ١١١١ م) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلده، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط ٥: ٢٠٠٢ م، ج ٧، ص ٢٢.

(٢) ديكارت، رينيه (لاهاي، توران ١٠٠٤ هـ - ١٥٩٦ م / ستوكهولم ١٠٦٠ هـ - ١٦٥٠ م) فيلسوف ورياضي فرنسي منحدر من عائلة ميسورة وبرجوازية، درس عند اليسوعيين في الكولاج ده لافليش، من مؤلفاته التأملات الميتافيزيقية (١٦٤١ م) والمبادئ الفلسفية (١٦٤٤ م) ويعتبر ديكارت مثاليا فهو شرع بالشك المنهجي الذي يشك بكل شيء كي يتفادى الخطأ والأحكام المسبقة. ينظر: روني، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ١، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٠٣.

(٤) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٢٥٩.

(٥) وهبة مراد، المعجم الفلسفي، ص ٣٦٨.

(٦) عثمان الخشت، الدوغماتية وهم امتلاك الحقيقة، ص ٧.

(٧) جول لانيو (Jules Lagneau) (١٨٥١ م / ١٨٩٤ م) فيلسوف فرنسي اعتنق الفلسفة الروحية والمثالية ومارس تأثير عميق على محيطه الفكري، وأسس مع بول ديجاردان "الاتحاد من أجل الفعل الأخلاقي". ينظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ٢، ص ٣٤٨.

ويبرز هذا المعنى بشكل أوضح بوانكاري^(١) عندما يقول:

"الشك في كل شيء أو التصديق بكل شيء: حلان ملائمان يغني كلاهما عن التفكير"^(٢).

وقد قال كلود برنار^(٣): «يجب على العالم أن يفرق بين الشك والريب فالريبي ينكر العلم ويؤمن بنفسه، أما المتشكك فإنه يشك في نفسه ويؤمن بالعلم»^(٤).

ومن العرض السابق يتضح لنا أن الشك الذي في مقابل الدوغمائية ومضاد لها هو الشك المنهجي، أما الشك المذهبي فهو دوغمائي في منهجه وإن اختلفت صورته عن الدوغمائية فهو يعتبر دوغمائية مقلوبة، فبينما الدوغمائية تثبت الحقيقة بشكل مطلق وتتفرد بامتلاكها، فالشك المذهبي أو الريبي ينفي الحقيقة بشكل مطلق ولا يتقبل فكرة وجودها.

اللاأدرية (اللاعرفانية)

اللاأدرية: هي كل موقف ينكر كلياً أو جزئياً إمكان معرفة حقيقية الأشياء أو البت في المسائل الماورائية كوجود الله ونهاية الكون وخلود الروح ... إلخ.

وقد ظهرت اللاأدرية مع بيرون (Pyrrhon)^(٥) مؤسس المدرسة الشكية ومع السفسطائيين الذين قالوا: "بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه"، وقالوا: "إذا كان الشك يتطرق إلى الحسيات والبديهيات والنظريات، كان من الواجب على العاقل أن لا يقطع في شيء"^(٦)، وعلى ذلك تُعد اللاأدرية طائفة من السوفسطائية ينكرون العلم بثبوت شيء شيء ولا ثبوته ويزعمون أنهم شاكون، وشاكون في أنهم شاكون وهلم جرا.^(٧)

فاللاأدرية: نزعة فلسفية ترمي إلى إنكار قيمة العقل وقدرته على المعرفة.^(٨)

(١) جول هنري بوانكاريه (بالفرنسية: Jules Henri Poincaré) ولد هنري بوانكاريه في (١٨٥٤م) وتوفي ١٨٩١م من أمهر العلماء الفرنسيين في مجال الرياضيات والفيزياء النظرية كما كان من فلاسفة العلوم فقد جسد مثال الإنسان الذي يندر حياته لعلم المساحة والارقام. ينظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ص ٢٧٥.

(٢) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٢٦١.

(٣) كلود برنار: عالم فرنسي شهير يعتبر مؤسس المدرسة العلمية ١٨٧٨م. وصاحب عدة بحوث هامة ولد سنة ١٨١٣م في مدينة "سان جوليان" الفرنسية، درس الطب، وانتخب عام ١٨٥٤م عضواً في أكاديمية العلوم. لديه عدة اكتشافات علمية هامة، وتعلق فيما يخص الفلسفة العامة بالتيار الموضوعي السائر في عصره والذي ينفي إمكانية الوصول إلى حقائق مطلقة، وقد توفي في باريس عام ١٨٧٨م. ينظر: روني، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ج ١، ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٤) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، الشركة العالمية للكتاب ش م ل، ص ٧٠٦.

(٥) بيزون (باللاتينية: Πύρρων) هو فيلسوف يوناني توفي عام ٢٧٥ ق.م. برع في الرسم ثم درس على انكاغوراس وهو مؤسس المدرسة الشكية، فلسفته البيرونية أو الشكية تتميز برفض كل تأكيد دوغمائي وحتى كل رأي من الآراء. ينظر: روني إيلي ألفا، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب، ص ٢٩٨.

(٦) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص ٣٨٧.

(٧) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكري، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاح الفنون، الناشر دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط ١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ج ٣ ص ١١٥.

(٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، الناشر دار الدعوة، ج ١، ص ٢٨٢.

واللاأدري: هو شخص ليس لديه رأي محدد فيما يخص قضية وجود إله من عدمه، حيث أنه لا يُوجد دليل قاطع على تلك المسألة.

ومن العرض السابق يتبين: أن الآراء اللاأدرية قديمة قدم الشكوكية الفلسفية، وأن اللاأدرية تحد من قدرة العقل على معرفة الحقيقة، وذلك خلاف الدوغمائية التي تؤمن إيماناً راسخاً بقدرة العقل على الوصول إلي اليقين والحقيقة المطلقة، ولكن اللاأدرية القوية التي تدعي أنه لا يمكن معرفة شيء على وجه اليقين سواء بالنفي أو الإثبات، نقول لها كيف إذن يمكنك أن تكون متأكدا لهذه الدرجة من انعدام المعرفة أليست هذه دوغمائية أخرى؟!

وبعد عرض المصطلحات التي شيع عنها أنها مقابلة للدوغمائية ومناقضة لها تبين لنا حقيقة علاقة كل مصطلح منهم بالدوغمائية ذلك أن ما هو نقيض الدوغمائية حقا هو النقد والشك المنهجي، أما الشك المذهبي (الريبية) واللاأدرية فهما دوغمائية مقلوبة تختلف مع الدوغمائية في الشكل وتتفق معها في المنهج والجوهر. ولكن وجب التنبيه على أمر هام وهو إذا كانت تلك المصطلحات مقابلة للدوغمائية من جهة النظر إلى المعتقد والفكر بحد ذاته، فهناك مصطلح آخر مقابل للدوغمائية من جهة المعتقد والمفكر وكيفية تعامله مع المعتقدات؛ ولهذا وجب إدراجه ضمن المصطلحات المقابلة للدوغمائية، وهو ما سوف أعرضه في النقطة التالية.

التسامح إن التسامح يعد موقفا إيجابيا متفهما من العقائد والأفكار يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب والإقصاء على أساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته^(١).

إلا أن دلالة التسامح تطورت بفعل التنظير الفلسفي، ليتحول إلى جزء من واجب تفرضه الحرية الشخصية التي يراد لها أن تكون متساوية بين الجميع، فلكل فرد حقه في الاعتقاد وحقه في التعبير عن رأيه، وليس هناك ما يبرر احتكار هذا الحق لجهة دون أخرى، فقبول الآخر وفقا لهذا الرأي ليس منة وإنما واجب تفرضه الحرية الشخصية، وهو حق يرتكز أساسا على القول بنسبية الحقيقة التي ترى أن للحقيقة وجودا نسبيا لدى جميع الأفراد، ولا مبرر حينئذ لدعوى احتكارها والتفرد بها^(٢).

(١) ينظر: الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، الحضارية، العراق - بغداد، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٢٠-٢١.
(٢) ينظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ص ٢٧٢، بتصرف.

وفي تعريف آخر نجد أن التسامح ظاهرة اجتماعية ثقافية، وأنه ميل أو موقف اجتماعي يعترف بحق الآخر في تباين السلوك والرأي وفي عبارة بسيطة يمكن القول بأن مفهوم التسامح يعني أن تحيا أنت والآخرين.^(١)

ويمكن القول بأن جوهر التسامح يكمن في حرية الفكر وحرية الاعتقاد، وتقبل الآخر، واحترام الاختلاف في الفكر، فمفهوم التسامح مرتبط بالتعددية وقبول الاختلاف، وهو ما يناقض الدوغمائية التي هي "طريقة منغلقة في التفكير، ونظرة تسلطية في الحياة، تقوم على عدم تحمل الأفراد الذين يختلفون ويتعارضون معهم في المعتقدات الدينية في حين يتسامحون مع الذين يتشابهون معهم في تلك المعتقدات"^(٢).

(١) عيد، محمد إبراهيم، التسامح وعلاقته بالدوغماتيقية لدى طلاب الجامعة المؤتمر الدولي السابع - بناء الإنسان لمجتمع أفضل جامعة عين شمس - مركز الارشاد النفسي، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٧٨١.

(٢) علي عبد الرحيم صالح، الدوغماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة، ص ١٣٢١.

الفصل الثاني

الجذور التاريخية للدوغمائية

ويشتمل على أربعة مباحث:

- المبحث الأول: جذور الدوغمائية الدينية.
- المبحث الثاني: جذور الدوغمائية الاجتماعية.

تمهيد

الدوغمائية ظاهرة إنسانية، وهي تعبر عن "أزمة عصر" وإن البحث في مظاهرها يعني البحث في جذور التعصب والانغلاق، وجمود العقل، وثنائية التفكير القطعي، والعدوان والتسلط، وتأليه السلطة الواحدة، والجماعة الواحدة والرأي الواحد والغاية الواحدة^(١)، والتي قد تبدو في حياة الإنسان العادي وفي أسلوب تفكيره وكيفية تناوله للموضوعات والأفكار.^(٢)

"فقد نشأت الدوغمائية منذ بدأ الإنسان يزعم أنه قادر علي معرفة الحقيقة المطلقة، فالدوغمائية ليست مضمونا بقدر ما هي سمة وموقف يزعم امتلاك الحقائق اليقينية المطلقة"^(٣). فهناك دوما متعصبون أو دوغمائيون بجوار المجددين أو من يتمتعون بالمرونة والتسامح، هذا موجود مثلا في الرأسمالية والعلمانية والاشتراكية، والإسلام والمسيحية، والهندوسية ... إلخ

كما أن التيارات السياسية في كل بلدان العالم يوجد من بينها التيارات المتعصبة "الدوغمائية" إما لمذهب سياسي جامد أو عقيدة، أو أيديولوجية، أو قومية؛ لذا فإنه من المتعذر إحصاء الفلسفات والمذاهب الدوغمائية، خاصة أن الدوغمائية ليست مذهبا دينيا أو عقليا محددًا، بل هي سمة سارية في معظم المذاهب ولكني في هذا الفصل سوف أحاول توضيح أصل وجذور الدوغمائية عبر التاريخ من خلال المنظور الديني والمنظور الاجتماعي، والمنظور النفسي.

(١) عيد محمد إبراهيم، التسامح وعلاقته بالدوغماتية لدى طلاب الجامعة، المؤتمر الدولي السابع (بناء الإنسان لمجتمع أفضل)، ص ٧٨٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٨٨.

(٣) الخشت، عثمان، وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ص ١١ - ١٣.

المبحث الأول

جذور الدوغمائية الدينية

مدخل

تمارس الجماعات والمعتقدات الدينية أثر كبير على حياة الأفراد الشخصية والاجتماعية، إذ ترجع معاملات الناس اليومية وتفاعلاتهم وقرارتهم إلى ما تفرضه جماعتهم الدينية من أحكام، وبذلك فإن للجماعة الدينية سلطة كبيرة على توجيه الناس، وتحريكهم نحو القيام بسلوكيات وأفعال معينة تتسجم مع منظومتها ومخططاتها المعرفية الجماعية؛ وعلى الرغم من أن للأديان قدرة على تحريك إرادة الشعوب نحو البناء والتطور وشيوع السلام والرخاء، إلا أن سيادة روح التعصب في الجماعات الدينية يعد عاملاً هداماً ومخرباً ومؤذياً عندما تتفاعل الجماعات الدينية مع بعضها البعض، "فتظهر الدوغماتية الدينية لدى الأفراد نتيجة التطبيع الاجتماعي والتحبيب التربوي الذي تمارسه الجماعات الدينية، إذ تغرس هذه الجماعات في نفوس أبنائها حب الطاعة والالتزام بقيمها ومعتقداتها الدينية، وشحنهم بعاطفة انفعالية قوية؛ بحيث تجعلهم شديدي التمسك بها، فضلاً عن ذلك توفر الجماعة الدينية للأفراد هوية اجتماعية تحميهم، وتكون لهم سنداً وقت الشدائد والازمات، نتيجة لذلك تتولد لدى الأعضاء رغبة عالية في الإذعان لأفكار الجماعة، والتمسك الشديد بمعاييرها، وتطبيق ما تفرضه جماعتهم الدينية من سلوكيات وعقوبات عدائية لكل من يخالفها أو يتوجه نحوها بالنقد^(١) وبصورة تدريجية تظهر لدى الأفراد ثلاثة مظاهر سلوكية، هي:

أ. الخضوع التسلطي: authoritarian submission يتمثل بالخضوع الأعمى لأفكار ومعتقدات وآراء الجماعة الدينية من دون أي نقد أو فحص لهذه الأفكار.

ب. العدوان التسلطي: authoritarian aggression توجيهه العداوة لكل شخص يرفض الانصياع والامتثال لآراء وأفكار الجماعة الدينية.

ج. التقليدية: conventionalism رفض وعدم تقبل أية معتقدات وأفكار خارجية أو جديدة يمكن أن تغير من أفكار الجماعة الدينية^(٢).

(١) علي عبد الرحيم صالح، الدوغماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب، ص ١٣٢٢.
(٢) علي عبد الرحيم صالح، الدوغماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب، ص ١٣٢٢.

لذلك نجد أن الأشخاص الذين يتصفون بالدوجماتية الدينية يكونون منغلقيين عقائدياً، ويرفضون التفاعل والمشاركة مع أبناء الجماعات الدينية الأخرى ويميلون نحو الطاعة المطلقة لأوامر جماعتهم، والالتزام بالحكم الديني المطلق نحو القضايا الدينية، ومحاولة تعميمها نحو جميع المواقف والكيفيات البيئية وبذلك يقلل الدوغمائيون من أهمية الجماعات الدينية المناظرة لهم، ويعطونها منزلة اجتماعية متدنية، ويوجهون عقوبات تأديبية نحو المنشقين عنهم^(١).

فماذا يمكن أن تكون جذور هذا التعصب وتلك الدوغمائية؟

للإجابة عن هذا التساؤل نجد أن للدوغمائية جذوراً تاريخية تمتد في حياة الإنسان لبدائته الأولى فهي وجدت معه منذ وجوده في الحياة فنرى مظاهر الدوغمائية عند إبليس في رفض السجود لآدم واعتقاده بخيرية نفسه وأفضلية النار على الطين، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٢)

"كما ظهرت الدوغمائية بشكل واضح في قصة ابني آدم ورفض قابيل لحكم الله في قبول قربان أخيه وإصراره على أفضلية نفسه وعصمة رأيه؛ مما أدى به إلى ارتكاب أول جريمة قتل في التاريخ، قال تعالى: ﴿وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣) لِنِ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٥) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦)

يتبين من موقف قابيل ما يأتي:

١. لم يكن يملك القدرة على تحمل فكر وسلوك غيره.
٢. لم يتحمل قبول قربان أخيه.
٣. رفض المنطق والحجة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٧) ﴿٤﴾.

(١) المصدر السابق، ص ١٣٢٢.

(٢) سورة الأعراف: ١٢.

(٣) سورة المائدة: ٢٧-٣٠.

(٤) سورة المائدة: ٢٧.

هابيل تسامح وقابيل لم يقبل هذا التسامح، وهذان نموذجا البشرية منذ القدم فالناس دوغمانيون ومتسامحون.^(١)

ثم توالى ظهورها لدى أقوام مختلفة، وكان شعارهم قوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٣)

وهذا الشعار يمثل أحد أهم الجذور التاريخية للدوغمائية الدينية ألا وهو:

سلطة القدماء وغيرهم من أصحاب المكانة

"يتجلى هذا الأصل في طريقة البعض في تأكيد معتقداته عن طريق دعمها بسلطة الآباء أو الأجداد أو المفكرين والعلماء أو غيرهم من أصحاب النفوذ وهذه طريقة الذين يقولون إن الحق يعرف بالرجال"^(٤) ! وبهذا المعنى تكون الدوغمائية نظرية تقرها السلطة الدينية، ويلتزم بها الأعضاء الواقعون تحت هذا السلطان دون تمحيص أو برهان كاف^(٥)، فالتسليم بأقوال السابقين دون الاستناد إلى براهين محكمة، كما وصف لنا القرآن ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٦) أمر مستهجن وضد مبادئ العقل والمنطق وضد البدهة؛ لأن المعتقدات ينبغي أن تؤسس على براهين وليس على سلطة الرجال ومن ثم انتبذ القرآن الطريقة الدوغمائية في التفكير التي تقوم على التسليم دون تمحيص، وقد سرد لنا القرآن الكريم الكثير من الأمثلة لهذا الأصل الدوغمائي نذكر منها: قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾^(٧) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴾^(٨) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴾^(٩) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾^(١٠) فَجَعَلَهُمْ جَذَاًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١١) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾^(١٢) قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا

(١) دكتور ميسرة طاهر، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغماني، الجمعة ٢٧/٣/٢٠١٥ م.

(٢) سورة الزخرف: ٢٣.

(٣) سورة البقرة: ١٧٠.

(٤) الخشت، وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ص ١٠.

(٥) علي محمد عبد الله، الإنسان حكمة الروح والجسد: تأويل المعاني والدلالات، ٢٠١٧ م ص ١٧٣.

(٦) سورة البقرة: ١٧٠.

يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿١﴾

فقوم سيدنا إبراهيم تمسكوا بمعتقداتهم تبعاً لما وجدوا عليه آباءهم وأجدادهم ورفضوا دعوة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لهم رغم ما أقامه عليهم من حجة على خطأ هذه المعتقدات، ولكنهم قابلوه بالرفض والنكران، كما هو شأن الجماعات الدينية الدوغمانية، فهم يتمسكون بجميع أفكار جماعتهم الدينية حتى وإن كانت قابلة للخطأ والنقد فضلاً عن اعتقادهم العام بأن معتقداتهم الدينية هي أفضل المعتقدات، وأنها تصلح لجميع الناس والرفض الشديد لكل فرد يحاول أن يناقشهم بمدى صحة أفكارهم أو محاولة تصحيح بعض سلوكياتهم الدينية (٢).

والأمر نفسه حدث مع نبي الله هود - عليه السلام - مع قوم عاد قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٦﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٢٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٢٩﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٠﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَنِينَ ﴿١٣١﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٢﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٣﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ (٣)

"فقله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٧) ﴿٤﴾ - بضم الخاء واللام - يعنون: دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد. ونحن تابعون لهم سالكون وراءهم نعيش كما عاشوا ونموت كما ماتوا". (٥) فكانت سلطة الآباء هي الدافع وراء دوغمائيتهم، وما هم عليه من الإصرار على الباطل والتزامه حتى بعد أن جاءهم الرسول بالبيئة على ما هم عليه من ضلال.

(١) سورة الأنبياء: ٥١-٧٠.

(٢) علي عبد الرحيم صالح، الدوغماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب، ص ١٣٢٢.

(٣) سورة الشعراء: ١٢٣-١٣٧.

(٤) سورة الشعراء: ١٣٧.

(٥) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج ٦، ص ١٥٤.

ويستمر القرآن في ذكر أمثلة الدوغمائيين في التزامهم سلطة آبائهم وعدم الحود عنها، والشك والريب والإنكار لكل ما عداها، ومن ذلك رد قوم صالح ثمود على دعوته إياهم إلى عبادة الله وحده، وعدم الإشراف به، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾^(١)، ففي قوله تعالى: ﴿أَتَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٢)؟ الاستفهام للإنكار والتعجب، أي: أتنهنا أن نعبد ما كان يعبد آبائنا من قبلنا واستمر فينا لا ينكره ولا يستحقه أحد؟ فالآباء يشمل الغابرين والحاضرين، ولو قالوا: ما عبد آبائنا لما أفاد هذا، فلا حاجة إلى القول بأن التعبير بالمضارع حكاية مصورة للحال الماضية في صورة الحاضرة" ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾^(٣) أي: وإنا لواقعون في شك مما تدعوننا إليه من عبادة الله وحده، لا نتوسل إليه بأحد من أوليائه وأحبائه الشفعاء لنا عنده المقربين لنا إليه، ولا بتعظيم ما وضعه آبائنا لهم من الصور والتماثيل المذكورة بهم، فلا ندري مرادك وغرضك منه، فإنه موجب للريبة وسوء الظن".^(٤)

التشدد في الاعتقاد الديني

إن مصطلح الدوغمائية قد ارتبط بشكل ما مع التشدد الديني فقد ظهرت الدوغمائية عند الإغريق على هيئة تشدد في اعتقادهم الديني، "ففي القرن الخامس قبل الميلاد أنكر أنكساغوراس^(٥) الطبيعة الإلهية للأجرام السماوية وذهب إلى القول بأن القمر أرض فيها جبال ووديان، وأن الشمس والكواكب أجرام ملتهبة لا تختلف طبيعتها عن طبيعة الأجسام الأرضية، ولم يطق ملاك الحقيقة المطلقة "الدوغمائيون" مثل هذا القول الذي قاله أنكساغوراس؛ لاعتقادهم أن كل ما هو سماوي فهو إلهي، وأن من يتناول مثل هذه الأمور بأسلوب علمي هو مجرم في حق الدولة، واتهموه بالإلحاد فاضطر إلى مغادرة أثينا حيث كان يقيم ويتفلسف".^(٦)

(١) سورة هود: ٦٢-٦٣.

(٢) سورة هود: ٦٢.

(٣) سورة هود: ٦٢.

(٤) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤ هـ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، ج ١٢، ص ١٠٢.

(٥) أنكساغوراس الأفلاروماتي، ولد في أفلاروماتيا (آسيا الصغرى) نحو عام ٥٠٠ ق.م. ومات في لمسباقيوم عام ٢٨٠ أو ٢٧٠ ق.م. أول من فسر علميا ظاهرة الكسوف والخسوف، ومن أكثر فلاسفة اليونان أصالة، اتهمه أفلايونتس سنة ٣٢٠ بالزندقة ينظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، الناشر: دار الطليعة، بيروت، ط ٣، ص ١٠٦.

(٦) وهبة، الأصولية والعلمانية، ص ١٣.

وهذا ما أسفرت عنه نتائج دراسة ساروغلو^(١) بأن الدوغمائيين المتدينين يميلون إلى التمسك الشديد بأصوليتهم الدينية، ويرفضون أي تنوع فكري جديد لا ينسجم مع رؤيتهم ومعتقداتهم، ويعدون خروج الأفراد عن معتقداتهم بمثابة إهانة لديانتهم وتحديا لها إذ يجدون الجماعات الدينية الأخرى ضالة، ومن الواجب إجبارها على اعتناق معتقداتهم الدينية ولو كان ذلك بالإكراه.^(٢)

لذلك تصل درجة رفض الدوغمائيين للجماعات الأخرى إلى مرتبة الاحتقار والدونية، فمن يختلف معي ولا يتبنى مميزاتي ومعتقداتي فإنه يحتل مكانة أدنى من مكانتي الدينية، وبهذه الطريقة يظهر التشدد الديني، ويعطي الدوغمائيون مبررا أخلاقيا نحو معادات المذاهب الدينية الأخرى.^(٣)

النفور من سماع الحق

ونجد هذا واضحا فيما يصفه القرآن الكريم من الانغلاق في قوم نوح في نفورهم من نوح وعدم سماع أقواله والمبالغة في تغطية رؤوسهم بالثياب قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٣﴾ فِيءِذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سَتَكْبَارًا ﴿٤﴾﴾، فتتضمن هاتان الآيتان الانغلاق "الدوغمائي" في ثلاثة مستويات مختلفة هي:

- ١- المستوى العاطفي الذي يكمن في النفور من كلام نبي الله نوح _ عليه السلام _
 - ٢- المستوى المعرفي الذي يكمن في العناد في الرأي، وعدم الإصغاء لأقوال نوح _ عليه السلام _
 - ٣- المستوى السلوكي الذي يكمن في وضع أصابعهم في أذانهم، وكذا في استغشاء ثيابهم.
- هذا يعني أن الفرد عند انغلاقه على أفكار ومعتقدات معينة، بحيث لا يسمح لأي أفكار أخرى دخول مجال وعيه، فإن أي محاولة إدخال أفكار جديدة يؤدي إلى نفور وفرار، بمعنى أن المستويين العاطفي والسلوكي هما نتيجة للمستوى المعرفي، الذي هو جمود للفكر في اتجاه واحد "دوغمائية" وسد الطريق أمام الاتجاهات الأخرى.^(٥)

(١) السيد فاسيليس ساروغلو، (Vassilis Saroglu) : أستاذ بجامعة لوفان الكاثوليكية، ومدير مركز علم النفس الديني. ينظر: الموسوعة الحرة.

(٢) علي عبد الرحيم صالح، الدوجماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب/ جامعة القادسية، ص ١٣٢٢.

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٢٣.

(٤) سورة نوح: ٥-٧.

(٥) بن مبارك، سمية، أسلوب الدوجماتية لدى الطلبة الجامعية مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المعرفي، تحت إشراف جبالي نور الدين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم علم النفس وعلوم التربية جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م، ص ٧١.

ومن ذلك أيضا تعنت قريش في عدم استماعهم للرسول ﷺ، وما أنزله الله تعالى إليه، قال ابن إسحاق: "وكان رسول الله ﷺ إذا تلا عليهم القرآن، ودعاهم للإسلام، قالوا يهزؤون به:

﴿قُلُونَا فِي أَكْتَةٍ مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾^(١) لا نفقه ما تقول ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾^(٢) لا نسمع ما تقول ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾^(٣) قد حال بيننا وبينك ﴿فَاعْمَلْ﴾^(٤) بما أنت عليه ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾^(٥) بما نحن عليه، إنا لا نفقه عنك شيئا".^(٦)

هذه العقلية الجامدة ابثليت بها سائر الأزمنة، وعانت منها كل العصور .. فقد وقفوا في وجه دعوات الإصلاح، وحاربوا رسالات السماء؛ دفاعاً عن مواريث بالية، وعقائد باطلة، فاتهموا "نوح" بالسفاهة، ورموا "صالح" بالضلالة، وهددوا "شعيب" وأتباعه، قائلين: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾^(٧)، وقالوا عن موسى وهارون: ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾^(٨)، وقد عانى المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - من هذا الصنف العنيد (الكتبة والفريسيون) أشدّ المعاناة، فظّلوا يناوئونه، ويتربصون به، ويتهمونه بتعطيل الشريعة!

(١) سورة فصلت: ٥.

(٢) سورة فصلت: ٥.

(٣) سورة فصلت: ٥.

(٤) سورة فصلت: ٥.

(٥) سورة فصلت: ٥.

(٦) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣ هـ)، السيرة النبوية لابن هشام تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ٢: ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، ج ١، ص ٣١٦.

(٧) سورة إبراهيم: ١٣.

(٨) سورة القصص: ٤٨.

المبحث الثاني

جذور الدوغمائية الاجتماعية

مدخل

"إن الدوغمائية هذا اليقين المطلق يبقى على المستوى الشخصي محدود التأثير والنتائج، لكن الأمر يتغير جذريا عندما يرتبط بالمجموعة ويأخذ معها بعدا عقائديا، ففي هذه الحالة يتحول اليقين من المسالمة إلى الهجوم، ومن وسيلة للمعرفة إلى أداة لقهر المعرفة والقضاء عليها."^(١)

فالدوغمائية الاجتماعية عبارة عن قوالب جامدة تزود أصحابها بمعايير جاهزة للحكم على الأشياء ولتفسير الأحداث، والتي قد لا نعلم عنها أكثر من الجزئيات كما إنها إدراك متقن إلى درجة كبيرة لكل أفراد فئة من الناس.

فنحن وبشكل طبيعي نصنف الناس الآخرين في جماعات وننمي معتقدات عن شخصيات وقدرات ودوافع الناس في هذه الجماعات المصنفة .. وهذه المعتقدات الاجتماعية إذا لم ترتبط بحقائق موضوعية أو لم تستند إلى أي دليل منطقي عندئذ نكون بصدد القوالب الجامدة، وهي المعتقدات التي تغزو مجموعة من الصفات لأعضاء جماعة اجتماعية ما؛ إلا أن هذه المعتقدات لا تكتسب من خلال الخبرة المباشرة كما أنها ليست دقيقة، وإنما تتسم بالتعميم الزائد كما تتسم أيضا بالتبسيط المفرط، والجمود نتيجة الإدراك والتفسير الانتقائيين، ومن ثم تجاهل بل أحيانا إنكار البرهان المضاد أو إدراكه أحيانا أخرى بوصفه مؤيدا لفكرة المكون المركزي في الاتجاهات التعصبية"^(٢) الدوغمائية.

وفي هذا المبحث سوف أعرض المظاهر الاجتماعية التي تعد جذورا للدوغمائية الاجتماعية في عدة نقاط كما يلي:

العنصرية

العنصرية تعد أبرز جذور الدوغمائية الاجتماعية فهي نظرية رجعية تبرر التفاوت الاجتماعي والاستغلال والحروب؛ بحجة انتماء الشعوب لأجناس مختلفة، ويكمن إفلاس العنصرية في أنها ترد الطبائع الاجتماعية الإنسانية إلى سماتها البيولوجية العنصرية، وتقسّم الأجناس بطريقة تعسفية "دوغمائية" إلى أجناس "عليا" و"دنيا".^(٣)

(١) أحمد ولد محمد محمود الشيخ، المنطق وأصول الفقه، الناشر دار الكتب العلمية ٢٠١٣م، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.

(٢) ينظر: الجزار، هاني، أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب، هلا للنشر والتوزيع، الجزيرة، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ص ١٠٠.

(٣) ينظر: روزنتالوب يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، ص ٢١٦.

فكلمة عنصري نسبة إلى عنصر؛ والعنصر فكرة بيولوجية في أساسها استخدمت في الاجتماع والسياسة، ويراد بها طائفة من الأفراد تلنقي في جملة سمات بيولوجية أو سيكولوجية أو اجتماعية تميزها من طوائف أخرى".^(١)

كما أن العنصرية تعني الاعتقاد بأن الإرث الثقافي أو العنصري لجماعة الفرد يتفوق فطريا على الإرث الثقافي أو العنصري للجماعات الأخرى، ويصحب هذا الاعتقاد اتجاهات التعصب "الدوغمائية" ضد أعضاء الجماعات التي صنف بوصفها "أدنى" أو "أقل".

وترتكز العنصرية على ثلاثة أسس دوغمائية:

الأول: أن الإنسانية لا ترتد إلى سلالة واحدة.

والثاني: أن السلالات ليست متساوية في خصائصها، بل إن بعضها يتفوق على بعضها الآخر. والثالث: أن مظاهر الحضارة والرقى ترتبط بخصائص السلالات وعلى هذا فالجماعات المرشحة لصنع الحضارة هي الجماعات الأرقى، وليس على الجماعات الأخرى (الأدنى) إلا أن تظل تابعة أو خادمة للسلالات الأرقى وليس لها أن تتطلع إلى نفس المكانة.

ولا شك أن هذه الأسس دوغمائيات لا أساس لها من الصحة، وعلى هذا بررت إيديولوجيات العنصرية الظلم الاجتماعي وسائر أشكال الاستغلال بل والحروب ولعلنا نتذكر هنا فكرة "عبئ الرجل الأبيض" التي بمقتضاها نهبت ودمرت ثروات شعوب، كما أن هناك أمما لا تزال تعاني حتى اليوم؛ بحجة تخلصهم من التخلف وتعليمهم الحضارة.^(٢)

فالعنصرية وفقا لهذا التصور أحد أقوى جذور الدوغمائية الاجتماعية التي تمتد في التاريخ القديم إلى عصر أرسطو الذي أيد فلسفة التفوق السلالي لليونانيين ثم انتشرت هذه الفكرة بين الرومان الذين اعتقدوا بتفوق إنسانيتهم على الآخرين البرابرة كما كانوا يسمونهم.

وفي العصور الوسطى الإقطاعية ادعى النبلاء تفوقهم العنصري؛ لتبرير استغلالهم لطبقة العبيد والفلاحين مستخدمين العهد القديم من الكتاب المقدس كمبرر لفكرة الاستعلاء.. إذ قال نوح لابنه حام: "ملعون كنعان! عبد العبيد يكون لإخوته"^(٣)، وحاولوا الترويج لتلك الأسطورة، ثم استغلت العنصرية بعد ذلك لغزو أوروبا للشعوب

^(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص ١٢٩.

^(٢) ينظر: الجزائر، هاني، أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب ص ١٠٢-١٠٤ (بتصرف).

^(٣) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين - (الأصحاح ٩ : فقرة ٢٥).

التي زعموا تخلفها، وفي أوائل القرن التاسع عشر تم توظيف العنصرية؛ لتبرير التفاوت الطبقي بين البرجوازية^(١) والبروليتاريا^(٢)، وفي القرن العشرين ظهرت النازية الألمانية ثم من بعدها روج الأمريكيون لسمو العنصر القوقازي، وهو ما أسفر عن أشكال بشعة من التمييز اللاإنساني لن تسقط من ذاكرة التاريخ.^(٣)

العصبية القومية (الشوفينية)

العصبية القومية تعتبر أيضا من جذور الدوغمائية الاجتماعية وهي عبارة عن "الحب الفاضل للأمة الذي يدفع المواطن إلى الاعتقاد بأن أمته أسمى الأمم وأخطر من ذلك القومية العرقية التي تنسب الأمة إلى عرق يسمو على الأعراق ومن حقه أن يقتطع لنفسه مجالا حيويا على حساب الآخرين والقوميات الأخرى ولقد كانت النازية أكبر ظاهرة متطرفة لهذه القومية^(٤)."

العادات والتقاليد

معروف أن العادات هي السلوكيات الاجتماعية والسياسية التي تنتقل من جيل إلى جيل، ولا نستطيع تغييرها بسهولة، والتي ترسخ في وجدان المجتمع، ويعمل النظام السياسي على التشبث بها ونقلها للأجيال الجديدة^(٥)؛ ولكنها لا تصير جذورا للدوغمائية إلا شريطة "أن يكون لها صدى في عقلية الشعب الجماعية، لا أن تكون قاصرة على بعض الأوساط الفكرية أو السياسية، وهذه التقاليد تضيف لونا خاصا للعاطفة القومية، كتقاليد الحرية في الولايات المتحدة الأمريكية والانغليزية الإنجليزية، ولكن هذه التقاليد قلما تكون عفوية، فقد نحتها وصاغها رجال الدولة والكتاب والسياسيون، وغذاها الناشرون وهي على ما يبدو نتيجة لوجود الأمة، وليست سببا لتشكيل عاطفة قومية.^(٦)"

(١) البرجوازية: هي طبقة اجتماعية ظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تمتلك رؤوس الأموال والحرف، كما تمتلك كذلك القدرة على الإنتاج والسيطرة على المجتمع ومؤسسات الدولة للمحافظة على امتيازاتها ومكانتها بحسب نظرية كارل ماركس.

ينظر: قاموس السوسيولوجيا، فريدريك لوبرون، ترجمة زكريا الإبراهيمي، ص ٤٠.
(٢) البروليتاريا (باللاتينية: Proletarius) استعملت هذه الكلمة في الأدبيات السياسية؛ للدلالة على الطبقات الدنيا والبنائسة والمعدمة من المجتمع، تلك " الطبقات التي لا تملك شيئا ولا تستطيع أن تستمر في الحياة إلا بعملها وتحديد البرولتاريا كطبقة الوحيدة المناقضة تماما لنمو البرجوازية والرأسمالية يرجع إلى ماركس وانجلز.

ينظر: الكيلاني، عبد الوهاب، وآخرون، موسوعة الساسية، ج ١، ص ٥٣٣.
(٣) ينظر: الجزائر، هاني، أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب، ص ١٠٢ - ١٠٤ الهامش نقلا عن العدد الخاص عن التمييز العنصري، الذي صدر عن "الفكر المعاصر" في عددها الرابع والسبعين - أبريل (١٩٧١م).

(٤) نور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية الجزء الأول يقظة القوميات الأوروبية، دار الفكر علي مولا ط ١: ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٧ م ط ٢: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ٧٠.

(٥) عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح، معجم مصطلحات عصر العولمة، ص ٣١٣.

(٦) حاطوم، نور الدين، تاريخ الحركات القومية يقظة القوميات الأوروبية، ج ١، ص ٩.

ولقد كان للتقاليد الموروثة أثر قوي في تسيير أمور الناس في العصر الجاهلي فكان أهل الجاهلية يعظمون ما توارثوه عن الآباء والأجداد حتى أصبحت هذه التقاليد كأنها دين دغمائي واضح المعالم، ولا يصح الخروج عنها رغم ما تجره من خرافات وأوهام.

ومن أهم هذه العادات المذمومة الغلو بالأحساب والفخر بالأنساب.

قال عليه الصلاة والسلام: (أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهَا: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ) ^(١)؛ فبدلنا هذا الحديث على قوة التقاليد ومدى سطوتها، وعلى أنها من أمر الجاهلية، فلقد غالى القوم في تعظيم الأسلاف والأكابر، حتى حجبهم هذا التعظيم عن قبول دين الحق فحال هذا التقليد دون إسلام أبي طالب رغم أنه يعتقد صدق ابن أخيه ﷺ ففي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: (لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَقَالَ: "أَيُّ عَمٍّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ^(٢).

والتمسك بتراث الأسرة وبمفاخر الأجداد هو الذي جعل أبا جهل يصر على كفره كذلك رغم وضوح الحق أمامه؛ استمع إليه إذ يقول: "تتازعنا - نحن وبنو عبد مناف - الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدق" ^(٣).

وللعادات التي هي جذور للدوغمانية خصائص أبرزها:

- التلقائية: تتكون بصورة غير واعية في المجتمع.
- الإلزام والجبرية: شعور كل فرد بأنه ملزم ومجبر على اتباعها، فهو لم ينشئها بل فرضت عليه فرضا.

^(١) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ -، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت كتاب الجنائز، باب التشدد في النياحة رقم الحديث ٩٣٤، ج ٢، ص ٦٤٤.

^(٢) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦]، رقم الحديث ٤٧٧٢، ج ٦، ص ١١٢.

^(٣) ابن هشام، السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٣١٦.

- الاتصال بنواحٍ أسطورية وعناصر خرافية: فمعظم العادات تكون متصلة بمناحٍ أسطورية وخرفات واعتقادات فاسدة.

- الرغبة في التمسك بها: انطلاقاً من اعتقاد معظم الشعوب والأمم بأن عاداتها وتقاليدها هي الأفضل؛ لذا نشأ عندها الرغبة في التمسك بها، والحفاظ عليها. ^(١)

سيطرة الخرافات والأساطير

الأساطير والخرافات تعد من أكبر جذور الدوغمائية الاجتماعية، فالأسطورة والخرافة هي النبتة التي تنشأ عنها الدوغمائية الاجتماعية؛ وتعرف الأسطورة عند العرب بأنها: سرد قصصي لا يمكن إسناده إلى مؤلف معين، يتضمن بعض المواد التاريخية إلى جانب مواد خرافية شعبية ألفها الناس منذ القدم ^(٢)، ومثال على ذلك "نظام الطبقات في الهند".

فقد كان المجتمع الهندي بعد الغزو الآري مقسماً إلى طبقات لا يؤاكل بعضها بعضاً، ولا تتزاج، ولا تختلط اختلاطاً حر، ثم إن الفلسفة الهندية لم تقنع بالجنس والعنصر سبباً لنشأة نظام الطبقات بل رأت أن تربطه بنص مقدس، جاء فيه "ثم خلق البرهمي من فمه والكاشترية من ذراعه، والويشا من فخذه، والشوادر من رجله، فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو"، وبناء على هذا التفكير الذي يرى أن الله خلقها على هذا الوضع يصبح هذا التقسيم أبدياً فهو من صنع الله ولا طريق لإزالته، وعلى هذا لا يرتفع أي شخص من أي قسم إلى قسم أعلى، ولا يدخل المنبوذين في هذا التقسيم ^(٣).

ف نجد معتقدات الشرق نسيج من الشرائع الدينية والاجتماعية، فالشرائع الدينية إذا عدت ثابتة غير متحولة على الدوام وجب عد الشرائع الاجتماعية المشتمل عليها ثابتة وغير متحولة أيضاً. فالمعتقدات الدينية في الهند هي أساس جميع النظم الاجتماعية؛ بالرغم من أن ما في الهند من نظم دوغمائية اجتماعية ليس بالحقبة إلا نظاماً دينية مبنية على الخرافة والأساطير.

وبعد ما تم عرضه يتبين أن جذور الدوغمائية الاجتماعية ترجع إلى هذه الظواهر الاجتماعية التي تم عرضها، والتي تختزن في داخلها وفي بنيتها الفكرية دوغمائيات متعددة لا تقبل الدحض أو المناقشة أو تقبل الآخر؛ وإنما تؤمن فقط بذاتها، وما لديها من أفكار، ومعتقدات، وقد وجدت هذه الظواهر وما زالت توجد في المجتمع بما تشتمل عليه من دوغمائيات يحاربها العقل الواعي والفكر المستنير بنور الحق والحكمة والنقد المنهجي والتسامح الخلاق.

^(١) ينظر: الناصر، محمد بن حامد، من تقاليد الجاهلية وعاداتها، التوعية الإسلامية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٠م، ص ١٦، ع ٣، ص ٥٠-٥٣.

^(٢) ينظر: على، مناع حسن عبد المحسن، العادات والتقاليد في البلدان الإسلامية من خلال رؤية فتاحية الرجنسبرجي: دراسة تحليلية نقدية، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة - كلية الآداب، ٢٠٠٨م، ع ٤٣، مجلد ٢، ص ٣٩١.

^(٣) ينظر: شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١١ ٢٠٠٠م، ص ٥٣-٥٥.

الفصل الثالث

خصائص الدوغمائية وما يتعلق بها

ويشتمل على المباحث الآتية:

- المبحث الأول: أسباب الدوغمائية
- المبحث الثاني: خصائص التفكير الدوغمائي
- المبحث الثالث: سمات الشخصية الدوغمائية

المبحث الأول

أسباب الدوغمائية

مدخل

"الدوغمائية ليست نتاجا بيولوجيا فطريا، فهي تنتج عن عدة أسباب أهمها التعميم الخاطئ، وعدم التبيين، وتدخل الهوى أو التحيز، والانطلاق من القوالب الجاهزة وتبني الأحكام المسبقة؛ أي عدم العقلانية وعدم الاعتماد علي الحقائق والتسرع في الاستنتاج، فهي واحدة من نتائج التربية ومرتبطة بالدرجة الأولى بالتفكير الخاطئ، وترتبط أيضا بالتعليم الساقولي المنطلق من الكبير باتجاه الصغير أو المتعلم وحرمان المتعلم من النقاش أو الحوار أو الاعتراض.^(١)

ومن خلال التشخيص العلمي نضع المعايير العلمية بجانب الممارسات الاجتماعية؛ لنصل إلى أي مدى تتوفر في مجتمعنا هذه المعايير الاجتماعية والنفسية التي تنتج الدوغمائية، ذلك أن الدوغمائية ناتجة عن أسباب نفسية وأسباب اجتماعية وأسباب معرفية، وهي كما يأتي:

أولاً: الأسباب النفسية للدوغمائية

وتتجلى هذه الأسباب في بعض الأمراض النفسية وحيل الدفاع النفسي التي من أهمها ما يلي : _

النرجسية^(٢) : هي اضطراب نفسي يبالغ فيه الشخص في تقييم أهميته، ويحتاج بشكل كبير لإعجاب الآخرين رغم قلة تعاطفه، حيث يتصرف بالغرور والتبجح ويسيطر على المحادثات عادة ويستخف بمن يراهم أدنى منه، وفي الوقت ذاته لا يمكنه احتمال النقد، وقد يملك مشاعر دفينية من الخوف والخزي والعار والضعف؛ فيلجأ للرد بعنف وازدراء للطرف الآخر للانتصار عليه، لذلك فالنرجسية لها تأثير كبير في بروز السلوكيات التسلطية، وقد وجدت بعض الدراسات التي تقول بأن التسلطية هي ذاتها الدوغمائية؛ وذلك بسبب امتلاك الشخصية التسلطية

منظومة معرفية منغلقة على قيم معينة لا تقبل أي فكر مخالف لاعتقادها^(٣) كما وجدت دراسة أكدت أن

العلاقة طردية بين الدوجمائية والنرجسية^(٤).

(١) طاهر، ميسرة، ندوة جذور التطر والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي

(٢) نَرْجِسِيَّة/ نَرْجِسِيَّة [مفرد]: مصدر صناعي من نَرْجَس/ نَرْجَس: إعجاب المرء بنفسه وافتتانه به. ينظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصر، ج ٣، ص ٢١٩١.

(٣) راجع: النصراوي، حامد عادل عباس، القيادة النرجسية وأثرها في تعزيز السلوك الدوغمائي: دراسة حالة في محل اللبسة الرجالية في محافظة النجف، الإشراف، الناشر جامعة الكوفة. كلية الآداب، مج ١٠، ٣١٤، ٢٠١٧م، ص ٥٠٣.

(٤) أبو شندي، يوسف عبد القادر علي، الدوجمائية عند طلبة كلية العلوم التربوية والآداب/ الأنروا وعلاقتها بأسلوب تفكيرهم ومستوى نرجسيتهم، كلية العلوم التربوية والآداب - الأنروا، المملكة الأردنية الهاشمية، الناشر: مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، مج ٣٧، ع ١، ت ٢٠١٦م، ص ١٨٧.

البارانويا: جنون الارتياب أو (البارانويا) هو مرض نفسي مزمن، تُعرفه موسوعة علم النفس بأنه (الهذاء) أو جنون الاضطهاد، يظهر من خلال أوهام يعتنقها المريض؛ وبسببها يؤمن إيماناً وثيقاً بتعرضه للاضطهاد والملاحقة، كما أنه يفسر سلوك الآخرين تفسيراً يتسق مع هذا الاعتقاد، فيسيء المريض فهم أي ملاحظة أو إشارة أو عمل يصدر عن الآخرين، ويفسره على أنه تعريض به؛ ويدفعه ذلك إلى البحث عن أسلوب لتعويض ذلك فيتخيل أنه عظيم وأنه عليم بكل شيء.

وقد يتجاوز جنون الارتياب الأفراد فتظهر هذه الأعراض على مستوى جمعي لتصبح حالة وبائية شمولية تضرب المجتمعات بالشلل التام والعجز عن التعايش مع محيطها الدولي^(١).

والدوغمائية هي إحدى السمات الأساسية في تناذر البارانويا؛ فالشخص الدوغمائي تنقصه المرونة الفكرية، ويرتكز على ثوابت ومسلمات لا تقبل النقاش لأنها محاطة بدلالات وجدانية ولاشعورية تجعل من كل نقاش فيها

نقاشاً في معنى الحياة والتشبث بها^(٢) ومن خلال النظر في أعراض مرض البارانويا يظهر أنه من أقوى الأسباب النفسية للدوغمائية، ذلك أن من أعراضه الارتياب والشك من أفعال وتحركات الآخرين، وعدم الوثوق بالآخرين، واعتقاد الشخص بأنه دائماً على صواب ومواجهة صعوبة في الاسترخاء وعدم القدرة على القبول بحلول وسطية، أو المسامحة، أو قبول النقد والاعتقاد بوجود معانٍ خفية وراء التصرفات العادية للأشخاص، وأيضاً الاتجاه إلى العزلة^(٣).

(١) أميمة خميس، جنون الاتياب، جريدة الرياض، ٢٥ أكتوبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٩٢٤

<https://www.alriyadh.com/٩٨٧٩١٩#:~:text=%D8%AC%D9%86%D9%88%D9%86%٢٠%D8%A٧%D9%8٤%D8%A٧%D8%B١%D8%AA%D9%8A%D8%A٧%D8%A8%٢٠%D8%A٣%D9%88,%D8%A٧%D9%8٤%D9%8٥%D8%AA%D8%B٥%D9%8٤%D8%A٩%٢٠%D8%A8%D8%A٧%D9%8٤%D8%B٩%D8%A٧%D9%8٤%D9%8٥%٢٠%D8%A٧%D9%8٤%D8%AE%D8%A٧%D8%B١%D8%AC%D9%8A>
(٢) اقبال الغربي : مقارنة نفسية لفهم التطرف الديني ، جامعة الزيتونة ، ٢٠٠٤ (موقع إلكتروني)

- [www.mettransparent.com/texts/ikbal-algharbi-psychological-approach-religious-extremism](http://www.mettransparent.com/texts/ikbal-algharbi-psychological-approach-religious-extremism.html) -
٢٠٠٤.html.

(٣) هيلدا قوسيمي ، ما هو مرض البارانويا ، موقع ويب طب.
https://www.webteb.com/articles/%D9%8٥%D8%A٧%D9%8٧%D9%88-%D9%8٥%D8%B١%D8%B٦-%D8%A٧%D9%8٤%D8%A8%D8%A٧%D8%B١%D8%A٧%D9%86%D9%88%D9%8A%D8%A٧_٢٣٤٧٠#:~:text=%D8%A٣%D8%B٩%D8%B١%D8%A٧%D8%B٦%٢٠%D9%8٥%D8%B١%D8%B٦%٢٠%D8%A٧%D9%8٤%D8%A8%D8%A٧%D8%B١%D8%A٧%D9%86%D9%88%D9%8A%D8%A٧,%D8%A٧%D9%8٤%D8%B٩%D8%B٢%D9%8٤%D8%A٩

التسلطية Authoritarianism: وهي مصدر صناعي من تسلط، وصفة لنظام سياسي يحتكر السلطة ويمارس التسلط، ويحكم بتعسف، ولا يسمح بمعارضة أو اعتراض^(١). فهي سمة تجعل الشخص يمجّد القوة ويستخف بمن هو أضعف منه، ويدافع عن الشخصيات الديكتاتورية المتحكمة، وينظر إليها بنوع من الإعجاب والتمجيد. والتسلطية مركب نفسي يجمع بين الرغبة في الهيمنة وتقديس السلطة، والرغبة في الخضوع المطلق لها، ويميل الشخص التسلطي إلى تمجيد أصحاب النفوذ والقوة والطبقية، والاستخفاف بالضعفاء وفرض الرأي بصورة مستبدّة وفردية؛ وهناك العديد من الدراسات التي أوضحت ارتباط التسلطية بالتعصب العنصري ارتباطاً موجّباً دالاً؛ مما يؤكد كفاءتها كسمة مهمة للشخصية في التنبؤ بظهور التعصب الدوغمائي^(٢).

الاضطرابات الشخصية: هي فئة من الاضطرابات النفسية تتميز بأنماط سلوكية وإدراكية ثابتة وصعبة التغيير والتأقلم، وتظهر هذه الأنماط غير السوية خلال السياقات التفاعلية المختلفة، وتجنح بعيداً عن السلوكيات المقبولة ضمن ثقافة المجتمع، وتتكون هذه الأنماط غير السوية أثناء مراحل النمو، وتكون ذات طبيعة غير مرنة وغير متكيفة، ودائماً ما يصاحبها قدر من التوتر والضغط النفسي^(٣)، فهناك شخصيات مهياة بتركيباتها النفسية لممارسة التعصب والدوغمائية والتمييز كسلوك ضد الآخرين؛ ليس لأنها تخدم فكرة أو جماعة أو تحركها مشاعر الخوف على الهوية ولكنها مضطربة في ذاتها تحب أن تمارس التمييز والتعصب ضد الآخرين.

ثانياً: الأسباب الاجتماعية للدوغمائية

تتعدد الأسباب الاجتماعية للدوغمائية، فهناك أسباب اجتماعية متعلقة بالصراع حول القضايا الاقتصادية أو الدينية؛ وينتج عنها انعكاسات سلبية على المجتمع كغياب سمة التسامح والتعاون في المجتمع وارتفاع حدة الصراعات، وغياب آليات التفكير الناقد والتفكير الموضوعي القائم على الأدلة والشواهد وارتفاع مستوى المعلومات المزيفة وانتشار الشائعات، فضلاً عن غياب التفكير العلمي المنهجي وانتشار طرق التفكير الخاطئة؛ وكلها عوامل وأسباب لظهور الدوغمائية وانتشارها وفيما يلي أهم الأسباب الاجتماعية للدوغمائية:

(١) د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصر، ج ٢، ص ١٠٩٣

(٢) القحطاني، حسين بن سعيد، التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوجماتية)، ص ٤٠.

(٣) الموسوعة الحرة.

- ١- الشعور بالظلم الاجتماعي.
- ٢- قصور مؤسسات التنشئة الاجتماعية عن تعزيز التعددية وقبول الفكر المختلف والتسامح بكل أشكاله وقبول الآخر والتشجيع على الحوار مع الغير، والقصور عن إبراز أهمية التفكير النقدي البناء.
- ٣- النقل الجماعي؛ لأنه يبتتر الهوية والشعور بالانتماء، ويركز مشاعر الاضطهاد والعزلة التي هي الجو الملائم لبناء الشخصية الدوغمانية.
- ٤- الاتجاهات الفكرية المتعصبة، وهي توجد عندما يحدث انحراف عن عدة معايير، منها: _
- أ- العقلانية Rationality، حيث يتم الانحراف عن معيار العقلانية عندما يقوم الشخص بإطلاق حكم متعجل، غير مبني على معلومات موثقة أو يأخذ شكل الشائعة، أو الحكم المسبق أو يأخذ شكل القوالب النمطية الجاهزة، أي عندما نتعامل مع الآخرين وفق تلك القوالب، كما يتضمن الانحراف عن معيار العقلانية التعميم المفرط، ويعني تعميم فكرة معينة على فئة من الناس ورفض تعديل الرأي، في ظل ظهور دلائل جديدة.
- ب- الانحراف عن معيار العدالة Justice، وهو معيار أخلاقي يقوم على وجوب المساواة في المعاملة بين الأشخاص في مجالات الاهتمامات العامة وفي الحقوق، بحيث تخلو المعاملات من التمييز المبني على اللون أو الجنس أو القبيلة، فضلاً عن
- ت- الانحراف عن معيار المشاعر الإنسانية الرقيقة، الذي يجعلنا أكثر إحساساً بالآخرين، ويمكننا من مشاركتهم والتعاطف معهم.

ثالثاً: الأسباب المعرفية للدوغمانية

- ١- عدم التمييز بين النص المقدس المطلق وبين فهم النص البشري النسبي.
- ٢- قلة العلم فكلماً ازداد الإنسان علماً أكد أنه يجهل أكثر مما يعلم، وأنه لا يلم إلا بطرف من الحقيقة وغابت عنه أشياء، وأن ما يظنه صواباً محضاً قد يكون هو الخطأ المحض؛ أو على الأقل قد يكون أحد أوجه الصواب وحينئذ لا يسعه إلا أن يتبع منهج الإمام الشافعي القائل "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب" وإن الدارس لتاريخ الحركات التي انجرفت إلى هوة الدوغمانية والتعصب، واتخذت العنف طريقاً ليجد أنها قامت على أناس قليلي العلم، وأخذوا من الكتب أكثر من العلماء فأورثتهم قلة العلم، والطريقة الخاطئة في التلقي فهما سقيما حسبوه الحقيقة المطلقة.

٣- غياب الحريات إن كلمة ابن خلدون الجامعة: "الظلم مؤذن بخراب العمران"^(١) تلخص الآثار الكارثية التي

تنتج عن بيئة القهر والتسلط وغياب الحريات، وانعدام الأفق السياسي الذي يسمح بالتعددية والحوار

وانطلاق المواهب والأفكار من عقال الخوف والريبة، وحين يجهر فرعون ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ﴾^(٢) فإنه

لن يقبل إلا بردة فعل في الاتجاه المضاد لا تعترف بالحوار، ولا تؤمن بجذوى الأفكار، ولا ترى إلا ذاتها.

٤- الانغلاق على الذات: إن من سنن الله الثابتة أنه لم يخلق الناس على نمط واحد، بل قرر فيهم "سنة

الاختلاف" في الألسنة والألوان والأعراق بل حتى في الشرائع والمذاهب قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ الْأَلْسِنَةَ وَالْأَلْوَانَ وَالْأَرْوَاحَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣) وقال سبحانه أيضا

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۚ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ

رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤)، لكن المنطق على ذاته لا يرى إلا نفسه، ولا يسمع إلا

صوته، ولا يعترف بحق الآخرين في الاختلاف والاجتهاد، بل ربما لم ير لهم حقا في الحياة أصلا؛ وهذه

الرؤية الأحادية مخالفة لسنة الله في الكون، ومن شأنها أن تجعل صاحبها دوغمائي يستهين بحقوق

الآخرين ويستخف بحرمتهم.^(٥)

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط ٢ ج ١، ص ٣٥٣

(٢) سورة غافر: ٢٩.

(٣) سورة الروم: ٢٢.

(٤) سورة هود: ١١٨-١١٩.

(٥) السنوسي محمد السنوسي، إضاءات في الوعي مداخل أساسية وقضايا شائكة، الناشر دار البشير للثقافة والعلوم، ت ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م. ط ١ ص ٧٤، ٧٣.

إهمال قيم العدالة والموضوعية: فالعدالة تعني عدم الانحياز في محاكمة أي إنسان لأي أمر، والعدالة عكس الظلم والجور والتطرف، وإهمالها يعد من أهم أسباب ظهور التطرف والدوغمائية في النظر للأمور والحكم على الأشخاص، أما الموضوعية فهي محاولة النظر للأشياء كما هي، أي الابتعاد عن الانحياز الثقافي، العقلي، المجتمعي، الديني الخ... ومحاولة الشخص كذلك استخدام الطريقة العلمية scientific method في التحليل والوصول إلى النتائج وإهمالها يعني الذاتية: وهي تحليل الأمور انطلاقاً من نظرة الشخص أي بوجود تأثير لآرائه ومعتقداته الشخصية وكذلك حسب ما يعتقد / أو تعتقده مجموعة من الناس (أي من وجهة نظرهم هم)؛ فيقصد بالموضوعية البعد عن الذاتية (التحيز لرأي ذاتي ساذج أو رأي جماعي جاهز يوفر مكانة مميزة للباحث بين أفراد هذه الجماعة رغم أن الرأي ليس له سند من الواقع)، والبعد عن التوجيه الإيديولوجي (الارتباط بنسق فكري متكامل يعتقد أنه الموصل إلى الحقيقة)، والبعد عن الحكم القيمي (يقول أن ما يصل إليه من حقيقة ضار أو نافع) في دراسة الظاهرة، أي الفصل بين العلم

والتطبيق أو الفصل بين البحث العلمي والتوجيهات المرتبطة بالتطبيق بالمعنى الواسع لهذه الكلمة.^(١)

ومن ذلك يتضح أن إهمال قيم العدالة والموضوعية من أهم الأسباب المعرفية لظهور الدوغمائية.

(١) الدكتور غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، (حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية) العدد الرابع، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ٨٩

المبحث الثاني

خصائص التفكير الدوغمائي

مدخل

الدوغمائية عبارة عن جملة من الأعراض التي تحوي في طياتها الجمود العقلي وثنائية التفكير القطعي، فالشخص الدوغمائي، إما أن يقبل الشيء قبولاً مطلقاً أو يرفضه رفضاً مطلقاً بغض النظر عن محتوى الشيء أو معقوليته، وفي هذا المبحث سوف تعرض الباحثة أهم خصائص التفكير الدوغمائي، وهي كما يأتي:

أولاً: اليقين المطلق بصحة الأفكار دون الحاجة للدليل علي صحتها

"فالأصل الأول لكل تعصب "دوغمائي" هو اليقين المطلق الذي تتسم به بعض المعتقدات اعتماداً على التسليم دون الاستناد إلى تمهيد للأسس التي تقوم عليها ودون أي قابلية للنقاش والحوار حول هذه المعتقدات، ودون أية إمكانية لتغييرها أو تعديلها بناء على ما يستجد من أحوال أو يتبدل من متغيرات علمية ومعرفية"^(١)، ويشمل ذلك ما يأتي:

- أ- اعتقاد الفرد بأنه يملك الحق المطلق واليقين القطعي، وأن أحكامه المسبقة قطعية.
- ب- اعتقاد الفرد أن ما لديه من أفكار لا تحتاج للنقاش أو الفحص؛ فتتسع لديه دائرة اللا مفكر فيه^(٢) ذلك لأن كل ما هو خارج طوق الدوغمائية يقع خارج نطاق العقل ولا داعي للتفكير فيه أو هو غير موجود بالنسبة له.^(٣)
- ت- اكتفاء الدوغمائي بما لديه من أفكار يعتبرها حقائق مطلقة همه تثبيتها وتكريسها وحمايتها واجترارها.
- ث- ثقة الدوغمائي بأفكاره وفائدتها مطلقة فلا يعترف بإمكان خطئها^(٤) فالمعتقد صادق مطلقاً^(٥)

(١) عثمان الخشت وهم امتلاك الحقيقة المطلقة ص ٦

(٢) طاهر، ميسرة، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي، الجمعة ٢٧/٣/٢٠١٥ م الموافق ١٤/٦/٢٠١٥ هـ

(٣) البدرين، محمد، الدوغمائية تعوق المجتمعات العربية، مجلة القافلة (موقع إلكتروني)

(٤) طاهر، ميسرة، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي

(٥) بن مبارك، سميرة، أسلوب الدوغمائية لدى الطلبة الجامعيين، ص ٣٢.

ثانياً: التعصب الحاد للأفكار

- فالعقل الدوغمائي عقل مغلق على نفسه، ومن ثم يستحيل أن يرى أفكاراً غير أفكاره هو، ويعتبرها قطعية لا تقبل المناقشة ومؤكدة بشكل نهائي" ^(١)، وينتج عن ذلك:-
- أ- الصرامة العقلية أي عدم القدرة على مراجعة الأفكار مع توفر الأسباب والتعصب لفكرة محدودة - المعتقد الأوحد - وعدم قبول أي دليل ينقضها.
- ب- يعتقد الدوغمائيون أنهم وحدهم من يملك الحق المطلق، وما عداهم باطل ولا يستحق المناقشة ^(٢).
- ت- الرفض السريع لأي دليل أو مناقشة تتعارض مع معتقدات الفرد، وعدم الرغبة في اختبار البرهان الجديد إذا ما تكون الرأي فعلاً ^(٣)، فلا مجال للمناقشة في المعتقد الدوغمائي أو البحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه.
- ث- معاداة أصحاب المعتقدات المخالفة، والنظر إلى الأمور الجدلية على أنها أبيض وأسود فقط، والاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي أو حتى التفسير بالعنف ^(٤).
- ج- عقيدة الدوغمائي أسمى وأصدق بشكل مطلق ودائم من أي رأي خاص يبيده أي إنسان في موضوعها، ويصبح من يرفضها زنديقا.

ثالثاً: إنكار الآخر وإنكار أفكاره

- وذلك برفض هذه الأفكار واعتبارها باطلاً مطلقاً دون النقاش فيها، أو بحث ما لدى الآخر من أدلة، ويتمثل ذلك فيما يلي:
- أ- عدم الرغبة في فتح قنوات للحوار.
- ب- عدم البحث عن الأرضية المشتركة مع التيارات الأخرى.
- ت- ثقافة التسلط حيث الرغبة في التحكم التام في الآخرين، وفرض أفكاره ورغباته وطريقته حياته عليهم.
- ث- نفي الآخر؛ أي يعتبر المخالفين له على الباطل المطلق أو يكفروه ^(٥).
- ج- الدوغمائي متسامح مع مؤيديه وغير متسامح مع معارضيه.

^(١) عثمان الخشت وهم امتلاك الحقيقة المطلقة ص ٣.

^(٢) طاهر، ميسرة، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي.

^(٣) أبو شندى، يوسف عبدالقادر على، الدوجماتية عند طلبة كلية العلوم التربوية والآداب / الأنروا وعلاقتها بأسلوب تفكيرهم ومستوى نرجسيتهم، مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، اتحاد الجامعات العربية - الأمانة العامة، ٢٠١٧م، مج ٣٧ ع، ص ١٧٢.

^(٤) بن مبارك، سميرة، أسلوب الدوجماتية لدى الطلبة الجامعيين، ص ٣٢.

^(٥) عثمان الخشت، وهم امتلاك الحقيقة ص ٣، ٢.

رابعاً: العجز عن التجديد والتطور والانغلاق على نظام قيمي معين بصورة جامدة

"فالدوغمائية موقف جامد يعاند التطور والتجديد ومراعاة الظروف وتغير الأحوال، ولا يقبل النقاش ولا التغيير حتى وإن تغيرت الظروف التاريخية فأراؤه مقدسة ومنزهة عن أي نقد"^(١) وذلك لما يأتي:

أ- "التفكير الدوغمائي اجتراري وتتحول الأفكار عنده لمقدسات لا تخضع للنقاش؛ فيصبح سلوكه وعلاقاته جامدة، فالدوغمائي مقلوب في علاقاته واتصالاته ومع الزمن يحجم عن توسيع فكره وتصبح أحكامه المستبقة غذاءه اليومي.

ب- شيوع الأحكام الاستباقية في الفكر الدوغمائي؛ وهي معرفة تعميمية مسبقة أحادية الاتجاه تأخذ شكل الأبيض والأسود، وتلغي الوسطية تماماً، كما أنها لا تخضع للتفسير العلمي، وتتجاهل الوقائع المتجددة باستمرار وتلغيها أو تقلل من قيمتها وأهميتها؛ كي تضمن استمرار السيطرة والفاعلية، ولا يجد الدوغمائي نتيجة للأحكام الاستباقية غضاضة في إنكار الحقيقة أو تشويهها أو تجزئتها؛ لإرغامها على التوافق معه بدل أن يتوافق هو معها"^(٢).

ت- الجمود الفكري والتشدد في الاعتقاد الديني والمبدأ الأيديولوجي "فهو طريق منغلقة في التفكير يرتبط بأيديولوجية معينة بصرف النظر عن مضمونها"^(٣).

خامساً: تأكيد الانفصال أو "الحجز والفصل"

فكلما كان الفكر أكثر قدرة على تكوين حواجز معتمدة وسميكة بينه وبين الثقافات والأفكار الأخرى فإنه بالتالي يكون أكثر انغلاقاً و دوغمائية،

سادساً: تعميق التناقض

فالبناء الفكري يكون مغلقاً ودوغمائياً "متصلباً" كلما كان أقدر على إبراز التناقض مع غيره

(١) الخشت، عثمان، وهم امتلاك الحقيقة المطلقة، ص ٦.

(٢) طاهر، ميسرة، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي

(٣) سمية بن لمبارك، أسلوب الدوغمائية لدى الطلبة الجامعيين، ص ٣٧.

سابعا: شمولية الرفض

فالدوغمائية تكون أعمق كلما كان الرفض والإدانة شاملة ليس للمخالفين فقط بل لعدم الموافقين، وغير المشابهين، وبالتالي كلما زادت سلة المحذوفات وامتألت بالأفكار والأضداد كلما كانت تلك الثقافة أو التشكيل المعرفي الفكري أكثر دوغمائية^(١)

وتعد هذه أهم خصائص التفكير الدوغمائي التي توضح مدى انحراف هذا التفكير في النظر للأمور والاشخاص والتعامل مع الواقع المعاش.

(١) راجع: صالح، هاشم، بين مفهوم الارثوذكسية والعقلية الدوغمائية، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، ع ٣ ، ١٩٨٧م، ع ٤٣ ، ص ٨٧ - ٨٨ وانظر: طارق القزيري، بمجلة الحقيقة العدد الخامس - فبراير ٢٠٠٤. مع تعديلات في هذه النسخة وإضافات.

المبحث الثالث

سمات الشخصية الدوغمائية

إن الشخصية الدوغمائية باعتبارها شخصية منغلقة ذهنيا على معتقدات وقيم معرفية جعلها تتصف بسمات معينة هذه بعضها:

- ١- الرفض السريع لأي دليل أو مناقشة تتعارض مع معتقدات الفرد.
- ٢- عدم الرغبة في اختبار البرهان الجديد إذا ما تكون الرأي فعلا.
- ٣- معاداة أصحاب المعتقدات المخالفة.
- ٤- النظر إلى الأمور الجدلية على أنها أبيض وأسود فقط.
- ٥- الميل إلى تكوين معتقدات قوية، ومقاومة للتغيير بحدة، استنادا إلى برهان غير كافٍ.
- ٦- الميل إلى إفراز معتقدات متناقضة في أسسها المنطقية^(١).

وتفصيل هذه السمات فيما يلي:

الرفض السريع لأي دليل أو مناقشة تتعارض مع معتقدات الفرد

ذلك أن الدوغمائي لديه جمود في أفكاره، فهو غير قادر على التخلي عن آرائه حتى ولو بدا له خطأها على عكس صاحب الفكر المنفتح "الذي يتشوق لمعرفة الجديد سواء كان موافقا لما يرى أو مخالف له، بالإضافة إلى أنه غير قادر على تحمل المواقف الغامضة، كما يظهر في الميل إلى الحلول القاطعة، من هنا نجد الفرد الدوغمائي يتعلق بفكرة أو بأفكار معينة، ولا يتقبل المناقشة أو إعادة النظر فيها واعتبارها من الثوابت المطلقة، وهو في هذه الحالة لا يلغي وظيفة عقله فحسب في تمحيص هذه الفكرة أو الأفكار بل إنه يلغي أي رأي آخر مخالف، ولا يسمح لهذا الرأي أن يدخل مجال وعيه فضلا عن أن يتفهمه أو يناقشه أو يتقبله."^(٢)

^(١)راجع: القحطاني، حسين بن سعيد، التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوغماتية) ص ٦٤ وأيضا: سلامة، محمد أحمد، علاقة الدوغماتية بمستوى التعليم والتحصيل الدراسي لدى المراهقين القطريين، حولية كلية التربية - قطر، ١٩٨٤م، مج ٣، ع ٣، ص ١٨٧.

^(٢) ينظر: بن مبارك، سمة، أسلوب الدوغماتية لدى الطلبة الجامعيين، ص ٣٥.

عدم الرغبة في اختبار البرهان الجديد إذا ما تكون الرأي فعلا

فنجذ أن الشخص المتمسك بالجمود الفكري "الدوغمائية" يبقى متمسكا بفرضية معينة، ويوظفها في حل كافة مشكلاته، ويتقيد بها دون محاولة عرض فرضيات جديدة، أو تقديم أفكار أخرى حتى لو أثبتت عدم جدواها، كما لا يسمح بدخول تغييرات على معرفته السابقة التي يعتبرها من وجهة نظره حقائق ثابتة، وهذا الشخص تكون المرونة لديه معطلة، ويعمل فكره في إطار عال من النمطية ويرى المشكلات من وجهة واحدة؛ مما يمنعه من التوصل إلى حلول ملائمة لها"^(١).

معادة أصحاب المعتقدات المخالفة

إن حساسية صاحب الفكر المنغلق (الدوغمائي) لمشاعر الآخرين ضعيفة؛ لذا نجده يعبر عن أفكاره بدون أخذ في الاعتبار مشاعر المستمعين، وكثيرا ما تكون تعميماته للأوصاف السيئة على الشعوب والقبائل والشرائح العريضة هي السبب في ذلك؛ فنجد الدوغمائي يتسم بالتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة دون أية محاولة للتعرف على تلك الأفكار والمعتقدات المناهضة أو التفكير فيها.^(٢) بالإضافة إلى ذلك أيضا يتسم الدوغمائي بالرفض والعداء والنفور من الآخرين الذين يؤمنون بعكس ما يؤمن ويعتقد، ويصفهم "بأنهم من الحمقى بسطاء العقول".^(٣)

النظر إلى الأمور الجدلية على أنها أبيض وأسود فقط

فمن الخصائص المميزة للشخص الجامد فكريا "الدوغمائي" عدم النضج النفسي والانطوائية والاندفاعية، والتسلطية، وغياب مهارات التواصل الاجتماعي مع الآخرين؛ فلا يشعر صاحب الفكر المنغلق (الدوغمائي) بأنه شخص عقلاني منطقي، وهذا أمر طبيعي؛ فتصلبه الذهني يؤدي إلى تخلف طرحه وتقادم مفاهيمه ومقوماته، ذلك أن صاحب الفكر الدوغمائي ميال إلى مثالية تأبى طبائع الأشياء تحقيقها، فهو ينشد الكمال في الوسط الذي يعيش فيه، ويرفض المعلومات الناقصة عن أي شيء؛ ظنا منه أن الأمور لا تسير بغير ذلك، وهذا يعني قلة الخبرة بواقع الحال.

^(١) الهشلمون، رانيا محمد، الجمود الفكري (لزوجماتية) والتعصب ودورهما في ارتكاب الجريمة من وجهة نظر نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في الأردن، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، ت ٢٠١٦م، ص ١١، ١٠.

^(٢) الهشلمون، رانيا محمد، الجمود الفكري (لزوجماتية) والتعصب ودورهما في ارتكاب الجريمة من وجهة نظر نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في الأردن، ص ١١.

^(٣) عيد، محمد إبراهيم، التسامح وعلاقته بالدوحماطيقية لدى طلاب الجامعة، ص ٧٨٤.

الميل إلى تكوين معتقدات قوية، ومقاومة للتغيير بحدة

ويمكن توضيح هذه السمات في النقاط التالية:

- اللغة التي يستخدمها الشخص الدوغمائي تميل إلى المغالاة والقطعية فهو يستخدم جملا من نحو: "فلان يكذب دائما"، "أنا لا أقول هذا أبدا" "كلامك لا يمكن قبوله"، فالمفردات التي نستخدمها ذات دلالة قوية على رؤيتنا للأشياء وعلى طريقة تفكيرنا، والواحد منا حين يستخدم الألفاظ الصارمة يعطي للآخرين شعورا خفيا بعدم وجود جدوى للحوار أو وجود إمكانية لتغيير الآراء.
- يعطيك صاحب الفكر المنغلق (الدوغمائي) انطبعا بأأن لديه جواب لكل سؤال؛ والسبب في ذلك أن ممارسته للمشاركة في التحدث قائمة على عدد محدود من المبادئ والتي يحفظها عن ظهر قلب، ويسارع إلى استخدامها في محاورته، ولا نجد لديه مشكلة نحو الآثار التي تترتب على عدم صحتها.
- تمسك صاحب الفكر الدوغمائي بما هو عليه يوحي إليه أن الطريق الذي يسلكه والأسلوب الذي يستخدمه والحال الذي صار إليه أمور وحيدة في نوعيتها، ولا يمكن الاهتداء إلى بدائل لها؛ لذا فإنه لا يعطي أي اهتمام لمسألة البحث عن بدائل أكثر نفعاً، وهو مستعد لتحمل المشاق والآلام إلى ما لا نهاية حيث لا يخطر في باله أن ثمة مخرجا مما هو فيه.

الميل إلى إفراز معتقدات متناقضة في أسسها المنطقية

حيث يُوجد الفكر المنغلق لدى صاحبه نوعا من الارتباك والتناقض، وكثيرا ما يُرى الدوغمائيون متورطين في العمل على تنفيذ آراء خصومهم في حياتهم العملية وتجسيد أهدافهم، وذلك لأن الانغلاق يجعل صاحبه يخسر انسجامه الذاتي، كما يجعله عاجزا عن إدراك مدى منطقية أعماله واتساق مقدماته مع نتائجه، وهذا كثيرا ما يجعله يعمل لصالح خصومه^(١)، كما نجد اضطراب في عمليات التفكير؛ مما يجعل الفرد عاجزا عن الاستمرار بموضوع معين واحد بل يتشتت تفكيره نحو جوانب هامشية ليست لها علاقة بالموضوع الذي بدأ فيه وكثيرا ما

(١) بن لمبارك سمية أسلوب الدوجماتية لدى الطلاب الجامعيين ص ٤٤ - ٤٦.

يستجيب لمنبهات خارجية^(١)، كما يتصف الدوغمائي بضعف الثقة بالنفس وعلاقته مع الآخرين، وهو غير مبال بالقيم الاجتماعية التي تجعل الحياة ذات معنى، وفي الأخير يمكن القول أن الانغلاق الذهني له دور وتأثير على العلاقات الاجتماعية والمكانة الاجتماعية للفرد في وسط مجتمعه؛ لأن غلق الفكر على معتقدات معينة له سلبيات جمة؛ مما يدعو إلى الانتباه إلى طريقة تعاملنا مع أفكارنا ومعتقداتنا، كما أن الدوغمائيين غير قادرين على القيام بالسلوك المناسب للتصدي للمواقف الجديدة، حيث يتشبثون بأنماط سلوكية معينة من الصعب تغييرها إلى أنماط سلوكية مناسبة للموقف، فلا يمتلكون دافع لتغيير وجهات نظرهم مع أنهم يعرفون ما هو حقيقي وما هو زائف، وبذلك فهم يستندون على تفسير الخبرة كما لو كانت تتطابق دائماً مع الحقيقة.

(١) علي صكر جابر وأسماء تركي أحمد، الانغلاق المعرفي لدى معلمي المرحلة الابتدائية، مجلة القادسية في الأدب والعلوم والتربية - المجلد (١١) العدد (١) سنة ٢٠١٢م، ص ١٦٤.

الباب الثاني

الدوغمائية عند اليهود وأثرها

وفيه الفصول التالية:

الفصل الأول: مظاهر الدوغمائية عند اليهود

الفصل الثاني: أثر الدوغمائية على اليهود

الفصل الأول

مظاهر الدوغمائية عند اليهود

وفيه المباحث التالية:

- المبحث الأول : دوغمائية الكتب المقدسة
- المبحث الثاني : دوغمائية شعب الله المختار
- المبحث الثالث : دوغمائية أرض الميعاد
- المبحث الرابع : دوغمائية الهولوكست (إبادة اليهود)

تمهيد

اليهودية ديانة اليهود الذين يزعمون الانتساب إلى بني إسرائيل، وقد زعموا زوراً وبهتاناً أن ديانتهم هي ديانة موسى عليه السلام، والحق أن رسالة موسى - عليه السلام - رسالة سماوية هي الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾^(١) وقال سحرة فرعون بعد إيمانهم: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّآ أَنۢ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرِّغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(٢).

إلا أن اليهود بعد ما حرفوا تلك الديانة، وعبثوا فيها وفق أهوائهم وأغراضهم؛ مما جعلها بدل أن تهدي إلى الحق والرشاد وما فيه الفلاح والنجاح أصبحت تدعو إلى الباطل من الاعتقاد وتتكب عن طريق الرشاد، بل أصبح من العسير التعرف على الحق الصريح من خلالها^(٣)، وأضحت مليئة بالأفكار الدوغمائية التي تعسف اليهود في اعتناقها والسير خلفها، فاليهود قوم بهت وكذب، وهذه الصفة من أقبح الصفات التي انغrust في نفوسهم - خاصة في زعمائهم - وأصبحت طبعاً ملازماً لهم، كأنهم جُبلوا عليها، وقد بلغت بهم الجراءة في الكذب والكفر إلى حد الافتراء والكذب على الله عز وجل، وقد سجّل القرآن الكريم عليهم تلك الصفة المذمومة، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌۢ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ٱلْكِتَآبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاًۢ فَوَيْلٌۢ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌۢ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٤) وغيرها من الآيات الكريمة.

وقد استخدم الصهاينة اليهود سلاح الكذب والافتراء في خداع الرأي العالمي - خاصة الغربي - وتضليله وتسخيره لأطماعهم ومخططاتهم الصهيونية، وذلك بواسطة نشر الأكاذيب والأساطير والدعاوى اليهودية الكاذبة، وتقديمها إلى الناس على أنها حقائق ثابتة (دوغمائية) لا تقبل الشك والريب بها - بزعمهم - عن طريق مختلف الوسائل الإعلامية العالمية اليهودية، وأبواقها التابعة لها ومن أبرز تلك الأكاذيب (الدوغمائية) ما يأتي:

١- دوغمائية الكتب المقدسة

٢- دوغمائية شعب الله المختار

٣- دوغمائية أرض الميعاد

٤- دوغمائية الهولوكوست (الإبادة)

(١) سورة يونس: ٨٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٢٦.

(٣) ينظر: الخلف، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة اضواء السلف، الرياض، المملكة العربية

السعودية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ط٤، ص ٤٥.

(٤) سورة البقرة: ٧٩.

إن هذه الادعاءات (الدوغمائية) أسهمت في تبرير جرائمهم ومكائدهم وحروبهم ومفاسدهم أمام الرأي

العالمي؛ لتحقيق الهدف الصهيوني في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين - والغاية تبرر الوسيلة

وفي هذا الفصل أعرض هذه المعتقدات الدوغمائية عند اليهود وتقنيدها، وإظهار الدليل على كونها عقائد

دوغمائية باطلة لا صلة لها بأصل الدين الإلهي، ولا صلة لها بالعقل والمنطق، فهي لا تخضع لمنطق عقلي ولا

تثبت أمام النقد والفحص الدقيق لمدى صحتها، وذلك بعدما استفضت في الباب السابق في عرض مفهوم

الدوغمائية وتاريخه وأسبابه وخصائصه؛ بما يعين على فهمه وتطبيقه على معتقدات اليهود وسلوكهم.

المبحث الأول

دوغمائية الكتب المقدسة

مدخل

استندت التيارات الدينية اليهودية إلى كتب دينية تضمنت نصوصا زعمت أنها مقدسة وعزتها إلى الوحي الإلهي، ونصوص عزتها إلى اجتهادات كبار الحاخامات، بحيث أضفت اليهودية على هذه الاجتهادات قداسة (دوغمائية).

وقد شكلت هذه النصوص مجتمعة مصادر التفكير اليهودي ؛ حيث أدت دورا حاسما ليس في بلورة أنماط الممارسات والطقوس الدينية التي يلتزم بها المتدينون اليهود فقط، بل إنها ظلت موجها ومحددا رئيسا لأنماط التفكير السياسي لجميع التيارات الدينية اليهودية، وبدرجة أقل التيار العلماني اليهودي ممثلا في الحركة الصهيونية ؛ فقد استندت التيارات الدينية اليهودية إلى النصوص الدينية في تحديد مواقفها الأيدولوجية (الدوغمائية) في كثير من القضايا، والذي يضيف أهمية قصوى على هذه الكتب المقدسة هو حقيقة تحكم المرجعيات الدينية بشكل مطلق في تحديد مواقف القواعد الجماهيرية للتيارات الدينية اليهودية الرئيسية حيث تحرص هذه المرجعيات على التزام حديدي (دوغمائي) بالنصوص الدينية قبل حسمها أيا من القضايا التي يطلب منها البت فيها^(١) وسوف أعرض في هذا المبحث دوغمائية الإيمان بالكتب المقدسة عند اليهود ؛ فاليهودية تتسم بتعدد كتبها الدينية المقدسة ويعود هذا إلى عدة أسباب من أهمها فكرة العقيدة الشفوية التي تضيف القداسة على كتابات الحاخامات واجتهاداتهم بل تساوي الاجتهاد البشري (التلمود) بالوحي الإلهي (التوراة)^(٢) وذلك من خلال تناول حقيقة هذه الكتب، وهل هي فعلا كتب مقدسة منزلة بوحى إلهي أم أنها كتب بعيدة عن الوحي الإلهي وقريبة للتحريف والتبديل ؛ فيكون تمسك اليهود بها مجرد دوغمائية عمياء.

(١) النعماني، صالح محمد ، في قبضة الحاخامات تعاظم التيار الديني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية ، الرياض، مجلة مركز البحوث والدراسات، البيان ، ١٤٣٥ هـ ، ص ٣٧ .

(٢) المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص ٨٣ .

الكتب المقدسة عند اليهود

تنقسم مصادر اليهود المقدسة إلى قسمين

١. مصادر كتابية وهي التوراة المعروفة بالعهد القديم ويطلق عليها (التناخ)^(١)

٢. مصادر شفوية : وهي روايات تناقلها الحاخامات من جيل لآخر ويدعون أنها تعاليم شفوية منقولة عن موسى (عليه السلام).

أولاً: المصادر الكتابية

ويراد بها : مجموعة مؤلفة من عدة أسفار يعتقد كل من اليهود والنصارى بقدسيتها، ويطلقون عليها العهد القديم^(٢) ويتمثل في التوراة الكتابية بمجموع أسفارها المقدسة لدى اليهود والنصارى، والعهد القديم هو الميثاق الذي أخذ الله علي الإسرائيليين أن يلتزموا به^(٣)

أسفار العهد القديم عند اليهود

١ - التوراة وهي أسفار موسى الخمسة (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية).

٢ - أسفار الأنبياء، وتنقسم إلى:

أ. أنبياء متقدمون وهم أسفار (يشوع - القضاة - صموئيل الاول والثاني - الملوك الاول والثاني).

ب. أنبياء متأخرون وهم:

- أنبياء كبار - في زعمهم -: ويشتمل على ثلاثة أسفار (أشعيا وأرميا وحزقيال).

- أنبياء صغار - في زعمهم -: وهو سفر واحد يتحدث عن اثني عشر نبياً من أنبياء بني إسرائيل وهم (ناحوم -

حبقوق - هوشع - يونس - عاموس - عوبديا - يونا - ميخا - صفنيا - حجي - زكريا - ملاخي).

(١) لفظ التناخ : هو اختصار لثلاث كلمات عبرية هي : - التوراة (أسفار موسى الخمسة) ونبيم (أسفار الأنبياء) وكتوبيم (المزامير - الأمثال - نشيد الإنشاد - وبقيّة أسفار الحكمة) ويفضل اليهود استخدام اصطلاح التناخ على عبارة العهد القديم لأن العبارة الأخيرة تفيد أن العهد الجديد قد أكمل كتاب اليهود المقدس وحل محله ، وأما اصطلاح (تناخ) فهو اصطلاح وصفي وحسب ، ليس فيه أي اعتراف ضمني بقدم كتاب اليهود المقدس . ينظر : المسيري عبد الوهاب محمد ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية - رؤية نقدية - مكتبة المهتدين ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٣ .

(٢) مصطلح العهد القديم يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس : بينما يستخدم مصطلح " العهد الجديد " للإشارة إلى الأسفار التي تتضمنها الأناجيل الأربعة و أعمال الرسل ورسائلهم " أما اليهود فيستخدمون مصطلحات مثل (الكتب المقدسة) كما يستخدمون لفظ "التوراة " للإشارة إلى العهد القديم . ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، المجلد الخامس ، ص ٨٣ .

(٣) فتحي محمد الزغبى ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م ص ٤٧ بتصرف .

٣ - الكتابات (الكتب): وتشتمل على أحد عشر سفرًا في ثلاثة أقسام:

أ. الكتابات الشعرية وهي: "المزامير - الأمثال - أيوب".

ب. المخطوطات الخمس وهي: نشيد الإنشاد - راعوث - المراثي - إستير - الجامعة

ج. الكتب التاريخية وتشتمل على "دانيال - عزرا ونحميا - أخبار الأيام الأولى والثاني" (١)

والعهد القديم عند "السامريين" (٢) هو أسفار موسى الخمسة فقط، ولا يعترفون ببقية أسفار العهد القديم ويعتبرونها غير قانونية (٣).

موقف اليهود من التوراة الحالية

تحتل التوراة مكانة الصدارة عند اليهود إذ أنهم يعتبرونها المصدر الأول للتشريع عندهم - رغم ما أصابها من تحريف وتناقض - ويعتقدون بقدسيته ودوام أحكامها واعتمدوا علي نصوص منسوبة إلى بعض أنبيائهم في ذلك ؛ منها النص المنسوب إلي يعقوب عليه السلام " أما أنا فهذا عهدي معهم قال الرب: روعي الذي عليك وكلامي الذي وضعته في فمك لا يزول من فمك ولا من نسلك، ولا من نسل نسلك، قال الرب من الآن وإلي الأبد " (٤)

ويعتقدون أيضًا أنها نظام حياة وحكم وسلوك لأتباعها عبر الزمن " لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة؛ لأنها ليست أمرًا باطلًا عليكم، بل هي حياتكم " (٥)

(١) راجع: جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس، مكتبة المشعل ، بيروت ط٥ ، ١٩٨١ م ص٤٦٧، ٤٦٨. وايضا ينظر : فتحي الزغبى ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ٤٨ : ٥١ . لمزيد من التفاصيل عن كتب اليهود المقدسة وأسفارهم وتعريفها وما تشتمل عليه ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥، ص٨٤ ، وايضا : محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيراني العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨ هـ)، إظهار الحق دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد عبد القادر خليل ملكاوي ، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود - الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، ط١ : ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ج١، ص٩٩-١٠٢.

(٢) هم: السكان المتصلون بالمملكة الشمالية، وفي كتابات العبرانيين المتأخرة التي جاءت بعد السبي كان معناها سكان إقليم السامرة الذي يقع في وسط فلسطين (لوقا ١٧ / ١١) والسامريين الباقين لأيماننا يسكنون نابلس وهم من أربعين عائلة إلى خمسين وعندهم خمسة أسفار موسى بالخط السامري واللغة السامرية ، ينظر : جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس، ج١، ص ٥٣١-٥٣٦ .
(٣) انظر: أحمد حجازي السقا ، نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة) السامريه، العبرية واليونانية، مكتبة النافذة ، ص ٣٤ .
(٤) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر أشعياء (الاصحاح ٥٩ فقرة : ٢١) ، وانظر: عابد توفيق الهاشمي ، التربية في التوراة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ م - ص ١٧.

(٥) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر تثنية: (الاصحاح ٣٢ فقرة : ٤٦ ، ٤٧).

تحريف التوراة

التوراة كتاب سماوي منزل من عند الله سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام لهداية بني إسرائيل هذا هو المفهوم الذي تعلمناه من القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۚ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ ﴾^(١)

ولكن هذه الصورة الأصلية تغيرت كثيرا وطراً عليها كثير من التعديل والتبديل من حيث النص الأصلي وفقدانه، وما خلفه النص المستعمل من تحريف وتبديل في عقائد اليهود، وما نسبوه إلي الأنبياء من أمور كثيرة لا تليق بهم، هذا الموضوع هو ما ستحاول الباحثة بيان أسبابه ونتائج من عبث اليهود بكتابتهم المقدس وتبديل تعاليم الأنبياء الكرام^(٢)؛ مما حاد بإيمانهم بهذا الكتاب واعتقاد قدسيته أن يكون واحدا من دوغمائيتهم التي تعسفوا تعسفوا في الإيمان بها.

دوغمائية الإيمان بالتوراة تظهر من خلال تاريخها

إن موسى عليه السلام لما أخذ التوراة وقرأها على بني إسرائيل وشرح نصوصها شرحاً وافياً " في عبر الأردن في أرض موآب، ابتداء موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً:..... إلخ "^(٣)

وأمر الكهنة أن يقرؤوا التوراة في نهاية كل سبع سنوات في "عيد المظال" ^(٤) " وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملتي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسى قائلاً: في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال ... تُقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم"^(٥).

ثم بعد ذلك وضع النسخة الأصلية بجوار التابوت أي أنه كان هناك تابوت وكان صندوق خاص للتوراة بجانب التابوت، وهذا ما يفهم من قول التوراة "فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها أمر موسى اللاويين حاملتي تابوت عهد الرب قائلاً: "خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ؛ ليكون هناك شاهداً عليكم" ^(٦)

(١) سورة آل عمران: ٣-٤.

(٢) المعاينة، عطا الله بخيت حماد ، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة كلية الدعوة واصل الدين قسم العقيدة ، إشراف : الاستاذ الدكتور أحمد المهدي ، ١٤٠٩ هـ ص ٢٢.

(٣) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر تثنية: (الإصحاح ١ - فقرة : ٥)

(٤) عيد المظال : كان عيداً من الثلاثة الكبرى لليهود ويقال له عيد الجمع لأنه وقع في آخر الحصاد وكان يدوم ثمانية أيام منها سبعة أيام للعيد ويوم للأعتكاف والراحة وفي كل هذه المدة سكن الشعب المظال وكانت هذه المظال منصوبة على سطوح البيوت وفي دور الهيكل والازقة والجبال . ينظر جورج بوست . قاموس الكتاب المقدس ، ج ٢ ، ص ٥٤ - ٥٥.

(٥) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر تثنية: (الإصحاح ٣١ - فقرة : ٩ - ١١)

(٦) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر تثنية: (الإصحاح ٣١ - فقرة : ٢٤ - ٢٦)

يقول ابن حزم رحمه الله: " فاعلموا الآن أنه كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت موسى عليه السلام وإلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول المذكور سبع ردت فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا عبادة الأصنام، فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام والثانية عشرة أعوام والثالثة عشرين عاما، والرابعة سبعة أعوام، والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر، والسادسة ثمانية عشر عاما، والسابعة أربعين عاما.... فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذا المدد الطويل في بلد صغيرة مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط، ليس على دينهم واتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض غيرهم "(١)

كما كان اليهود في حروبهم يحملون التابوت تبركا، وفي إحدى المعارك انهزم اليهود وتركوا وراءهم التابوت الذي أخذه الكنعانيون(٢)

ومع كل هذا الذي حصل لبني إسرائيل من ارتدادهم عن الإيمان وتسلب الأعداء عليهم ما ينبئ بعدم حفظها لا في الصدور ولا في السطور، لأن الذي حصل في زمن سليمان عليه السلام ليؤكد على أنها قد ضاعت واختفت، ولم يعد لها أثر فقد فتح التابوت لإخراج التوراة وقراءتها على الشعب فلم يجدها، جاء في سفر الملوك الأول " ولم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما فيه موسى في حوريب، حيث عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر " (٣)

إذن هذه هي توراة موسى التي يزعم اليهود نسبتها إليه، وأنه هو الذي كتبها تبين أنها ضاعت واختفت والذي عليه واقع حال بني إسرائيل منذ دخولهم أرض فلسطين ليؤكد أنها قد اختفت قبل هذا التاريخ بفترة طويلة، وذلك أثناء حروبهم المتعددة مع أهل البلاد الأصليين وتسلب هؤلاء عليهم في كثير من الأحيان

وبذلك يتبين أن سند التوراة قد انقطع منذ ضياع بعضها من الصندوق ؛ لأن سندها كان مقررا عن طريق الكتابة، ولم يكن مقررا برواية الحفاظ ثقة عن ثقة اكتفاء بنصها المحفوظ في التابوت ؛ أي أنها أصبحت منقطعة السند إلى موسى كتابة ورواية (٤)

(١) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦ هـ) الفصل في الملل والاهواء والنحل ، مكتبة الخانجي - القاهرة، ج ١ ص ١٤٣.

(٢) د. السيد البهي الخولي - مقال بعنوان بنو اسرائيل قبل الإسلام ضمن المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية، ص ٣٦٩.

(٣) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر ملوك الأول (الاصحاح ٨ - فقرة : ٩)

(٤) سعد الدين السيد صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، دار الصفا - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ١٣٦.

وحدث بعد سليمان عليه السلام أحداث عجيبة وصلت إلي الردة وعبادة الأوثان ولم يعد هناك ذكر للتوراة ولا صلة بها إلي أن تولى الحكم ملك يدعى "يوشيا" سنة ٦٢٩ ق. م ، ومال إلى العودة للإيمان وإتباع التوراة، فانتهمز كاهن يدعى (حلقيا)^(١) هذه الفرصة وادعى بعد ثمانية عشر عاما من حكم يوشيا أنه عثر على التوراة في بيت المقدس وأعطاه (شافان) الكاتب ^(٢) وعلى كل حال لم تطل مدة بقاء التوراة إلا ثلاثة عشر عاما بعد ظهورها حيث مات (يوشيا) وارث اليهود إلي الكفر مرة أخرى .

وبعد حوالي مائة وستين عاما من اختفاء التوراة التي ادعى (حلقيا) وجودها ظهرت تورا أخرى تنتسب إلى عزرا فلقد دمر الهيكل في فترة السبي البابلي وفقدت عند ذلك التوراة والتابوت الذي كانت توضع فيه، وبقي الأمر على هذا الحال خمسين سنة تقريبًا وهم قاطنون ببابل^(٣) وليس من كتابهم عين ولا أثر ... ثم لما جلس "كورش" وهو من ملوك فارس على سرير الملك ... أطلق أسراء بابل من بني إسرائيل، وكان "عزرا" من المقربين عنده فأمره عليهم، وأجاز له أن يكتب لهم كتابهم التوراة ويبنى لهم الهيكل، وكان رجوع عزرا بهم إلى بيت المقدس سنة ٤٥٧ ق. م. وبعد ذلك جمع عزرا كتب العهد القديم وصححها وهي التوراة الدائرة اليوم.

ولما أتم عزرا كتابة التوراة بدأ يقرأها على اليهود ، وقد استغرقت قراءتها أسبوعا كاملا ولكن يبدو أن تورا عزرا كانت غير تورا حلقيا لما يقوله المؤرخ العالمي ول ديورانت : "ثرى ماذا كان "كتاب شريعة موسى" هذا؟ لم يكن هذا الكتاب هو بعينه "كتاب العهد" الذي قرأه يوشيا من قبل، لان هذا العهد قد جاء فيه بصريح العبارة أنه قرئ على اليهود مرتين كاملتين في يوم واحد ، على حين أن قراءة كتاب عزرا قد احتاجت إلي أسبوع كامل " (٤)

إن كل هذه الأحداث تسقط عن الكتاب المقدس الموجود الآن تاج القداسة وتحول الإيمان به إلي دوغمائية وإلا فما معنى أن يكتب عزرا تورا كبيرة الحجم تقرا في أسبوع بينما كانت تورا حلقيا تقرا مرتين في اليوم ؛ لصغر حجمها، فما حكم الزيادة التي وردت في تورا دون الأخرى ؟

(١) حلقيا رئيس الكهنة في أيام يوشيا الملك والذي عاونه في إصلاحاته الدينية وهو الذي وجد سفر الشريعة في بيت الرب فأرسله إلى الملك مع شافان الكاتب ، وكان أساس النهضة الدينية في أيام يوشيا (٢مل ٢٢ : ٤ - ١٤ ، ١ أخ ٦ : ١٣ ، ٢ أخ ٣٤ : ٩ - ٢٢) ينظر : دائرة المعارف الكتابية ، دار الثقافة ، ط ٢ ، ج ٣ حرف ح - د ، ص ١٥٣ ، وأيضا : جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

(٢) محمد رحمت الله هندي ، إظهار الحق ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣ (بتصرف)

(٣) هي: اسم ناحية منها الكوفة والحلة توجد في العراق قديماً . انظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ج ١ ، ص ٣٠٩ .

(٤) ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت (المتوفى: ١٩٨١ م)، قصة الحضارة، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

هل هي صحيحة أم غير صحيحة ؟ وإن كانت صحيحة فكيف تركها حلقيًا ؟ وإن كانت غير صحيحة فكيف ذكرها عزرا ؟ إن تاريخ التوراة هو أكبر شاهد على تحريفها وتغييرها وتبديلها ودوغمائية الإيمان بها. ^(١)

كما أن التوراة الحالية ليست هي المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وليست هي التي كتبها عزرا، وذلك لأنه لو فرض أن عزرا كتب التوراة الحالية فإن ما كتبه قد أحرق في حادثة أنطيوخس ^(٢) ذلك أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة على عزرا ضاعت تلك النقول أيضًا في هذه الحادثة، وقد استدلت العلامة رحمة الله الهندي على هذه الحادثة بما ورد في التوراة ^(٣) فقال : " لما فتح أنطيوخس ملك ملوك الفرنج أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد العتيق التي حصلت له من أي مكان بعد ما قطعها وأمر أن من يوجد عنده نسخة من نسخ العهد العتيق أو يؤدي رسم الشريعة يقتل، وكان تحقيق هذا الأمر في كل شهر، وكان يقتل كل من يجد عنده نسخة أو ثبت أنه أدى رسماً من رسوم الشريعة وتعد تلك النسخة " ^(٤).

فالأحداث التاريخية تؤكد، وأيضًا العقل والمنطق يؤكدان أن ما حدث لليهود من تشريد وما حدث لبيت الرب من تدمير بما فيه من التابوت ومحتوياته دليل قوٍ على أن التوراة الحالية ليست هي المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وليست هي التي كتبها عزرا ؛ مما يثبت دوغمائية الإيمان بها.

أدلة تحريف العهد القديم التي تؤكد دوغمائية اليهود في الإيمان بكتبهم المقدسة

أولاً: أنه كتاب بشري كتبه البشر العاديون بفكرهم وأدخلوا فيه أهواءهم

فالأسفار الخمسة الموجودة الآن لا يمكن أن تكون هي التوراة المنزلة على موسى، ونسبتها إليه محض دوغمائية ؛ نعم قد يكون فيها بعض العناصر من توراة موسى عليه السلام ولكنها لا يمكن أن تكون هي توراة موسى، وأول من أشار إلى هذه الحقيقة الكاتب ابن عزرا ^(٥) ولكنه لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه واكتفى

^(١) سعد الدين السيد صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، ص ١٣٨ .

^(٢) هو: أنطيوخس الرابع "إبيفانس من ٢١٥ - ١٦٣ ق.م" أراد أن يختبر ولاء فلسطين له لتكون حاجزاً بينه وبين الرومان فأرسل قائده على رأس ٢٢٠٠٠ من الجنود إلى أورشليم تحت ستار الظلام، وهاجموها في يوم السبت، علماً بأن اليهود لا يحاربون في يوم السبت وقتلوا أناساً كثيرين وأخذوا النساء والأطفال عبيداً لهم، كما نهبوا المدينة وأحرقوها، وفي عام ١٦٧ ق.م، عزم أنطيوخس على محو الديانة اليهودية؛ لتحريم ممارسة نواويس آبائهم ومنع حفظ السبت والأعياد والذبائح المألوفة وختان الأطفال، وأحرق نسخ التوراة، وكل من يعصى هذه الأوامر يعدم . ينظر: دائرة المعارف الكتابية: ج ١، ص ٤٩٨ .

^(٣) المكابيين الأول: (١ : ٥٩ - ٦٠)

^(٤) ينظر : إظهار الحق ج ٢ ، ص ٦٠٦ - ٦٠٧ .

^(٥) إبراهيم بن عزرا نشأ في طليطلة حيث ولد عام ١٠٩٢م وانطلق منها فتعرف على علماء العصر في كل مكان مساهماً بنصيب في شتى العلوم والفنون واستقر بعض الوقت في روما وهناك بدأ نشاطه الفكري في التفسير والنحو والشعر ثم وضع كتاباً ربما هي أول ما ألف بالعبرية عن النحو العبري ومن أهم كتبه التي ألفها في النحو العبري كتاب الموازنة وكتاب في أصول النحو، وفلسفته أفلوطينية تنتشر

بالإشارة إلى ذلك بألفاظ مبهمه، أما الفيلسوف اسبينوزا^(١) فقد أوضح هذه الدوغمائية في الاعتقاد بنسبة التوراة إلى موسى عليه السلام في كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة وحقيقة هذا الأمر تتضح من خلال ما يأتي:

١ - تشهد عبارات التوراة أن كاتبها غير موسى فكاتبها ميز بين الأقوال فما كان في زعمه قول الله أو قول موسى أدرجه تحت قال الله أو قال موسى، وعبر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب، من ذلك (وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جَدًّا)^(٢) (فسخط موسى على وكلاء الجيش)^(٣) ولو كانت التوراة من تصنيفات موسى عليه السلام لكان عبر عن نفسه بصيغة المتكلم.

٢ - أن موسى لم يكتب مقدمة التنثية ؛ لأنه لم يعبر نهر الأردن.

٣ . جاء في سفر التنثية " وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عيناه، ولا ذهب نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات مؤاب ثلاثين يوما ، فكملت أيام مناحة موسى، ويوشع بن نون كان قد امتلأ روح حكمه، إذ وضع موسى عليه يده فسمع له بنو إسرائيل وعملوا كما أوصى الرب موسى ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى "^(٤)

بديهي أن هذه العبارة ليست من توراة موسى، فهل يعقل أن يتحدث موسى عن وفاته بصيغة الماضي، كما أن مقارنة موسى بغيره من الأنبياء لا يمكن أن تكون من كلام موسى أو شخص آخر أتى بعده مباشرة، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ليقول (ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى)

٤ - إن توراة موسى قد نقشت كلها بوضوح تام على حافة مذبح واحد يتكون من اثني عشر حجرا كما جاء في كتاب سفر التنثية^(٥) ومعني ذلك أن توراة موسى كانت أقل بكثير مما هو موجود الآن

وكذلك ورد في التنثية " وكتب موسى هذه التوراة "^(٦) ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد أن يكون قائل هذه العبارة كاتب آخر يروي أقوال موسى وأعماله.

في تفسيراته للتوراة ، وقيل أنه ولد عام ١٠٨٩ م وتوفي عام ١١٦٤ م. ينظر : ابراهيم موسى هنداوي الأثر العربي في الفكر اليهودي مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ، ص ١٥ - ١٦ ، وأيضا: عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، مكتبة مدبولي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، ص ٣٣ .

(١) سبينوزا ، باروخ : فيلسوف هولندي ، ابن تاجر يهودي من امستردام تعرض لمضايقات جمة بسبب موقفه المتحرر من تقاليد الممارسات الدينية مما أدى إلى حرمانه من قبل الكنيس اليهودي ، تأثر كثيرا بالفلسفة الديكارتية وانعزل في مدينة لاهاي ونذر نفسه للتأمل وعاش من صقل الزجاج وقد تطرق سبينوزا إلى كل ميادين المعرفة فبحث في الميتافيزيقيا ، والأخلاق والسياسة وأقر نظرية جديدة في المعرفة وكان له أراء سديدة في اللاهوت . ينظر: روني إيلي ألفا ، موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، ج ١ ، ص ٥٤٨ - ٥٤٩ .

(٢) الكتاب المقدس - العهد القديم سفر العدد (الاصحاح ١٢ ، فقرة : ٣) .

(٣) الكتاب المقدس - العهد القديم سفر العدد (الاصحاح ٣١ ، فقرة : ١٤) .

(٤) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التنثية (إصحاح ٣٤ ، فقرة : ٧- ١٠)

(٥) راجع : الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التنثية (الاصحاح ٢٧ ، فقرة : ٢ - ٨)

(٦) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التنثية (الاصحاح ٣١ ، فقرة : ٩) .

٥ - أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التي عرفت بها في زمن موسى بل أطلقت عليها أسماء عرفت بعده بوقت طويل ؛ إذ يقال إن إبراهيم تابع أعداءه حتى دان^(١)، وهو اسم لم تأخذه المدينة التي تحمله إلا بعد موت يوشع بمدة طويلة.^(٢)

إذا فأسفار التوراة المنزلة على موسى لا يمكن أن تكون هي الأسفار الخمسة الموجودة الآن^(٣).

أما عن باقي الأسفار فكون كتابها من البشر العاديين لا يحتاج إلى دليل وسوف أثبت ذلك بالكذب والتناقض الموجود بين هذه الأسفار.

ثانيا : الاختلاف والتناقض في حقيقة الأشخاص الذين نسبت إليهم هذه الأسفار مع الاختلاف في تاريخ تدوينها.

فسفر يوشع مثلا الذي يقع عندهم في المنزلة الثانية بعد أسفار موسى الخمسة قد اختلف الباحثون فيه واحتاروا في نسبته إلى مؤلفه الحقيقي، فمنهم من قال : إنه من تصنيف يوشع، ومنهم من قال إنه من تصنيف العازر، وقال بعضهم : إنه من تصنيف صموئيل، وقال آخرون : إنه من تصنيف أرميا، فانظر إلي الاختلاف الفاحش ، وبين يوشع وأرميا حوالي ثمانمائة وخمسين سنة^(٤).

فسفر يوشع ليس من وضع يوشع نفسه ، بل من وضع شخص آخر هو الذي شهد ليوشع بأن شهرته طبقت آفاق الأرض^(٥) وبأنه عندما تقدم به السن دعا الجميع إلى المجمع ثم قضى نحبه، فضلا عن ذلك فان الرواية الرواية فيه تمتد إلى الوقائع التي حدثت بعد موته^(٦) .

أما سفر القضاة فيقول عنه سبينوزا "لا أظن أن شخصا سليم العقل يعتقد أن القضاة أنفسهم قد كتبوه لأن نهاية القصة كلها في الإصحاح ٢١^(٧) تبين أن مؤرخا واحدا هو الذي كتبه كله"^(٨)

(١) راجع : الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين (الإصحاح ١٤ ، فقرة : ١٤) " فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ أَنَّ أَخَاهُ سَبْيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّينَ، وَلَدَانَ بَيْتِهِ، ثَلَاثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةِ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ. "

(٢) راجع : الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر القضاة (الإصحاح ١٨ ، فقرة ٢٩) " وَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ «دَانَ» بِاسْمِ دَانِ أَبِيهِمُ الَّذِي وَلَدَ إِسْرَائِيلَ. وَلَكِنْ اسْمُ الْمَدِينَةِ أَوَّلًا «لَايش»."

(٣) راجع : باروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حفني ومراجعة فؤاد زكريا مؤسسة هنداوي ، ص ٢٧٣ - ٢٨٢ ، وايضا : الزغبى ، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص ٣٣١ ، وايضا : سعد الدين صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٤) راجع : رحمت الله الهندي ، إظهار الحق ، ج ١ ، ص ١٢٩ وايضا : سعد الدين السيد صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، ص ١٤٣.

(٥) انظر : الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر يوشع (الإصحاح ٦ ، فقرة : ٢٧) " وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَشُوعَ، وَكَانَ خَبْرُهُ فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ. " الأرض.

(٦) سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٨٢

(٧) انظر : الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر القضاة (الإصحاح ٢١ ، فقرة : ٢٥) " فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمْ يَكُنْ مَلِكٌ فِي إِسْرَائِيلَ. كُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ مَا حَسَنَ فِي عَيْنَيْهِ. "

وهذا الاختلاف والتناقض لا ينطبق على سفر يوشع والقضاة فقط بل إن كل أسفار العهد القديم قد كتبها مؤلفون آخرون غير الذين تحمل هذه الأسفار أسماءهم، كما أنه أيضا اختلف في زمن تدوينها^(٢) ولا شك أن هذا كله يلقي ظلالا كثيفة من الشك عليها، مما يسقط قداستها واعتبارها وحيا سماويا فلا يعدو الإيمان بقدسيتها إلا إحدى دوغمائيات اليهود التي أخذوها عن أجدادهم دون فحص وتمحيص وتعسفوا في تصديقها.

ثالثا : التناقض والتعارض الموجود في هذه الأسفار

التناقض من صفات الفكر البشري ، ولا يمكن بأي حال أن يقع في الوحي السماوي، إذ أن معناه الكذب والاختلاف، والله لا يكذب ولا يختلف مع نفسه وعلى هذا فإذا ما وجدنا التناقض في أي كتاب سماوي، فإننا نستطيع أن نجزم في يقين أن هذا الكتاب قد تدخل فيه العامل البشري بالزيادة أو النقصان أو الحذف أو التبديل، وإذا طبقنا هذه المسلمات على الكتاب المقدس نجد أن التناقض والاختلاف والتعارض هو السمة السائدة فيه^(٣) مما يثبت دوغمائية الإيمان به ومن ذلك :

الاختلاف بين نسخ التوراة المختلفة:

إن التوراة الحالية ليست نسخة واحدة مجمعاً عليها من اليهود والنصارى، وإنما هي ثلاث نسخ مختلفة: التوراة العبرية، التوراة السامرية، التوراة اليونانية.

فالتوراة السامرية تؤمن بها فرقة السامرة من اليهود، والتوراة العبرية يعترف بها جمهور اليهود وفرقة البروتستانت من النصارى، والتوراة اليونانية تعترف بها فرقة الكاثوليك من النصارى، وكل فرقة لا تعترف بالنسخة الأخرى.

وتوجد اختلافات جوهرية وتناقضات صريحة بين النسخ الثلاث مثال ذلك:

- أن قبلة اليهود ومكان بناء مذبح الرب في التوراة العبرية واليونانية (تثنية ٢٧/٤) جبل عيبال بأورشليم (بيت المقدس)^(٤) ، وفي التوراة السامرية (تثنية ٢٧/٤) أن القبلة جبل جريزيم بمدينة نابلس.

(١) سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) راجع : رحمت الله الهندي ، إظهار الحق ، ص ١٢٩ - ١٥٠ ، وأيضا : سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٨٤.

(٣) سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٤) انظر : الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التثنية (الاصحاح ٢٧ ، فقرة : ٤) " حِينَ تَغْبِرُونَ الْأَرْضَ، تُقِيمُونَ هَذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ فِي جَبَلِ عَيْبَالٍ، وَتُكَلِّسُهَا بِالْكَلْسِ."

- الاختلافات بين الأسفار فقد ورد في سفر الخروج ٥/٢٠ وسفر التثنية ٩/٥ أن الأبناء يؤاخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع، ولكن ورد في سفر حزقيال ٢٠/١٨ وفي سفر أرميا ٣٠/٣١ أن الأبناء لا يعاقبون بذنب الآباء، وفي هذا تناقض ؛ لأن اليهود لا يقولون بنسخ أحكام التوراة.

الاختلاف مع الحقائق العلمية والتاريخية، مثال ذلك:-

- ورد في سفر التكوين ١٣/١٥ أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر ستكون (٤٠٠ سنة) ولكن ورد في الخروج ٤٠/١٢ أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت (٤٣٠) سنة، وكلا التاريخين يختلفان مع الحقيقة التاريخية التي اعترف بها أبحارهم ومفسرو أسفارهم من أن مدة إقامة بني إسرائيل في مصر لا تزيد عن (٢١٥) سنة^(١)، بدليل حساب عمر إسرائيل (يعقوب) عليه الصلاة والسلام عند دخوله مع بنيهِ أرض مصر، ثم أعمار الأجيال إلى زمن خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه الصلاة والسلام.

وهناك اختلافات وتناقضات أخرى كثيرة من حيث الألفاظ والإملاء والقواعد النحوية وغيرها^(٢).

رابعا : انقطاع السند في العهد القديم وافتقاره إلى أبسط شروط التواتر

يقول رحمت الله هندي " اعلم أرشدك الله تعالى أنه لا بد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب كتب بواسطة النبي الفلاني ووصل بعد ذلك إلينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل، والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه "^(٣) ، ويكون الإيمان به مجرد دوغمائية عمياء ؛ فإذا كان الأمر كذلك فلا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي أو حواري أنه إلهامي أو واجب التسليم، وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم بل نحتاج إلى دليل، ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعضهم فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً فما دام لم يأتوا بدليل شاف وسند متصل فمجرد المنع يكفيني"^(٤) فلا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى عليه السلام من تصنيفاته وإنما الإيمان بذلك مجرد دوغمائية .

(١) راجع : رحمت الله هندي، إظهار الحق، ج ١، ص ١٣٥، ٢٤٣ - ٢٤٤، والسقا، نقد التوراة، ص ١٢٨.

(٢) انظر للتوسع : أحمد حجازي السقا، نقد التوراة، من ص ١٢٥ إلى ص ١٥٢، وايضا : سيد فراج راشد، السامريون واليهود، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص ٩٣-٩٥. وأيضا : رحمت الله، إظهار الحق، الفصل الثالث: في بيان أن هذه الكتب مملوءة من الاختلافات والأغلاط وايضا : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ١٤٢ - ١٥٠ .

(٣) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ١، ص ١٠٩.

(٤) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ١، ص ١١١.

خامساً: احتواء التوراة على الكثير من العقائد الباطلة

حيث نسبوا إلي الأنبياء من الصفات ما لا يليق بهم على الإطلاق، كما أنكروا البعث والحياة الأخروية، وحرفوا قوانين الأخلاق فمن ذلك : الله وصفاته في العهد القديم حيث تتحدث الأسفار التوراتية عن الله، فتجعله كائناً بشرياً، وتصفه بصفات البشر، وتصفه بنقصهم، بل وأخطائهم وضلالهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فقد ورد في سفر التكوين عن خلق الله الإنسان على صورته وشبهه "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (١)

وفي موضع آخر تذكر الأسفار أن الرب ظهر ليعقوب، وصارعه حتى الفجر: "قدعا يعقوب اسم المكان:" فينئيل " قائلاً: لأنني نظرت الله وجهاً لوجه، ونجيت نفسي " (٢).

كما تنسب النصوص أيضاً إلى الله أفعالاً كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه، ومن ذلك : "وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل، ولم يطرد سكان الوادي، لأن لهم مركبات من حديد " (٣) أي أن ذلك كان سبباً لعجزه عنهم.

كما تنسب التوراة إلى الله العظيم التعب، فهو حسب أسفارها رب يحتاج للراحة " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح " (٤)

كما تنسب التوراة إلى الرب - جل وعلا - الجهل والقصور والضعف، ومن ذلك أنه لما أراد معاقبة المصريين " كلم الرب موسى وهارون ... فأني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين. أنا الرب، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم، وأعبر عنكم، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر " (٥) فجعل الدم علامة على البيوت الإسرائيلية حتى لا يهلكها مع بقية البيوت، فهل يحتاج الرب العليم لمثل هذه العلامة حتى يفرق بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين؟

وتنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعها، والندم فرع عن الجهل، ومن ذلك " ندمت على أنني جعلت شاوول ملكاً، لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي " (٦)

(١) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين (الاصحاح ١ ، الفقرة : ٢٦) .

(٢) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين (الاصحاح ٣٢ ، فقرة : ٣٠) .

(٣) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر القضاة (الاصحاح ١ ، فقرة : ١٩) .

(٤) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين (الاصحاح ٢ ، فقرة : ٢) .

(٥) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر الخروج (الاصحاح ١٢ ، فقرة : ١ - ١٣) .

(٦) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر صموئيل الأول (الاصحاح ١٥ ، فقرة : ١١) .

فأسفار العهد القديم كوثيقة تاريخية يتطرق إليها الكثير من الشك، ففيها التحريف وفيها الزيادة والحشو؛ وكوثيقة دينية مليئة بالمخازي ، التي لا يتصور عقل صدورها عن جهة السماء، واتهامات بالمجون والخلاعة والردة للأنبياء، مما يسمو عنها مقام النبوة^(١)؛ مما يسقط عن هذه الأسفار رداء العصمة الإلهية ويثبت تحريفها و دوغمائية الإيمان بها وبكثير من العقائد التي نصت عليها .

رأي الغرب في العهد القديم

عرضت فيما سبق الأدلة على تحريف الكتب المقدسة بما يثبت دوغمائيتها وافتقادها صفة القداسة والعصمة التي يدعيها اليهود المؤمنون بهذه الكتب إيماناً دوغمائياً لا يستند على برهان واضح أو حجة قوية ؛ مما حاد ببعض اليهود أنفسهم إلى توجيه النقد لهذه الكتب المقدسة والتشكيك في صدق نسبتها إلى موسى عليه السلام، ففي القرن السادس عشر بدا كارلشتات بالمناداة بأن موسى ليس كاتب الأسفار الخمسة، و يستحيل أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات^(٢)

وأما عن أوبيل اكستا (١٥٨٥ - ١٦٤٠) فقد أتهم الأخبار بتحريف عقيدة موسى، وبدأ ما يسمى في تاريخ الكتب المقدسة بحركة تفسيرها تفسيراً تاريخياً وشكك في صدق نسبتها لله أو صدورها عن صدرت عنهم بالإهام من الله للتناقض الواضح بين نصوصها، ولكن الأخبار تألبوا عليه فقاموا بإحراق كتاباته واستنزّلوا عليه اللعنات فعاش منبوذاً حتى من أقرب أقربائه في عزلة قاتله^(٣)

كما يعتبر سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم وأعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه (رسالة في اللاهوت والسياسة (١٦٧٠ م) ففي هذا الكتاب وضع نقداً شاملاً للعهد القديم على أنه كتاب أدبي قومي ونقده نقداً تاريخياً وفلسفياً فعرض للغته ونصه وزمن تأليفه ومستوى مؤلفيه^(٤) .

(١) ومن ذلك

- أن لوطاً زنى بابنتيه (فحملت ابنتا لوط من أبيهما) راجع : سفر التكوين : (الاصحاح ١٩ فقرة : ٣٠ - ٣٦)
- وأن (سليمان ارتد في آخر عمره بترغيب من زوجاته فعبد الأصنام) أنظر : سفر الملوك الأول الاصحاح ١١ فقرة : ١ - ١٠)

(٢) انظر : سفر التثنية (الاصحاح ٣٤ ، فقرة : ٥ - ١٢)

(٣) يضرب بأكوستا جبريل أو أوربيل أكوستا المثل في الثورة على الجمود الديني اليهودي ، فقد كان من يهود المارانوا البرتغاليين الذين تنصروا تحت ضغط الاضطهاد الكنسي ولكنه عاد إلى اليهودية بعد أن هاجر إلى أمستردام (١٦١٥ م) وفيها اصطدم بتعصب الاخبار ووجد منهم تعنتاً ادهى وأمر من التزمتم المتفشي بين اساقفة الكاثوليك بالبرتغال فأخذ يعرض بهم تعريضا عنيفا وينقد الأسفار نقداً تاريخياً فألبوا عليه الحكومة فصادروا كتبه وحرقوها وطرده من مجتمعهم (راجع : عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥١ - ٥٢ .

(٤) راجع : عبد المنعم الحفني ، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، ص ١١٩ وما بعدها وايضا : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص ٣٣٣ .

كما أصدر ريتشارد سيمون عام ١٦٧٨م كتابه عن " التاريخ النقدي للعهد القديم" نفى فيه نفيا قاطعا نسبة أسفار الشريعة إلى موسى وأكد ما فيها من الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرار وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب^(١).

كما تقول دائرة المعارف البريطانية: "إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وبأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات متباينة، ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافا بينا وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار"^(٢)

ويقول إدمون جاكوب الباحث اليهودي في شؤون العهد القديم : " إن أسفار العهد القديم وأسفار التوراة كتبت في عهود مختلفة وبلغات مختلفة " ويقول أيضا: " إن ما يرويه العهد القديم عن موسى والأنبياء الأولين (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) لا يتفق إلا بشكل تقريبي مع المجرى التاريخي للأحداث " كما يقول إدمون جاكوب: " وضاعت النصوص العبرية أثناء غزوات نبوخذ نصر والهجرة إلى بابل وما بعدها من نكبات "

ويرى ول ديور انت في كتابه قصة الحضارة أنه: " ليس العهد القديم شريعة فحسب بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفة ، وإذا أنقصنا من قيمة الكتاب ما فيه من أساطير بدائية ومن أغلاط تاريخية أقررنا أن ما فيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقة أو القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها "^(٣)

فهذه أهم الآراء والمواقف الناقدة والمنددة بالأخطاء والتناقضات الموجودة في العهد القديم وقد جاءت بعض هذه الآراء من بعض أتباع اليهودية ممن آثروا الحق على الدوغمائية والتعسف وتردد آراء الآباء والأجداد دون نقد أو تحليل أو أعمال فكر .

فتبنت دوغمائية الإيمان بالعهد القديم عن طريق انكار كون كاتب التوراة هو موسى عليه السلام وعن طريق التنديد بالمغالطات التاريخية والعلمية الموجودة في العهد القديم، وما احتوته نسخه وأسفاره من تناقضات واختلافات لا يمكن الجمع بينها، وكذلك التشكيك في نسبة الأسفار إلى أصحابها وتاريخ تدوين هذه الأسفار .

القسم الثاني من الأسفار المقدسة عند اليهود: التلمود

التلمود في اللغة: Talmud كلمة مشتقة من الأصل العبري (لامود Lamud) ويعني الدراسة والتعلم^(٤).

(١) الزغبى، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ص ٣٣٦.

(٢) دائرة المعارف البريطانية لعام ١٩٨٢م ، ط ٥ ، ج ٢ ، ص ٨٧٩ . نقلا عن البار، محمد على ، تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية ، دار القلم ، دمشق ، و الدار الشامية بيروت ، ط ١ ، ١٩٤١ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٣٠ .

(٣) قصة الحضارة ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٤) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموسوعة الموجزة ، القاهرة ، دار الشروق ، ٢٠٠٦ م ، ط ٣ ، مج ٢ ، ص ٣٣ .

التلمود فى الاصطلاح: هو الكتاب العقائدي الذي يفسر ويبسط كل معارف اليهود وتعاليمهم ويضم سجلا لنقاشات الحاخامات حول الشريعة اليهودية والأخلاق والعادات والأساطير والقصص، وهو كبير الحجم يزيد عن عشرين مجلدا، وقد وضع في عصور مختلفة وأحوال متباينة ^(١)، ويزعمون أن هذه التعاليم قد نُقلت شفاهة عن موسى عليه السلام عبر أربعين جيلا حتى بدأ سمعان بن جامليل سنة ١٦٦ بجمع ما تيسر له من تعاليم التلمود، وعكف على غربلته وتبويبه وظل العمل سائرا على ذلك إلى أن أتمه (يهوذا هاناسي ^(٢)) فدون تلك التعاليم خشية ضياعها، وقد تم هذا التدوين حوالي سنة ٢١٦ ق. م ^(٣).

ولم يرد اسم التلمود في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة - فيما أعلم - ولكن أشار القرآن الكريم إليه بقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٤) كما وردت الإشارة إليه أيضا في السنة النبوية المطهرة، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه وتركوا التوراة" ^(٥).

وتلك هي حقيقة التلمود وأنه ليس وحياً من الله، وإنما هو تفاسير وشروحات واجتهادات واستنباطات أحبار اليهود لنصوص التوراة ولأقوال منسوبة مكذوبة على موسى عليه السلام دُونت وجمعت في القرن الثاني الميلادي ^(٦).

^(١) راجع: شاهين مكاريوس، تاريخ الاسرائيليين، ص ٨٣، وأيضا: الاب آي. بي. برانانيس، فضح التلمود - تعاليم الحاخامات السرية، اعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ط ٤، ص ٢١. أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، قدم له سهيل زكار، دار قتيبة، ص ٢٥.

^(٢) الرايبي يهوذا هاناسي " الرئيس " تلقى تعليمه في مجامع دينية عدة ومن جميع مصادر المعرفة المتنوعة المتاحة للطالب منذ نعومة أظافره، وكان يقال إنه لم يجتمع لأحد منذ عصر موشيه النبي ما اجتمع له من معارف غزيرة وعميقة وسلطة مرجعية وسمو مكانة ومن خلال نفوذه لدى أنطونيوس كان يسمح لشعبه بدراسة الشريعة علنا، وقد قام بجمع شروحات الربانيين السابقين واطروحاتهم، مما يؤلف في يومنا الحاضر المشناه. يراجع: أحمد ايبش، التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، ص ٢٣٩.

^(٣) راجع: ربحي كمال، دروس اللغة العبرية، ص ٤٣، / وشاهين مكاريوس، تاريخ الاسرائيليين ص ٨٣ / راجع: ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، الناشر: دار النفائس، الطبعة: الثامنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص ١١-١٤.

^(٤) سورة البقرة: ٧٩.

^(٥) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني دار الحرمين - القاهرة، ج ٥، ص ٣٥٨، رقم الحديث ٥٥٤٨ رواه الطبراني في الأوسط والكبير، قال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (ج ١، ص ١٩٢، رقم ٩٢٤). وقال الشيخ الألباني: حديث حسن (انظر: صحيح الجامع الصغير ج ١، ص ٤٠٩، ح رقم ٢٠٤٤).

^(٦) راجع: برانانيس، فضح التلمود، ص ٢٢، د. روهلينج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمه من الفرنساوية: يوسف نصر الله، ص ٤٨، ٤٧، ٤٦، د. ربحي كمال، دروس اللغة العبرية ص ٤١-٤٣.

أقسام التلمود: ينقسم التلمود إلى قسمين رئيسيين هما: (المشنا) و (الجمارا) وتعريفهما كالآتي:

- المشنا (المشنة) : ومعناه (التكرار) أو (الشريعة المتكررة) ، وهو بمثابة المتن.

- الجمارا (الجمارة) : ومعناه (التكملة) أو (الإكمال) وهو عبارة عن مجموعة شروحات وتعليقات واستنباطات ومناقشات الأحبار على (المشنا) وأساطير وخرافات وأقوال مروية عن حاخامات اليهود من طائفة الرابانيين في موضوعات شتى وعصور مختلفة منذ القرن الثالث الميلادي إلى نهاية القرن الخامس الميلادي. وقد كتبت باللغة الآرامية.

والجمارا نوعان: جمارا بابل، وجمارا أورشليم، وهذا التقسيم يرجع إلى اختلاف مركز البحث العلمي والديني لليهود ومكان تمرکز أحبارهم.

وبناءً على ذلك فقد ظهر تلمودان هما: الأول: تلمود بابل: وهو مكوّن من (المشنا) و (جمارا بابل) ويسمى أيضاً بالتلمود الشرقي، وهو المتداول بين اليهود والمراد عند الإطلاق.

الثاني: تلمود أورشليم: وهو مكوّن من (المشنا) و (جمارا أورشليم) . ويسمى أيضاً بالتلمود الغربي^(١).

منزلة التلمود عند اليهود:

يعتبر اليهود التلمود من قديم الزمان كتاباً منزلاً مثل التوراة بل ويعد أيضاً المصدر الأول الذي يستند إليه اليهود في تشكيل رؤاهم الأيدولوجية والسياسية لأنه يتطرق بشكل أكثر تفصيلاً للعلاقة بين اليهود وأرض فلسطين واليهود وبقية شعوب العالم.^(٢) فيعتقد جمهور اليهود أن التلمود كتاب مقدس، ويعتبرونه من مصادر التشريع اليهودي، فاليهود يسمون (المشنا) بالتوراة الشفوية وينسبونها إلى موسى عليه السلام. غير أن اليهود قد غالوا في تقديس التلمود أكثر من التوراة نفسها، فقد ورد في التلمود (أولئك الذين يكرسون أنفسهم لقراءة الكتاب المقدس (التوراة) يؤدون فضيلة لا ريب فيها لكنها ليست كبيرة، وأولئك الذين يدرسون المشنا يؤدون فضيلة سوف ينالون المكافأة عليها، لكن أولئك الذين يأخذون على عاتقهم دراسة الجمارة يؤدون فضيلة سامية جداً)^(٣).

^(١) راجع: مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص ١١١ - ١١٦، براناييس، فضح التلمود ص ٢٢-٣٨، ظفر الإسلام خان التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ١١-٤٩.

^(٢) النعمي، في قبضة الحاخامات تعاليم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية ص ٤٧.

^(٣) انظر: براناييس، فضح التلمود ص ٤١.

وورد فيه أيضاً: (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى)^(١).

لذلك وصف الله عز وجل اليهود بقوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٢).

ومما سبق تتضح منزلة التلمود عند اليهود فهو وحي سماوي منزل مع التوراة كما أنه أرفع درجة من كلام الله في التوراة، فهم يرون أن كلام حاخاماتهم المعصومين الذين كتبوا التلمود أرقى من كلام الله وكلام الأنبياء والمرسلين ولا شك أن معتقدهم هذا دوغمائية باطلة تعسفوا فيها ولتوضيح ذلك أعرض نقدا للتلمود وتعاليمه يثبت بعد هذا الكتاب عن الوحي الإلهي وعن المنطق الأخلاقي.

نقد التلمود وإثبات دوغمائية الإيمان به

أما عن نقد التلمود وبيان دوغمائية الإيمان به وبطلانه وتزويره وإظهار زيف ادعاء نسبته إلى موسى عليه السلام ، فذلك يتضح من خلال عدة محاور

— أولاً : شهادة واعتراف بعض من اليهود ممن تحرروا من دوغمائيتهم بحقيقة التلمود، ومن ذلك شهادة المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس في تعريف التلمود حيث قال: "والتلمود مجموعة تفاسير وشروح وأخبار وإضافات وأحكام وضعها حكماءهم وربانيوهم والمجتهدون منهم"،^(٣).

كما يعترف شاهين مكاريوس اليهودي بوقوع التحريف حتى في التلمود المختلق فقال: "وأما التلمود البابلي، فكان الفراغ الأول منه نحو أواخر القرن الخامس، ولم يمض زمن طويل حتى اعتور التلمود تحريف وأدخل فيه تقاليد لم تكن هناك وأضيف إليه تفاسير وشروح وفتاوى جديدة"^(٤).

وأيضاً يؤكد لنا ذلك المهتدي السموال بن يحيى المغربي (المتوفى سنة ٥٧٠هـ) - وكان من أحبار اليهود فأسلم - في كتابه (إفحام اليهود) في بيانه لحقيقة التلمود بقوله:

(١) للمزيد من تلك النصوص الدالة على قداسة التلمود عند اليهود راجع: د. روهلينج، الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ص ٣١ - ٣٥ ، برانائيس، فضح التلمود، ص ٤١ - ٤٢.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

(٣) انظر: شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص ٨٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٨٤.

" فلما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التأليف، وأنه كلما مرّ عليه جيل زادوا فيه وأن في هذه الزيادات المتأخرة ما يناقض أوائل هذا التأليف، علموا أنهم إذا لم يقطعوا ذلك ويمنعوا من الزيادة فيه، أدى إلى الخلط الظاهر والتناقض الفاحش فقطعوا الزيادة فيه، ومنعوا من ذلك، وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه، وإضافة شيء آخر إليه، وحرّموا أن يضاف إليه شيئاً آخر، فوقف على ذلك المقدار"^(١).

أما عن تلمود أورشلیم، فيقول محرر دائرة المعارف اليهودية العامة: "النص الحالي لتلمود فلسطين في حالة فاسدة جداً، والنساخ الذين نقلوه لم يترددوا في تصحيحه كلما وجدوا أن المعنى بعيد عن إدراكهم، وقد تكرّر وقوع ذلك كثيراً بسبب أسلوب التلمود البليغ، وبسبب لغة النص غير المألوفة. ومشكلة النص هذه أدت إلى زيادة هذه الأخطاء التي يقع فيها النساخ، مثل وقوع التباس بين حروف متشابهة، وحذف حروف، وترك سطور، وإساءة فهم الرموز"^(٢).

— ثانياً : أنه مما يدلنا أيضاً على زيف التلمود وتزويره اختلاف اليهود فيما بينهم على قداسته، بل إنكار طوائف كثيرة منهم قديماً وحديثاً لكتاب التلمود، ومن تلك الطوائف والفرق اليهودية ؛ فرقة القرائين^(٣)، حيث يقول شاهين مكاريوس عنهم: "وفي القرن الثامن بعد الميلاد قام أحد العلماء في بغداد وتبعه فرقة رفضت التلمود واكتفت بما في التوراة بغير تفسير، وهذه الفرقة تسمى اليهود القراؤون"^(٤) كما أن اليهود الإصلاحيون أيضاً أنكروا أن القانون الشفهي (التلمود) منزل من السماء أو مروي عن موسى، وقد اعتبرتهم اليهودية الأرثوذكسية الحديثة ضالين^(٥) كما هي سمة الدوغمانية مع الآخر.

ثالثاً: وأما عن متن التلمود ومحتوياته، فتكفي الإشارة إلى بعض مبادئ التلمود وتعاليمه الباطلة التي يتبين منها أن التلمود ليس وحياً من عند الله _ عز وجل _ لأن الله تبارك وتعالى يأمر بالعدل والإحسان، ولا يأمر بالفحشاء والمنكر والبغي ومحتويات التلمود منافية لجميع الديانات والشرائع فهو يحتوي على ستة آلاف صفحة مليئة بالفضائح التي يندى لها جبين البشرية.

(١) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ) بذل المجهود في إفحام اليهود، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ط ١، ص ١٨٧.

(٢) انظر: ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص ٢٥.

(٣) القراؤون (العنانية) : نسبة إلى عنان بن داود، ويخالفون سائر اليهود في أحكام السبت والأعياد، وكانوا يقيمون في مصر والشام وتركيا وغيرها، ويتركزون حالياً حول الرملة. ينظر : الفكر الديني اليهودي ص ٢٩٥-٣٠٥.

(٤) شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين ص ٨٥.

(٥) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص ٣٢.

وهذه بعض مبادئ التلمود وتعاليمه الفاسدة التي تتضح منها نظرة اليهود الدوغمائية إلى ربهم وإلى أنفسهم وإلى غيرهم:

١ - كلام اليهود عن الله في التلمود، من ذلك زعمهم أن الله عز وجل شغله هو تعلم التلمود مع الملائكة، وأنه يلعب مع الحوت ملك الأسماك _ تعالى الله عن ذلك _ وأن الله عز وجل قد اعترف بأخطائه قائلاً : " تبا لي لأنني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي " وأن الله يتقدم على تركه اليهود في حالة التعاسة ؛ حتى أنه يلطم ويكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر وليس الله على حسب التلمود معصوما من الطيش ؛ لأنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش وجاء في التلمود أيضا أن الله إذا حلف يمينا غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه ^(١)

٢ - كلامهم عن أنفسهم: يزعم اليهود في التلمود أن أرواحهم جزء من الله، وأنهم عند الله أرفع من الملائكة، وأن من يضرب يهودياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ^(٢) وأنهم مسيطرون على أموال باقي الأمم ونفوسهم ؛ لأنها في الواقع أموال اليهود فإذا استرد الإنسان ماله فلا لوم عليه، وأن الناس إنما خلقوا لأجلهم ولخدمتهم ^(٣) ولليهودي إذا عجز عن مقاومة الشهوات أن يسلم نفسه إليها، وأن الجنة لا يدخلها إلا اليهود.

٣ - موقفهم من غيرهم: يذكر التلمود أن أرواح غير اليهود أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات، وأنهم مثل الكلاب والحمير، وإنما خلقوا على هيئة الإنسان حتى يكونوا لائقين بخدمة اليهود، فلا يجوز لليهودي أن يشفق على غير اليهودي ولا أن يرحمه ولا يعينه بل إذا وجده واقعاً في حفرة سدها عليه، ويحرم على اليهودي أن يرد لغير اليهود ما فقد منهم، ويحرم على اليهودي أن يقرض غير اليهودي إلا بالربا، وزعموا أن الله أمرهم بذلك ، والزنا بغير اليهودي ذكوراً أو إناثاً جائز ولا عقاب عليه، وعلى اليهودي أن يسعى إلى قتل الصالحين من غير اليهود، فالجحيم مأوى جميع الناس غير اليهود، وأنه أوسع من الجنة بستين مرة ، وغير ذلك افتراءهم على المسيح عليه السلام وأمه مريم وقولهم عليها بهتاناً عظيماً ^(٤).

^(١) ينظر: د. روهلينج ، الكنز المرصود ، ص ٣٦ - ٣٨.

^(٢) المرجع السابق ص ٥١.

^(٣) ينظر: روهلينج، الكنز المرصود، ص ٥٦.

^(٤) المرجع السابق ص ٥١ - ٧٠.

هذه بعض مبادئ التلمود، وهي تصور لناظره والمطلع عليه خطورة هذه التعاليم وأن لها أثراً واضحاً في اليهود السابقين واللاحقين ؛ حيث جعلتهم بحق أعداء الإنسانية وأعداء الفضيلة والخير والتسامح، وأعداء الأديان، لذلك قال د. باركلي: "بعض أقوال التلمود مغال، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثراً غير عادي للجهد الإنساني وللعقل الإنساني وللحماقة الإنسانية"^(١)

حيث " إن الربانيين والحاخامات أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم ، بالشكل الذي يرضي غرائزهم ونزوعهم إلي الاستيلاء على بقية أجناس البشر"^(٢)

وتلك التعاليم الدوغمائية الباطلة للتلمود أدت دوراً كبيراً في عزل الجماهير اليهودية عن الشعوب التي عاشوا بينها ، ذلك أن النزعة الانعزالية المتعالية التي توجد في معظم صفحات التلمود المليء بالأحكام الموجهة ضد غير اليهود وكون التلمود يرى اليهود وحدهم تجسيد لروح الإله بالإضافة إلى نظرة التلمود المنحرفة للذات الإلهية ؛ كل ذلك يثبت بطلان التلمود ودوغمائية الإيمان به .

رابعاً : جاء في التلمود أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقدها أو تغييرها ولو بأمر الله (صورة أوضح ما تكون للدوغمائية) ، وأنه قد وقع يوماً الاختلاف بين الله وعلماء اليهود في مسألة ما وبعد أن طال الجدل تقرررت إحالة المشكلة إلي أحد الحاخامات ، وأخيراً اضطر الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور.^(٣) وجاء في التلمود من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية^(٤) مهما كان كلام الحاخام متناقضاً مع نفسه أو متعارضاً لأن كلامه من كلام الله.

لاشك أن مبادئ التلمود ما هي إلا دوغمائية صارخة في كل ما تنادي به من معتقدات أبعد ما تكون عن العقل والمنطق فيما يخص الله جل وعلا، كما أنها تمجيد للذات لدرجة جعل أرواح اليهود جزء من الله عز وجل وإنكار للآخر (غير اليهود) إنكار لإنسانيتهم إنكار لحقوقهم وإعلان العداء الصارخ لهم، كما أن الانزواء والعزلة التي تصاحب النزعة الانعزالية المتعالية إثر دوغمائيتهم التي تملأ صفحات التلمود، ورفض النقد لتعاليم الحاخامات رغم إحافها وما بها من ظلم وعدوان وتناقض للعقل والمنطق السليم ؛ كل ذلك يثبت دوغمائية التلمود ودوغمائية تعاليمه والإيمان به.

(١) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه، ص ٩١ .

(٢) رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية ، دمشق ، الأوائل ، ط ٢ : ٢٠٠٦ م ، ص ٣٤٥ .

(٣) راجع : د. روهلينج الكنز المرصود ص ٣٢ وما بعدها .

(٤) محمد عبد العزيز منصور، يامسلمون اليهود قادمون، دار الاعتصام، ص ١٣٢ .

هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وفي التعريف بالقبالة يصرح لويس غنزبرغ أستاذ التلمود في المدارس اللاهوتية بنيويورك وذلك في سنة (١٩٠٢) فيقول : إنها " مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات، ونزول هذا وحيا على أكرم القديسين في زمن القديم الأقدم واحتفظ به عدد قليل من الأخيار"^(١)

وهذا الاسم مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، ثم أصبحت الكلمة تعني من أواخر القرن الثاني عشر «أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة»

فقد كان القباليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً، فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني مُحَدَّث يُفْضِي إلى معرفة غنوصية _أي باطنية_ بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية.

ومن خلال هذا المنهج التفسيري، تَمَكَّن القباليون من فرض رؤاهم الخاصة على النصوص الدينية وإشاعتها، الأمر الذي فتح الباب على مصراعيه لكل الآراء الحلولية المتطرفة.^(٢) التي تنتهج النهج الدوغمائي في عدم استنادها على دليل وصدورها عن فكر بشري، واعتقاد قدسيتها، والتعامل معها على أنها حقائق مطلقة .

أفكار القبالة الدوغمائية

الإله في القبالة : الواقع أن الإله، حسب التصور القبالي، ليس الإله المفارق المتسامي الذي ليس كمثله شيء، بل هو في رأي القبالة حالة ساكنة تقتقد إلى الحيوية، فهو الخالق في حالة انكماش قبل عملية الخلق، وهو العدم واللاوجود كما يُنْظَر إليه باعتباره (ثانياً) الإله القريب الحي؛ القريب بسبب وجوده الذاتي وتعدديته، وهو تَجَسُّد مادي يحل في المادة (سواء كانت الشعب اليهودي أم الظواهر الطبيعية أم اسم الإله الأعظم الذي من يكتشفه يتحكم في الكون بأسره)^(٣).

وقد أدت القبالة دوراً حاسماً في تحويل اليهودية من نسق توحيدي إلى نسق حلولي كموني دوغمائي ؛ فتراث القبالة تراث حلولي كموني واحد متطرف يساوي بين الإله والطبيعة، بحيث يصبح الإله هو الطبيعة، ويتم

^(١) نقلا عن نويهض : عجاج ، بروتوكولات حكماء صهيون ، دار الجليل ، عمان ، ١٩٨٤م، المجلد ٢ الجزء ٤ ، ص ١٩٤

^(٢) ينظر : المسير، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

^(٣) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٦٥ .

إلغاء التاريخ ويتركز الحلول الإلهي في الشعب اليهودي إذ يحل المطلق أو المركز في الشعب، وتبعاً لذلك أصبح التصوف اليهودي تصوفاً حلولياً غنوصياً ليس الهدف منه فناء الذات والتقرب من الإله والتفاعل معه، وإنما الالتصاق بالخالق والتوحد معه بحيث يصبح المؤمن تجسّد الإله: إرادته هي إرادة خالقه ؛ لذلك قد أدّى انتشار القبّالاه إلى تزايد اشتغال اليهود بالسحر بهدف التحكم في الكون (ولعل هذا كان من أسباب تزايد معاداة اليهود).^(١)

وأصبحت القبّالاه في نهاية الأمر ضرباً من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات القبّالي أو المتصوف حتى يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم والتحكم فيه.^(٢)

خلق العالم: كما يتبدّى النسق الدوغمائي المغلق في الرؤية القبّالية لخلق العالم فهذا الخلق لم يكن من العدم، ولم يتم دفعة واحدة كما هو الحال في الديانات التوحيدية، وإنما عن طريق الفيض الإلهي.

وقد ذكر رفائيل باتاي أن رؤية القبّالاه للإله تطورية، أي أن الإله وُجد، أو أوجَد نفسه على مراحل داخل الزمان وقد تم خُلِق العالم من خلال عملية صيرورة مركبة بحيث يتحول اللاشيء الإلهي إلى الكيان الإلهي، ويتجه من الداخل إلى الخارج^(٣)، فيعتقد القباليون بأن العالم أساس خلقه هو نتيجة فيضه عن الذات الإلهية _سبحانه وتعالى_ عما يقولون_ وهم بذلك يقولون بنظرية الفيض الإلهية أو ما يسمى بانبثاق القوة ، وتسمى أيضاً بشرة الفيوض، وهي مراتب تسلسل القوة وتسمى بالعبرية (سيفروتيم) وتعني الفيوض.^(٤)

وإذا تسأل أحد عن أصل هذه النظرية أو مصدرها أو الدليل على صحتها وما سندها من العقل أو المنطق أو الوحي الإلهي الصحيح الثابت لم يجد عند هؤلاء القباليون الدوغمائيون سوى اعتقاد دوغمائي لا يقوم على دليل ولا يقبل نقد أو مناقشة ولا يمتلك قدرة على محاوره الآخر سوى إنكاره والانغلاق على الذات دون التواصل معه .

الشعب المختار: إن تراث القبّالاه، وصل الإيمان فيه بقداسة الشعب إلى أشكال في غاية التطرف إذ ذهب بعض القبّاليين إلى أن اليهود قد خُلِقوا من طينة مقدّسة مختلفة عن الطينة التي خُلِق منها الأغيار، وبالتالي تكون أفعال اليهود كلها مقدّسة ؛ لأنها تساهم في عملية إصلاح الخلل الكوني (تتيقون) التي يستعيد الإله من خلالها ذاته، وكذلك الشرارات الإلهية^(٥) المشتتة.^(١)

(١) موسوعة اليهود واليهودية ج ٥ ، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٧١.

(٤) العاني، عثمان سعيد، الأساطير التاريخية اليهودية حول أرض المسجد الأقصى، ص ٧٧.

(٥) «الشرارات الإلهية» هي الترجمة العربية للكلمة العبرية «نتسوتسوت» . والمصطلح تعبير قبّالي يشير إلى الشرارات الإلهية التي تُحبس في المادة بعد حادثه تهشّم الأوعية حسب القبّالاه اللورانية ، ينظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص ١٨٦.

ولم تقف حدود العلاقة بين الشعب المختار وبين الإله عند حد يُمكننا أن نفصل بينهما بل تصل إلي مرحلة متقدمة يتوحد بها الإله مع شعبه المختار، وهو توحد يأخذ شكل العهد المتجدد بين الإله والشعب، والتدخل المستمر للإله في التاريخ لصالح شعبه، وتجسده في شكل عمود نار ليقودهم، وغضبه منهم وحبهم لهم وغزله فيهم ومعهم^(١).

وكل هذا أفكار دوغمائية تشبعت بها القبالة وتعسف اليهود في اعتناق هذه الأفكار والإيمان بها دون فكر أو نظر بل اتباع أعمى لما يقوله علماءهم ولا شك أن ما عليه اليهود من تطرف في السلوك والفكر راجع إلى هذه الأفكار الدوغمائية .

النفى في القبالة : إن نفى اليهود خارج أرض الميعاد له دلالات خاصة تفوق حالة النفى الكونية العامة، فنفيهم يعني تفتت الإله وتبعثره بل نفيه، ومن ثم فإن هدم الهيكل الذي يعني نفى الشخيانه، أي جماعة إسرائيل هذا النفى ينعكس على الإله نفسه «فالمملك بدونها ليس بمملك وليس بعظيم ولا يُسَبِّح أحد بحمده» على حد قول الحاخامات، أي أن هدم الهيكل يؤدي إلى شتات الشخيانه/الشعب وإلى نفيها، ومن ثم فإن هدم الهيكل يؤدي إلى شتات الإله وبعثرته ونفيه، وهذا ممكن داخل إطار حلولي حيث يصبح الإله متوحداً تماماً مع مخلوقاته لا يفصل بينهما فاصل، وحيث يعني نفى الواحد نفى الآخر.^(٢)

ولهذا فإن اليهود لهم مكانة مركزية في عملية الخلاص، إذ أن عليهم أن يحيوا حياة القداسة، والتركيز الصوفي وتنفيذ التعاليم الإلهية والتمسك بالشرعية، وبذلك يأتي الخلاص لليهود وللعالَم بأسره بل للإله نفسه، إذ أن الشخيانه، وهي وجه من أوجه الإله، لن تعود إلا بعودتهم، ولن يتم اكتمال وحدة الإله إلا بهذه العودة وبذلك فإن وجود اليهود، وكذا أفعالهم، تُشكل أساساً لاتزان الكون ولعملية الخلاص الإلهية والبشرية، بل إن رحمة الإله لا تفيض إلا بسبب أفعالهم الخيرة فتتحول حياة اليهود العادية إلى عملية مقدسة يستند إليها خلاص الكون نفسه.^(٣)

نتيجة هذه الدوغمائية

وإذا كانت الحلولية التلمودية قد أدت إلى العزلة والتعالي، فإن الحلولية القبالية المتطرفة أدت إلى عزلة وتعال متطرفين، فزادت عزلة اليهود عن العالمين، ولم يُعد الاختلاف بينهم وبين الأغيار مسألة عقيدة وإنما

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٦٥.

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٤ ، ص ١٦٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٧٤.

أصبح مسألة أصول ميتافيزيقية مختلفة، فأرواح اليهود مستمدة من الكيان المقدس في حين تصدُر أرواح الأغيار عن المحارات الشيطانية والجانب الآخر. وأعضاء الشخنياء هم أعضاء الجماعة اليهودية، أما الأغيار فهم أبناء الشيطان، والخيرون من الأغيار هم في الواقع أجساد أغيار لها أرواح يهودية ضلت سبيلها.^(١)

إن التفكير القبالي تفكير غير جدلي ولا يرى أي تناقض حقيقي بين الأشياء، فهو يذنب حدودها تماماً، ويذنب الهويات كافة، ومنها هوية اليهود كأفراد، ولا يُبقي سوى هوية (وحقوق) جماعة إسرائيل كمركز للكون والجنس البشري والوجود الإلهي.

فالتفكير القبالي يحوي داخله نقيضين: تعدُّداً من ناحية، يرى الإله أجزاء وتجليات مختلفة، ومن ناحية أخرى واحدة متطرفة لا ترى أي وجود للإله خارج مخلوقاته المادية، وهذه إحدى سمات الأنساق الدينية الحلولية (الدوغمائية) المتطرفة.^(٢)

وقد سيطرت القبَّالاه، في نهاية الأمر، حتى على مؤسسة اليهودية الحاخامية نفسها، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من اليهودية الكلاسيكية أو اليهودية المعيارية أو التلمودية، حتى أن الحاخام جويل سيركيس (١٥٦١ . ١٦٤٠) ، وهو من أهم علماء التلمود، قال إن من يعترض على العلم القبالي يُطرَد من حظيرة الدين كما أن الشولحان عاروخ نفسه، أهم كتب المؤسسة الحاخامية الأرثوذكسية، يجعل الإيمان بالقبَّالاه فرضاً دينياً، وقد أصبحت القبَّالاه من اللاهوت اليهودي نفسه ولم يُعد بمقدور أي يهودي مهاجمتها، وحينما حاول موردخاي كوركوس عام ١٦٧٢م أن ينشر كتاباً في البندقية يهاجم فيه القبَّالاه، منعه الحاخامات من ذلك.^(٣)

ومن كل ما سبق عرضه في هذا المبحث نخلص إلى أنه بالرغم مما أثاره البحث النقدي والدراسات الأثرية من شكوك وريب حول مصداقية كلا من التوراة والتلمود، ذلك أن مؤرخي اليهود عامة، سواء من أقر منهم بهما، وحيا إلهيا لا يتطرق إلي عصمته شك كما هو عقيدة اليهود الأرثوذكس، أو من أثاروا شكوكا عميقة وحاسمة حول مصداقيتهما، باعتبارهما مرويَّات مختلفة لا تمت إلى التاريخ الحقيقي بصلة، فهي أقرب إلي الأساطير والخرافات.

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥ ، ص ١٧٤

(٢) المصدر السابق، ج ٥ ، ص ١٧٥

(٣) المصدر السابق ج ٥ ، ص ١٦٨

بالرغم من هذا التنافر والتضاد فيها فإن الأمر كان واحدا وسيان عند الفريقين فالذين أنكروا مصداقية التوراتين، المدونة والشفوية، مثلهم مثل الذين آمنوا بهما وحيا إلهيا معصوما، قد جعلوا مرويات العهد القديم مرتكز الحياة اليهودية مؤكدين على أن اليهود عبر تاريخهم صدروا عنهما في فهم مسيرة التاريخ وتفسيرها، وبهما تعلق الوعي الجماعي العام لليهود، فاصطبغ إلي حدود بالغة بما ورد فيهما من أساطير وخرافات وأخبار ملفقة ومنتحلة، كانت العامل الحاسم في تشكيل معالم الحياة اليهودية عبر العصور والأزمان وأعطتها سمتها "الدوغمائية" المتميزة.

كما أن النقد التاريخي الذي أنهى العهد القديم إلى ركام من الأساطير لم يلغ تعلق عامة اليهود، حتى الملحدين منهم، بما فيه من تعاليم ووصايا ومؤشرات أخلاقية وسلوكية.^(١) تتضح بالدوغمائية

أما القبالاة التي لا تعدو أن تكون مجموعة باطنية من الحكم تتعلق بأسرار الكون وبالإله والكائنات كانت في مرحلها الأولى تدعى بالحكمة المستورة، والتي يظهر فيها تأثر أحبار اليهود الذين وضعوها بالآراء الشرقية ودين الفرس وزرادشت ورغم ما أخذت القبالاة من الزرادشتية من جموح وخيال وتطرف ودوغمائية فقد بقيت في جوهرها يهودية تدور في فلك اليهود وثقافتهم وتاريخهم^(٢).

(١) عرفان عبد الحميد فتاح ، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ، دار عمار، عمان ، ط١ : ١٧٤١ هـ - ١٩٩٧ م ص ٧٨، ٧٩

(٢) سوسة ، أحمد ، أبحاث في اليهودية والصهيونية ، دار الامل للنشر والتوزيع ، أربد - الأردن ، ٢٠٠٣ م ، ص ١٣

المبحث الثاني

دوغمائية شعب الله المختار

مدخل

عقيدة شعب الله المختار من أبرز وأخطر الدوغماتيات التي تخللت في الوجدان اليهودي، ولكي نتبين دوغمائية هذه العقيدة وبعدها عن حقيقة الدين الإلهي أولاً وعن المنطق العقلاني ثانياً سوف أتعرض في هذا الفصل لهذه العقيدة وأدلة اليهود عليها ومناقشة هذه الأدلة وبيان بطلانها كما سوف أعرض التفسيرات المختلفة عند اليهود لهذه العقيدة الدوغمائية وأبين بطلان هذه التفسيرات وعدم قدرتها علي مجابهة المنطق وأثبت دوغمائيتها والنتائج المترتبة عليها .

عرض دوغمائية شعب الله المختار عند اليهود

يعتقد اليهود أنهم من جنس مميز، وأنهم من عنصر يختلف تماماً عن كل عناصر بني البشر الذين يطلق عليهم اسم (جويم) ومعناه : البهائم أو الشعوب غير اليهودية أو الشعوب الأجنبية الكافرة ، ويدعي اليهود أن أرواحهم من روح الله وعنصرهم من عنصره ، ومن هنا كانوا أبناءه الأطهار الذين اصطفاهم فوق سائر البشر، فهم شعب الله المختار ، بينما غيرهم من الجويم أصحاب أرواح حيوانية أو شيطانية، ولكن الله خلقهم على صورة الإنسان ؛ لكي يتمكنوا من خدمة اليهود^(١).

ف نجد أن اليهود لا يؤمنون أنهم بشر كسائر خلق الله ، وإنما يعتقدون أنهم أصحاب مميزات جنسية وعقلية وحضارية لم تتوفر لسائر بني البشر من الأمميين أو الجويم، وإلي هذا يشير البروتوكول الخامس عشر بقوله : "وعقل الأممي لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة غير قادر علي تحليل أي شيء وملاحظته، فضلاً عن التكهن بما قد يؤدي إليه، وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله وأننا ذو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية حين تقارن بالعقل الفطري البهيمي عند الأمميين، إنهم يعاينون الحقائق فحسب ولكن لا يتنبؤون بها، وهم عاجزون عن ابتكار أي شيء"^(٢) .

(١) راجع: د. روهلينج الكنز المرصود ، ص ٥١ - ٧٠.

(٢) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة: محمد خليفة التونسي (نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر) (المتوفى: ١٤٠٨ هـ) ، قدم له: عباس محمود العقاد ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ، ط ٤ ، ص ١٧٨

فهم يؤكدون على الفصل التام بينهم وبين الأمميين ويعتقدون عصمة عقولهم التي هي آية اختياريهم، وكل ذلك هو من سمات وعلامات الدوغمانية التي سيطرت على فكرهم، وهكذا أوحى إليهم شيطانهم بهذه الفوارق الذهنية والفكرية بينهم وبين سائر الناس، بناء على أنهم من طينة أخرى غير طينة البشر مستمدين تلك الدوغمانية من كتب خطوها بأيديهم - التلمود والبروتوكولات - ما أنزل الله بها من سلطان .

ولكي يؤكد اليهود هذه العقيدة الباطلة عمدوا إلى تاريخ بني آدم يشوهونه ويلوثونه ثم يبرئون أنفسهم من العيوب والنقائص، فيبدؤون التاريخ من آدم، فيقولون إن أحد أبناء آدم كان ضالاً وكان الآخر مهتدياً، ومن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل ثم يصل التاريخ إلى نوح فيدعون أن الله رضي على ابنه سام وغضب على حام وأبنائه، وهم تناسلوا من سام ، ثم نصل إلى إبراهيم فنجد أن اليهود يدعون أن إسماعيل قد حرم من البركة، وحقت عليه اللعنة، بينما يحصل إسحاق على البركة والرضا من الله ، ومن إسحاق يأتي يعقوب وعيسو ولكن يعقوب يحصل على البركة وهم يتناسلون من يعقوب وهكذا فهم من جنس مبارك منذ بدء الخلق كما يدعون.^(١)

كما كان للتصوف اليهودي (القبالة) دوراً كبيراً في التأكيد على استعلاء اليهود على غيرهم، على اعتبار أنهم أمة الكهنة التي تقف وسط الأغيار، ويشكل تاريخهم حجر الزاوية في تاريخ العالم واعتبرت اليهودي هو مركز الكون ويتوقف كل شيء على أعماله، فهو الذي يحدد النظام الكوني لأنه جزء من الله.^(٢)

فنرى أن إيمان اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي الدوغمائي، ذلك أن الثالوث الحلوي عند اليهود مُكوّن من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله في الأرض ؛ لتصبح أرضاً مقدّسة ومركزاً للكون ويحل في الشعب ؛ ليصبح شعباً مختاراً، ومقدّساً وأزلياً^(٣).

هذا معني مصطلح الشعب المختار طبقاً لدوغمانية اليهود وتفكيرهم وعقيدتهم الباطلة لكن يحسن بنا أن نتعرف على تفسير اليهود لدوغمانية الاختيار .

تفسير دوغمانية الاختيار عند اليهود

لقد حاول كثير من حاخامات اليهود وكثير مفكرهم تفسير فكرة الاختيار، فجاءوا بتفسيرات كثيرة، لكن وبغض النظر عن مضمون التفسير، فإن فكرة الاختيار على وجه العموم تؤكد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين كخاصية من خصائص الدوغمانية (تعبير عن القداسة الناجمة عن الحلول الإلهي في الشعب) وقد جاء في التلمود أن جماعة يسرائيل يُشبّهون بحبة الزيتون لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة يسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى.

(١) سعد الدين السيد صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها على الانسانية ، ص ٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) المسيري ، عبد الوهاب ، اليهود والصهيونية واسرائيل ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ط ١ ، ت: ١٩٧٥ ، ص ٣٥ .

(٣) المسيري ، عبد الوهاب ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموزعة ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

وقد وردت تفسيرات عدة للاختيار، هي في نهاية الأمر تعبير عن درجات متفاوتة من الحلول، فإن ازدادت النزعة الحلولية زادت القداسة في الشعب وزادت درجة الدوغمائية عنده، ومن ثم زادت عزلته وانفصاله ومن هذه التفسيرات ما يأتي:

١ - الاختيار كعلامة على التفوق:

أ) لم يختار الإله اليهود بوصفهم شعباً وحسب، بل اختارهم كجماعة دينية قومية توّجدها أفكارها وعقائدها، وقد حوّلهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقديسين، وإلى أمة مقدّسة تتداخل العناصر الدينية والقومية فيها كما أن اختيار الإله لليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بينه وبين إبراهيم، ولكن نقول لهم لو توقف الأمر على التفوق الديني وحمل الرسالة لصح علامة على الاختيار، ولكن عندما تم الخلط بين العناصر الدينية والقومية وتحول اليهود إلى مملكة من الكهنة والقديسين رغم أخطائهم وشروهم وجرائمهم بعد الأمر عن كونه اختياراً إلهياً، وأضحى عقيدة دوغمائية لا غير نابعة من هوى أنفسهم.

ب) يدل الاختيار على تفوق اليهود عرقياً، فقد اختير إبراهيم لنقائه، واختير اليهود ؛ لأنهم من نسله، وقد جاء في التلمود ما يلي: "كل اليهود مقدّسون.. كل اليهود أمراء.. لم تُخلَق الدنيا إلا لجماعة إسرائيل.. لا يُدعى أحد أبناء الإله إلا جماعة إسرائيل.. لا يحب الإله أحداً إلا جماعة إسرائيل". ولكن اليهود ليس فقط هم نسل إبراهيم فبني إسماعيل من نسله أيضاً، كما أن من اليهود من هم ليسوا من نسل إبراهيم كيهود الخزر^(١) مما يدل على دوغمائية هذا التفسير وبطلانه أيضاً.

ج) يدل الاختيار على تفوق اليهود الأخلاقي، فقد اختار الإله الشعب اليهودي لأنه أول شعب يعبد وحده، أي أنه اختار الشعب لأن الشعب اختاره، وقد جاء في التلمود هذه الكلمات: "لماذا اختار الواحد القدوس تبارك اسمه جماعة إسرائيل، لأن... أعضاء جماعة إسرائيل اختاروا الواحد القدوس تبارك اسمه وتوراته". ولكن التفوق الأخلاقي لليهود لم يدم طويلاً فسرعان ما انقلب اليهود على أعقابهم بعد موسي عليه السلام وارتكبوا كثير من الموبقات والردائل التي تتنافى مع أي مبدأ أخلاقي وإذا لم تدم أخلاقهم لم يدم اختيارهم، وكان التشبث بفكرة الاختيار دوغمائية محضة.

(١) «الخزر» قبيلة من أصل تركي عاشت في منخفض الفولجا جنوب روسيا وكونت مملكة كان حكامها وبعض سكانها يدينون بعبادات وثنية ولكنهم تحولوا إلى اليهودية. ينظر : موسوعة اليهود واليهودية ج ٢ ، ص ١٤٩

٢ - الاختيار كتكليف ديني:

اختار الإله الشعب اليهودي حتى يكون خادماً له بين الشعوب، وليكون أدواته التي يُصلح بها العالم ويوحد بها بين الشعوب، وهذا يعني أن الاختيار ليس ميزة وإنما هو تكليف إلهي يعني زيادة المسؤوليات والأعباء: "إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم"^(١) لكن حتي علي هذا التفسير فإن اليهود لم يلتزموا بتكاليف الدين الإلهي وخرجوا على التكاليف الإلهية ولم يؤدوا رسالتهم، ولم يقوموا بمسؤولياتهم فكيف يقوم اختيارهم علي هذه الحال .

٣ - الاختيار كأمر رباني وسر من الأسرار:

وأكثر التفسيرات تواتراً _ على الأقل على المستوى الوجداني _ هو أن الاختيار غير مشروط ولا سبب له، فهو من إرادة الإله التي لا ينبغي أن يتساءل عنها أي بشر، الإله الذي اختار الشعب ووعد بالارض، وليس لأي إنسان أن يتدخل في ذلك، وهذا التفسير هو أشد التفسيرات دوغمائية لهذه العقيدة، فالاختيار _ حسب هذا التفسير _ لا علاقة له بالخير أو الشر، ولا بالطاعة أو المعصية، فهو لا يسقط عن الشعب اليهودي حتى ولو أتى هذا الشعب بالمعصية، بل هو اختيار دوغمائي لا سند له ولا برهان عليه ولا يقبل النقاش فيه (وهذا بخلاف المفهوم الإسلامي للاختيار حيث جعل الاختيار مشروطاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنه ليس اختياراً عنصرياً أو عرقياً بل هو اختيار أخلاقي غير مقصور على أمة بعينها).^(٢)

أدلة اليهود على دوغمائية شعب الله المختار

يعتمد اليهود في ترويج هذه الأكذوبة الفاضحة بأنهم شعب الله المختار على عدة نصوص في التوراة المتداولة المحرفة، فيزعم اليهود أن الله تعالى ميزهم عن الناس طبقاً لما نقوله نصوص التوراة المتداولة المحرفة، فقد جاء فيها : (أنا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب؛ وتكونون لي قديسين لأنني قدوس، أنا الرب وقد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لي)^(٣).

(إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك، لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم)^(٤).

(١) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، عاموس ، (الاصحاح ٣ ، فقرة : ٢)

(٢) ينظر : المسيري ، عبد الوهاب موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٧٢ - ٧٣ بتصرف

(٣) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر اللاويين (الاصحاح ٢٠ ، فقرة : ٢٦ ، ٢٤).

(٤) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التثنية (الاصحاح ٧ ، فقرة : ٦ - ٨) .

المصدر الثاني الذي يركز عليه اليهود هو نصوص التلمود فقد ورد فيه: (الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة..)، وأيضاً (اليهودي جزء من الله) - تعالى عما يقولون - وجاء فيه (الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي) ، وورد (الشعب المختار هو اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات) ^(١).

هذا ما ذكرته مصادره، ومن أدلتهم علي هذه العقيدة أيضاً : أن كل اليهود في أنحاء الأرض جاؤوا من نسل واحد هو إبراهيم عليه السلام فشعب الله المختار ينحدر كله من الأسباط الاثني عشر أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. ^(٢)

مناقشة الأدلة على دوغمائية شعب الله المختار وإثبات بطلانها

أما عن نصوص التوراة فقد أثبت البحث العلمي والتاريخي أن التوراة الحالية المتداولة لا علاقة ولا ارتباط بينها وبين التوراة التي أنزلها الله عز وجل على نبيه موسى عليه السلام فلا يؤخذ بها مطلقاً، وقد فصلت ذلك في مبحث سابق فيكفي في دحض هذه العقيدة أن توجد في كتاب محرف هو التوراة فمجرد وجودها في التوراة دليل على بطلانها، بل إن هذه العقيدة الباطلة هي من أقوى الأدلة على تحريف التوراة ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى ليس قريباً لأحد، ولا يحابي أحداً على حساب أحد فالكل أمامه سواء ، ولكن اليهود بهذه الادعاءات الباطلة يحاولون الطعن في عدالة الله، حيث يميز جنساً على جنس، وليته هو الجنس المطيع لله الملتزم بأوامره، بل الجنس المعاند المكابر الذي كفر بالله وبكتبه ورسله، وقطع كل صلة له بوحى السماء حيث كذب رسل الله وحرف رسالتهم ^(٣) مما يثبت دوغمائية هذا المعتقد وبعده عن الوحي الإلهي والمنطق العقلي.

أما عن المصدر الثاني - وهو التلمود - فمفهوم أن التلمود كتاب وضعه بعض الزعماء من بني إسرائيل القدامى، وضمنوه تعليمات وأوامر بهدف السيطرة على عقول اليهود وغير اليهود، فالتلمود وضع هؤلاء الزعماء، ومن ثم فهم أحرار في أن يكتبوا فيه ما يريدون، ولكن ليس من حقهم فرض صحة هذا الكتاب على العالم؛ لأن التلمود كتاب مزعوم مزيف، كما لم يثبت عن موسى عليه السلام مطلقاً أنه أوحى إليه التلمود، كما أن التلمود يحوي من المخالفات والفواحش ما لا يقبله عاقل، ومن ثم وجب إسقاطه تماماً من الاعتبار عند الفحص والتقييم.

^(١) راجع: د. روهلينج، الكنز المرصود ، ص ٤٦ ، ٥١.

^(٢) سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية وخطرها علي الانسانية، ص ٢٨٧.

^(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

وأما مقولتهم أنهم من طينة غير طينة البشر، وأنهم جزء من الله فهي خرافة لا أساس لها من الصحة، فالكل من آدم وآدم من تراب، فليس لأحد فضل بالعنصر لأنه واحد، ولا باللون لأن اختلاف الألسنة والألوان لا يخضع لاختيار الإنسان وإنما هو مظهر من مظاهر قدرة الله وآية من آياته.^(١)

ومما سبق يتضح أنه لا وجود للمصادر الشرعية الصحيحة التي تثبت أن بني إسرائيل.. هم شعب الله المختار، بل إن حزقيال في التوراة المتداولة يقول مخاطباً تلك الأمة العاقبة قائلاً باسم الإله: (ومن جميع أرجاسك وفواحشك لم تذكرني أيام صباك.. فلذلك أقضي عليك بما يقتضي على الفاسقات وسافكات الدماء)^(٢) كما نقرأ في الإنجيل المتداول ما نسب للسيد المسيح عليه السلام: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(٣) كما أنهم أيضاً سبّوا الأنبياء جميعاً سباً لم يحدث من قبل، فهم في توراتهم المتداولة التي كتبوها ألصقوا بالأنبياء الفاحشة ؛ فيتبين من كل ذلك أن معتقد اليهود بأنهم شعب مختار معتقد باطل دوغمائي لا سند شرعي صحيح له ولا برهان عليه من عقل ولا منطق فتمسك اليهود بهذا المعتقد وإنكارهم للآخر واستعلاؤهم على غيرهم، وقولهم بعصمة أنفسهم وانفصالهم عن باقي الأمم ووضع فواصل تحجز الآخرين عنهم، وتحجزهم عن الآخرين كل ذلك ما هو إلا سمات وعلامات لدوغمائية الشعب المختار .

(١) العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، ص ٢٨٨ .

(٢) سفر حزقيال (الاصحاح ١٦ ، فقرة : ٢٢ - ٣٨) .

(٣) سفر متى (الاصحاح ١٥ ، فقرة : ٢٢) .

المبحث الثالث

دوغمائية أرض الميعاد

مدخل

عقيدة أرض الميعاد من الثوابت الدوغمائية الرئيسية في العقيدة اليهودية المحرفة تلك الأرض التي تنتج لبنًا وعسلًا^(١) كما يصفونها في بعض نصوص التوراة وأصبح الذهاب إليها والعيش فيها حلم يراود كل يهودي في شتى بقاع الأرض وصار هذا الحلم أملاً يداعب خيالهم، متى يذهبون إلى أرض فلسطين، ومتى يتحقق الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم - عليه السلام - في زعمهم - ولذلك هم يعملون بخطط مرسومة بدقة على تحقيق إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات التي يتجمع فيها اليهود بعد شتاتهم وتفرقهم.

وحتى يسوغ اليهود لأنفسهم سندًا قانونيًا يرتكزون عليه في التهجير إلى أرض فلسطين وتملكها وطرد أهلها منها، فإن أبواً فالإبادة الشاملة لهم - كما هو موقف الدوغمائية ممن يعترض طريقها - حتى تكون وطنًا بلا سكان ينازعونهم ويزاحمونهم فيها لشعب بلا أرض قد عاني كثيرًا من التشرد؛ من أجل ذلك كله وضعوا في توراتهم نصوصًا تخدم هذا الغرض الدوغمائي، وتضفي عليه الشرعية والقداسة، وهي بلا شك شرعية مزعومة ومفتراه ؛ لإثبات هذا الحق الدوغمائي.

وفي هذا المبحث سوف تتناول الباحثة هذه العقيدة الدوغمائية بالعرض والتحليل والنقد الذي يثبت كونها عقيدة دوغمائية باطلة يتشبث بها اليهود دون سند من العقل أو المنطق، وما يعتمدون عليه في ثبوتها أدلة واهية لا تصمد أما النقد العلمي والبراهين العقلية.

دوغمائية أرض الميعاد عند اليهود

أرض كنعان أو أرض الرجوع؛ بدعة يهودية اختلقها اليهود زاعمين أن الله وعدها إبراهيم ونسله^(٢) وقد جاء في التلمود: «الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه، ولم يستطع العثور على أية بلاد جديدة بأن تمنح لجماعة إسرائيل سوى أرض إسرائيل». وهي كذلك «الأرض البهية»^(٣)

(١) والنص الذي يشير إلى ذلك يقول: "ولكى تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لأبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم، أرض تفيض لبنًا وعسلًا"، سفر التثنية (الإصحاح ١١، فقرة: ٩).

(٢) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج ١، ص ٨٤.

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر دانيال (الإصحاح ١١، فقرة: ١٦)

وقد تَضَخَّ الحديث عن الأرض وعن ارتباط اليهود بها فتحوّلت إلى فكرة لاهوتية، ونشأ ما يُسمَّى «لاهوت الأرض المقدَّسة» وبناء على ذلك نجد أن تعاليم التوراة، كتاب اليهود المقدَّس، لا يمكن أن تُنفَّذ كاملة إلا في الأرض المقدَّسة، وأكثر من ذلك أنه جاء أحد تصريحات ابن جوريون، فإن السكنى في الأرض بمنزلة الإيمان: "لأن من يعيش داخل أرض إسرائيل يمكن اعتباره مؤمناً أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له".^(١)

تلك هي أرض الميعاد في المنظور اليهودي تحتل مكانة مقدسة في فكرهم مما أسهم في تكوين أنساق دوغمائية تدور حول هذه الأرض، وتربط اليهود بها رباطاً أبدياً أدى فيما بعد إلى عزلتهم وانشقاقهم عن الأمم التي عاشوا بين ظهرها، فلا وطن لهم غير هذه الأرض ولا انتماء حقيقي إلا لها " فأرض الميعاد تشكل أساساً لا يستغنى عنه من أجل تحقيق المهمة السماوية للشعب اليهودي، ذلك أن حياة يهودية أصيلة لن تنمو وتزدهر خارج أرض إسرائيل، وعبرية إسرائيل السماوية سوف تسطع وتضيء العالم حالما يعاد توحيد الأمة الكامل جسدياً وروحياً بالأرض" ^(٢)

فقد ارتبطت فكرة أرض الميعاد في أذهان اليهود بفكرة المسيح المنتظر الذي ينتظره اليهود، وبرغم هذا الارتباط الذي يبدو دينياً بشكل كبير نجد أن عقيدة أرض الميعاد قضية سياسية في المقام الأول ولقد حاول اليهود أن يصبغوها بالصبغة الدينية، حتى تتمكن من نفوس الشعب اليهودي ^(٣) وتتحول إلى عقيدة دوغمائية فيحاولون تحقيقها، ولقد نادى بهذه الفكرة السياسيون منهم قبل المتدينين:

١ - "يقول ابن جوريون رئيس الوزراء اليهودي الأسبق عام ١٩٤٨ م بعد أن وقف ممثلاً لليهود في الأمم المتحدة: "قد لا تكون فلسطين لنا عن طريق الحق السياسي أو القانوني، ولكنها حق لنا على أساس ديني، فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات، إلى النيل ولذلك يجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وأن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يومياً بالدين اليهودي".^(٤)

(١) موسوعة اليهود واليهودية، ج ٥، ص ٧٨.

(٢) الاب مايكل برير، الكتاب المقدس، والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية جنوب أفريقيا فلسطين ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سورية ط ٢، ٢٠٠٤ م، ص ٢٢٦.

(٣) انظر: سعد الدين صالح، العقيدة اليهودية ص ٣١٠.

(٤) محمد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية، بحث منشور في مجلة التراث العربي، دمشق ص ١ نقلاً عن: عابد توفيق الهاشمي، العقيدة اليهودية في تملك فلسطين ونقدها دار اقرأ - اليمن ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط ١، ص ٢٢.

وفي هذا القول تتجلى الدوغمائية كأوضح ما تكون فهو ينادي بتلك العقيدة ويلزم بها غيره من كل اليهود، ويجعل من لا يلتزم بها كافر، بل يزيد في أسلوب المبالغة فيجعله يكفر كل يوم بالدين اليهودي كما هي سمة الدوغمائية في إنكار المخالف واستخدام صيغ المبالغة.

٢ - ويصرح مناحم بيهين^(١) في خطابه ٧ / ٤ / ١٩٥٠ م: "لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد ... ولو وقعنا معاهدة صلح"^(٢).

٣. وفي ٤ نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٥ م، اغتال " إيجال عامير " رئيس الوزراء روبين "بأمر من الب " ومن جماعته المسماة " محاربو إسرائيل "، التي تتادي بإعدام كل من يتنازل للعرب عن جزء من الأرض الموعودة في " يهودا وسامرا" (الضفة الغربية حاليا)^(٣)

و حين ينادي السياسيون بهذه العقيدة فهم يرتكزون على خلفية دينية، ويتحركون في تنفيذ مخططاتهم لتحقيق هذا الوعد من منطلق عقائدي، وعندما يتضح أن هذه الخلفية الدينية مزيفة ومفتراه فإن هذه اللافتات التي يرفعها الساسة والحاخامات ما هي إلا أقنعة سوداء تحجب وراءها نفوساً استمرأت التحريف واعتادت عليه في شتى المجالات، خدمة لأغراضها التي تتعارض مع العقل والنقل والواقع

وبعد عرض تلك الدوغمائية ومعرفة غرضها ودعاتها السياسيين يجدر أن نعرض لأدلتهم التي بنوا عليها تلك الدوغمائية ونناقش هذه الأدلة ؛ لنتبين صحتها من بطلانها.

أدلة اليهود على دوغمائية أرض الميعاد وحدودها - في زعمهم -

إن الأدلة على دوغمائية أرض الميعاد تكمن في العهود التوراتية^(٤) الموجودة في التوراة الحالية التي بأيدي اليهود، والتي تنص على أن هناك أرضاً أعطاه الله لبنى إسرائيل أيام رسلهم، ويدعى اليهود اليوم أن هذه

^(١) مناحيم بيجن (١٩١٣ - ١٩٩٣ م) زعيم إرهابي صهيوني ، ورئيس وزراء إسرائيل السابق ، ولد في برسكفي بولندا عام ١٩١٣ م ، وتخرج من مدرسة الحقوق في جامعة وارسو انظم عام ١٩٢٩ م إلى حركة بيتار اليهودية المحافظة وصل فلسطين عام ١٩٤٢ جنديا، ثم انضم إلى المنظمة العسكرية القومية اليهودية (ارغون زيفاي ليومي) التي اختصار اسمها (أرغون) ثم أصبح بيجن عام ١٩٤٣ م زعيما لهذه المنظمة ومذ ذلك العام مارس بيجن الارهاب بأنواعه كافة ضد المسلمين من أهل فلسطين (جلد بالسياط وتفجير الأماكن العامة والإعدامات الجماعية .. إلخ) ومن أكبر أعماله الارهابية مذبحه دير ياسين ، ونسف فندق الملك داود ، ويعد بيجن من اشهر الصقور في إسرائيل ومن مؤيدي (إسرائيل الكبرى) وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني.

انظر : محمد شريدة، شخصيات إسرائيلية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، ط١: ١٩٩٥ م، ص ٨٨ - ٩٠ .
^(٢) انظر: إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال "العصور القديمة، ط مكتبة الوعي العربي ١٩٦٩ م. ص ١٨٣، باختصار .

^(٣) روجه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، تقديم محمد حسنين هيكل القاهرة ، دار الشروق ، ط٤ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، ص ٤٢ .

^(٤) سفر التكوين ١٨ / ١٥ وقد ذكر الوعد أولا في تكوين ٧ / ١٢ ثم ١٥ / ١٣ ثم ٨ / ١٧ ، ثم تكرر الوعد لإسحاق ويعقوب في تكوين ١ / ٢٦ - ٤ ، ١٣ / ٢٨ ، ثم تكرر مع يوشع في سفر يوشع ٢ / ١ - ٤ ، ثم تكرر مع داود في المزمور ٢٥ / ٢٦ ، وسفر صموئيل الثاني ٤ / ٧ - ٦ ، ١٢ - ١٦ .

العهود تنطبق عليهم، وأن هذه الأرض عطاء إلهي لهم يعتبر فوق القانون مهما كان نوع هذا القانون وفوق إرادة الشعوب مهما كانت هذه الشعوب حتى لو كانت صاحبة الأرض التي يطالب بها اليهود، فحقهم في تملك أرض فلسطين حق مطلق لا يقبل النقاش وتلك هي دوغمائيتهم.

وقبل أن أعرض أدلة اليهود على دوغمائيتهم أنه إلى أن اليهود اختلفوا فيما بينهم اختلافًا بينا حول حدود الأرض الموعودة^(١) ولكل فريق أدلته على النحو التالي:

الفريق الأول: يرى أن حدود أرض الميعاد هي أرض كنعان فقط - أرض فلسطين - واستدل هذا الفريق بمجموعة من النصوص التي وردت في التوراة منها العهد الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام وهو ما جاء في سفر التكوين من خطاب الله وإبراهيم: "أنا الله القدير ... فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثر كثيرًا جدًا ؛ لأنني أجعلك أبا لجمهور من الأمم ... وأجعلك أمًّا، وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بين وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدًا أبدًا لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبدًا^(٢) ". ويزعم اليهود المعاصرون أنهم أحفاد إبراهيم وسلالته، وأنهم شعب الله المختار، فهم الأحق إذاً بفلسطين وما جاورها أرض الآباء والأجداد.

الفريق الثاني: يرى أن حدود أرض الميعاد من النيل إلى الفرات ؛ واستدل هذا الفريق أيضًا بنصوص من التوراة المحرفة منها:

أ. ما جاء في سفر الملوك: "وكان سليمان متسلطًا على جميع الممالك من النهر "الفرات" إلى أرض فلسطين إلى تخوم مصر^(٣) ".

ب. وما ورد في سفر التثنية: "يطرد الرب جميع الشعوب من أمامكم فترثون شعوبًا أكبر وأعظم منكم، كل مكان تدوسه بطون أقدامكم لكم من البرية، ولبنان من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم^(٤)".

(١) انظر: عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في الميزان، مؤسسة الرسالة، ط ١ : ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر لتكوين (الإصحاح ١٧، فقرة ١ - ٨)

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر ملوك الأول (الإصحاح ٤ فقرة ٢١)

(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية (الإصحاح ١١، فقر: ٢٣، ٢٤).

نقد هذه الأدلة والرد عليها

١ - إن أدلة هذه العقيدة محرفة وموضوعة بأيدي اليهود أنفسهم، والدليل على ذلك هذا التناقض الظاهر بين النصوص، فهناك نصوص حددت الأرض الموعودة بفلسطين، وهناك نصوص أخرى ضاعفت هذه الأرض أضعافاً مضاعفة، فوصلت بها إلى كل أرض لمستها أقدام اليهود وخصوصاً شبه جزيرة سيناء، بحجة أن تعاليم التوراة قد نزلت فيها على موسى، والوجه البحري من مصر حتى نهر النيل، بزعم أن بني إسرائيل قد عاشوا في دلتا النيل بمصر فترة طويلة وأن موسى نشأ في مصر، ويبالغ بعضهم فيضيف إلى الأرض الموعودة أجزاءً من سوريا والعراق بحجة أن هذه الأجزاء كانت تقع تحت حدود مملكة داود وسليمان، وأن إبراهيم - عليه السلام - كان يقيم بأرض العراق فالتناقض ليس من سمات النصوص الإلهية، فالله لا يتناقض مع نفسه، ولا يكذب نفسه وإنما هذا هو شأن الفكر البشري ^(١) الدوغمائي .

٢ - وعند نقد عهد الله لإبراهيم عليه السلام نجد أن (الواقع يشهد بأن الإله الذي وعد إبراهيم هذا العهد لم يف بعهده ؛ لأن إبراهيم لم يملك شيئاً من أرض كنعان (وهي فلسطين) وكان فيها غريباً وكما تذكر التوراة نفسها أن إبراهيم عندما ماتت سارة في فلسطين لم يكن يملك مكاناً في فلسطين ليدفنها فيه حتى استعطف بني حثّ هناك فباعوه قبراً لها ^(٢)).

ولم يكن يملك إبراهيم غير ذلك الحقل والمغارة في جميع أرض فلسطين وسوريا ولم تشر التوراة ولو إشارة واحدة إلى تملك إبراهيم في تلك البلاد غير ذلك! وحين مات إبراهيم - عليه السلام - عن عمر (١٧٥) سنة دفن في نفس المغارة التي دفن فيها زوجته، وما كان يملك من فلسطين حين موته إلا تلك المغارة والحقل معها، اللذين اشتراهما بنقد فضي كما تذكر التوراة ^(٣)، ولم يكن هبة من الله كما وعد افتراءً عليه.

ويؤكد إبطال هذا العهد المزعوم أنه ليس لإبراهيم نصيب من حكم أو ملك أو أرض في فلسطين فإذن الوعد لم يتحقق ولم يملك إبراهيم أرض الميعاد ملكاً أبدياً، ولأن خلف الوعد لا يليق أن يكون من صفات الإله الحق، فقد قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ ^(٤) وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ ^(٥)

(١) انظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، ص ٣٠٤، ٣٠٥

(٢) انظر: سفر تكوين (الاصحاح ٢٣، فقرة: ١ - ١٦) .

(٣) انظر: تكوين: (الاصحاح ٢٥، فقرة: ٩ - ١١) والنص يقول: "ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون ... الذي أمام ممر الحقل الذي اشتراه إبراهيم من بني حثّ هناك دفن إبراهيم وسارة امرأته".

(٤) سورة آل عمران: ٩.

(٥) سورة إبراهيم: ٤٧.

لذلك فإن هذا العهد من تحريفات اليهود التي أضافوها إلى التوراة لتوافق هوي في نفوسهم وسياستهم^(١).

٣- بطلان انتساب معظم اليهود المعاصرين إلى سلالة إسرائيل (يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، فلا حق إذا لليهود اليوم في أرض فلسطين فهم ليسوا ورثة إبراهيم ولا يعقوب - على فرض تسليم صحة هذا العهد - وقد بين لنا القرآن الكريم أيضا بطلان انتساب اليهود إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام دينيًا ، فقال عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾^(٢) فيهود اليوم لا تربطهم بإبراهيم عليه السلام لا صلة نسب ولا دين فكيف يكونوا ورثة لعهد ولأرض التي وعده الله بها .

٢ - وأيضا لو سلمنا جدلاً بصحة النصوص التي استدلت بها اليهود فإن لا تعطيتهم مدعاهم في أحقيتهم هذه الأرض، ومن منظور آخر ذلك أن الوعد من الله كان لنسل إبراهيم، فمن هم نسل إبراهيم؟ المعروف أن إبراهيم أنجب إسماعيل ثم إسحاق، وإسماعيل هو جد العرب، وإسحاق هو جد بني إسرائيل ومن هنا يكون لبني إسماعيل نفس الحق في أن يرثوا هذه الأرض مثلهم في ذلك مثل أبناء إسحاق ويعقوب، ولكن من الأحق منهم بوراثة الأرض؟ لقد بينت التوراة أن الوعد بهذه الأرض إنما يكون لقوم مؤمنين محافظين على وصايا الله وتعاليمه ... وهذا ما تحقق بالفعل حين آمن بنو إسرائيل وانتقوا الله أورثهم الأرض فقال تعالى : ﴿وَأَوْثَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسَخِّعُونَ مَسَدِيقَ الْأَرْضِ وَمَعَدِنَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿٥٣﴾﴾^(٣)

ولكن حين انحرف اليهود عن الوحي الإلهي، وحرفوا كتبهم انتزع الله منهم هذه الأرض وشردهم وأعطاهم لمن يستحقها من الأمم الملتزمة بعبادة الله وتوحيده والتي لم تنحرف عن ملة إبراهيم وهي الأمة الإسلامية، فمن نسل إبراهيم - عليه السلام - جاء إسماعيل جد العرب الذين حملوا لواء التوحيد والالتزام بملة إبراهيم، ففتحوا أرض الرومان واستعادوا فلسطين وما حولها محققين بذلك وعد الله لإبراهيم أن يجعل هذه الأرض لنسله من نهر مصر إلى نهر الفرات .

(١) ينظر : الهاشمي ، فلسطين في الميزان: ص ٣٣-٣٤ .

(٢) سورة آل عمران: ٦٥-٦٨ .

(٣) سورة الأعراف: ١٣٧ .

وهذا ما يتمشى مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّحْيُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ومن هنا استحق العرب أبناء إسماعيل - أرض فلسطين - لأسباب كثيرة منها: أنهم هم الذين اتبعوا ملة إبراهيم وساروا على نهجه، كما أنهم أبناء إبراهيم من سلالة إسماعيل، بالإضافة إلى أنهم هم الذين أقاموا فيها طيلة حياتهم ولم يفارقوها، بينما كان اليهود على النقيض من ذلك كله (٢)

ثم إنه عندما طرح الأنبياء فكرة استعادة صهيون ، لم تكن للأرض في حد ذاتها صفة القداسة، فقد كان المعيار المطلق والحاسم في المفهوم النبوي لفكرة الخلاص هو استعادة العهد مع الرب، في وقت الملك وشعبه قد نقدوا هذا العهد. (٣)

مما سبق يتبين تحريف اليهود للنصوص التوراتية، ليثبتوا من خلالها أحقيتهم الدوغمانية في تملك أرض فلسطين ، فيتضح أن فكرة أرض الميعاد فكرة دوغمانية سياسية قامت على أساس مزيف وباطل ويتبين مخالفة هذه العقيدة الدوغمانية للعقل والمنطق والتاريخ، بالإضافة إلى ذلك تستنتج الباحثة أن التوجهات اليهودية في الماضي والحاضر تنطلق نحو إبادة الشعب الفلسطيني لتخلو لهم الأرض وتصبح وطنًا لهم بدون منازع وهذا مسلك الدوغمائيين في إنكار الآخر، ورفض التعايش معه، والاعتراف بحقه .

نقد دوغمانية أرض الميعاد من قبل علماء الغرب

إنه في إطار الكشف عن حقيقة فكرة أرض الميعاد وجدت الباحثة أن بعض علماء الغرب قد توجه إلى هذه الفكرة الدوغمانية بالنقد والتحليل الذي يكشف زيفها ودوغمائية القائلين بها، ومن هؤلاء العلماء "ألبيدي بوري" أستاذ العهد القديم في كلية اللاهوت البروتستانتية في جنيف ، الذي يوجز فحوى رسالته للدكتوراه (الوعد الإلهي والأسطورة القصصية الشعائرية في زمن يعقوب) فيقول: " الموضوع التوراتي عن وهب البلاد يستمد أصوله من الوعد الأبوي، أي الوعد الإلهي لإبراهيم بحسب المأثور في سفر التكوين فيعرض لنا رواة التوراة تاريخ إسرائيل كسلسلة من العصور المحددة تحديدا دقيقا في حين يتفق معظم الشراح المحدثين على أن هذه الصور التاريخية لا تعدو أن تكون صورة وهمية إلى حد كبير ."

(١) سورة آل عمران: ٦٨.

(٢) ينظر : العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ، ص ٣٠٦ — ٣٠٨ (بتصرف).

(٣) روجيه جارودي ، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ص ٤٩.

كما كتبت السيدة فرانسواز سميث، عميدة كلية اللاهوت البروتستانتية في باريس قائلة : " لقد خلصت البحوث التاريخية التي أجريت مؤخرا إلى أن الروايات التقليدية عن الخروج من مصر، وغزو كنعان، والوحدة القومية الإسرائيلية قبل النفي، لا تعدو أن تكون قصصا خياليا "

وفي جزء من محاضرة للباحث " إلمر برجر " ، (الرئيس السابق للمجلس الأمريكي لليهود في لولايات المتحدة الأمريكية) يقول: " لا يمكن لأي إنسان أن يقبل الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل الحالية كان تحقيقا للنبوءة، وبأن الله قد صدق سلفا وبشكل تلقائي على كل الأعمال التي قام بها الإسرائيليون لإنشاء دولتهم والحفاظ على استمرارها، فقد طمست دولة إسرائيل السياسية الحالية، أو على الأقل شوهدت المغزى الروحي لإسرائيل.

فالأمر الوحيد والمقدس والقيم في صهيون هو العهد الذي يتجلى في أفعال شعبه، ومن ثم ليس لدولة إسرائيل الحالية أي حق في أن تدعي لنفسها أنها تجسيد لإرادة الله التي تقضي بقدوم عصر الماشيحإنها لا تعدو أن تكون تجسيدا لغوغائية التربة والدم، فلا الأرض مقدسة ولا الشعب، وكلاهما ليس جديرا بأي ميزة روحانية في هذا العالم "(^١)

إن عقيدة أرض الميعاد التي يتمسك بها اليهود، ويزعمون من خلالها أن أرض فلسطين حق مطلق لهم لا ينازعهم فيه غيرهم عقيدة دوغمائية لا تثبت أمام النقد العلمي لا من الناحية الدينية، ولا من الناحية التاريخية ؛ والدليل علي ذلك بطلان أدلتهم على هذه العقيدة ومع ذلك يتمسكون بها بنوع من التعسف والتزمت الدوغمائي منكرين حق العرب في هذه الأرض رغم وضوح هذا الحق سواء من الناحية الدينية ومن الناحية التاريخية.

(^١) ينظر : جارودي، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٤٣ - ٥٠ (بتصرف بالحذف)

المبحث الرابع

دوغمائية الهولوكوست (الإبادة الجماعية)

مدخل

تبدأ تلك الدوغمائية من استفاضة اليهود الكبيرة من قصة النازية وهتلر، فقد ضخموا في العالم جداً أرقام المذبوحين في سجون هتلر، وفي معسكرات الاعتقال الألمانية المشهورة، والحق أن هتلر قتل عدداً ضخماً جداً من اليهود يصل إلى مليون يهودي، لكن اليهود لم يكتفوا بهذا الرقم فرفعوه كذباً وزوراً إلى ستة ملايين قتيل يهودي، وهم بذلك يلفتون أنظار العالم إلى المأساة الضخمة، فيتحدث العالم عنهم، ولا يتحدث عن غيرهم، فكثير من الدول فقد مليوناً، لكن ليس كل الدول يفقد ست ملايين، ليس هذا فقط، بل أطلقوا على عملية إبادة اليهود اسماً ذا مغزى، فسموها الهولوكوست، يعني: التضحية الدينية أو المقدسة، والتي تتمثل في تقديم قربان للآلهة، وكأنها لحظة مقدسة قُدم فيها اليهود قرباناً للآلهة افتداء لأهل الأرض.^(١) وفي هذا المبحث سوف أتعرض لهذه القضية الدوغمائية بالتحليل والنقد الذي يثبت مدى دوغمائية اليهود في رؤيتهم لهذه الحادثة التي يطلقون عليها اسم (الهولوكوست) .

الهولوكوست (الإبادة الجماعية)

يُستخدَم مصطلح «الإبادة» في العصر الحديث ليدل على محاولة القضاء على أقلية أو طائفة أو شعب قضاء كاملاً، ويُطلق مصطلح «إبادة اليهود» في الخطاب السياسي الغربي على محاولة النازيين التخلص أساساً من أعضاء الجماعات اليهودية في ألمانيا وفي البلاد الأوروبية (التي وقعت في دائرة نفوذ الألمان) عن طريق تصفيتهم جسدياً (من خلال أفران الغاز).

ويُشار إلى الإبادة في معظم الأحيان بكلمة «هولوكوست» وهي كلمة يونانية تعني «حرق القربان بالكامل» وكانت كلمة «هولوكوست» في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذي يُضَحَّى به للرب، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح، ولا يُترك أي جزء منه لمن قُدم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعاشون على القرابين المقدمة للرب ؛ ولذلك كان الهولوكوست يُعدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيراً عن جريمة الكبرياء. ومن ناحية أخرى، كان الهولوكوست هو القربان الوحيد الذي يمكن للأغيار أن يُقدِّموا.

(١) السرجاني، راجب، فلسطين حتي لا تكون اندلساً أخرى، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

<http://www.islamweb.net> [الكتاب مرقم آلياً، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس] المكتبة الشاملة، ج ٧، ص ٤ .

ومن العسير معرفة سر اختيار هذا المصطلح، ولكن يمكن أن نقول إن المقصود عموماً هو تشبيه «الشعب اليهودي» بالقربان المحروق أو المشوي، وأنه حُرق لأنه أكثر الشعوب قداسة، كما أن النازيين _باعتبارهم من الأغيار_ يحق لهم القيام بهذا الطقس، أو ربما وقع الاختيار على هذا المصطلح ليعني أن يهود غرب أوروبا أُحرقوا كقربان الهولوكوست في عملية الإبادة النازية ولم يبق منهم شيء، فهي إبادة كاملة بالمعنى الحرفي.

ولكن حينما تستخدم الجماعات المسيحية الأصولية (الحرفية) في الولايات المتحدة كلمة «هولوكوست» فهي تركز على جريمة الكبرياء، إذ ترى أن الإبادة عقاب عادل حاق باليهود ؛ بسبب غرورهم وكبريائهم.^(١)

دوغمائية الهولوكوست (الإبادة الجماعية)

"الإبادة الجماعية ، شأنها شأن الوعد الإلهي في التوراة ، هي أحد الذرائع الأيديولوجية الدوغمائية لإنشاء دولة إسرائيل"^(٢) وسأوضح ذلك الأمر فيما يلي :

أولاً: التحقق من وقوع الإبادة بالفعل

تقدم كل المعاجم تعريفاً محدوداً لمصطلح " الإبادة الجماعية " فيذكر معجم لاروس مثلاً أن " الإبادة الجماعية هي القضاء علي جماعة عرقية، بشكل مخطط ودؤوب، بإفناء أفرادها" ولا يمكن لهذا التعريف أن ينطبق على ما حدث لليهود من النازية حيث تزايد عدد اليهود بشكل ملحوظ منذ عام ١٩٤٥م ؛ مما يثبت دوغمائية هذه الفكرة.

وليس هناك أدنى شك في أن اليهود كانوا أحد العناصر التي استهدفها "هتلر " انطلاقاً من نظريته العرقية الدوغمائية حول تفوق " العرق الآري " ^(٣). ولكن الهجمة النازية لم تكن مجرد " مذبحه" واسعة النطاق استهدفت اليهود في المقام الأول، أو استهدفتهم وحدهم، وهو الأمر الذي تحاول بعض الدعايات الدوغمائية أن ترغما على تصديقه، بل كانت بالأحرى كارثة إنسانية، فقد أسفرت الحرب العالمية الثانية عن مقتل خمسين مليون من البشر^(٤).

(١) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ١ ، ١٦٨ .

(٢) جارودي ، الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢٠٠ .

(٣) المصدر السابق، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٤) الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ، ص ٢٠٣ .

وقد ناقش جارودي^(١) هذه الأكاذوبة الدوغمائية من عدة نواحٍ في كتابه الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية حيث ذكر أن معظم الكتاب والمؤرخين لم يعثروا على أي وثيقة تدل على أن ما أطلق عليه مصطلح "الحل النهائي"^(٢) للمسألة اليهودية يعني إبادتهم، بل إن هناك إشارات كثيرة من بينها الرسائل المتبادلة بين القادة النازيين تدل على أن الحل النهائي هو تهجير اليهود خارج ألمانيا وأوروبا وترحيلهم إلى مدغشقر مثلاً^(٣)، بل إن الأوامر التي يقال إن هتلر أصدرها بشأن إبادة اليهود عام ١٩٤١م، لا يوجد أي نص مكتوب ينص صراحة إلى تنفيذ عملية الإبادة بالغاز، ولا يوجد بالمثل أي أمر بوقف هذه العملية في عام ١٩٤٤م.^(٤)

وأما ما يذكر من أن مؤتمر وانسي^(٥) الذي عقد في يناير ١٩٤٢م قرر فيه الإبادة لليهود فلم يثبت أن مسألة التخلص من اليهود قد نوقشت في هذا المؤتمر، وكل ما فيه هو الإشارة إلى نقل اليهود إلى أوروبا الشرقية^(٦).

فاليهود في هذه الفترة كابدوا أشد صنوف المعاناة، كالترحيل بشكل جماعي إلى معسكرات نائية بالإضافة إلى ما يتعرض له السكان المدنيون في زمن الحرب من أهوال القصف والمجاعة والحرمان والاضطرار للسير على الأقدام لمسافات طويلة ؛ لإخلاء المواقع المستهدفة، فضلا عن العمل الإجباري في أوضاع شديدة القسوة وغير إنسانية، وكانت هناك في النهاية الأوبئة الفتاكة وفي مقدمتها وباء التيفوس والتي أودت بحياة أعداد كبيرة من المعتقلين في هذه المعسكرات، فهل كان من الضروري اللجوء إلى وسائل أخرى لتفسير التزايد الرهيب في نسبة الوفيات بين ضحايا تلك الممارسات^(٧)

(١) روجيه جارودي أو رجا جارودي (بالفرنسية: Roger Garaudy)؛ (١٧ يوليو ١٩١٣ - ١٣ يونيو ٢٠١٢) هو فيلسوف وكاتب فرنسي اعتنق الإسلام سنة ١٩٨٢م، متزوج من امرأة فلسطينية تدعى سلمى التاجي الفاروقي. ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، درس في كل من جامعة مرسييليا وجامعة إيكس أون بروفانس وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام ١٩٣٧ غيّن أستاذا للفلسفة : ينظر : الموسوعة الحرة .

(٢) تُستخدم أيضاً عبارة " الحل النهائي " للإشارة إلى " المخطط الذي وضعه النازيون لحل المسألة اليهودية بشكل جذري ونهائي ومنهجي شامل عن طريق إبادة اليهود أي تصفيتهم جسدياً " ينظر : المسيري موسوعة اليهود واليهودية ، ج ١ ، ص ١٦٨ .

(٣) الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية ص ٢٠٩ .

(٤) كامل سغفان ، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصر الفاتيكان ، دار الفضيلة ، ص ٢٩٥

(٥) مؤتمر وانسيبي (بالألمانية: Wannseekonferenz) كان اجتماعاً لمسؤولين كبار بحكومة ألمانيا النازية عقد في العشرين من يناير ١٩٤٢م بضاحية وانسيبي ببرلين. عقد المؤتمر الذي دعى إليه مدير أمن الرايخ الرئيس مكتب الأمن الرئيسي لرايخ رينهارد هايدريش، لبحث تنسيق وتعاون مختلف إدارات الحكومة النازية وأجهزتها التنفيذية لتنفيذ بنود ما سمي وقتها بالحل النهائي للمسألة اليهودية والذي تعين بمقتضاه ترحيل معظم السكان اليهود في المناطق الخاضعة للاحتلال الألماني من أوروبا إلى بولندا تمهيدا للتخلص منهم.

(٦) جارودي، الأساطير المؤسسة، ص ١٥٧.

(٧) المصدر السابق ، ص ٢١٠.

أما بالنسبة للغاز المستخدم في عملية الإبادة المزعومة، فقد قام بعض المهندسين الأمريكيين، ومنهم لوشر^(١) بزيارة ما يسمى غرف الغاز في المعسكرات النازية وقدم تقريراً سنة ١٩٨٨م، أكد فيه استحالة أن تكون هذه الغرف الموجودة في المعسكرات النازية قد استخدمت لقتل بشر بالغاز، لأنها لا تصلح لذلك، وفيها مخاطرة على حياة جميع الموجودين في الأماكن المحيطة، وعلى رأسهم النازيون أنفسهم.^(٢)

أما بالنسبة للمحارق، فلا بد من التأكيد على أن وجود أعداد كبيرة من الأفران في المعسكرات النازية لا يُعد برهاناً على مقولات الإبادة ؛ إذ كان الغرض منها هو محاولة الحد من انتشار وباء التيفوس، وتوجد محارق مماثلة في جميع المدن الكبرى في أوروبا كباريس ولندن^(٣)

ثانياً: عدد ضحايا الإبادة النازية لليهود «ستة ملايين» أصبح من البديهيّات الدوغمائية

فرغم أن هناك رفضاً مبدئياً للرقم في الأوساط العلمية اليهودية وغير اليهودية ومع ذلك يتم إضفاء القداسة على رقم " ستة ملايين " بالرغم من الاضطرار إلي تخفيضه بصفة دائمة من تسعة ملايين إلي ستة إلي أربعة إلي مليونين ونصف.^(٤)

وقد ذكر المؤرخ الإسرائيلي يهودا باور، مدير قسم دراسات الهولوكوست في معهد دراسات اليهود في العصر الحديث التابع للجامعة العبرية، أن الرقم ستة ملايين لا أساس له من الصحة، وأن الرقم الحقيقي أقل من ذلك، وبيّنت بحوث المؤرخ الفرنسي جورج ويلير أن العدد الإجمالي لمن أُبِيدوا في أوشفيتس من اليهود وغير اليهود ليس أربعة ملايين وإنما هو ١.٦ مليون وحسب ؛ وأن هؤلاء لم يقضوا حتفهم من خلال أفران الغاز وحسب وإنما أيضاً بسبب الجوع والمرض والموت أثناء التعذيب والانتحار .

لكن التشكيك في مدى دقة الرقم (الستة ملايين) لا يعني بحال من الأحوال التشكيك في الجريمة النازية ذاتها، فالجريمة النازية هي إحدى جرائم الحضارة الغربية الحديثة العديدة، والتي لا يمكن التهوين من شأنها^(٥)

(١) لوشر كان يعمل مستشاراً هندسياً لولايات ميسوري وكاليفورنيا ونورث كارولينا ينظر : جارودي، الأساطير، ص ١٩١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .

(٣) جارودي، الأساطير المؤسسة، ص ٢١٩ .

(٤) جارودي، الأساطير المؤسسة، ص ٢١٣، ٢١٢، ٢١١ .

ويشير الكتاب السنوي اليهودي الأمريكي رقم ٥٧٠٢ ، والذي يتناول الفترة من ٢٢ سبتمبر /أيلول ١٩٤١م حتي سبتمبر ١٩٤٢ ، (ص ٦٦٦) إلي أن عدد اليهود في بلدان أوروبا الخاضعة للسيطرة الألمانية في أعقاب التوسع النازي الكبير وامتداده إلي روسيا ، كان يبلغ في عام ١٩٤١ م ثلاثة ملايين ومئة وعشرة آلاف وسبع مئة واثنين وعشرين (٣١١٠٧٢٢) بما في ذلك اليهود الذين تبقوا في ألمانيا . فكيف يباد منهم إذا ستة ملايين؟

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية الهامش ص ٢١٣

(٥) المسيري، موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية، ج ٢، ص ٦٦٧ - ٦٦٨ .

وبعد عرض كل هذه الحقائق التي تنفي حدوث إبادة أو محرقة لليهود، وتثبت أن رقم الستة ملايين ضحية هو عبارة عن مبالغة لا أساس لها من الصحة نجد أن إثبات الهولوكوست هو دوغمائية واضحة، وأن التعصب الأعمى والمصالح السياسية قد أغمضا أعين أدعياء الهولوكوست عن الحقائق العلمية، ذلك أنهم رفضوا بصورة غير منطقية البحوث والدراسات التي توضح حقيقة ما حدث لليهود في الحقبة النازية، فهم يصرون على رؤيتهم الأحادية الجانب، ويريدون أن يكون في العالم صوت واحد فحسب، فالمحرقة عقيدة مقدسة لا يمكن مناقشتها، ولا يمكن لأحد إنكار الهولوكوست.

ثالثا : الإصرار على تحويل الجرائم التي أرتكبت بحق اليهود إلى حدث استثنائي فريد

حيث أنه لا يمكن أن يقارن ما حدث لليهود البتة بالمذابح النازية التي راح ضحيتها آخرون من غير اليهود، بل لا يمكن أن يقارن بأي جريمة أخرى عبر التاريخ، ذلك لأن ثمة طابعا مقدسا لمعاناة اليهود وموتهم، وهو ما يتجلى في معنى كلمة هولوكوست الوارد في معجم لاروس الشامل،^(١) والذي جاء فيه التالي: " الهولوكوست طقس للتضحية مألوف لدى اليهود ، وفيه تحرق النار القربان بالكامل " ولهذا لم يكن غريبا أن يعلن أحد الحاخامات أن " إنشاء دولة إسرائيل هو الرد الإلهي على الهولوكوست " ^(٢)

ولكي يغدو هذا الطابع المقدس مبررا فمن الضروري أن تكون هناك إبادة كاملة وأن يكون هناك تصور عن " حل نهائي " للمسألة اليهودية يتمثل في الإبادة .

لكن ماذا عن الضحايا من غير اليهود في كاتين^(٣) ودرسدان^(٤) وبيروشيما ونجازاكي^(٥) فنجد ثمة خللاً أساسياً في المنطق الصهيوني يمكن تلخيص بعض جوانبه فيما يلي:

١ . التركيز على اليهود بالذات دون الجماعات الأخرى، ذلك أن سياسة هتلر في الإبادة كانت موجهة أيضاً نحو العجر والكاثوليك والمعارضين السياسيين والمرضى والمتخلفين عقلياً والسلاف عامة والبولنديين والروس على وجه الخصوص، وقد بلغ عدد ضحايا الحرب ما بين خمسة وثلاثين مليوناً وخمسين مليون، فكم كانت نسبة اليهود بينهم حتى يكون ما حدث لهم حدث استثنائي.

(١) (جزءان باريس ١٩٦٩، ص ٧٧٢).

(٢) جارودي، الأساطير المؤسسة ، ص ٢٠٧.

(٣) تعد مجزرة كاتين، أو كما تعرف باسم مجزرة في غابة كاتين (بالبولندية: zbrodnia katyńska) عملية إعدام جماعي لآلاف البولنديين نفذتها المفوضية الشعبية للشؤون الداخلية (أو كما تعرف على مستوى العالم اختصاراً باسم NKVD) ويقدر عدد الضحايا بحوالي ٢٢٠٠٠ ضحية، و ٢١٧٦٨ ضحية حد أدنى، الموسوعة الحرة .

(٤) درسدن (بالألمانية: Dresden) هي عاصمة ولاية ساكسونيا في شرق ألمانيا. يبلغ عدد سكانها نحو نصف مليون نسمة، الموسوعة الحرة.

قامت قوات التحالف بقصفها بشكل مكثف في الحرب العالمية الثانية. قدرت الخسائر البشرية من القوات الألمانية آنذاك ب ٣٥٠.٠٠٠ مدني، الموسوعة الحرة

(٥) القصف الذري على هيروشيما ونجازاكي هو هجوم نووي شنته الولايات المتحدة ضد الإمبراطورية اليابانية في نهاية الحرب العالمية الثانية في أغسطس ١٩٤٥، قامت الولايات المتحدة بقصف مدينتي هيروشيما ونجازاكي باستخدام قنابل ذرية، قتلت القنابل ما يصل إلى ١٤٠.٠٠٠ شخص في هيروشيما و ٨٠.٠٠٠ في ناغازاكي بحلول نهاية سنة ١٩٤٥، الموسوعة الحرة.

٢. التركيز على الماضي دون الحاضر، وعلى ملايين اليهود الذين هلكوا قبل نحو نصف قرن، دون اهتمام مماثل بالملايين التي أُبِدت بعد ذلك، فقد فقدت كمبوتشيا^(١) منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية نحو مليوني شخص، وفقدت الجزائر أكثر من مليون شخص، وفقدت أفغانستان منذ الغزو السوفيتي عام ١٩٧٨ نحو مليون قتيل، فضلاً عن مليوني مهاجر داخل البلد وخمسة ملايين مهاجر إلى خارجها حتى صاروا يمثلون نصف مجموع اللاجئين في العالم وهناك بطبيعة الحال، مشكلة ملايين الفلسطينيين الذين طُردوا من ديارهم والذين يخضعون لظروف إرهابية شبه دائمة.

٣. الهولوكوست خارج التاريخ إن لم يكن فوقه، وبهذا يتحدى المعرفة والوصف في آن واحد، ولا يمكن تفسيره أو تصوره، ولا يمكن فهمه فهو يسجل انهيار التاريخ، وتغيير فجائي لسلم العالم^(٢).

وبالرغم من أن ادعاءات تميز وفرادة الهولوكوست عقيمة ولا سند لها إلا أن هذه الادعاءات أصبحت ضرباً من ضروب "الإرهاب الفكري" والذين يمارسون خطوات المقارنة العادية للبحث العلمي عليهم أولاً أن يقدموا ألف تحذير وتحذير لئلا توجه إليهم تهمة تحقير الهولوكوست وجعله تافهاً.

وإذا عرفنا أن الادعاءات بتميز الهولوكوست جوفاء فكرياً ومخزية ومشينة أخلاقياً، ومع ذلك يتمسكون بها، والسؤال لماذا؟! لأن المعاناة المتميزة توجب استحقاقات فريدة^(٣)، فالكارثة الفريدة للهولوكوست لا تجعل اليهود منفصلين عن الآخرين فحسب، بل تعطيهم "حقاً يطالبون به هؤلاء الآخرون، وهناك عامل آخر في موضوع الادعاء بتميز الهولوكوست هو ادعاء بتميز اليهود، فهو صورة بغیضة لصفة شعب الله المختار؛ فهي دوغمائية تخدم دوغمائية أخرى.

رابعاً: السر وراء إلحاح الصهيونية على إبقاء الوعي العام لليهود في حالة تذكر دائم للهولوكوست

إن اليهود وضعوا بين المناهج الدراسية الإسرائيلية منهج يعنى بالطائفة اليهودية التي أُبِدت، كما خصصوا يوم حداد في ٢٧ إبريل من كل عام، واتخذ اليهود من قضية الهولوكوست حائط مبكى آخر، وجعلوا منها سبيلاً؛ للوصول إلى مصالحهم^(٤).

(١) كمبوتشيا الديمقراطية (بالخميرية: កម្ពុជាធិបតេយ្យ)، التي أعلنت رسمياً من ٥ يناير ١٩٧٦، الموصوفة أيضاً باسم نظام الإبادة الجماعية،

هي الدولة الكمبودية تحت الحكم الشمولي الماركسي اللينيني للحزب الواحد الذي كان قائماً بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٧٩ الموسوعة الحرة

(٢) فنكلشتاين، نورمان، كيف صنع اليهود الهولوكوست؟ (المحرقة)، ترجمة ماري شهرستان، صفحات للدراسات والنشر، ص ٧٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٧٨.

(٤) كامل سعفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، ص ٢٩٤

فهذه الإبادة النازية استغلت لتبرير السياسات الإجرامية الإسرائيلية، وتبرير الدعم من الولايات المتحدة لهذه السياسات، ونهضت هذه الحملة كسياسة ابتزازية جنت أموالا خيالية من أوروبا باسم " ضحايا الهولوكوست المحرومين .

والعجيب في الأمر أن النخب اليهودية الأمريكية لم تتذكر الهولوكوست النازية قبل يونيو ١٩٦٧م إلا حين كانت نافعة لها سياسيا ^(١)، وحين أثبتت الهولوكوست فائدتها ؛ عمدت الحركة اليهودية الأمريكية المنظمة إلى استغلالها كصناعة تدفع إسرائيل من خلالها النقد عن كيانها.

فالهولوكوست على حد تعبير الكاتب الإسرائيلي "بواس ايفردن" عملية تلقين دعائية رسمية تمخضت عن شعارات وتصورات زائفة عن العالم، وليس هدفهم الماضي على الإطلاق بل التلاعب بالحاضر، ويرى الكاتب " جايكوب نوزنر " أن أول وأهم ادعاء انبثق من حرب ١٩٦٧ وأصبح شعارا لليهودية الأمريكية هو: أن الهولوكوست فريدة وليس لها نظير في التاريخ الإنساني.

فهناك عقيدتان أساسيتان تعززان إطار الهولوكوست :

١ . يمثل الهولوكوست واقعة فريدة من نوعها

٢ . الهولوكوست هو ذروة كراهية غير اليهود لليهود ^(٢)

فقد استخدمت عقيدة الهولوكوست القائمة على الكراهية الدائمة من قبل غير اليهود ؛ لتبرير ضرورة إقامة دولة يهودية، وتبرير العداء الموجه لإسرائيل

وفي أعقاب الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان عام ١٩٦٦م، والتي بلغت ذروتها في مذبحة قانا كان للصحفي الإسرائيلي آري شافيت رأي يقول: "إن متحف الهولوكوست يجعل إسرائيل تتمتع بالحصانة رغم تصرفاتها". ^(٣)

^(١) فنكلشتاين، نورمان ، كيف صنع اليهود الهولوكوست ؟ (المحرقة) ، ترجمة ماري شهرستان، صفحات للدراسات والنشر ، ص ٥٨

^(٢) المصدر السابق، ص ٧١.

^(٣) المصدر السابق ، ص ١١٥.

ومن أهم أشكال توظيف الإبادة لصالح الصهيونية هو استخدامها كسحابة كثيفة لتبرير الفظائع التي ارتكبتها وترتكبها الدولة الصهيونية ضد الفلسطينيين، كما تُوظَّف الإبادة في جمع التعويضات التي تمول الكيان الاستيطاني الصهيوني (بلغ حجم التعويضات الألمانية وحدها ٦٠ بليوناً من الدولارات) تحت ذرائع عدة مرة تعويض عن أرواح الذين فقدوا، ومرة للتعويض عن ممتلكاتهم^(١)، ومن المعروف أن هذه التعويضات التي تلقتها الدولة الصهيونية انعشت الاقتصاد الإسرائيلي، ومكنت الدولة الصهيونية من شراء المزيد من الأسلحة والمستوطنات والقنابل العنقودية.

خامساً : هل يمكن لأحد أن ينكر محرقة الهولوكوست في بعض بلاد الحرية؟!

إن القوانين الأوروبية وضعت سلفاً مجموعة خطوط حمراء لمبدأ "حرية التعبير" وإنا "إذا تفهمنا أن المساس بسيادة الدولة أو بشخصية الملك من الخطوط الحمراء، فكيف نتفهم أن يكون التشكيك بمحرقة الهولوكوست - خاصة أنها تخضع لمسألة تاريخية صرفة- من الخطوط الحمراء، علماً بأن التشكيك فيها ليست إساءة للدين اليهودي أو المساس بمسألة المعتقدات" ، فالقوانين الغربية تحظر مناقشة تاريخ الهولوكوست، (المذبحة اليهودية المزعومة)، ولا تسمح هنا بالتعددية في الآراء، وقد تمت مطاردة عدة مفكرين غربيين قضائياً، ومنهم من سُجن ؛ لتشكيكهم في صحة وقوع الهولوكوست بالصورة التي يزعم اليهود أنها وقعت بها.^(٢)

ففي شهر أبريل عام ١٩٩٤م أعلنت المحكمة الدستورية الألمانية أن أي محاولة لإنكار حدوث الهولوكوست لا تتمتع بحماية حق حرية التعبير التي يمنحها الدستور الألماني؛ مما دفع البرلمان الألماني أن يضع قانوناً يجرم أي محاولة لإنكار وقوع الهولوكوست، ويوقع بمرتكب هذه الجريمة عقوبة قدرها السجن خمس سنوات^(٣) بصرف النظر عما إذا كان المتحدث يؤمن بما ينكره أم لا.

وفي عام ١٩٩٠م أقر مجلس الشعب الفرنسي قانون فابيوس جيسو الذي يحظر مجرد مناقشة حقيقة وقوع الهولوكوست في الحرب العالمية الثانية.

(١) كامل سغفان اليهود من سراديب الجيتو ، ص ٢٩٤ .

(٢) شحاتة محمد صقر، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، الناشر: دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي ، ص ٣٨ .

(٣) كامل سغفان ، اليهود من سراديب الجيتو إلي مقاصر الفاتيكان ، ص ٣٠٠ .

وجيل السبعينات يذكر قصة البروفيسير روبير فوريسون ، أستاذ الأدب الفرنسي بجامعة ليدن، الذي بحث طويلا مسألة غرف الغاز، وحقق الروايات المختلفة بشأنها على لسان العائدين من معسكرات الاعتقال والمحاربين، وانتهى من بحثه إلى أن مسألة غرف الغاز بدعة غير حقيقية، اصطنعتها مخيلة العائدين الذين أرادوا أن يصوروا للناس أهوال ما رأوا ؛ ولكي يزيّدوا من أهميتهم لدى ذويهم وأمام المجتمع، ولكي يكتسبوا تعاطف الناس.

وما إن جهر الأستاذ الفرنسي بهذا حتى ثارت الدوائر الصهيونية، ولم تهدأ إلا بعد أن فصل من الجامعة، وتم اغتياله أدبيا وأكاديميا^(١)

فالمحرقة النازية سواء حدثت أو لم تحدث ومدى صحة حجمها، فإنها أصبحت مبررا لقمع الحريات والاعتداء ليس على الافراد فقط بل على الدول والمجتمعات إن دوغمانية الهولوكوست تكمن في تلك الهالة المقدسة التي وضع فيها ما تعرض له اليهود على يد النازيين من مبالغة وفراة وتميز واختلاق للعديد من الأحداث والتفاصيل، وعلى الجانب الآخر محاربة أي رؤية نقدية لتلك الصورة النمطية التي تبناها اليهود للهولوكوست، فأى بحث علمي أو تاريخي دقيق لهذه الحادثة يطالب بالحقائق المجردة يعد محرما، ويجب العقاب عليه

وفي نهاية هذا الفصل يتضح أن اليهود إن كانوا قد تميزوا في شيء فهم تميزوا حقا في تحويل الكذب إلى حقيقة بكثرة الترييد والتمثيل والنشر والادعاء والدعاية بالإضافة إلى التنديد بالمخالف لفكرهم وكذبهم ؛ فيتحوّل هذا الكذب إلى دوغمانية غير قابلة للنقاش أو الدحض، وإن كان ليس لديهم على دوغمائيّتهم وكذبهم هذا سند أو برهان حدث ذلك في دوغمانية الكتب المقدسة ودوغمانية الشعب المختار وأرض الميعاد، وأيضا في دوغمانية الهولوكوست كلها أكاذيب تميز اليهود في اعتناقها ونشرها وترسيخها في نفوسهم وجعلوا من ينكرها عدوا لهم وحاقدًا عليهم وعلى ساميتهم وتميزهم الموهوم .

(١) كامل سغفان ، اليهود من سراديب الجيتو إلي مقاصر الفاتيكان، ص ٣٠٠.

الفصل الثاني

أثر الدوغمائية على اليهود

وهذا الفصل يشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول: تفرق اليهود وانقسامهم
- المبحث الثاني : الإنعزالية اليهودية (الجيتو)
- المبحث الثالث : الصهيونية

تمهيد

الدوغمائية طريقة منغلقة في التفكير، ونظرة تسلطية في الحياة، تقوم على عدم تحمل الأفراد والجماعات لغيرهم ممن يختلفون ويتعارضون معهم في المعتقدات الدينية في حين يتسامحون مع الذين يتشابهون معهم في تلك المعتقدات.

وقد تناولت الباحثة في الفصل السابق العقائد الدوغمائية لدي أتباع الديانة اليهودية تلك العقائد التي تمسك بها اليهود بنوع من التزمّت والتعسف الدوغمائي الذي يدحضه المنطق والبرهان، ولا شك أن تعامل اليهود مع هذه العقائد بالتزام دوغمائي قد أتى بتأثيرات مختلفة عليهم في سلوكهم مع بعضهم ومع غيرهم وأدى إلى تغيرات فارقة في تاريخهم ومسار حياتهم، وفي هذا الفصل سوف تتناول الباحثة ما جنته هذه العقائد الدوغمائية على اليهود من عزلة وتقوقع على الذات وفرقة وانقسام، بالإضافة إلى العنف المادي والمعنوي الذي مارسه اليهود من منطلق هذه الدوغمائيات التي خضعوا لها وبلوروا حياتهم على إثرها، سوف تعرض الباحثة هذا من خلال تفرق اليهود وانقسامهم وهل كان لدوغمائية اليهود أثر في انقسام اليهود إلى فرق وحركات وأحزاب متناحرة، وأيضاً من خلال الانعزالية اليهودية (الجيتو) وتوضح العلاقة بين عقائد اليهود الدوغمائية وبين عزلتهم في الجيتو اليهودي، ومدى تأثير هذه العقائد الدوغمائية على هذه العزلة

ومن خلال الصهيونية وتوضيح الرابط بين العقائد الدوغمائية ونشأة الصهيونية وأهدافها، وهل ساعدت الصهيونية على تجميع اليهود وأزالت عنهم العزلة، أم كانت سبباً في مزيد من العزلة، وأنواع جديدة من الانقسامات داخل أتباع الديانة اليهودية .

المبحث الأول

تفرق اليهود وانقسامهم

مدخل

اليهودية يوجد بها الكثير من الفرق التي تختلف الواحدة منها عن الأخرى اختلافات جوهرية وعميقة تمتد إلى العقائد والأصول، فهي في الواقع ليست كالاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى.^(١)

فقد كان للدوغمائيات التي اعتنقها اليهود أثر في انقسام اليهود وتفرقهم إلى فرق مختلفة ؛ نظرا لموقفهم من هذه العقائد الدوغمائية.

فمن الأسباب التي أدت إلى كثرة فرق اليهود الموقف من التلمود ومحلله بالنسبة للتوراة، فبعضهم يعتبره أفضل، وبعضهم يعتبره دون التوراة، بعبارة أخرى كان لدوغمائية الكتب المقدسة أثر واضح في انقسام اليهود إلى عدة فرق متناحرة تتكرر كل منها على الأخرى ما تعتنقه.

هذا بالإضافة لدوغمائية شعب الله المختار، وأرض الميعاد، والنظرة الحلولية من خلال الثالوث الحلولي " الإله، الشعب، الأرض"، بعدما اصطدمت هذه الدوغمائية بواقع القومية المعاصر والانفتاح على الأمم، واقتضاء المصالح اليهودية الاندماج مع الشعوب الأخرى أدى ذلك إلى انقسام اليهود إلى عدة حركات حديثة تختلف فيما بينها في نظرتها لهذه الدوغمائيات الحلولية، الشعب المختار، وأرض الميعاد ؛ فكثر الفرق في اليهودية كثرة بالغة، واختلفت هذه الفرق في مبادئها وأسس حياتها، ونظرتها إلى الكون، وإلى ما وراء الكون وستعرض الباحثة هنا أهم الفرق في اليهودية التي كان لعقائد اليهود الدوغمائية أثر في انقسامها.

السامريون:

وهم طائفة قليلة من اليهود لا تعترف من التوراة إلا بالأسفار الخمسة الأولى المنسوبة إلى النبي موسى عليه السلام، وتعرف هذه الطائفة بالسامرية ؛ نسبة إلى السامرة ؛ وهي مدينة نابلس اليوم^(٢)

والكتاب المقدس عند السامريين هو أسفار موسى الخمسة، ويُضاف إليها أحياناً سفر يشوع بن نون، وهو في عقيدتهم منزل من عند الله، وهم لا يعترفون بأنبياء اليهود ولا بكتب العهد القديم.

(١) المسيري , عبد الوهاب , موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٥، ص ٣١٧.

(٢) رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي ص ٣٥٨ ، وانظر أيضا : ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١، ص ٨٢.

ويظهر أثر الدوغمائية عليهم في العداء السافر بين السامريين واليهود الحاخاميين، إذ يذهب السامريون إلى أن اليهودية الحاخامية هرطقة وانحراف وأن قيادة اليهود الدينية أضافت إلى التوراة وأفسدت النص، ليتفق مع وجهة نظرها^(١) بينما نجد أيضا أن هناك نوع من المغالاة (الدوغمائية) في التصور اليهودي للسامريين يصل إلى حد عدم اعتبارهم يهود، ومنع الزواج المشترك معهم والنظر إليهم على أنهم وثنيون ويقابل السامريون هذا التصور بتصور (دوغمائي) مضاد يعلنون فيه أنهم الممثلون الحقيقيون لإسرائيل.^(٢)

الصدوقيون:

"فرقة دينية وحزب سياسي تعود أصوله إلى قرون عدة سابقة على ظهور المسيح عليه السلام، وهم أعضاء القيادة الكهنوتية المرتبطة بالهيكل وشعائره والمدافعون عن الحلولية اليهودية الوثنية".^(٣)

ويظهر أثر الدوغمائية على الصدوقيين في إنكارهم للبعث والحياة الآخرة، كما ينكرون التعاليم الشفوية للتلمود وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة ويرفضون الأحاديث الشفوية لموسى ومن باب أولى شروح الربانيين، وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه^(٤) كل هذه الأمور قرقتهم عن باقي اليهود وعزلتهم عنهم .

كما يظهر أثر الدوغمائية لديهم في اهتمامهم بالتفسير الحرفي للعهد القديم ورفض كل التجديدات والتشريعات الجديدة التي طورها الفريسيون حيث أنهم اعتبروها من البدع.^(٥)

القراؤون

القراؤون فرقة يهودية أسسها عنان بن داود^(٦) في العراق في القرن الثامن الميلادي وانتشرت أفكارها في كل أنحاء العالم^(٧) وأطلق عليهم أيضا اسم العنانيون نسبة إلى عنان هذا.

(١) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودي، ج ٥ ، ص ٣٢٠ - ٣٢١ ، وانظر : سعود بن عبد العزيز الخلف ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية الناشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م - ص ١٤٣ .

(٢) محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء ، القاهرة ، ط١ : ١٩٩٨ م ، ص ٢٢٠ .

(٣) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٢٣ .

(٤) احمد شلبي ، مقارنة الأديان اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٨ : ١٩٨٨ م ص ٢٢٢ .

(٥) محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٢٥ .

(٦) عنان بن داود (القرن الثامن الميلادي) مؤسس مذهب القرانين، ويُقال إنه كان ابن رأس الجالوت في العراق. وقد درس ابن داود الشريعة، ولكن رؤساء الحلقات التلمودية رفضوا تعيينه مكان أبيه، حسب المصادر اليهودية الحاخامية، فرفض الإذعان لقرارهم ودخل في خلاف حاد معهم عام ٧٦٢م. وحينما ألقي به في السجن بتهمة التمرد، طالب بالإفراج عنه باعتبار أنه ينتمي إلى جماعة دينية مختلفة عن الجماعة اليهودية، فأجيب طلبه. وبعد الإفراج عنه، أسس ابن داود الفرقة الجديدة في الفترة ما بين ٧٦٢ م - ٧٦٧ م والتي كانت تُسمى في بادئ الأمر بـ «العنانية». ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود ، ج ٥ ، ص ٣٣١ .

(٧) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٢٨ .

و أهم ما يتميزون به أنهم يقولون بالاجتهاد، وإمكان رد الخلف أحكام السلف في حال الخطأ^(١)، ومن هذا المنطلق ألغى عنان جميع التشريعات (الدوغمائية) التي قررها الربانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود، وأدخل على كثير من تشريعاتهم تعديلات استمدها من اجتهاده الخاص وفهمه لنصوص كتابهم فالقراؤون لا يعترفون إلا بالعهد القديم، وينكرون التلمود والروايات الأخرى الشفوية .

أما عن أثر الدوغمائية عليهم فقد اشتد الصراع بين القرائين والحاخاميين إلى حد أن كل طائفة منهم كفرت الأخرى، وأعلنت نجاستها وحرمانها من رحمة الإله، وحرموا كل مشاركة دينية أو شعبية من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الأخرى، فلا زال منهم أناس يعدون ببضعة آلاف يسكنون قرب تل أبيب في فلسطين، ويتميزون عن بقية اليهود في أعيادهم ومحاكمهم وأماكن ذبحهم للحيوانات، وقانون الحكومة اليهودية التلمودية الآن يمنع الزواج بين القرائين وغيرهم من اليهود، وهم يعتبرون من أعداء الصهيونية التلمودية، لأن كلاً منهم يكفر الآخر، ويرى ارتداده عن الدين،^(٢) طبقاً لما يقتضيه التفكير الدوغمائي من إنكار الآخر، وادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، فنجد أن القرائين يقولون بأن عقيدتهم هي العقيدة الموسوية الأصلية الصحيحة الخالية من تحريفات الحاخاميين^(٣) ولإسكات القرائين عن مهاجمة اليهودية الحاخامية، وكشف زيفها "استغلت الصهيونية التلمودية الظروف الحربية والسياسية، وتمكنت من اصطیاد بضعة آلاف من القرائين وأدخلتهم إلى إسرائيل، وهم يعيشون هناك كرهائن وكوسيلة للمساومات مع من بقي من القرائين خارج فلسطين، إذ أرغمتهم الصهيونية على التزام الصمت، والكف عن مهاجمتها ؛ حرصاً على حياة أبناء الطائفة في فلسطين وأمنهم"^(٤) كنوع من ممارسات التسلط و الدوغمائية.

الفريسيون:

الفريسيون فرقة دينية وحزب سياسي، و"هم أكثر اليهود عدداً، وهم شيعة الحاخاميم الفقهاء المفترين على الله ، الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصوت، وهذه الطائفة، أي الربانيون أشد اليهود عداوة لغيرهم."^(٥)

(١) انظر : أحمد شلبي، اليهودية، ص ٢٢٣.

(٢) راجع: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ج ٥، ص ٣٣١، و شلبي، اليهودية، ص ٢٢٣، حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، ص ٢٩٩ - ٣٠٠. محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٢٣٢.

(٣) محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية، ص ٢٣٢.

(٤) حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٥) السموال بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ)، إفحام اليهود وقصة إسلام السموال وروياه النبي ﷺ، تقديم، محمد عبد الله الله الشرقاوي، دار الهداية، ط ١ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ١٧٤.

ومن أثر الدوغمائية على الفريسيين أنهم أعلنوا أن للخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون، وأن أقوالهم صادرة عن الله، وأن مخافتهم هي مخافة الله، ومن قولهم في ذلك: "ويلزم المؤمن أن يعتبر أقوال الحاخامات كالشريعة ؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي، فإذا قال الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس، فصدق قوله ولا تجادله ... " وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهد عند الفريسيين، وما الحاجة للاجتهد إذا كان الحاخام مقدساً ومعصوماً؟! وعنده لكل سؤال جواب.

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيون لا يكونون فرقة دينية، وإنما حزبا سياسيا له اتجاهاته الدينية ، تتسم بالتعصب والتشدد^(١) الدوغمائي.

الحسيديم:

فرقة من فرق اليهود متأخرة النشأة، وهي فرقة صوفية منشقة عن الفريسيين التلموديين، فهم يعظمون التلمود ويقبلون أقواله، إلا أن لهم تفسيراتهم الباطنية الخاصة بذلك، وهم يعتمدون في مخالفتهم لبقية اليهود على التأويل الباطني والتوجه الصوفي (القبالة)، ولهذه الفرقة أتباع كثيرون^(٢).

ويتضح أثر الدوغمائية على هذه الفرقة في محاولة المؤسسة الحاخامية القضاء على الحسيدية، فقد أصدر معارضو الحسيدية الذين كان يقال لهم المتجدد^(٣) قرارا بطرد الحسديين من حظيرة الدين، وحرقت كتبهم كلها، وعدم التزواج بهم كنمط لسلوك دوغمائي ينتهج في التعامل مع المخالف في الفكر، ولكن الحسيدية تحدث المؤسسة الحاخامية، وخلخت قبضتها على الجماهير في عدة مجالات من بينها وظيفة الحاخام الذي حل التساديك^(٤) محله^(٥).

انقسام اليهود إلى حركات دينية في العصر الحديث

المقصود بالحركة هو الاتجاه إلى التغيير، فالحركة الدينية إذن هي محاولة لإحداث بعض التعديلات في المفاهيم الدينية ؛ لكي تناسب تفكيراً أيديولوجياً معيناً^(٦)، وإذا نظرنا في طبيعة الحركات الدينية اليهودية لأدركنا أن هذه الحركات الدينية تنقسم إلى عدد من الأنماط تختلف فيما بينها في الشكل والمضمون والجنوح إلى الدوغمائية طبقاً لما تتبناه من مبادئ ومعتقدات ويمكن حصر هذه الأنماط في ثلاث حركات :

(١) أحمد شلبي ، اليهودية ، ص ٢١٩ .

(٢) سعود بن عبد العزيز الخلف ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ط ٤ ، ص ١٤٥ .

(٣) " متجدد " كلمة عبرية معناها " المعارضون " أطلقها الحسديون على أعضاء المؤسسة الحاخامية الذين تصدوا لحركتهم . ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٦٧ .

(٤) "تساديك " كلمة عبرية معناها " الرجل الصالح " أو " الصديق " وتعتبر كلمة " ربي " اسماً آخر للتساديك ومعناها "السيد" والتساديك، حسب التصور الحسدي المتأثر بتصورات القبالة اللورانية، تعبير متطرف عن الرؤية الحلولية اليهودية. فهو أولاً شخص ذو قداسة خاصة يقف في منزلة لا تتلو إلا منزلة الإله، وهو أحد التجليات النورانية العشرة (سفירות) ، أي أنه جزء من الإله. بل هو أحد الغمد التي تستند إليها الدنيا، وهو أساس العالم (يسود) . ومهمة التساديك هي أن يقوم بقيادة جماعته، وأن يربط بينها وبين السماء، فهو قادر على التأمل الصوفي الذي يقربه من الإله ويوحده معه. ينظر : المسيري ، ج ٥ ، ص ٣٥٦ — ٣ .

(٥) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(٦) محمد خليفة، تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٧ .

الإصلاحيون:

الإصلاحيون هم فرقة من الفرق المعاصرة التي تحاول التملص من تشديدات اليهود (الدوغمائية) وتسلب الحاخامات وإذلالهم لبني جنسهم^(١).

وظهور الحركات الإصلاحية في اليهودية يعود إلى أزمة اليهودية الحاخامية أو التلمودية التي ارتبطت بوضع اليهود في أوروبا، فقد فشلت اليهودية كنسق ديني (دوغمائي) في التكيف مع الأوضاع الجديدة التي نشأت في المجتمع الغربي ابتداءً من الثورة التجارية، واستمرت حتى الثورة الصناعية^(٢).

فقد قال صموئيل هولد هايم (١٨٠٦ - ١٨٦٠): "إن العصر الحاضر يقتضي مبدأ صريحاً بينا بأن القانون ، وإن كان إلهياً له السلطة والحق فقط طالما أن أوضاع الحياة التي جاء لمعالجتها مستمرة وعندما تتغير هذه الأوضاع يجب أن ينسخ القانون حتى وإن كان الله صاحبه ومشعره"^(٣)

لكن اليهودية الإصلاحية في محاولتها تطوير اليهودية انتهى بها الأمر إلى أن خلعت النسبية على كل العقائد، ونزعت القداسة عن كل شيء، أي أنها في محاولتها إدخال عنصر النسبية الإنسانية والتهرب من الحلولية سقطت في نسبية تاريخية كاملة (دوغمائية مقلوبة) ؛ بحيث أسقطت كل الشعائر وكل العقائد تقريباً، أي أنها هربت من وحدة الوجود الروحية إلى وحدة الوجود المادية.^(٤)

فجد أن الإصلاحيين عدلوا بعض الأفكار الأساسية في الديانة اليهودية، مثل حذف جميع الإشارات إلى خصوصية الشعب اليهودي من كل طقوس الدين وعقيدته وأخلاقه وآدابه، والتخلي عن الفكرة الحلولية الخاصة بالشعب المختار كلية، كما يؤكد الإصلاحيون أيضاً أن اليهود شُنتوا في أطراف الأرض ؛ ليحققوا رسالتهم بين البشر، وأن النفي وسيلة لتقريبهم من الآخرين، وليس لعزلهم عنهم^(٥) وهذا نوع من الدوغمائية ينفيه واقع اليهود وأسلوب تعاملهم مع غيرهم على مر تاريخهم ، كما أنكروا في اعتقادهم أن يكون "الخلاص" معناه إقامة دولة في فلسطين، وصرفوا النظر عن إعادة بناء هيكل في أورشليم بالذات، وأباحوا اختلاط الجنسيين من المصلين في الهيكل.^(٦)

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط٤ ، ص١٤٧.

(٢) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودي ، ج٥ ، ص٣٧٠.

(٣) الفاروقي ، اسماعيل راجي ، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية مكتبة وهبة ، ص٥٢.

(٤) المسيري ، اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص٣٧٢ - ٣٧٣.

(٥) المصدر السابق، ج٥ ، ص٣٧٣ - ٣٧٤.

(٦) حسن ظاظا ، الفكر الديني ، ص٣١٦.

وردا على هذه المواقف الإصلاحية يقول الحاخام تيكنين كممثل لليهودية الحاخامية : " كل من غير أي أمر أو نهى جاء في التلمود كافر ، خارج عن الدين اليهودي ، لا تقبل له شهادة " (١)

وبناء على هذا الرد تدخلت سلطات اليهود في مدينة بريسلاو ؛ لحسم الخلاف فناشدت حاخامي أوروبا بأن يبعثوا لها أجوبتهم الصريحة عن الأسئلة التالية : "هل التقدم ممكن في الدين اليهودي أم هل هو مكتوب فيه أن لا تغيير ولا تبديل؟ هل الكثيرون من أبنائنا الذين يشكون في صلاحية التشريعات التلمودية لهذا العصر، ويرتأون آراء تختلف عما رآه أسلافنا في القرون السابقة، هل هم يستحقون " اسم يهودي " ، أم هل يجب اعتبارهم مردودين أو كفار ؟، هل اللاهوت اليهودي قابل للدراسة العلمية ، وهل يحتمل الدين البحث الحر ؟ أم هل يجب عدم مس الدين التقليدي مهما ابتعد عن الثقافة المعاصرة أو ناقدها ؟ هل لا يجب بحث هذه الأمور ؟ وهل يحق للحاخام الذي ينشر آراء إيجابية لهذه الأسئلة أن يكون حاخاما ؟" (٢) بمعنى آخر هل اليهودية ديانة دوغمائية أم متسامحة.

وطبعا كان يجيب الاصلاحيون بالإيجاب عن جميع هذه الأسئلة محاولين تدعيم موقفهم، وكانت أشد حاجاتهم إقناع اليهود بأن للربانية الحق في بحث هذه الأمور وتسيير دفة الدين اليهودي كما يقتضي العصر .

ومع ذلك فإن انفصال الإصلاحيين التام عن بقية اليهود لم يأت سوى سنة ١٨٨٥م، حيث عقد مؤتمر في مدينة بيتسبورج، وفي هذا المؤتمر عرض الحاخام كارفان كوهلر قائمة مبادئ ؛ ليتبناها المؤتمر كدستور نهائي لحركة الاصلاح الديني وقد حوت القائمة البنود الثمانية الآتية :

١- أن الكتاب المقدس هو أعظم وثيقة خلقها الانسان

٢- الكتاب المقدس وثيقة سجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه ؛ لتحقيق رسالته ، ككاهن للاله الواحد، وهذا يعني تنازل الإصلاحيين تنازل نهائي عن فكرة الوحي الكلامي.

٣- لا صلاحية ضرورية لأي شيء في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي

٤- لا يقام أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب أو في ملابس وطهارة الكهنة .

٥- تأويل نظرية المسيح المنتظر التقليدية على أنها نظرية الأمل الإنساني العالمي لتحقيق الحق والعدالة والسلام بين البشر جميعا وينطوي هذا على إنكار نظرية الشعب اليهودي.

(١) الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص ٥٤ .

(٢) الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص ٥٤ .

- ٦- الدين اليهودي دين تقدمي يسعى دائماً ؛ لموافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل
- ٧- مع الاحتفاظ بمبدأ أزلية الروح ينكر المؤتمر المبدأ القائل ببعثة الأجساد، وبالعذاب بعد الموت.
- ٨- عملاً بروح التشريع الموسوي (لا بحرفه) يعتبر المؤتمر المساهمة في الواجب الكبير لحل مشاكل العالم الحديث الاجتماعية على ضوء العدالة ، أمراً لازماً على جميع الإصلاحيين^(١).
- ولكن بعد ذلك نجد أن اليهودية الإصلاحية تخلت بالتدريج عن رؤيتها الليبرالية وأخذت في تعديل رؤيتها بشكل يتواءم مع الرؤية الصهيونية، وبالفعل بدأ الإصلاحيون في العودة إلى فكرة القومية اليهودية الصهيونية، وإلى فكرة الأرض المقدسة، فجاء في قرار مؤتمر كولومبوس عام ١٩٣٧م أن فلسطين «أرض مقدسة بذكرياتنا وآمالنا» إلا أن مصدر قداسها ليس العهد بين الشعب والإله وإنما الشعب اليهودي نفسه (وفي هذا اقتراب كبير من اليهودية المحافظة)^(٢).

فهذه الحركة رغم محاولتها الاندماج مع الشعوب الأخرى، وتأويل دوغمائية شعب الله المختار بما يناسب ذلك لكنها لم تستطع التحرر من دوغمائها بشكل كامل وخضعت لفكرة القومية اليهودية ودوغمائية الأرض المقدسة.

ومع ذلك لا تعترف المؤسسة الدينية الأرثوذكسية في إسرائيل باليهودية الإصلاحية، ولا باخاماتها، ولا بالزيجات التي يعقدونها، ولا بمراسم التهود التي يقومون بها، فهم يجعلونها سهلة يسيرة على عكس طقوس التهود الأرثوذكسية وتثار هذه القضية من آونة إلى أخرى، حينما يطرح قانون العودة للنقاش، فهو القانون الذي يتضمن محاولة تعريف الهوية اليهودية إذ تحاول المؤسسة الأرثوذكسية أن تضيف تعديلاً يستبعد اليهود الذين تهودوا على يد الحاخامات الإصلاحيين^(٣) كنوع من الدوغمائية التي تتكرر الآخر، ولا تعترف بنقاط التقاء حتى بين أبناء الدين الواحد.

الأرثوذكسية:

اليهودية الأرثوذكسية فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وتعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية، ومصطلح «أرثوذكس» مصطلح مسيحي يعني «الاعتقاد الصحيح» ، وقد استُخدم لأول مرة في إحدى المجلات الألمانية عام ١٧٩٥م ؛ للإشارة إلى اليهود المتمسكين بالشرعية وقد تزعم الحركة اليهودية الحاخام سمسون هيرش^(٤).

(١) راجع: الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي ، ص ٦١ ، محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٤٤

(٢) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٨٢

(٣) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٨٣.

(٤) سمسون هيرش (١٨٠٨-١٨٨٨) حاخام ألماني، وقائد الحركة اليهودية الأرثوذكسية. تلقى تعليمًا دينيًا كاملاً، ودرس التلمود مع والده، وكان من أوائل الثائرين ضد اليهودية الإصلاحية، أصبح عام ١٨٥١م حاخام الجماعة الأرثوذكسية في فرانكفورت التي عزلت نفسها

واليهود الأرثوذكس يؤمنون بعقيدة الوحي الإلهي، وأن التوراة منزلّة من الإله، ولذا فهي وحدها مصدر الشريعة، وأن قيمها خالدة أزلية تنطبق على كل العصور وعلى الشعب اليهودي اتّباع هذا الكتاب المقدّس إلى أن يأتي وحي جديد، كما نادى الأرثوذكس بعدم التغيير أو التبديل أو التطوير، (كما هي سمة الدوغمائية) لأن عقل الإنسان ضعيف لا يمكنه أن يعلو على ما أرسله الإله، ولأن التطور سيؤدي حتماً باليهودية.^(١)

فالجماعات المتشددة من الأرثوذكس اليهود، وهم يهود شرق أوروبا ترفض كل محاولات التجديد والإصلاح في أي جانب من جوانب الحياة اليهودية، وبخاصة الحياة الدينية.^(٢)

وهناك من الأرثوذكس من يميل نحو تفسير التوراة تفسيراً حرفياً، ومن يؤمن بأن التاريخ الذي ورد فيها تاريخ حقيقي بالمفهوم المادي، ولكن هناك من يرى أن ما ورد في التوراة ليس حقائق تاريخية، وإنما فلسفة تاريخ (ولذا نجد أن هناك من الأرثوذكس من يصر على أن عمر الأرض هو كما ورد في العهد القديم) .

أما فيما يتصل بالأجزاء القانونية (التشريعية) فهناك من الأرثوذكس من يرى أنها تشريعات أزلية ثابتة، ولكن هناك فريق يشير إلى أن التوراة الشفوية نفسها دليل على أن بعض القوانين الدينية ليس أزلياً.

ويعتقد الأرثوذكس اعتقاداً حرفياً بصحة العقائد اليهودية الحلولية، مثل: الإيمان بالعودة الشخصية للمسيح، وبالعودة إلى فلسطين، وبأن اليهود هم الشعب المختار الذي يجب أن يعيش منعزلاً عن الناس ؛ لتحقيق رسالته، وهنا يتضح أثر العقائد الدوغمائية على هذه الحركة، وبسبب قداسة هذا الشعب نجد أن الأرثوذكس يعارضون أية أنشطة تبشيرية، فالاختيار هو نتيجة للحلول الإلهي ومن ثم فهو أمر يُتوارث، ومن هنا، تتمسك اليهودية الأرثوذكسية بالتعريف الحاخامي لليهودي باعتبار أنه من وُلد لأُم يهودية أو تهوّد حسب الشريعة أي على يد حاخام أرثوذكسي.

ويحاول الأرثوذكس (كمجموعة دينية) الانفصال عن بقية الفرق اليهودية الأخرى حتى يمكنهم الحفاظ على جوهر اليهودية الحقيقي دون أن تشوبه شوائب.^(٣)

وهم يشكلون الغالبية العظمى من اليهود، وتجمعهم الأكبر في دولة اليهود في فلسطين، ولا تعترف الدولة اليهودية إلا بالأرثوذكسية، كما أن غالبية أعضاء المجلس الصهيوني من الأرثوذكس.^(١)

عن الجماعة الإصلاحية لأنه كان يرى أنها ستؤدي إلى انحلال اليهودية، وإلى إفراغها من محتواها، وطرح بدلاً من ذلك شعار «التوراة والمعرفة العلمانية» ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٥ ، ص ٣٨٦ .

(١) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ج ٥ ، ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .

(٢) محمد خليفة ، تاريخ الديانة اليهودية ، ص ٢٣٩ .

(٣) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية ، ص ١٥٢-١٥٣ .

المحافظون:

«اليهودية المحافظة» فرقة دينية يهودية حديثة نشأت في الولايات المتحدة، أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كمحاولة من جانب اليهودية للاستجابة لوضع اليهود في العصر الحديث في العالم الجديد.

ورغم أن اليهودية المحافظة رد فعل لليهودية الإصلاحية، فإن ثمة عنصراً مشتركاً أساسياً بينهما، فهما يهدفان إلى حل إشكالية الحلول الإلهي في الشعب اليهودي ومؤسساته القومية، فتحاول كلٌّ من اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة أن تصل إلى صياغة حديثة لليهودية، ولكن الاختلاف بين اليهودية الإصلاحية واليهودية المحافظة، يتبدى في الطريقة التي اتبعتها كل منهما لتحديث اليهودية، فبينما قام الإصلاحيون باتباع النموذج الاندماجي، قام المحافظون بتحديث اليهودية عن طريق تَبْنِي النموذج الشعبي، أي تقديس الفولك وتاريخه وتراثه وأرضه (وهذا هو النموذج النازي).^(٢)

ورغم أن المحافظين كانوا من المؤمنين بأن التوراة أو الشريعة الشفوية خرافة ابتدعتها الحاخامات لكي يضيفوا مسحة من الشرعية على ما أقره الإجماع الشعبي، ورغم أنهم رأوا أيضاً أن التراث الديني اليهودي ليس مرسلاً من الإله فإنهم لم يتخذوا موقفاً نقدياً من التوراة أو التراث اليهودي كما فعل الإصلاحيون لأنهما كلاهما تعبير عن الشعب اليهودي وعبقريته.^(٣)

ولا تعترف المؤسسة الأرثوذكسية المهيمنة في إسرائيل بالحاخامات المحافظين كما لا تعترف بالزيجات التي يعقدونها، أو مراسم الطلاق التي يقيمونها، وعلاوة على ذلك، تحاول المؤسسة الأرثوذكسية أن تعدل قانون العودة فتضيف عبارة «من تهوّد حسب الشريعة» أي على يد حاخام أرثوذكسي، وهو ما يعني استبعاد الحاخامات المحافظين.^(٤)

(١) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية - ص ١٥٠.

(٢) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، ج ٥، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٩٢.

(٤) المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٩٩.

إن انقسام اليهود إلى فرق وجماعات وحركات مختلفة كان أثرا للدوغمائية التي شكلت جزءا من التعصب والعنف بين الجماعات الدينية، إذ أن هذه الدوغمائية من سماتها جعل الأفراد متشددين دينيا، يرون جماعتهم بمنزلة أفضل وأقوى من الجماعات الأخرى ؛ مما يحفزهم ذلك على الشعور بالعداوة والكراهية والتنافس الديني والمذهبي، وتمنحهم مبررات غير منطقية نحو القيام بأعمال العنف ونبذ الأفراد الذين يختلفون معهم بالرأي، وهذا ما أكده عالم النفس أدرونو وزملاؤه بأن الدوغمائية توفر القاعدة المعرفية لظهور النزاع والتخالف مع أبناء الجماعات الدينية الأخرى، وتدفع الأفراد نحو إعلان القطيعة والمعاداة لهم^(١) كذلك تؤدي الدوغمائية بالأفراد إلى تقييم الجماعات المستهدفة بصورة عدائية في ضوء التعبير عن ألفاظ الكراهية والصور الانفعالية الغاضبة والصريحة، التي تعلن عن مدى رفضهم وامتعاضهم لها.^(٢)

^(١) Adorno et.al, T., Frenkel-Brunswik, E., Levinson, D., & Sanford, N. (١٩٥٠). The authoritarian personality. New York: Harper, p.١٤
^(٢) Allport , G., & Rose, M., (١٩٦٧): “Personal Religious Orientation and Prejudice”, J. Pers. Soc. Psychol., ٥, ٤٤٣-٤٣٢, p. ٤٨,

المبحث الثاني

الانعزالية اليهودية والجيتو

مدخل

إن علاقة الأفكار الدينية، _وأية أفكار_ بسلوك الإنسان ليست علاقة سببية بسيطة، فالأفكار لا تحدد سلوك الإنسان أبداً ولكنها تخلق لديه استعداداً كامناً أو قابلية ؛ ليسلك سلوكاً معيناً، ويبتعد عن أنماط معينة من السلوك، كما أنه من الصعب بمكان تحديد ما إذا كانت فكرة مثل فكرة الشعب المختار هي التي أدت إلى عزلة اليهود، أو أن الفكرة هي نتيجة هذه العزلة، أو أن العلاقة هي علاقة تأثير وتأثر، وما مدى التأثير وما عمق التأثير، ولكن الذي يبدو جلياً أنه توجد علاقة تأثير واضحة بين الأمرين، فقد كان للعقيدة " الدوغمائية" الشعب المختار وكذلك كثرة الشعائر الدينية، أثر كبير في تشجيع اليهود على العزلة وقد وصل هذا الاتجاه في النسق الديني اليهودي إلى ذروته في القَبَّالاه اللوريانية الدينية ؛ حيث تُطرح فكرة أن اليهود خُلِقوا من طينة مغايرة للطينة التي خُلِق منها البشر، وفي هذا المبحث سوف تعرض الباحثة الانعزالية اليهودية والجيتو كآثار نتجت عن المظاهر الدوغمائية التي وجدت عند اليهود.

أولاً : الانعزالية اليهودية

«الانعزالية اليهودية» عبارة تفترض أن اليهود يعيشون في حالة عزلة عن الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، وهي من أبرز آثار جوانب النسق (الدوغمائي) الديني اليهودي^(١).

وجذور التوجهات الانعزالية ترجع إلي مصادر التفكير الديني اليهودي، التي هي أولى مظاهر الدوغمائية عند اليهود، فهذه المصادر الدينية هي التي حددت طابع توجهات اليهود نحو الآخر كأفراد وكأمم وشعوب، فالتلمود المتداول يحرض بشكل صريح اليهود على عدم الاختلاط بالآخرين والعيش في معزل عنهم، واعتمد التلمود في ذلك على تكريس مشاعر الازدراء والاستعلاء تجاه الآخر، والتشديد على "فرادة" الديانة اليهودية والطابع الخاص لأتباعها الذي يختلف عن طابع معتنقي الأديان الأخرى، وكل ذلك من خصائص التفكير الدوغمائي .

(١) ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٢ الجماعات اليهودية إشكاليات ص ٦٦.

ولعل الذي كرس هذا النمط من التعامل حقيقة أن المصادر الدينية اليهودية "الدوغمائية" لا تعترف بالأديان الأخرى، فمعتقدو هذه الأديان هم مجرد "وثنيين" فينقل كتاب "الزواهر" الذي فسر جزءاً من التلمود على لسان أحد الحاخامات قوله: " منذ وجودهم إذن والناس الوثنيون يوسخون العالم لان أرواحهم تحدت من الشق النجس" (١)

ف نجد أن دوغمائية شعب الله المختار، وادعاء "فرادة" العرق اليهودي وربط هذا العرق بالله كرس النظرة الاستعمارية تجاه الآخر، وعزز التوجه الانعزالي، فلم تقتصر النظرة السلبية للآخر على الجانب النظري فقط بل أن سلوك اليهود المتدينين تجاه غير اليهود في الواقع العملي يعتمد بشكل أساسي على النظرية السلبية المغالية في انعزاليته. (٢) ولعل أوضح مثال على ذلك حياة الجيتو التي كان يحياها اليهود منذ القديم وحتى الآن.

ثانياً : الجيتو

الجيتو: هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوروبا، ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية (٣) وتوجه اليهود إلى الانعزال داخل أسوار الجيتو والانغلاق على الذات كان عاملاً من عوامل زيادة السمات الدوغمائية في سلوك اليهود وأفكارهم، ومن ذلك ازدواج المعايير الأخلاقية "فعضو هذه الجماعة يدخل في علاقة نفعية مادية رشيدة تعاقدية باردة مع أعضاء مجتمع الأغلبية، ويدخل في علاقة حميمة دافئة مع أعضاء جماعته وهو يرى مجتمع الأغلبية على أنه مجتمعاً مباحاً لا حرمة له، ولكن رؤيته هذه تُناقض تماماً رؤيته لأعضاء جماعته، إذ يراها جماعة لها قداستها وحرمتها ولذا فهو يراعي حرمتها ويؤثرها على نفسه" (٤)

لذلك كانت علاقة اليهودي بعالم الأغيار علاقة موضوعية مجردة، فهذا العالم كان يمثل بالنسبة إليه قيمة استعمالية وحسب، ومن ثم فهو عالم خال من الحب والعواطف والطمأنينة والأمن ؛ أما في داخل الجيتو فهو يجد كل ما كان يفتقده فكان اليهودي يتلقى داخل الجيتو التأكيدات بأنه ينتمي إلى الشعب المقدس والشعب المختار، وأن الجيتو ليس إلا وجوداً مؤقتاً، يحفظ فيه الإله الأمة وروحها إلى أن يحين الحين، ويشاء إعادة شعبه إلى أرضه المقدسة.

(١) الأب آي . بي . برانانيس ، فضح التلمود تعاليم الحاخاميين السرية ، ص ٩٧ .

(٢) ينظر : النعامي ، صالح محمد ، في قبضة الحاخامات ، ص ٤٦٦ - ٤٦٧ .

(٣) ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٤ الجماعات اليهودية تواريخ ص ٢٨٨ .

(٤) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

ومما عمّق هذه الأفكار أن التراث القبّالي الحلولي ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي، وضع اليهود في موضع مركز العالم، فكان اليهودي يعلم أنه حينما يمتنع عن العمل يوم السبت فإنه يُعجّل في واقع الأمر بمقدم الماشيخ ليخلص العالم ويسود الشعب اليهودي، بل تصبح كل المعاناة والآلام التي يتحملها اليهودي خارج الجيتو من علامات الاختيار والتميز، وكلما زاد الاضطهاد زادت الساعة اقتراباً.^(١)

وتبعاً لتلك المعتقدات الدوغمانية كان معظم أعضاء الجماعات اليهودية من يهود شرق أوروبا معزولين عن الثقافة العامة، لا يدرسون إلا التوراة والتلمود والمدراش^(٢)، ولا يقتربون البتة من تاريخ الأغيار، إذ كان كل ما يعنيه هو تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدّسة.

وقد لخص ديفيد فرايدلندر المقدّرات الفكرية لطالب المدرسة التلمودية العليا، أو مثقف الجيتو في القرن التاسع عشر الميلادي على النحو التالي: كان في إمكان مثل هذا الطالب أن يفتي إن كان من الواجب رجم أو حرق ابنة الحاخام الزانية ولكنه في الوقت نفسه كان لا يعلم شيئاً عن تاريخ البلد الذي يعيش فيه .

كما كان جهل الحاخامات، وهم القيادة الثقافية للجماعة، مزيماً جداً، إذ كانوا لا يعرفون أكثر من أن اتجاه القدس هو نحو الشرق وحسب، كما ورد في بعض الكتب الدينية ؛ ولذا كان حاخامات بولندا يخطئون في تحديد اتجاه القدس فيتجهون شرقاً ؛ وكانت القدس _ في الواقع _ تقع نحو الجنوب (بالنسبة إلى موقعهم) ، وحينما نُشر أول كتاب في الجغرافيا بالعبرية عام ١٨٠٣م، اشتكى المؤلف من أن كثيراً من الحاخامات لا يزالون ينكرون وجود أمريكا^(٣).

وهذا الإنكار نابع من أن " كل ما هو خارج طوق الدوغمانية - عقائد اليهودي ومقدساته - يقع خارج نطاق العقل ولا داعي للتفكير فيه، أو هو غير موجود بالنسبة له^(٤) " ، واكتفاء اليهودي الدوغمائي بما لديه من أفكار يعتبرها حقائق مطلقة، همه تثبيتها وتكريسها وحمايتها واجترارها هي سمات الدوغمانية داخل أسوار الجيتو اليهودي.

(١) المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٢) المدراش : منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض آياته وكلماته، والتوسع في تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع في الإضافات والتعليقات، وصولاً إلى المعاني الخفية التي قد تصل إلى سبعين أحياناً. وهناك قواعد مدراشية للوصول إلى هذه المعاني. ومثل هذه المعاني الخفية، تُذكر دائماً مقابل الـ «بيشات» أي «التفسير الحرفي» . وهناك كتباً لا تتضمن سوى الأحكام والدراسات والتفسيرات المدراشية المختلفة، ويُطلق عليها أيضاً اسم «مدراش» ، ينظر : المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٥ ، ص ١٤٣ .

(٣) المسير ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٤) طاهر، ميسرة ، ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغماني ، الجمعة ٢٧/٣/٢٠١٥م الموافق ١٤٣٦/٦/٧هـ

وإمعانا في العزلة كان أعضاء الجماعات اليهودية وغيرهم من الجماعات يرتدون زياً خاصاً لتمييزهم عن بقية السكان، وكانت هذه الأردية والعلامات المميّزة تشبه أسوار الجيتو التي تعزل أعضاء الجماعة اليهودية.^(١) ثم إن توجه اليهود إلى الانعزالية، والحذر من الاحتكاك والحوار مع الشعوب الأخرى، نخلص منه إلى أن مجتمعا كالمجتمع اليهودي والإسرائيلي لا يمكن أن يقبل بالحوار؛ لاعتقاده الديني بأنه صفوة البشر التي اختارها الإله، وأعطاهما العهد، وبشرها بالخلاص، وخصها بالطهارة والفضل، وأن غيره "أغيار أغراب" لا تنبغي مخالطتهم، ولا العيش معهم لتدنيهم ودنسهم؛ الأمر الذي فرض أن يقام الحي اليهودي الخالص (الجيتو) في المدن الأوروبية خلال القرون الوسطى والذي شجعتة الصهيونية في العصر الحديث؛ بل على أساس من فكرته، وتذمرا من واقعه كان البحث عن وطن بديل، وكانت فلسطين أرض الميعاد والخلاص.^(٢)

فقد كان كثير من الصهاينة يتصورون أن سقوط الجيتو سيتسبب في اختفاء اليهودية؛ لأن وجودها حسب هذه الرؤية مرتبط عضوياً بالعزلة، وبالتالي فلا بد أن يتعارض مع ظروف الإعتاق والاندماج. وبالفعل واجه كثير من اليهود صعوبة في التكيف مع الأوضاع الجديدة. ولذا طالب الصهاينة بإنشاء دولة/جيتو يمكن أن يمارس اليهود فيها شعائريهم وأن يحيوا حياتهم الثقافية والحضارية والقومية دون تدخّل من الأغيار.^(٣)

فمن الواضح أن سيطرة العقيدة المشيخانية على العقلية اليهودية والموقف العنصري تجاه الأغيار كانا من أهم العوامل التي أقامت سياجاً منيعاً في النفسية اليهودية حال بينها وبين غيرها، قد ترجم إلى واقع مادي في صورة ما عرف باسم (الجيتو)^(٤)

"وإن أوضح وأعمق الدلائل على التوجهات الانعزالية لليهودية حقيقة أنها تكاد تكون الديانة الوحيدة التي ترفض انتقال غير اليهود إليها ولم تبدأ المرجعيات الدينية اليهودية بعض المرونة في الموافقة على تحول غير اليهود إلى اليهودية إلا بعد الإعلان عن إسرائيل؛ حيث كانت هناك حاجة إلي زيادة النقل الديموغرافي لليهود في أرض فلسطين".^(٥)

(١) ينظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٢، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.
(٢) يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجزء - الممارسة - سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر، ط ٣: ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ج ٤ ص ٦١ - ٦٢.

(٣) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٢، ص ٢٩٠.
(٤) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، وجهة العالم الإسلامي - الجزء الثاني (المسألة اليهودية)، مكتبة الأسد - آفاق معرفة متجددة، ط ١: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٦١.

(٥) النعماني، في قبضة الخاخامات، ص ٤٧٠.

"وتعتبر التيارات الحردية حاليا أكثر الاتجاهات الدينية تحمسا للانعزال بفعل التراث الديني، فجوهر الفكر الديني الحريدي يقوم على الاعتقاد بأن هناك هوة سحيقة فاصلة بين اليهود وغيرهم ، وهذا يفسر عدم استعداد من يسمون بـ "حمائم " التيار الحريدي التحالف حتى مع قوى اليسار الإسرائيلي لأنهم يفترضون أن قوى اليسار أكثر انفتاحا على غير اليهود" (١)

وهكذا كانت عزلة اليهود وتمسكهم بالجيتو أثرًا من آثار الدوغماتيات التي اعتنقوها، وساروا على هداها في سلوكهم وتعاملهم مع غيرهم وفي نظام حياتهم ككل.

(١) النعامي ، في قبضة الحاخامات، ص ٧٢

المبحث الثالث

الصهيونية

مدخل

إن الدعوة الربانية السمحة التي كان يدعو بها أنبياء بني إسرائيل حتى وهم منفيون تحت غضبة الله عليهم في أرض بابل إنما تدل على الأصالة في المعتقد الديني ؛ فيخاطبهم نبيهم إرميا بقلوله: " أبناو بيوتا، واسكنوا واغرسوا جنات وكلوا ثمارها وخذوا نساء ولدوا بنين وبنات، وخذوا لبنينكم نساء وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات، وأكثروا ولا تقلوا واطلبوا سلام المدينة التي سيبتكم إليها وصلوا لأجلها إلى ؛ الرب لأنه بسلامها يكون لكم سلام "(١) ولم يوجه الأنبياء العبرانيون: عاموس وإرميا، وميخا، وإشعيا، وإيليا اهتمامهم أبدا لاستعادة السلطة الزمنية ، وإنما حصروا هذا الاهتمام في دفع الظلم عن بني قومهم وحثهم على عبادة الله ؛ فاليهودية كدين غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة، أو جنس أو لغة(٢).

هذا أصل الديانة اليهودية قبل أن تتحرف كتبها، وتتخللها الأساطير الدوغمائية التي كان لها أثر كبير في نشأة الصهيونية وتطورها ؛ وفي هذا المبحث سوف توضح الباحثة مفهوم الصهيونية، والجذور التاريخية للفكرة الصهيونية، وأهم الركائز الدوغمائية التي ارتكزت عليها، وعوامل انتشارها وتطورها والمسارات الدوغمائية التي سلكتها الصهيونية كأثر من الآثار الدوغمائية التي اعتنقها اليهود .

مفهوم الصهيونية

الصهيونية لغة : كلمة اشتقت من لفظ " صهيون " الذي جاء ذكره أول مرة في التوراة، ثم تكرر ذكره فيما بعد في الأسفار اليهودية (٣) فقد ذكر في أسفار العهد القديم أكثر من مائة مرة، وهو اسم جبل أو رابية في فلسطين ، بجانب مدينة القدس "أورشليم " وكان اليبوسيون (وهم من الكنعانيين) قد أقاموا عليها حصنا قبل موسى عليه السلام بألفي سنة.(٤)

اصطلاحاً: يتركز مفهوم الصهيونية بمعناها الخاص " في الاعتقاد بضرورة تكوين مجتمع يهودي يحكم نفسه بنفسه في فلسطين، وتحقيق أمل اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة"، والصهيونية بمعناها العام " حركة سياسية تستمد أصولها من الفكر الصهيوني النابع من عقائد التوراة وشرائع التلمود، كما تستمد حيويتها من ارتباط الفكر

(١) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر أرميا (الاصحاح ٢٩ ، فقرة : ٥ - ٨)

(٢) إبراهيم خليل أحمد ، إسرائيل فتنة الأجيال ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) من هذه النصوص : " أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي " العهد القديم ، المزمير (مزمور ٢ ، فقرة : ٦) ولمزيد من النصوص ينظر : عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، ص ١٥٦-١٥٧ .

(٤) رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي ، ص ٩٧ .

اليهودي بعقائد دينية ثابتة في أذهانهم " ومن ثم أصبحت الصهيونية حركة سياسية واضحة المعالم تقوم - كغيرها من الحركات السياسية على أيديولوجية ثابتة، ومع أنها تنسب إلى تيودر هرتز، وجماعات القرن التاسع عشر، فإنها ترجع إلى بداية عصر الشتات اليهودي: Diaspora ؛ حيث تتحدث أسفارهم عن عودة المطرودين المنفيين إلى بابل على يد بختنصر بعد تقويض مملكة إسرائيل عام ٧٢١ ق. م^(١).

جذور فكرة الصهيونية وتاريخها

إن الصهيونية كحركة يهودية لها مقدمات تاريخية، وأصول أيديولوجية سابقة عليها، ففي أسفار التوراة المحرفة دعوة إلى العودة إلى أرض الميعاد كفرض من فرائض العقيدة اليهودية، وكذلك التلمود يؤكد بشكل أشد من التوراة على قدسية فلسطين، وضرورة العودة إليها، فالتلمود يتجه باليهود إلى عنصرية مفرطة ، وأنهم شعب الله المختار، ويسمح بالالتجاء إلى أخس الأساليب لتحقيق أهداف اليهود باستغلال الأغيار والسيطرة على العالم، والعودة إلى أرض الميعاد فلسطين^(٢)

فيتضح أن الصهيونية العالمية نشأت كأثر للدوغمانيات التي تخللت في الفكر اليهودي، وأنها ليست حركة حديثة النشأة، بل لها جذور تاريخية فكرية وسياسية تظهر فيما يلي:ـ

١- حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي ٥٨٦ - ٥٣٨ قبل الميلاد، والتي كان من وأول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان، ثم ظهرت حركات أخرى على فترات متباعدة في التاريخ منها حركة باركوخبا (ابن الكوكب) (١١٧ - ١٣٨) وحركة موزس الكريتي، ثم أعقب ذلك مرحلة من الركود في النشاط الصهيوني إلى أن ظهرت حركة دافيد روبين وتلميذه سولومون مولوخ (١٥٠١ - ١٥٣٢م)، وحركة منشة بن إسرائيل (١٦٠٤ - ١٦٥٧م) ، وحركة شبتاي ليفي (١٦١٦ - ١٦٧٦م) وكانت من أشد الحركات الصهيونية عنفا وتعصبا

٢- نشاط اليهود واجتماع المجلس الأعلى (سونهديرين) بناء على دعوة نابليون سنة ١٨٠٦م لإثارة أطماعهم وتحريضهم على مساندتهم في احتلال الشرق العربي واعداء إياهم بمنحهم فلسطين .

٣- ظهور مصطلح الصهيونية Zionism لأول مرة على يد الكاتب الألماني ناثن برنباوم عام ١٨٩٣م.

(١) عمر رشدي ، الصهيونية ورببيتها اسرائيل ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٢ : ١٩٦٥م ، ص ٢٢ .

(٢) رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي ، ص ٤٩٨ .

٤- في عام ١٨٨٢م ظهرت في روسيا لأول مرة حركة عرفت باسم (حب صهيون)، وكان أنصارها يتجمعون في حلقات اسمها (أحباء صهيون)، وقد تم الاعتراف بهذه الجماعات في عام ١٨٩٠م تحت اسم " جمعية مساعدة الصناع والمزارعين اليهود في سوريا وفلسطين" وترأسها ليون بنسكر واستهدفت الجماعة تشجيع الهجرة إلى فلسطين وإحياء اللغة العبرية.^(١)

٥- الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل^(٢) حيث أقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي عام ١٨٩٧م، وقد علق عليه بقوله: " لو طلب إليّ تلخيص أعمال المؤتمر فإني أقول بل أنادي على مسمع من الجميع إنني قد أسست الدولة اليهودية " (٣) وقد نجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ العالم وهي بروتوكولات حكماء صهيون المستمدة من تعاليم كتب اليهود المحرفة التي يقدسونها.

الركائز الدوغمانية لحركة الصهيونية العالمية

بدراسة الحركة الصهيونية العالمية ومخططاتها تمت ملاحظة أنها تقوم على اعتقاد الصهاينة بثلاث ركائز دوغمانية أساسية، يبنون عليها فلسفتهم:

أولاً: الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض فلسطين باعتبارها أرض الميعاد التي وعد الرب بها شعبه المختار من بني إسرائيل لتكون لهم ملكاً ووطناً، وتربط الصهاينة بصهيون وهذه ركيزة دوغمانية لا تعكس الحقيقة؛ فالعرب الكنعانيون كان لهم الأسبقية للاستقرار والسكن بفلسطين، وهم بها قبل اليهود منذ دهور طويلة من غابر الأزمان، غير أنه قد مرت هذه الأرض بفترات غزو وخضوع لمحتلين بحكم موقعها، وربطها بين الحضارات القديمة، وقد أتاها اليهود كغيرهم غزاة، ونزحوا إليها عابرين، وأقاموا بها فترة من الزمن وأسسوا مملكتين زالتا كما زال غيرهما، ولم تعمرا لزمن طويل، كذلك جاء الفرس والروم والصليبيون وغيرهم، ولم يدم بها مقام سوى لأهلها الأصليين وهم العرب الفلسطينيين، وقد بقيت فلسطين للعرب الذين سكنوها حتى يومنا الحاضر؛ لذا فحق اليهود فيها حق دوغمائي ليس له أي صحة، ولا يقوم عليه دليل، وهو ادعاء مبني على حنين إلى سراب في خيالهم، فهم يحاولون التدليس وإلباس هذا الخيال ثوب الشرعية، ولن يفلحوا لأن زيفهم سينكشف عاجلاً أو لاحقاً.

(١) ينظر : رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي ، ص ٥١٧.

(٢) هرتزل: (١٨٦٠-١٩٠٤) هو مؤسس الحركة الصهيونية. وضع نهاية للصهيونية التسللية وجهودها الطفولية، ونجح في تطوير الخطاب الصهيوني المراءوغ، كما نجح في إبرام العقد الصهيوني الصامت بين العالم الغربي والمنظمة الصهيونية باعتبارها ممثلاً غير منتخب لليهود العالم، وهو ما جعل توقيع وعد بلفور؛ أهم حدث في تاريخ الصهيونية، ممكناً. وقد خرجت كل الاتجاهات الصهيونية من تحت عبايته أو من ثنايا خطابه المراءوغ.

(٣) راجع : عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، دار القلم، ١٩٦٤م، ص ١٥٧-١٦٣، وأيضاً الدسوقي، محمد كمال، الصهيونية والنازية، دراسة مقارنة، مصر، ١٩٦٨م، ص ٧٠-٧١ والتغلبى سهيل، الصهيونية تحرف الإنجيل، مجموعة مهتدون، ١٩٩٩م، ص ٨.

ثانياً: أن اليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل واحد مرجعه إلى فلسطين، ومن ثم يعتبر جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية، وتلك دوغمائية أخرى ذلك أنه من ناحية انتماء اليهود في شتى أنحاء العالم إلى أصل واحد فإن هذه مغالطة بينة وواضحة، حيث إن إسرائيل وسكانها الحاليين لا يمثلون اليهود الذين يرجعون إلى أصل عبراني قديم ممن ينتمون إلى أسباط إسرائيل، ومن ثم فإن اعتبار جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة، وهي الجنسية الإسرائيلية؛ هو كلام هراء ليس له أي قيمة تاريخية أو علمية، بالتالي فإن اليهود ليسوا شعباً، بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس يشتركون في دين واحد، وهذا هو كل ما يجمعهم.

ثالثاً: أن الأرض الموعودة أو أرض الميعاد التي وعد بها إله إسرائيل الشعب الذي جعله شعبه المختار؛ لتكون لهم وطناً وملكاً أبدياً هي فلسطين، وما حولها من أراض تمتد من الفرات إلى النيل. وأن الرب قد تعهد بأن يرقى بذرية إسرائيل في النهاية إلى السيادة على العالم، فهم شعبه المختار الأثير لديه على كل بني البشر^(١)، ولذلك ستكون فلسطين قاعدة إمبراطورية اليهودية العالمية المنشودة وهذا كلام دوغمائي لا يستقيم أمام النقد، ولا يملكون برهان على صحته فيما يختص بالوعود الإلهية لهم بالأرض الموعودة التي يزعمونها، ووعد إله اليهود بأن تكون إسرائيل قاعدة للإمبراطورية اليهودية العالمية المنشودة، فهو ضرب من الخيال، وكلام غير منطقي، وقد فندت الباحثة الرد عليه في مبحث دوغمائية أرض الميعاد.

عوامل انتشار الصهيونية وتطورها

يرجع تاريخ ظهور الصهيونية السياسية اليهودية كأيديولوجية لكسب التأييد الدولي من أجل إقامة دولة يهودية في فلسطين إلى عام ١٨٩٦م حين نشر هرتزل كتابه " الدولة اليهودية "، وقد قويت الصهيونية عندما وافق المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقده هرتزل عام ١٨٩٧م على برنامج بازل الذي يدعو إلى وطن قومي آمن ومُعترف به قانونياً لليهود في فلسطين^(٢)، ولكن الفكرة الصهيونية تعود في تاريخها إلي ما قبل مؤتمر بازل بكثير، فالأساطير الصهيونية بدأ غرسها في مرحلة مبكرة في البيئة غير اليهودية، وقد كانت متوافقة مع تلك التي أصبحت تشكل في النهاية المنطلق الروحي الباطني للصهيونية اليهودية السياسية، وهي أساطير الشعب المختار، وأسطورة الميثاق التي تركز على الارتباط السرمدي الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وعودة المسيح المنتظر التي كفلت للشعب المختار أن يضع حداً لتشرده^(٣).

(١) راجع: عمر رشدي، الصهيونية ورببيتها إسرائيل، ص ٢٦-٣٤، و التغلبي، سهيل الصهيونية تحرف الإنجيل، ص ١٤-١٧.
(٢) رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله عبد العزيز، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٥م، ص ٨.
(٣) المصدر السابق ص ٢٤، ٢٥.

فالواقع أن هناك عوامل عديدة قد ساعدت في نشر الفكرة الصهيونية في الوعي القومي اليهودي الموجه نحو فلسطين، منها ما يرجع إلى ما قبل عقد المؤتمر الصهيوني الأول بثلاثة قرون وهذه العوامل هي ما يأتي :

أولاً: الجيتو

ذلك أن انعزال اليهود هذه القرون الطويلة في الجيتو هيأ لهم رغم أنفسهم _وبسبب حرمانهم من أي ثقافة أوربية_ أن يظلوا شديدي الالتصاق بالمعبد والتوراة والتلمود والكاهن والحاخام ولم يكن ذلك إلا معسكراً تدريبياً اختمر فيه التعصب اليهودي والانكماش العنصري ، وتحولت فيه مركبات النقص وعقد الضعف إلى ألوان من جنون العظمة، وخيالات السيطرة الشاملة على العالم^(١) فهذه المساكن الضيقة والنقاشات الحادة في أسلوب الخلاص ؛ أنتجت أولئك الصهاينة الذين حملوا لواء الدولة اليهودية وهم الذين رفضوا الاندماج بالمجتمعات الغربية، فهم لا يطبقون غير حياة الجيتو، وهو ما أصبح يعرف اليوم بدولة إسرائيل المزعومة التي لا يطبقون أن يشاركون فيها أحد^(٢)

ثانياً : حركة الإصلاح الديني

لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين ، ولا لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية وكان القساوسة الأوائل يرفضون التفسير الحرفي للتوراة، فلم تكن أوربا قبل عهد الإصلاح الديني تعتبر اليهود الشعب المختار الذي قدر له أن يعود للأرض المقدسة، لكن المبادئ البروتستانتية التي وضعتها حركة الإصلاح الديني في القرن السادس عشر كانت مغايرة تماماً للمبادئ الكاثوليكية السابقة، فحركة الإصلاح الديني روجت لفكرة أن اليهود أمة مفضلة، وأكدت على عودتهم إلى أرض فلسطين، وساد الاعتقاد بين البروتستانتين أن اليهود المشتتين حالياً سيجمعون من جديد في فلسطين ؛ للإعداد لعودة المسيح المنتظر، وقد ساهم المناخ الديني الجديد في ظهور مثل هذه الأفكار الصهيونية التي ترعرعت في بيئة مشبعة بروح العهد القديم^(٣)، فتلك المبادئ التي تبنتها حركة الإصلاح الديني ساهمت في تلقي المجتمعات الأوربية للأفكار الصهيونية بالترحيب والقبول والدعم، مما عزز من تطور الحركة الصهيونية وتحقيقها لأهدافها

(١) حسن ظاظا وآخرون ، الصهيونية العالمية وإسرائيل، الهيئة العامة للكتب والأجهزة لعلمية ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٦٠.

(٢) عطا الله بخيت حماد المعاينة ، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ، ص ١٨٧.

(٣) رجينا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي ، ص ٢٦-٣١.

ثالثاً: القبالة

تعتبر الصهيونية وريثة التراث القبّالي في بنيتها، فالصهيونية تحولت إلى مشيحانية نشيطة (بدون ماشيخ)، إذ يؤكد الصهاينة عملية خلاص الشعب اليهودي الذي يأخذ شكل عودة إلى صهيون دون انتظار الماشيخ (أي شكل التعجيل بالنهاية)، والصهيونية _ في نهاية الأمر _ هي التعبير عن الطبقة الحلولية داخل التركيب الجيولوجي التراكمي اليهودي، وهي طبقة عبّرت عن نفسها في بداية الأمر من خلال رؤية حلولية تبشر بالخلاص القومي وترابط الثالوث الحلولي (الإله والشعب والأرض) ثم توارت قليلاً نتيجة القضاء على السلطة المركزية اليهودية، فعبرت عن نفسها بشكل فردي من خلال القبّالاه (التأملية والعملية)، وهي تعود إلى سابق عهدها في العصر الحديث، حيث يصبح الخلاص مرة أخرى خلاصاً قومياً، فالأيديولوجيا الصهيونية تستعيد تدأخل النسبي والمطلق، وتؤكد ارتباط الشعب بالأرض نتيجة الحلول الإلهي أو سريان روحه المقدسة، والقبّالة العملية هي الاستيلاء على الأرض، ونقل اليهود إلى فلسطين (ونقل العرب منها)؛ فتصبح الدولة الهيكل الذي يتعبد فيه الصهاينة ويهود العالم ويقدمون له القرابين (فهي استعادة للعبادة القربانية المركزية)^(١)

ولقد تأثر كثير من المفكرين الصهاينة بالفكر القبّالي، ومن أهمهم الحاخام أبراهام كوك^(٢) الذي توصّل إلى صيغة صهيونية ليست قومية دينية وحسب وإنما صيغة صهيونية قومية عضوية حلولية، لا تقنع فقط بالرؤية التقليدية التي ترى أن الإله قد يجعل اليهود محط عنايته الخاصة بل تؤكد كذلك أن الإله يحل فيهم كجماعة حتى يشكّل هو والشعب والأرض ثالثاً حلولياً صهيونياً^(٣).

رابعاً: اللاسامية

يعني الغربيون باللاسامية ما كان يلقاه يهود أوروبا من كراهية من جانب المجتمع الأوروبي الذي كانوا يعيشون فيه، وما أدت إليه هذه الكراهية من احتقار واضطهاد اليهود^(٤)، فلم يكن كثير من غير اليهود من ذوي النفوذ الذين يؤيدون الصهيونية مدفوعين لذلك نتيجة حبهم للسامية، بل كان ذلك لإيجاد المبرر لإبعادهم إلي "حيث ينتسبون"، أو لعدم السماح لهم بدخول دولهم، فالخلاف نظري بين الصهيونية واللاسامية، حيث أن وجهة نظر

(١) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص ١٦٨.

(٢) أبراهام كوك (١٨٦٥-١٩٢٤) أهم مفكري الصهيونية الإثنية الدينية وأول حاخام أكبر لليهود الإشتناز في فلسطين. وُلد في شمال روسيا، وتلقى تعليمه الديني في إحدى المدارس التلمودية العليا، ثم هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٤ واستقر فيها. وقد تعرّف كوك إلى تقاليد القبّالاه وسعى وراء تجارب الإشراق الداخلية، والواقع أن كتاباته كلها مفعمة بروح قبّالية وإيمان بالحلول الرباني في الشعب اليهودي. وتتخلص سيرة حياته ونشاطاته القومية الدينية في محاولة تقريب الصهيونية إلى المتدينين وتقريب المتدينين من الصهيونية.

ينظر: المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٦، ص ٢٩١.

(٣) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج ٥، ص ١٦٨.

(٤) رجا عبد الحميد العربي، سفر التاريخ اليهودي، ص ٥٠٧.

الصهيونيين مماثلة تماما لوجهة نظر اللساميين فالصهيونية كاللسامية تعبر عن نفسها بعدم الانسجام أو التسامح مع الآخر وإلحاق الظلم به وعدم التعاطف معه، وعلى ذلك لا يمكن اعتبار الصهيونية ردة الفعل اليهودية للسامية ولكنها شطرها الروحي، ذلك أن كثير من الادعاءات الصهيونية قد أقيمت على التفرقة العنصرية^(١)، ويقول يعقوب كلاتزن موضحا العلاقة بين الصهيونية واللسامية: "إذا كان العدو هو الدمج (أي المساواة في الحقوق)، وإذا كان الهدف الرئيسي هو إنشاء دولة يهودية في فلسطين فإن معاداة السامية تساعد على تحقيق هذا المشروع، والدفاع عن المساواة في الحقوق هي على العكس العقبة في طريقه"^(٢) وهناك كاتب صهيوني آخر يرجع معظم النجاحات اليهودية على المستوى العالمي إلى اللسامية فيقول "ما هي الأسباب التي وقعت ودفعت الشعب اليهودي لقلب معايير العالم كل هذه التساؤلات لها جواب واحد (اللسامية)، هي التي أعطت القدرة للحركة الصهيونية لقيادة هذا العالم، لقد أعادت اليهود إلى عالمهم الذي خرجوا منه، ولقد أثبتت للعالم ضرورة الأفكار الصهيونية"^(٣).

خامسا: النازية

استغلت الصهيونية مطاردة هتلر لليهود؛ لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين وعملت كذلك في الوقت نفسه على التنسيق مع قادة ألمانيا النازية في هذا المجال فقد تحددت منذ البداية العلاقات الصهيونية النازية من خلال عدة أطر أهمها موقف الحركة الصهيونية من ملاحقة النازي لليهود، ثم تهجيرهم إلى فلسطين، فقبل ثمانية أشهر فقط من استلام النازي لزام الأمور في ألمانيا تظاهر بضع مئات من النازيين مطالبين بإخراج اليهود من ألمانيا، فقابلتهم مظاهرة صهيونية بتهجيرهم إلى فلسطين، فإذا كان هذا الانسجام المبدئي على مستقبل اليهود موجود قبل تسلم هتلر مقاليد السلطة في ٣٠ كانون الثاني عام ١٩٣٣م بين الحركة الصهيونية والنازية؛ فلا شك بأنه سيتخذ طابعا رسميا فيما بعد هذا التاريخ^(٤)، حيث أن الشواهد الوثائقية الحديثة التي ظهرت في الماضي القريب تجيز للمرء أن يتحدث عن التحالف النازي الصهيوني خلال الرايخ الثالث والدولة النازية من عام (١٩٣٣-١٩٤٥م)، وأن يصنف بعض الشخصيات النازية في عداد الصهيونيين غير اليهود^(٥) فقد تضمنت مقدمة قوانين نورمبرغ المشينة التي وضعت في ١٥ سبتمبر عام ١٩٣٥م الفقرة التالية عن الصهيونية ومبرراتها: "لو كان لليهود دولة خاصة بهم تضمهم جميعا في وطن واحد لأمكن اعتبار القضية

(١) المصدر السابق، ص ١٥، ١٤.

(٢) عطا الله بخيت حماد المعاينة، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، ص ٢٠٠.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٦.

(٤) العباسي، نظام عزت، سياسة ألمانيا النازية تجاه اليهود والصهيونية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، مج ٤، ع ١٤، ت: ١٩٨٤م، ص ١٣٤.

(٥) رجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي، ص ١٥.

اليهودية محلولة بالنسبة لليهود أنفسهم، لقد كان الصهيونيون المتحمسون من كل الشعوب أقل الناس اعتراضاً على الأفكار الأساسية لقوانين نورمبرج ؛ لأنهم كانوا يدركون أن هذه القوانين هي الحل الوحيد الصحيح للشعب اليهودي" (١)

ولابد من ملاحظة أن قوانين القمع الألمانية ضد اليهود في ألمانيا كانت السبب الأساسي إن لم يكن السبب الوحيد الذي ضاعف أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين وليس هناك أدنى شك في أن الحركة الصهيونية التي استقطبت هذه الأعداد من المهاجرين بعد أن مهدت لذلك من خلال معاهدة الهافار قد استفادت من المطاردة الألمانية هذه ؛ وبالتالي جاءت متوافقة عقائدياً في هدفها مع الهدف النازي، فحين نادى النازيون بتحرير ألمانيا من اليهود، أكمل الصهاينة ذلك النداء بشعار: "عن طريق تهجيرهم إلى فلسطين" (٢)، فهجرة اليهود من ألمانيا إلى فلسطين كانت تخدم قضية كل من النخبة النازية المعادية للسامية التي أرادت أن تحرر ألمانيا من "النير اليهودي"، والصهيونيين الذين كانوا بحاجة إلى مزيد من المهاجرين اليهود ؛ لدعم وضعهم في فلسطين وتأسيس دولتهم اليهودية (٣).

المسارات الدوغمانية التي سلكتها الصهيونية

- الإيمان الدوغمائي بأن اليهود شعب عضوي له عبقرية الخاصة، وأن ثمة جوهرًا يهوديًا هو الذي يميز اليهودي عن غيره من البشر، وأن هذا الجوهر لا يتغير بتغير الزمان والمكان فاليهود دائماً يهود ، ومن هنا يحارب الصهاينة ضد اندماج أعضاء الجماعات اليهودية في مجتمعات غير اليهود، وقد نادى الصهاينة بضرورة رفض "سم الاندماج" أو الهولوكوست الصامت (٤).
- النزعة الوثنية الحولية الدوغمانية المتطرفة، والتي تميل نحو العنف وتميل نحو التفريق بين اليهود وغير اليهود والتمييز الحاد القاطع بين اليهود كشعب مختار أو كشعب مقدس يحل فيه الإله من جهة والشعوب الأخرى التي تقع خارج دائرة القداسة من جهة أخرى، فقد جاء في سفر ميخا " قومي ودوسي يا بنت صهيون لأنني أجعل قرنك حديداً وأظفارك نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين" (٥) وقد تحول هذا الرفض إلي عدوانية واضحة في التلمود الذي يدعو دعوة صريحة إلي قتل الغريب ، حتى ولو كان من أحسن الناس

(١) المصدر السابق، ص ١٦.

(٢) العباسي ، نظام عزت ، سياسة ألمانيا النازية تجاه اليهود والصهيونية، ص ١٣٥.

(٣) رجينا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي، ص ١٦.

(٤) المسيري ، عبد الوهاب ، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلي انتفاضة الأقصى دار الشروق ، القاهرة ، ط ، ١٤٢١هـ ، ١٤٠١م ، ط ٢٠٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص ٢٦.

(٥) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر ميخا (الاصحاح ٤ ، فقرة : ١٣)

خلقا^(١)، وفي الأدبيات الصهيونية العنصرية ، فإن الصهاينة يعتبرون العربي _على وجه العموم_ والفلسطيني _على وجه الخصوص_ ، ضمن الأغيار حتى يصبح بلا ملامح أو قسّمات (ويشير وعد بلفور إلي سكان فلسطين العرب على أنهم "الجماعات غير اليهودية " أي "الأغيار ")، وينطلق المشروع الاستيطاني من هذا التقسيم الحاد فالصهيونية تهدف إلى إنشاء اقتصاد يهودي مغلق، وإلى دولة يهودية لا تضم أي أغيار، وبعد ظهور الدولة الصهيونية ، انطلق هيكلها القانوني من هذا التقسم ، فقانون العودة هو قانون عودة لليهود ويستبعد الأغيار من الفلسطينيين، ودستور الصندوق القومي اليهودي يحرم تأجير الأرض ويمتد الفصل ليشمل وزارات الصحة والإسكان والزراعة.^(٢)

- هناك اتجاه صهيوني يؤمن بأن ثمة عرقاً يهودياً مستقلاً وأن أساس الهوية اليهودية والشخصية اليهودية هو الانتماء العرقي ، وأن العرق اليهودي من الأعراق الرئيسة في الجنس البشري ، وأن هذا العرق حافظ علي وحدته رغم التأثيرات المناخية فيه ؛ فحافظت اليهودية على نقاوتها عبر العصور، ولكن من الواضح أن تعريف اليهودي كعضو في عرق مستقل أمر مغرق في الخيال والوهم إذ يدحض واقع الأقليات اليهودية بسهولة مثل هذه الأساطير^(٣) الدوغمانية.
- لم تكن الصهيونية حركة استعمارية وحسب، وإنما هي حركة استيطانية إحلالية (أرض بلا شعب) وهو ما يعني ضرورة أن تُخلى الأرض التي سيُنَفَّذ فيها المشروع الصهيوني من السكان الأصليين، ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال أقصى درجات العنف النظري والإرهاب الفعلي.
- أنها تشكّل نسقاً دوغمائياً مغلقاً ملتقاً حول نفسه يخلع القداسة على الذات، ويجعلها موضع الحلول والكمون، ويحجبها عن الآخرين (الذين يقعون خارج دائرة القداسة) ؛ فيهدر حقوقهم ويبيدهم، فهم ليسوا موضع الحلول، فالصهيونية وريثة الطبقة الحلولية اليهودية التي تجعل اليهود شعباً عضواً ذا علاقة عضوية خاصة بالأرض (إرتس إسرائيل) أي فلسطين، وهي علاقة تمنحهم حقوقاً مطلقة فيها، الأمر الذي يعني طُرْد السكان الأصليين الذين لا تربطهم بأرضهم رابطة عضوية حلولية مماثلة.

(١) المسيري ، عبد الوهاب ، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلي انتفاضة الأقصى ص ٢٩، ٣٠.

(٢) المسيري ، عبد الوهاب ، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلي انتفاضة الأقصى ص ٣٢.

(٣) المسيري ، عبد الوهاب ، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلي انتفاضة الأقصى ص ٣٦-٣٨.

- سلكت الصهيونية سلوك الدوغمانية بفصلها الحاد بين الشعب المقدس والأغيار وبما يتسم به ذلك من ازدواجية في المعايير تجعل الآخر مباحاً تماماً، وتجعل استخدام العنف تجاهه أمراً مقبولاً، وهو قد يعبر عن نفسه بطريقة مباشرة، كما في الممارسات الإرهابية للصهاينة ضد الفلسطينيين ولكنه قد يعبر عن نفسه بطريقة غير مباشرة عن طريق عشرات القوانين والمؤسسات، وما قانون العودة الإسرائيلي إلا ترجمة لهذا العنف حين يُعطي أيُّ يهودي في العالم حق "العودة" إلى إسرائيل في أي وقت شاء ويُنكر هذا الحق على ملايين الفلسطينيين الذين طُردوا من فلسطين على دفعات منذ عام ١٩٤٨ م.^(١)

يتضح من كل ما تقدم أن الصهيونية تعتبر أحد أهم نتائج وآثار الدوغمانيات التي اعتنقها اليهود وقد ظهرت لديهم بعد أسر بابل، واستمرت إلى العصر الحاضر، ولكن لم تحقق أهدافها الا بعد أن استخدمت أخس الأساليب ؛ ذلك لأن الصهيونية عبارة عن أيديولوجية انعزالية تقوم على فكرة الدم والأرض حيث أن عنصرية الصهيونية جعلت الصهاينة يختارون بدم بارد التعاون مع النازيين على قتل اليهود في سبيل دفع بعضهم نحو فلسطين، وفي ذلك قال دافيد بن غوريون^(٢) صراحة : " لو أنني خیرت أن أنقذ كل الأطفال في ألمانيا بإحضارهم إلى إنجلترا ، أو إنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى أرض إسرائيل لاخترت البديل الثاني "^(٣)، كما أن الصهيونية تعد امتدادا وتطورا للأفكار الدوغمانية عند اليهود، تبلورها بما يتناسب مع العصر الحديث، وتظهرها في شكل جديد ولكنها تتبع النهج القديم نفسه من الانغلاق على الذات، وتمجد العنصر اليهودي وازدراء الآخر واضطهاده وإنكار حقوقه بشكل كلي، والسعي لفرض رؤيتهم الدوغمانية بالسلطة والقوة في احتلال الأرض وإخراج أهلها منها.

(١) ينظر: المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، إسرائيل المستوطن الصهيوني، ج٧، ص ١٢٧ - ١٢٨ .
(٢) دافيد بن غوريون ؛، أول رئيس وزراء لإسرائيل. وُلد بن غوريون في مدينة بلونسك البولندية باسم دافيد غرين، ولتحمسة للصهيونية، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦. امتن بن غوريون الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي «بن غوريون» عندما مارس حياته السياسية. الموسوعة الحرة
(٣) ليني برينر ، ترجمة وتقديم د. محبوب عمر ، الصهيونية في زمن الدكتاتورية - التاريخ الموثق لعلاقة الصهيونية بالفاشية والنازية ، نقلا عن مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي ، مؤسسة الأبحاث العربية ، درار البيان للنشر والتوزيع ، ط١ ، ت: ١٩٨٥ م ، ص ٣١٤ .

الباب الثالث

الدوغمائية عند النصارى وأثرها

ويشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول : أسباب ظهور الدوغمائية في النصرانية

الفصل الثاني : مصادر النصرانية الدوغمائية

الفصل الثالث : دوغمائية العقائد النصرانية

الفصل الرابع : أثر الدوغمائية على النصارى

الفصل الأول

أسباب ظهور الدوغمائية في النصرانية

ويشتمل علي خمسة مباحث :

- المبحث الأول : النصرانية التي جاء بها المسيح
- المبحث الثاني: الاضطهادات التي تعرض لها النصارى
- المبحث الثالث : تحريفات بولس
- المبحث الرابع : التأثير بالفلسفات الوثنية
- المبحث الخامس: التأثير بالوثنيات

تمهيد

إن الحديث عن تاريخ النصارى الأوائل والنصرانية من المصادر النصرانية يعتبر من أصعب الموضوعات وأكثرها تعقيداً ؛ لأن التاريخ إنما يعتمد على النصوص والروايات المحفوظة التي تبين تاريخ حقبة ما. والناظر في المصادر النصرانية يواجه مشكلة الانقطاع التاريخي في فترة من أهم الفترات المتعلقة بالنصرانية، وهي الفترة التي تعقب رفع المسيح عليه السلام إلى منتصف القرن الثاني من الميلاد، فإن هذه الفترة تعتبر فترة حرجة جداً والمصادر التي يمكن أن يعتمد عليها في بيان تاريخ تلك الفترة تعتبر نادرة جداً، بل لا يوجد بين يدي النصارى سوى كتاب "أعمال الرسل" الذي تحدث كاتبه في أوله عن يزعم أنهم تلاميذ المسيح حديثاً محدوداً، ثم خصص بقية كتابه للحديث عن بولس وأعماله، ورغم ذلك فإن المعلومات عن بولس تنقطع قبل موته بعد وصوله روما، وهذه النهاية التي انتهى إليها صاحب الكتاب هي نهاية المعلومات المتوفرة لدى النصارى عن تلك الفترة، يضاف إلى ذلك ما يمكن استقاداته واستخلاصه من رسائل بولس الأربع عشرة التي فيها إشارات قليلة تخص بولس من ناحية تاريخية إلا أنها شبه خالية من المعلومات عن الحواريين الذين هم تلاميذ المسيح عليه السلام الحقيقيون.

ومع ذلك فستحاول الباحثة ذكر تاريخ إجمالي للنصارى والنصرانية إلى عهد ما بعد الإمبراطور قسطنطين حسب المعلومات المتاحة ؛ وذلك لإعطاء القارئ تصوراً عن النصرانية من ناحية تاريخية، ربما يكون قريباً من الواقع، لتبين الظروف التي أدت إلى ظهور العقائد الدوغمائية عند النصارى الذين هم أتباع الدين الذي جاء به المسيح من عند الله، والذي عرف بالنصرانية فقد كانت هذه الحقبة التاريخية وما تخللها من أحداث من أهم عوامل ظهور الدوغمائيات لدى النصارى ؛ لذلك ستتناولها الباحثة ببالغ اهتمام من خلال التعريف بالنصرانية في اللغة والاصطلاح، وعرض حقيقة الدين المنزل من عند الله الذي جاء به عيسى ابن مريم عليه السلام والذي اشتهر بالنصرانية ، ثم ستعرض الباحثة لمرحلة الانحرافات الأولى في ظل الاضطهاد الروماني لأتباع النصرانية، وتأثير انحرافات بولس على النصرانية، وأثر الفلسفة على عقائد هذا الدين، وما أضافته الديانات الوثنية لدين المسيح من عقائد دوغمائية اعتنقها النصارى .

المبحث الأول

النصرانية التي جاء بها المسيح

مدخل

لما كان المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام رسول من عند الله حق ورسول الله عز وجل يجب الايمان بهم شرعا لقوله تعالى ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ، فالإيمان به ركن من أركان الإيمان التي يعتنقها المسلم ؛ ولكن هل ما عليه النصارى اليوم من عقيدة هو ما جاء به المسيح حقا؟، هذا ما سوف يتم عرضه في هذا المبحث ولكن قبل الشروع في بيان حقيقة الدين الذي جاء به المسيح لابد من بيان أصل كلمة النصرانية التي شاع استخدامها كاسم لدين المسيح عليه السلام.

النصرانية لغة: بالمبحث في معاجم اللغة يتضح أن النصرانية دين أتباع المسيح عليه السلام والنصراني من تعبد بالنصرانية والجمع النصارى ، وَنَصْرُهُ تنصيرا جعله نصرانيا، وفي الحديث "فأبواه يهودانه وينصرانه"^(٢).

أما عن أصل هذه النسبة فقيل، سموا بذلك ؛ لأنهم نصرروا المسيح - عليه السلام - في دعوته ، فهي تعود إلى قول الحواريين: ﴿ حَنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾^(٣) ، كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ حَنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾^(٤) ولكن يكون هذا على غير القياس في اللغة، والأصح من هذا أن التسمية نسبة إلى قرية يقال لها نصرانة أو الناصرة أو نصورية، وهي قرية بالجليل من فلسطين ينسب إليها المسيح عليه السلام ، فكانت نسبة أتباعه إليها أيضا، فيقال نصراني ونصارى.

إذن الناصرة أو النصرانة أو النصورية هي النسبة التي ترجع إليها كلمة نصرانية، وليست أسما للدين الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.^(٥)

(١) سورة البقرة : ٢٨٥.

(٢) متفق عليه رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ، حديث رقم : ١٣٥٩ ، ج ٢ ، ص ٩٥ ومسلم في صحيحه، كتاب القدر ، باب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ، رقم الحديث : ٢٦٥٨ ، ج ٤ ، ص ٢٠٤٧.

(٣) سورة الصف: ١٤.

(٤) سورة الصف: ١٤.

(٥) راجع كلا من : الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن ، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ، ص ٨٠٩ ، وزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية -

ولا أدل على ذلك من أن نجد أن كلمة النصارى تطلق على أتباع المسيح - عليه السلام - الذين اتبعوه في دعوته، وصدقوا بها، ونصروه وأخذوها كما جاءت من الله تعالى، كما في قوله : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) وكذلك أطلقت على أتباعه الذين بدلوا وغيروا، وأضافوا العقائد الباطلة إلى العقيدة الصحيحة الحقّة، كما في قوله ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضِلُّونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَذَى يُؤَفَكُونَ ﴾^(٢) " فكان اللفظ يخص المؤمنين في أول الأمر ثم أطلق عليهم كلهم علي وجه التغليب "^(٣) باعتباره راجع في إطلاقه عليه إلى القرية التي ينسب إليها المسيح عليه السلام أو إلى التناصر فيما بينهم، لا إلى كونه نسبة لدين المسيح عليه السلام.

النصرانية في الاصطلاح:

"هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل".^(٤) ولا يعني هذا أنه الدين الذي نزل على عيسى -عليه السلام- فقد بينت الباحثة سلفاً أن الدين الذي أنزله الله -عز وجل- على كل الأنبياء والرسل هو الإسلام؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(٥) والرسل رسله والخلق خلقه، فأرسل رسله إلى خلقه بالدين الذي عنده وهو الإسلام، فعيسى -عليه السلام- ما جاء إلا بالإسلام وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ ﴾^(٦)

وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى^(٧)، وأهل الكتاب^(٨)، وأهل الإنجيل^(٩)، ولكن هم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح عليه السلام، ويسمون ديانتهم "المسيحية".

الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٣١١ و مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ج ١، ص ٤٨٣ و مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، ج ٢، ص ٩٢٥.

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

(٢) سورة التوبة: ٣٠.

(٣) القفاري، ناصر بن عبد الله وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في تاريخ الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٤.

(٤) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ١٦٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٩.

(٦) سورة آل عمران: ٥٢.

(٧) انظر مثلاً البقرة آية (٦٢، ١١١، ١١٣).

(٨) انظر آل عمران (٦٤) النساء (١٧١).

وأول ما دُعي النصارى "بالمسيحيين" في أنطاكية حوالي عام ٤٢م، ويرى البعض أن ذلك أول الأمر كان من باب الشتم^(٢).

ولم ترد التسمية بالمسيحية في القرآن الكريم ولا في السنة، كما أن المسيح حسب الإنجيل لم يسم أصحابه وأتباعه بالمسيحيين، وهي تسمية لا توافق واقع النصارى ؛ لتحريفهم دين المسيح عليه السلام فالحق والصواب أن يطلق عليهم نصارى أو أهل الكتاب، لأن في نسبتهم للمسيح عليه السلام خطأ فاحش، إذ يلزم من ذلك عزو ذلك الكفر والانحراف إلى المسيح عليه السلام، وهو منه بريء.

وقد سبق وأكدت على أن الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام هو الإسلام لذا فإنني خلال ذكرى للنصارى إنما أطلق عليهم هذا الاسم وعلى ديانتهم "النصرانية" مالم يكن ذلك ضمن نص منقول فإنني أنقله كما كتبه صاحبه فإن كثير من الكتاب يستخدمون كلمة "المسيحيون" أو "المسيحية"

النصرانية التي جاء بها عيسى ابن مريم عليه السلام

هي رسالة أنزلها الله تعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل بعد أن انصرفوا وزاغوا عن شريعة موسى عليه السلام، وغلبت عليهم النزعات المادية، وافترقوا بسبب ذلك إلى فرق شتى، فمنهم من يؤمن بأن غاية الإنسان هي الحياة الدنيا، حيث لا يوم آخر، ولا جنة ولا نار، ومنهم من يعتقد أن الثواب والعقاب إنما يكونان في الدنيا فقط، وأن الصالحين منهم يوم القيامة سيشترون في ملك المسيح الذي يأتي لينقذ الناس، ليصبحوا ملوك العالم وقضاته، كما شاع فيهم تقديم القرابين والنذور للهيكل، رجاء الحصول على المغفرة، لذا فسدت عقيدتهم وأخلاقهم.

فكانت رسالته ودعوته عليه الصلاة والسلام داعية إلى توحيد الله تعالى

حيث لا رب غيره ولا معبود سواه، وأنه لا واسطة بين المخلوق والخالق سوى عمل الإنسان نفسه، وهي رسالة قائمة على الدعوة للزهد في الدنيا، والإيمان باليوم الآخر وأحواله، ولذا فإن عيسى عليه الصلاة والسلام كان موحّداً على دين الإسلام ملة إبراهيم حنيفاً، وما كان من المشركين.

(١) سورة المائدة آية (٤٧).

(٢) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الديان اليهودية والنصرانية، ط٤، ص ١٦٣.

فأول ما جاء به عيسى عليه السلام هو التوحيد الكامل ، التوحيد في العبادة فلا يعبد إلا الله ولا يتقرب بشيء إلا إلى الله ، فالله هو الخالق لكل شيء ، مدبر الأمر كيف يشاء ، وهو رب الكل ، لا يختص بجماعة دون أخرى ، ولا بجنس دون آخر ، " قال جل وعلا عن المسيح أنه قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (١) ، وذكر متى في إنجيله عن المسيح أنه قال : " للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (٢) .

وفي إنجيل مرقس أن المسيح أجاب من سأله عن أول الوصايا والواجبات بقوله : " إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل . الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك " (٣) .

وفي إنجيل لوقا أن المسيح قال للشيطان لما طلب منه أن يسجد له : " اذهب يا شيطان إنه مكتوب للرب إلهك تسجد ، وإياه وحده تعبد " (٤) .

وفي إنجيل يوحنا أن المسيح قال : " وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته " (٥) .

وكذلك قال للمرأة التي رآته بعد القيامة في كلامهم في إنجيل يوحنا : " قال لها يسوع لا تلمسيني لأنني لم أصعد بعد إلى أبي ، ولكن إذهبي إلى إخوتي وقولي لهم ، إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم " (٦) .

أنه متبع لشريعة موسى عليه السلام ومكمل لها

فقد " ذكر القرآن أن المسيح ، صدق برسالة موسى ، واعترف بالتوراة ، ولكنه جاء ؛ ليبين لهم بعض الذي حرم عليهم ، وما أحله الله لهم بما يوافق زمنهم وحياتهم " (٧) قال عز وجل ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ (٨) وقال متى في إنجيله عن المسيح أنه قال : " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل " (٩) .

(١) سورة آل عمران : ٥١ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل متى (الاصحاح ٤ ، فقرة : ١٠) .

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل مرقس (الاصحاح ١٢ ، فقرة : ٢٩ - ٣٠) .

(٤) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل لوقا (الاصحاح ٤ ، فقرة : ٨) .

(٥) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل يوحنا (الاصحاح ١٧ ، فقرة : ٣) .

(٦) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل يوحنا (الاصحاح ٢٠ ، فقرة : ١٧) .

(٧) الفاضلي ، أصول المسيحية كما يصورها القرآن ، ص ٦١ .

(٨) سورة آل عمران : ٥٠ .

(٩) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل متى (الاصحاح ٥ ، فقرة : ١٧) .

لا واسطة بين الخلق والخالق

لقد جاء المسيح فوجد الذين يعملون بخلاف ما يعلمون به من التوراة والشعب منخدع بهم ومصدق لهم، وكان الفرنسي في اعتقادهم رجلاً معصوم عن الخطأ فإذا جادل كان الحق في جانبه دائماً ، وكان المسيح يدعو إلي نقاء الباطن والاتصال بالله بدون واسطة أحد^(١)، قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٢)

أنه دعا إلى التوبة

وهو معنى قوله عز وجل ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾^(٣)

وقد ذكر بعض الكتّاب أن لب دعوة المسيح عليه السلام حسب الأناجيل هو: الدعوة إلى التوبة، والأخذ بشريعة موسى عليه السلام .

وفي هذا ورد في إنجيل متى: "لأنني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة"^(٤).

وفي إنجيل مرقس : "وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"^(٥).

فهذه النصوص يظهر منها واضحاً بشرية المسيح عليه السلام، وأنه رسول دعا بني إسرائيل إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا يتفق تمام الاتفاق مع ما ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم عنه، ويتفق مع دعوة الأنبياء السابقين الذين ورد ذكرهم في القرآن، أو ذكرهم اليهود في كتبهم، كما يتفق ذلك مع العقل وترتاح له النفس.

وهذا بخلاف ما تدعيه الكنيسة وتزعمه من الأمور المناقضة للعقل والشرع وسيأتي إن شاء الله بيان ذلك عند الحديث عن عقائد النصارى الدوغمائية .

فالنصرانية في أصلها دين منزل من الله تعالى، لكنها غيرت وبدلت وحرفت نصوصها، وتعددت أناجيلها، وتحول أتباعها عن التوحيد إلى الشرك ثم نسخت بالإسلام ؛ فأصبحت باطلا ؛ لتحريفها ونسخها .

(١) الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن، ص ٦٢.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

(٣) سورة آل عمران: ٥٠.

(٤) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل متى (الاصحاح ٩ ، فقرة : ١٣).

(٥) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، انجيل مرقس (الاصحاح ١ ، فقرة : ١٤)

المبحث: الثاني

الاضطهادات التي تعرض لها النصارى

نرى اليوم النصرانية دينا وثنيا دوغمائيا طمست فيه تماما معالم التوحيد ، وبديل أن يكون دينا يوافق العقل والفطرة أصبح دينا حربا على العقل، وعدوا لدودا للفكر السليم الناضج، ومضادا للفطرة السليمة، وكان لهذا الانحراف الدوغمائي عوامل كثيرة أظهرته بهذا الشكل والهيئة، ومن أهمها الاضطهادات فقد واكبت الاضطهادات نشأة النصرانية ، فقد كان اليهود والرومان وراء محاولة قتل المسيح عليه السلام ، ثم لاحقوا من بعده أتباعه في كل مكان ونكلوا بهم، واستمر هذا التنكيل والقتل الجماعي مدة ثلاثة قرون^(١)، فقد تعارضت الدعوة الجديدة مع آمالهم وأحلامهم، ولم ترق في أعينهم ؛ ولذلك ناصبوه العداء في وجه دعوته يقول "رولاند بينتون " أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة "بيل " الأمريكية : " فقد أبغضه رجال الدين ؛ لأنه هزأ بقوانينهم التعسفية الجامدة ".^(٢)

وأشبع حركات الاضطهاد التي عاناها المسيحيون في القرن الأول تلك التي أنزلها بهم نيرون^(٣) الطاغية (٦٨م)، فقد ألقى بعضهم للوحوش التي تنهش أجسامهم، وأمر فطليت أجسامهم بالقار وأشعلت ؛ لتكون مصابيح بعض الاحتفالات التي يقيمها نيرون في حدائق قصره.

وقد سجل القرن الثالث أبشع ألوان الاضطهاد للمسيحيين وذلك في عهد الإمبراطور دقلديانوس^(٤)، فقد أمر بهدم كنائس المسيحية، وإعدام كتبها المقدسة وآثار آبائها، وأمر بإلقاء القبض على الكهان وسائر رجال الدين، فامتألت السجون بالمسيحيين، واستشهد الكثيرون بعد أن مزقت أجسامهم بالسياط أو أحرقت بالنار ، وقد سمي عصره (٢٨٤ - ٣٠٥م) عصر الشهداء^(٥).

فكان هذا الاضطهاد من العوامل المهمة في تحريف دعوة المسيح عليه السلام لأن تثبت العقيدة والدعوة إليها والعمل بها يحتاج إلى وضع آمن ، بل يحتاج إلى قوة داعمة ومناصرة ؛ لترسخ العقيدة في النفوس، ويتمكن الدعاة من نشرها بين الناس، وإلا فإن عقائد الناس وعباداتهم القديمة تغطي على الدعوة الجديدة، وقد

(١) لتفاصيل الاضطهادات في تلك الفترة راجع : يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة : القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة ، القاهرة ، ص ٨٩ - ١٢٦.

(٢) عجيب ، أحمد علي ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ، ط ١ : ٢٠٠٦ م ص ٥٠.

(٣) الإمبراطور نيرون أو نيرو (١٥ ديسمبر - ٩ يونيو ٦٨) كان خامس وآخر امبراطور الأمبراطورية الرومانية من السلالة اليوليوكلاودية من (أوغسطس حتى نيرون) (٢٧ ق.م - ٦٨ م) - م(، وصل إلى العرش لأنه كان ابن كلوديوس بالتبني، حيث أنه حكم الإمبراطورية (٥٤-٦٨). ينظر : الناصري، سيد احمد ، تاريخ الامبراطورية الرومانية، دار النهضة العربية، ط ٢ : ١٩٩١ م، ص ١٣٤ .

(٤) دقلديانوس ولد هذه الامبراطور عام ٢٤٥م واعتلى عرش الإمبراطورية عام ٢٨٤م ، وفي عام ٣٠٥ اعتزل الحكم ومات عام ٣١٦ م ، ويعتبره المؤرخون من أعظم الحكام الرومانيين . ينظر : عجيب ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٧٨.

(٥) للمزيد عن اضطهاد أتباع الديانة النصرانية راجع : عجيب ، أحمد علي ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٥١ - ٨٥.

تصبغها بصبغتها، وكذلك أعداء الأديان من أصحاب الأهواء والنفعيين فإنهم يجدون أرضية مناسبة ؛ لبث آرائهم وأهوائهم في الأديان، كما أن الجهل بالدين الصحيح في كثير من الأحيان مع النية الصالحة في العمل قد تدفع الإنسان إلى استحسان أمور، وإدعاء أمور أنها من الدين وهي ليست منه.^(١)

والاضطهادات ذات الصلة بالمسيحيين نوعان : الأول ما نزل بالمسيحيين من أعدائهم في عهود المسيحية الأولى، والثاني: ما أنزله المسيحيون بعد قوتهم بمخالفهم في الرأي من المسيحيين وغيرهم ممن أطلق عليهم هراطقة^(٢).

وهي اضطهادات النصراني للنصارى، فقد تعقب النصارى الذين قالوا بالتثليث مخالفهم بالقتل والتعذيب، وتعقبوا كل فكرة تخالف مذهبهم إلى عهد النهضة الأوروبية والثورة على الكنيسة، وكان لهذه الاضطهادات أعظم الأثر في اندثار معالم النصرانية الصحيحة، وضياح الإنجيل، وانقطاع سنده، وإلجام الأصوات التي تدعو إلى الحق وإلى التوحيد.

نتائج هذه الاضطهادات

قتل عدد كبير من أئمة النصراني نتيجة للاضطهاد

فلا شك أن تلاميذ وأصحاب الرسل عليهم معول كبير في حمل أمانة نشر الدعوة وتبليغها لمن بعدهم، ولكن إذا قتل هؤلاء الأصحاب في فترة وجيزة بعد انتهاء حياة الرسول، وفي ظروف اضطهاد لا يستطيع معها أن يبلغ هؤلاء الرسالة إلى الناس، أو يحملونها لمن يقوم بنشرها بين الناس، فإن ذلك يكون له أثر كبير على الديانة نفسها، وهذا ما حدث لديانة المسيح عليه السلام^(٣).

يقول الشيخ أبو زهرة : " فما تركوا عالما بالديانة إلا قتلوه، وكان الولاة يتقنون في طرق إبادة المسيحية من الوجود، أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد الناس إليها ويتوارث العلم بها. " ^(٤)

(١) سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٣٥٠-٣٥١ .

(٢) أحمد شلبي، المسيحية مقارنة الأديان (٢) ، القاهرة . مكتبة النهضة ، ط ١٠ : ١٩٩٨ م ص ٨١.

(٣) عجيبة ، أحمد علي ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٨٦.

(٤) أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النصراني وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط ٣ : ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ١٠٧.

الرهينة

عندما رأى أتباع المسيح ما يفعل بهم من العذاب والقتل والتشريد نتيجة إيمانهم بالله وحده اتجهوا إلى الهروب بدينهم، لعلهم يجدون حياة آمنة غير هذه الحياة الشاقة، وبخاصة بعد أن منعوا من ممارسة صلواتهم الجماعية واجتماعاتهم.

ففرّوا بدينهم إلى البراري والكهوف والأرياف ؛ لممارسة العبادة المطلوبة منهم وتشتت الأتباع رغم قلتهم في بقاع الأرض ، وصار كل واحد منهم أو جماعة تعبد الله كما علمت وعرفت عن سبقها ودونما كتاب مدروس دونت فيه التعاليم حتي لا تنسى أو تذهب بذهاب الأيام وتغير الأحوال .

وفرض هؤلاء الأتباع على أنفسهم هذا النوع من العبادة التي أملاها عليهم واقع الاضطهاد ،إلا أنهم غالوا فيها كثيرا حتى أصبحت نوعا من العذاب، كالامتناع عن الطعام والشراب والملبس والنكاح وبخاصة بعد أن أكد القرآن أن هذا النوع من الحياة الذي لم يطلبه الله تعالى من عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (١). (٢)

وذكر كتاب "الرهينة القبطية " أن المسيح عليه السلام أشار إلى الرهينة إلا أنه لم يفرضها، ولكن الاضطهادات المرة التي رضح لها الأقباط في القرون الثلاثة، كانت هي السبب في الانعزال إلي الأودية والكهوف وامتلائها بالأنقياء، ثم تطورت الرهينة إلي أن أصبحت مدارس منظمة.

انقطاع سند الأنجيل

إن الفترات العصبية التي مر بها الأتباع كانت من أهم الأسباب في فقدان الإنجيل، ويعترف بعض القسيسين حينما طلب منهم السند المتصل فيقول : "إن سبب فقدان السند وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلي مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة"

ضياع الإنجيل

لقد شمل اضطهاد النصرانية الأتباع والكتب وأماكن الاجتماع والعبادة، وهذا يعني أن الاضطهادات أثرت على ديانة المسيح عليه السلام فأدت إلى ضياع الإنجيل الصحيح، وكما أن النصرانية فقدت بسبب الاضطهاد العلماء الحافظين لهذه الديانة، فذلك أيضا فقدت بسببه إنجيل المسيح عليه السلام فقد التهمه الاضطهاد وقضى عليه ؛ وذلك لأن الاضطهاد الذي دام إلى أوائل القرن الرابع الميلادي لم يترك عالما بالديانة إلا عذب ، ولا كتاب خاص بها إلا وأبید من الوجود ولا مكانا خاصا للاجتماع وأداء العبادة إلا وقد سوي بالأرض . (٣)

(١) سورة الحديد: ٢٧.

(٢) الفاضلي ، أصول المسيحية كما يصورها القرآن ، ص ١٩٢. ١٩٣.

(٣) عجيبة ، أحمد علي ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٩٠.

ويشير أبو زهرة إلي أن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقوم به أتباع عيسي في شؤونهم الدينية وخاصة ما يتصل بالشريعة يقومون به سرا، والسرية هذه يحدث فيها ما يجعل العقل غير مطمئن إلي ما يحكى عما يحدث فيها، فلا مانع من أن يدلس على الاجتماعات ما لم يجر فيها، وينقل عن أشخاص ما لم يقوله، ويتسامع الجمهور أموراً ما حدثت في تلك الاجتماعات، فإذا وقع الشك فيما دون من كتب المسيحية التي فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد، والتي كتبت في ظلمة السرية فيكون لهذا الشك دواعيه وشواهدة ^(١).

تشنت الأتباع خارج بلاد اليهود

لقد كان من نتائج الاضطهاد، وبخاصة اضطهاد اليهود لأتباع المسيح، أن تشنت بعض المؤمنين بالنصرانية خارج بلاد فلسطين، للتبشير بهذه الديانة بين اليهود واليونانيين والوثنيين، وهذا الوضع لا شك كان له أثر كبير على الديانة النصرانية من جميع النواحي، وكان له أثره في دخول أفكار وثنية ودوغمائية في هذه الديانة ^(٢).

^(١) ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط ٣، ص ٣٣.

^(٢) عجيبه، أحمد علي، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٩١.

المبحث الثالث

تحريفات بولس

مدخل

لقد كان بولس - شاول - يهوديا، واشتهر بعنفه في خصومته، بل بعدائه الشديد لأتباع المسيح، ولم يكن له حظ من رؤية المسيح - ولو مرة واحدة - في حياته.

ثم أعلن بولس -فجأة - تحوله إلى المسيحية. . . وهذا ليس بالأمر الجل حيث أن تاريخ الديانات يشهد لكثيرين كانوا من ألد أعدائها وأعداء النبي والرسول الذي جاء يدعو لها، ثم يتحولون إليها ويصيرون من خير دعائها؛ لكن القاعدة الهامة والخطيرة التي شذ فيها بولس هي أنه لم يلتزم بالتعاليم الموجودة في العقيدة الجديدة التي تحول إليها -وهي النصرانية - لكنه اختص بتعليم دغمائي انفرد به وطفق يبشر به، واستطاع بوسائله الخاصة ومهاراته أن ينحي كل التلاميذ جانبا ويتصدر الدعوة إلى النصرانية بعد أن اكتسح الآخرين، فهو " لم يكن ذا مواهب عظيمة وعقل حاد وطاقه بدنية لا حد لها فحسب ، بل كانت له أيضا خلفيته ودراسته الخاصة التي أهلته للعمل الذي دعى إليه، فقد كان يهوديا من طرسوس، وكان يعرف العبرية واليونانية ، وغالبا الأرمية أيضا، كما كان فرسي تعلم عند قدم غمالاتيل العظيم ، زد على ذلك أنه كان يحمل الجنسية الرومانية فكان مؤهلا للعمل مع الكنيسة في وسطها اليهودي البسيط، ثم يشتعل أيضا بين الأوساط الراقية المؤهلة تأهيلا يونانيا"(١) .

ولنرى الآن ماذا يقول سفر أعمال الرسل عن قصة تحول بولس إلى المسيحية يقول الإصحاح التاسع: " أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديدا وقتلا على تلاميذ الرب. فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات، حتى إذا وجد أناسا من الطريق رجالا ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم، وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلاً له: شاول لماذا تضطهذي؟ فقال من أنت يا سيد. فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده فقال وهو مرتعد ومتحير يا رب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وادخل المدينة، فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.

وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدا"(٢)

(١) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس ، القاهرة، دار الثقافة، ط ١ ٢٠١٣ ، ص ٤٧.
(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (الإصحاح ٩ ، فقرة : ٧-١).

لكن الله - سبحانه وتعالى - دائماً يبين الحق رحمة بالناس ولهذا نجد الإصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل يحكي قصة تحول بولس إلى المسيحية على لسانه شخصياً فيقول: " حدثت لي وأنا ذاهب ومنتقرب إلى دمشق أبرق حولي من السماء نور عظيم. فسقطت على الأرض وسمعت صوتاً قائلاً لي: شاول شاول لماذا تضطهمني؟ فأجبت من أنت يا سيد. فقال أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذي كلمني " (١)

من ذلك نتبين أن المسافرين: سمعوا الصوت ولم ينظروا النور حسب قول الإصحاح (٩) ، بينما ذكر الإصحاح (٢٢) عكس ذلك تماماً فقال: نظروا النور ولم يسمعوا الصوت. . هذه بداية دخول بولس إلى المسيحية، وهي قصة مشكوك فيها تماماً.

لقد دخل بولس المسيحية - وفق رواية خطؤها واضح تماماً - ثم انطلق بتعليمه الخاص الذي أعلن فيه الاستغناء عن كل تعليم تلقاه تلاميذ المسيح من معلمهم بدعوى أنه تلقى تعليمه من المسيح مباشرة في تلك الرؤيا المزعومة. (٢)

فالنصرانية المحرفة بعقائدها الدوغمائية عمادها الرئيس رسائل بولس، فقد كانت رسائله أول ما خط من سطور العهد الجديد الذي جاء متناسقاً إلى حد ما مع رسائل بولس، لا سيما إنجيل يوحنا، فيما رفضت الكنيسة النصرانية تلك الرسائل التي تتعارض مع نصرانية بولس (كما هي سمة الدوغمائية دائماً) التي طغت على النصرانية الأصلية التي نادى بها المسيح - عليه السلام - وتلاميذه من بعده.

وهذا الأثر الذي تركه بولس في النصرانية لا يغفل ولا ينكر، مما حاد بالكاتب مايكل هارت في كتابه "الخالدون المائة" أن يجعل بولس أحد أهم رجال التاريخ أثراً، إذ وضعه في المرتبة السادسة فيما وضع المسيح في المرتبة الثالثة، وقد برر هارت وجود النبي محمد ﷺ في المرتبة الأولى، وتقدمه على المسيح - عليه السلام - الذي يعد المنتسبون لدينه الأكثر على وجه الأرض، فقال: "فالمسيحية لم يؤسسها شخص واحد، وإنما أقامها اثنان: المسيح والقديس بولس، ولذلك يجب أن يتقاسم شرف إنشائها هذان الرجلان.

(١) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (الإصحاح ٢٢ ، فقرة : ٩-٦) .
(٢) ينظر : مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ط٢: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ص ١٥١، ١٦٤.

فالمسيح قد أرسى المبادئ الأخلاقية للمسيحية، وكذلك نظرتها الروحية، وكل ما يتعلق بالسلوك الإنساني، أما مبادئ اللاهوت (الدوغمائية) فهي من صنع القديس بولس^(١)، فالمسيح لم يبشر بشيء من هذا الذي قاله بولس الذي يعتبر المسؤول الأول عن تأليه المسيح.

وبالنظر الفاحص فيما خلف بولس من رسائل يتضح للناظر فيها ملاحظات عديدة، تقتصر منها على ذكر أهم مخالفاته الدوغمائية لدعوة المسيح عليه السلام :

ادعاؤه أن المسيح ابن الله

من الدعاوى الدوغمائية التي أطلقها بولس هي ادعاؤه أن المسيح عليه السلام ابن الله - تعالى الله عن ذلك، فمن ذلك ما ورد في سفر أعمال الرسل عن بداية دعوة بولس قال: (ولوقت جعل - يعني بولس - يكرز في المجامع أن هذا هو ابن الله)^(٢).

ويقول بولس في رسالته إلى غلاطية (ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس)^(٣).

فهذه الدعوى الدوغمائية ظهرت أولاً في كلام بولس ودعوته، ثم ظهرت قوية في المجامع النصرانية وقامت عليها الديانة كلها، وهذا كله خلاف ما صرح المسيح عليه السلام به مراراً من أنه رسول لبني إسرائيل، وأنه إنسان، وابن إنسان، وابن داود، وغيرها من الألقاب التي تؤكد أنه بشر ابن بشر، ومن ذلك قول (إنجيل متى) (فقال له يسوع: للثعالب أجرة ولطيور السماء أوككار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه؟)^(٤).

وفي (إنجيل يوحنا) يقول: (وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله)^(٥).

فهذه النصوص قد أكد بها المسيح بشريته إلا أن بولس قد أضفى على المسيح صفة (ابن الله) وأعطاه ذلك المضمون الذي أخذت به النصرانية من اعتقادهم الدوغمائي أن المسيح إله، ابن إله، - تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً - دون سند من الوحي أو المنطق، ولكن فقط هوى بولس وخيالاته .

(١) مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم مجد رسول الله، ترجمة : أنيس منصور، المكتب المصري الحديث ، ص ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (الإصحاح ٩ ، فقرة : ٢٠) .

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل غلاطية (الإصحاح ٤ ، فقرة : ٤) .

(٤) الكتاب المقدس ، العهد الجديد إنجيل متى (الإصحاح ٨ ، فقرة : ٢٠) .

(٥) الكتاب المقدس ، العهد الجديد إنجيل يوحنا (الإصحاح ٨ ، فقرة : ٤٠) .

ادعاؤه أن الغاية من مجيء المسيح عليه السلام هو الصلب وتكفير الخطايا

إن بولس هو الأب الحقيقي لقصة الفداء والخلاص في النصرانية، وقد صرح بولس بأهمية فكرة الفداء عنده إذ قال: " لأنني لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً " (١)

ويقول في ذلك الأب بولس إلياس الخوري: " مما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره، فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر، وهذا الرفق بهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم، فأرسل إليهم ابنه الوحيد، ليفتديهم على الصليب ... وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا " .

ويقول ارنست دي بوش في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحقبة " : إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه، من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصلية " . (٢)

فكرة الفداء والخلاص بدعة بولسية دوغمائية لم يقلها المسيح، ولم يعرفها الحواريون، فنصوص الأناجيل التي تحدثت عن الفداء نصوص لا يفهم منها خالي الذهن تلك العقيدة التي فهمها النصارى .

فهذه الدعوى الدوغمائية التي علل بها بولس حياة المسيح وموته هي التي قامت عليها النصرانية بعد، ولم يكن لها في الحقيقة شيء من الصدى في حياة المسيح ولا كلامه، بل ورد عن المسيح عليه السلام التصريح بأنه جاء ؛ ليدعو إلى التوبة والإنابة .

وفي هذا ورد في إنجيل متى قوله: (لأنني لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة) (٣) .

فهذا ظاهر منه أن المسيح عليه السلام قد صرح بأن الهدف من رسالته هو الدعوة إلى التوبة، إلا أن بولس اخترع من عند نفسه هدفاً آخر للمسيح لم يصرح به المسيح ولم يقله، وهو أنه جاء ليصلب تكفيراً للخطايا .

(١) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل كورنثوس (١) (الاصحاح ٢ ، فقرة : ٢) .
(٢) نقلاً عن: منقذ بن محمود السقارة، هل افتدانا المسيح على الصليب؟، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع ، ط ١ : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى (الاصحاح ٩ ، فقرة : ١٣) .

ادعاؤه أن دعوة المسيح عليه السلام كانت عامة لجميع بني البشر

إن بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية ، وفي هذا يقول في رومية: (فإني أقول لكم أيها الأمم، بما أني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي)^(١)، إن عالمية المسيحية كانت نقطة التحول في تاريخ الديانة ؛ لأن فتح باب هذه الديانة لجميع العناصر ألزم بولس أن يدخل على ديانته تعليمات أخرى تزيل الهوة بين ديانات بني إسرائيل، وأفكار الأمم المختلفة الذين فتح لهم باب المسيحية، ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ؛ ليكفر بنفسه عن خطيئة البشر، وبعدم ضرورة الختان، وغير ذلك من العقائد التي لها صلة بديانات هذه الأمم.^(٢)

وهذه الدعوى الدوغمائية منه تخالف ما ذكره المسيح عن نفسه وما وصّى أيضا به تلاميذه، حيث يقول عن نفسه في (إنجيل متى): (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(٣)، ووصّى تلاميذه بقوله في إنجيل متى: (إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)^(٤).

إلغاؤه لشريعة موسى عليه السلام، ودعواه أن الإنسان ينجو بالإيمان المجرد بدون عمل

ألغى بولس شريعة موسى عليه السلام، وفي هذا يقول في رسالته إلى رومية: (إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح آمنّا نحن أيضاً بيسوع المسيح ؛ لننتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس؛ لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحببني وأسلم نفسه لأجلي، لست أبطل نعمة الله؛ لأنه إن كان بالناموس بر، فالمسيح إذاً مات بلا سبب)^(٥).

ومما يجدر ذكره أن بولس لما وسع نطاق دعوة المسيح عليه السلام لتشمل جميع الناس واجه عقبة وهي عدم قبول الوثنيين للشرائع الموسوية، وتصور أنه لا يمكن أن تتجح الدعوة بينهم مع وجود الشريعة، فقرّر إلغائها، ويذكر سفر أعمال الرسل أن هذا أولاً تمّ بمطالبة من بولس ودعوة منه، ثم بعده، ووافق عليه سائر التلاميذ، وقرروا أن لا يلزم الناس بشيء من الأمور الواجبة عند بني إسرائيل سوى الامتناع عن الذبح للأصنام، وعن أكل الدم، والمخنوق، والامتناع عن الزنا.

(١) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل رومية (الإصحاح ١١ ، فقرة : ١٣).

(٢) شلبي ، المسيحية ، ص ١١٧.

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى (الإصحاح ١٥ ، فقرة : ٢٤).

(٤) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى (الإصحاح ١٠ ، فقرة : ٥).

(٥) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل غلاطية (الإصحاح ٢ ، فقرة : ١٦ - ٢١) باختصار.

والغاء بولس للعمل بشريعة موسى عليه السلام خلاف ما أكَّده المسيح عليه السلام ودعا إليه، فقد ورد في (إنجيل متى) أنه قال: (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل. فإن الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة من الناموس حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر في ملكوت السموات، وأما من عمل وعلم، فهذا يُدعى عظيماً في ملكوت السموات. فإني أقول لكم: إن لم يزد بركم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات)^(١).

فهذه تأكيدات واضحة من المسيح على التزام شريعة موسى عليه السلام وتحريم الخروج عليها. فالغاء العمل بشريعة موسى هو في الحقيقة هدم لديانة المسيح تماماً؛ لأن مما هو ظاهر من دعوة المسيح عليه السلام أنه لم يأت بتعاليم جديدة تذكر، وإنما ركَّز تركيزاً خاصاً على التوبة والتخلص من الخطايا، وهذا لا شك مع التزام الشريعة السابقة، فإذا ألغيت الشريعة بقيت دعوة المسيح عليه السلام دعوة عامة للتوبة والصالح بدون أعمال يتوصل الإنسان من خلالها إلى تهذيب نفسه وتركيتها، وهذا ما آل إليه أمر ديانة المسيح _ عليه السلام _ ؛ بسبب دعوة بولس الذي نشط بعد ذلك في بيان بطلان شريعة موسى عليه السلام ووجَّه إلغائها، وتكرَّر هذا الأمر في أغلب رسائله، وهو من أهم ما يميز دعوته مع أنه لا يملك دليلاً واحداً يبيح له مثل هذا العمل، الذي يعتبر كفراً بالديانة ونقضاً لها من أساسها، كما أن تلك الدعوة الدوغمانية كانت أهم أسباب عمليات التنصير القصري فيما بعد التي جرت لليهود ومسلمين أسبانيا وغيرهم .

إلغائه للختان

اختتن المسيح عليه السلام والتزم به؛ لأنه من شريعة موسى، فقد ذكر اليهود في كتابهم أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام كما في التكوين: (يختن منكم كل ذكر فَتُخْتَنُونَ في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ... وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي)^(٢).

ومع هذا التأكيد على الختان، فقد ألغاه بولس من ضمن ما ألغى من شريعة موسى عليه السلام، وفي هذا يقول في رومية: (لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء هو اليهودي، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان)^(٣).

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، نجيل متى (الإصحاح ٥، فقرة ١٧ - ٢٠).

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (الإصحاح ١٧، فقرة ١٠ - ١٤).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل رومية (الإصحاح ٢، فقرة ٢٨ - ٢٩).

هذه بعض الأمور التي يلاحظها الإنسان الذي يطَّلِعُ اطلالة سريعة على رسائل بولس التي تكونت بعدُ منها النصرانية، وقامت عليها، وغطت تعاليمه على تعاليم المسيح عليه السلام، بل ألغتها وحلَّت محلَّها، كما سبق ذكره، ومن الجدير بالذكر أن أتباع المسيح الأوائل لم يقبلوا تلك الدعاوى من بولس، بل ردوها، وفي هذا يقول في رسالته الثانية إلى تيموثاوس: (إن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني)^(١)؛ وهذا هو المتوقع من الحواريين الذين عرفوا الحق ورأوا المسيح عليه السلام وتعلموا عليه.

إلا أن تلك الدعاوى وجدت رواجاً لدى الرومان واليونان، وخاصة في غرب أوروبا حيث كان الغالبية وثنيين، فناسبتهم هذه المبادئ فأخذوا بها، ثم طبعها بطابع الشمول والإلزام الدوغمائي مجمع نيقية سنة (٣٢٥)م حيث قرروا فيه ألوهية المسيح عليه السلام، وأنه نزل ليصلب ؛ تكفيراً لخطايا البشر فأصبحت الديانة النصرانية مدينة في الواقع لبولس، وليس للمسيح منها إلا الاسم فقط.

وقد حذر بطرس من بولس، وممن ساروا على طريقه أيضاً، فقال: " كان أيضاً في الشعب أنبياء كذبة، كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك ... " ^(٢) . وقال المسيح أيضاً عن هؤلاء المبطلين: "من ثمارهم تعرفونهم" ^(٣)، فقد كانت ثمار بولس بدع الهلاك التي أدخلها في المسيحية: ألوهية المسيح، الصلب والفداء، عالمية النصرانية، إلغاء الشريعة.

إن كل الادعاءات التي نادى بها بولس كانت بمثابة البذور للعقائد الدوغمائية التي وجدت لدى اتباع النصرانية، حيث أن الديانة النصرانية تقوم اليوم على تلك المزاعم التي نادى بها بولس من ألوهية المسيح وصلبه وغيرها دون أن يكون لهذه العقائد أصل من الدين الصحيح الذي أنزله الله على عيسى _عليه السلام_ ودون أن يكون لها دليل من المنطق أو العقل كما أن النصارى قد تمسكوا بها تمسكا دوغمائي رافضين كل قول يخالفها، فكانت تحريفات بولس تلك من أهم أسباب أنتشار الدوغمائية لدى أتباع الديانة النصرانية .

وبالإضافة إلى ذلك نجد أن خلاصة ما زعم بولس بأنه تلقاه وحيا فهو دين وثني جديد، لا صلة له بكل ما أنزل على بني إسرائيل، إنه مزيج من الغنوصية والديانات الباطنية، وشيء من تاريخ الوثنيين وفلسفتهم.

(١) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس إلى أهل تيموثاوس الثانية (الإصحاح ١، فقرة : ١٥).

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بطرس الرسول الثانية (الإصحاح ٢ ، فقرة : ١ - ٣).

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى (الإصحاح ٧ ، فقرة : ١٦).

المبحث الرابع

التأثر بالفلسفات الوثنية

مدخل

كانت المسيحية في أول الأمر بعيدة عن الدوغمائية والآراء الفلسفية ؛ لأن الدين وضع إلهي يقوم علي الإيمان بالله والتصديق بوعده، أما الفلسفة فتقوم على العقل المحض ؛ ولكن سرعان ما ظهر التأثير الفلسفي الدوغمائي علي المسيحية في أوائل عهدها حينما اعتنقها رجال مثقفون بالثقافة اليونانية المنتشرة حين ذاك في حوض البحر الأبيض المتوسط، والتي كانت تملؤها الأفكار الدوغمائية التي لا سند لها من المنطق أو العقل، أو ربما لها سند من عقول قاصرة تخطو خطوات بدائية في التفكير المنطقي، وبذلك أخذت الفلسفة اليونانية بما فيها من أفكار دوغمائية تدخل في المسائل الدينية كتحديد ماهية الله وكنهه، وطبيعة المسيح وهل هو إله، أم إنسان اختير لتبليغ الرسالة إلي خلقه، وغيرها من المسائل التي كانت موضع خلاف بين الأفلاطونية الحديثة والمسيحية.^(١)

وتعني الباحثة في هذا المبحث بعرض الآراء الفلسفية التي كانت منتشرة في القرون الأربعة الأولى للنصرانية، تلك التي تكونت فيها العقيدة النصرانية الدوغمائية بكل ما لحقها من انحراف عن عقيدة المسيح عليه السلام فأعرض لبداية دخول الفلسفة اليونانية في الفكر النصراني وملامح تأثير الفلسفة على عقائد النصارى وبداية ظهور الأفكار الدوغمائية لديهم .

بداية دخول الفلسفة اليونانية في الفكر النصراني

انتشرت الديانة النصرانية في أرجاء الدول الرومانية، بعد بدء فكرة عالمية النصرانية على يد بولس ودخلت إلى العالم الوثني، فدخلت معركة مع الوثنية من جهة ومع الفلسفة من جهة أخرى، وانتشرت وتسربت بعض الأفكار والعلوم إلى هذه الديانة الناشئة المضطهدة؛ فتأثرت بهذه الأفكار، وخاصة الفكر اليوناني وذلك لأسباب منها : دخول أصحاب الأهواء والمنافقين ممن تأثروا بالفلسفة أمثال بولس في عصر مبكر من تاريخ النصرانية، و دخول بعض فلاسفة اليونان في النصرانية فقد كان كثير من كبار قساوسة النصرانية تنصروا بعد فلسفة، فكان طبيعي أن يصدروا عن معارفهم وأفكارهم السابقة وثقافتهم في مجال تبیین عقيدتهم، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدونها بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها، بالإضافة إلى تسامح رجال الدين النصراني مع الداخلين في الديانة لأجل استقطاب أكبر عدد منهم، فكان المرء يدخل في النصرانية اسما فقط، وأفكاره مع ما كان يعتقد من قبل.^(٢)

(١) ينظر : الفاضلي ، أصول المسيحية كما يصورها القرآن ، ص ١٧٧ - ١٧٨

(٢) راجع : بسمة أحمد جستنيه ، تحريف رسالة المسيح - عليه السلام - عبر التاريخ أسبابه ونتائجه دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ص ٣٨٦ .

ملاح التآثير الفلسفي في العقائد النصرانية الذي أدى إلى انتشار الأفكار الدوغمانية بها

إنه بالبحث والتحري قد وجد أن تأثير الفلسفة اليونانية واضح كل الوضوح في الديانة النصرانية، وإن انتمائها إليه أكثر من انتمائها إلى المسيح عليه السلام، وإن الناظر في الديانة النصرانية يتحقق من تأثير الفلسفة فيها في نواح عديدة من أهمها :

أولاً : أن النصرانية اقتبست من الأديان الوثنية والفلسفات اليونانية دوغمانية الواسطة بين الخالق والمخلوق، ومن هنا ترى الباحثة أن بولس وهو اليهودي في الأصل قد تأثر بفيلون^(١) اليهودي في دعوى الواسطة، فترى تطابقاً بين رأييهما فقد ادعى فيلون وسيطاً بين الإله الأعلى والإنسان، وفي ذلك يقول بولس : " لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح "^(٢) ودعوى النصارى في الكلمة أو اللوجوس بمعنى الواسطة بدا واضحاً في الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا)، وهو قول مأخوذ من فلاسفة اليونان، فهو مزيج من فلسفة أفلاطون^(٣) ، حيث يدعى أنه في البدء جاء الصانع فصنع النفس الكلية، ومن الأخيرة صنع الإنسان وبقيّة الأشياء،^(٤) وجاء فيلون اليهودي محاولاً الربط بين هذه الأشياء مع موروّثاته الدينية اليهودية، فادعى أن الواسطة بين الخالق والمخلوق هي الكلمة أو اللوجوس الصادر عن الله، والذي هو صفة من صفات الله، وهو يعتبر ولد الله وابن الله، وهي عنده تحفظ جميع الأشياء، وهي موجودة في ماهية الله، وتكاد تعد أقنوماً من أقانيم الله - تعالى الله عن قولهم - وهذا القول ظهر واضحاً في إنجيل يوحنا بادعائه أن المسيح هو الكلمة، وأن الكلمة هي إله وابن الله، وبها كان كل شيء. ^(٥)

ثانياً : إن التثليث وهو رأس العقيدة النصرانية هو مزيج مستورد من الوثنية والفلسفة خاصة الأفلاطونية، فنجد أفلاطون في كلامه عن الإله جعله ثلاث طبقات: " أولاً الصور الحي بذاته، وثانياً الصانع الذي يصنع الوجود على غرار الصور أو الحي بذاته، وثالثاً الكون أو العالم ثم أرواح الكواكب "^(٦)؛ وهذا التثليث ظهر أيضاً بعد في

(١) أول فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة واللاهوت ويعد من أهم الفلاسفة الذين تأثر بهم النصارى ولد فيلون في الإسكندرية نحو عام ٢٠ أو ٣٠ ق.م ومات بعد عام ٥٤ من القرن الأول الميلادي ، وكان كبير المنزل بين أبناء جنسه وطائفته اليهود وهو فيلسوف إسكندري في آرائه الفلسفية والدينية، وقد درس الفلسفة اليونانية وسائر الفلسفات التي كانت الإسكندرية تموج بها في عصره. ينظر : عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة ، ج ٢ ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس (الاصحاح ٢ ، فقرة : ٥)
(٣) ولد أفلاطون في أثينا سنة (٤٢٧) وكان من تلاميذ سقراط ، وبعده لحق بإقليدس ، كما اتصل بالمدرسة الكهنوتية في عين شمس ، أنشأ سنة (٣٨٧) ق.م . مدرسة على أبواب مدينة أثينا سميت بالأكاديمية وكانت أشبه شيء بالجامعة تدرس فيها جميع علوم العصر ، وتوفي سنة (٣٤٧) ق.م . ينظر: يوسف كرم و إبراهيم مذكور ، دروس في الفلسفة ، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ص ٨٧ .

(٤) راجع: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٥) راجع: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .

(٦) عبد الرحمن بدوي موسوعة الفلسفة ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

كلام أفلوطين^(١) رأس الأفلاطونية المحدثه على نحو من كلام أفلاطون، فادعى التثليث، وجعل الإله ثلاثة أقانيم . وإذا نظرنا إلي ثالث النصارى وجدناه يحوم حول هذه المعاني التي عرضها أفلوطين ، وكأنه مشتق منها، إلا إنه حددها بذوات معلومة معروفة، وخالف بين أدوارها، فعندهم الأب وهو الأصل والمبدأ، والابن وهو كلمة الله وعقل الله، وهو صادر عن الأب، وهو الذي خلق العالم ووجده ، ويتصرف فيه ويدبره، وروح القدس وهو صفة الحياة للإله الأب والابن ؛ إذن فالمسيحية في دعواها الأقانيم الثلاثة إنما تتمسك بفكرة فلسفية هي خليط من تعاليم المدارس الفلسفية، وخاصة: (الأفلاطونية) و(الأفلاطونية الحديثة)^(٢) .

ثالثاً : إن المصطلحات الدينية لدى النصارى، مثل : الأب، والابن، والروح القدس ،والكلمة، والتجسيد، والصلب، والفداء، والتعميد، فسرت بتفسيرات فلسفية استخدم أصحابها فيها أساليب الفلاسفة؛ ليتم إقناع الناس بتلك المصطلحات التي لم يرد فيها عن المسيح- عليه السلام - شيء البتة؛ مما يدل دلالة واضحة على أن الفلسفة كانت مطيعة للنصارى في شرح ديانتهم.

كيف تشربت الديانة النصرانية الفلسفة الوثنية؟

إن الناظر في كبار الدعاة إلى النصرانية في العصور الأولى، والذين يشار إليهم بأنهم من أعظم الناس أثراً وتأثيراً في الديانة النصرانية، هم فلاسفة متعمقون في الفلسفات الوثنية، وبعد تنصرهم نقلوا تلك الفلسفات معهم إلى الدين الجديد وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدها في الديانة النصرانية - وما أكثرها - بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها من قبل، ومن هؤلاء الذين كان لهم دور في ذلك:

(١) بولس (شاول اليهودي) وسبق الحديث عنه.

(٢) "يوسستينيوس" الذي ولد سنة ١٠٠ أو ١٥٠ م، فقد ولد من أبوين وثنيين وتربى على الديانة الوثنية وتعلم الفلسفة الرواقية^(٣) ثم درس فلسفة الأكاديميين^(٤) والفيثاغوريين^(١).(٢)

(١) ولد في أسبوط عام ٢٠٤ م. وتوفي عام ٢٧٠ م، وهو أكبر مجددي الأفلاطونية، وُلد في ليقيوبوليس من أعمال مصر الوسطى سنة ٢٠٥ ميلادية، وبقي بها إلى الثامنة والعشرين، ثم قصد إلى الإسكندرية وتتلذذ لأمونيوس ، وظل أفلوطين يأخذ عنه إحدى عشرة سنة، ثم رحل إلى روما سنة ٢٤٥ وأقام بها حتى مماته سنة ٢٧٠ م، كتب أربع وخمسين رسالة هي صورة لتعليمه الشفوي. ينظر : يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ص ٢٨٩.

(٢) ينظر: رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت ، ص ٣١- ٣٣. وأيضا : محمد علي أبو ريان ، وعباس محمد حسن سليمان، مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، ص ٦٧، ٦٨.

(٣) الفلسفة الرواقية: سميت رواقية ؛ لأن أصحابها كانوا يجتمعون في رواق، وهي فلسفة أخلاقية، وتقول عن الله بأنه خالق كل شيء وهو منبث في هذا الكون. انظر: يوسف كرم إبراهيم مذكور ، دروس في الفلسفة ، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٤) الأكاديميين : نسبة إلى المدرسة التي أنشأها أفلاطون ، وسماها أكاديمية ، وكانت تدرس الفلسفة اليونانية كما كانت أشبه بجامعة تدرس تدرس فيها كل علوم العصر. ينظر : دروس في الفلسفة ، ص ٨٧ .

قال عنه القس حنا الخضري: "مما لاشك فيه أن الدراسات الفلسفية الكثيرة التي درسها يوستينوس قبل تجديده تركت في تعاليمه بعض الآثار الوثنية"^(٣)

(٣) "تاتيانوس السوري" المولود عام ١١٠م من عائلة وثنية، درس الفلسفة في بلاد اليونان، ثم ذهب إلى روما ودرس دياناتهم وفلسفاتهم، ثم تتلمذ على يوستينوس، وقد كتب كتاباً تحدث فيه عن اللوجوس وعلاقته بالآب وخلق الانسان والدينونة الأخيرة وخطيئة آدم وحواء.^(٤)

(٤) "أثينا غورس الأثيني": كان معاصراً "لتاتيان السوري" كان يحب الفلسفة وكتابات مليئة بالاقتراسات الشعرية والفلسفية ، ولقد تكلم في كتاب له عن وحدة الله وعن الروح القدس وعن الثالوث.

(٥) "ثيوفيلوس الأنطاكي": ولد من أبوين وثنيين، وكانت ثقافته يونانية وثنية وهو أول من استعمل كلمة الثالوث في تاريخ العقيدة النصرانية^(٥).

(٦) "أكليمندوس الإسكندري" ولد على ما يحتمل سنة ١٥٠م في أثينا من أبوين وثنيين، وكان محباً للعلم شغوفاً به مولعاً بالبحث عنه أينما وجد ورحل في ذلك رحلات عديدة، إلى أن حطت به الرحال في الإسكندرية ملتقى الثقافات المتنوعة، وصار بعد أن دخل النصرانية مديراً لمدرسة التعليم المسيحي في الإسكندرية، والتي أسسها باثيوس الذي كان قبل دخوله النصرانية وثنياً رواقياً.

وكان اكليمندوس الإسكندري متأثراً جداً ب يوستينوس وفلسفته ؛ فأدخل هذه الأمور في تعاليمه عن المسيح، وفي هذا يقول القس حنا الخضري: "مما لاشك فيه أن العلوم والفلسفات الوثنية الكثيرة التي درسها والبيئة التي نشأ فيها إكليمندس، تركت فيه أثراً عميقاً لم يكن من السهل محوه محواً تاماً"^(٦).

(١) الفيثاغورية: نسبة إلى فيثاغورس اليوناني ومدرسته الفلسفية، وفيها مبادئ صوفية تتصل بالزهد، وهم يرون تحريم أكل اللحوم ويقولون بتناسخ الأرواح أنظر: عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة، ج٢، ص٢٢٨.

(٢) القس حنا جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي، يسوع عبر الأجيال ، دار الثقافة ، القاهرة ، ج ١ ص ٤٤٤ وما بعدها.

(٣) القس حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي ، ج ١، ص ٥٣ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٥) راجع : القس حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي ، ج ١، ص ٤٥٩ - ٤٦٣.

(٦) ينظر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٠٧ .

(٧) "اغسطينوس" ولد سنة ٣٥٤م في مدينة سقسطه في الجزائر، وتوفي سنة ٤٣٠م، التي تميزت سنوات شبابه بالصراع العقلي والأدبي، فقد جذبته الفلسفة الثنائية لجماعة المانويين، وصار تابعاً أميناً للعقيدة المانوية وفلسفتها، ثم ضاق بالمانوية وصار اهتمامه بالأفلاطونية الحديثة، والذي من خلالها صار يعتبر نفسه مسيحياً، ثم خلع عنه فيما بعد حياة المجون والفساد، واستقبل الحياة النصرانية، وبرز فيها إلى أن صار أسقفاً لهيبو في منطقة تونس إلى أن توفي سنة ٤٣٠م، وصار من أعظم قادة الكنيسة بعد بولس، إلا أن أفكار الأفلاطونية الحديثة أثرت على تعاليمه يقول جون لوريمر:

كانت معالجة اغسطينوس للأوجه الرسمية الخاصة بالفكر اللاهوتي متأثرة بخلفيته عن الأفلاطونية الحديثة^(١)، ولا نريد الإطالة في عرض هذا الموضوع إنما المراد الإشارة إلى أن العقائد الدوغمائية التي اضطبغت بها النصرانية دخلتها عن طريق هؤلاء وأمثالهم الذين كانوا رواداً للديانة في بداية انطلاقها إلى البلدان الوثنية، فقد عبرت إلى الوثنيين عن طريق هؤلاء المتشبعين بالفلسفات والوثنيات ؛ حيث صبغوها بفهومهم ومعارفهم وعقائدهم السابقة، وقدموها للناس شارحين ومدافعين ديانة مخلوطة بالفلسفة الوثنية في ثوب ديانة توحيدية سماوية.

فلا شك بعد هذا كله من أن الديانة التي جاء بها المسيح _عليه السلام_ لم يكن فيها شيء من التعقيد والفلسفة الدوغمائية ، بل كانت دعوة بسيطة وجهها إلي بسطاء الناس من بني إسرائيل ؛ لأنها لا تعدو أن تكون وعظاً وتذكيراً وضرب أمثلة من واقع الناس وحياتهم اليومية ، أما ما عليه النصرانية اليوم فهي نصرانية غاية في العسر واستحالة الفهم ، وكل من أراد أن يؤمن بها فعليه أن يلغي عقله جانبا ؛ حتى يمكنه أن يقبل ذلك المزيج بين الدين والفلسفة والأديان الوثنية، وهو مزيج النسبة المرتفعة فيه لصالح الفلسفة الوثنية فقد كان دخول النظريات والآراء الفلسفية في الديانة النصرانية وامتزاجها بالعقائد النصرانية من أهم أسباب ظهور الدوغمائيات في النصرانية وتمسك اتباعها بهذه الدوغمائيات ؛ لأن تلك النظريات الفلسفية لا تعد أن تكون رؤى عقلية غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من قبل أصحابها، فكيف لها أن تحتل مكان العقائد الإلهية، ويصير التمسك والاذعان لها مطلق، والتشكيك فيها كفر لا بد أن ذلك صورة واضحة للدوغمائية التي نشأت عن هذه الفلسفات الوثنية.

(١) انظر: القس جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة، ج ٣ ، ص ١٨٦ - ٢٠٠.

المبحث الخامس

التأثر بالوثنيات

مدخل

إنه من الوارد في الإنجيل أن المسيح -عليه السلام- قد نادى بأنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة، بل نهى أتباعه عن الذهاب إلى قرى غير اليهودي، فقال : " إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" ^(١)، إلا أن أتباعه فيما بعد خالفوا ذلك، وتوجهوا إلى الوثنيين من الرومان واليونان والفرس وغيرهم في المناطق المجاورة والأماكن التي أمكنهم الوصول إليها، وكان رائدهم في ذلك بولس ودعوته بعالمية الديانة النصرانية، ولما كانت دعوة المسيح تفتقر للمقومات التي تكفل لها التأثير في تلك المجتمعات. حيث كانت دعوة لبني إسرائيل خاصة وليس لها الصبغة العالمية التي يمكن أن تتغلب بها على تلك الأديان والفلسفات لذا فقد غلبت وأمكن للديانات الوثنية أن تصبغها بصبغتها، بل ألغتها تماماً واحتلت مكانها، وأخذت مسماها، هذا أمر يتضح لكل ناظر في الديانة النصرانية المحرفة، وقد أكد علماء الأديان والتاريخ ذلك، وأن الديانة النصرانية قد اصطبغت بالصبغة الوثنية، وأنها أخذت عقيدتها وعبادتها من تلك الوثنيات فضمتها إليها، ووضعت عليها اسمها، فكانت هذه الوثنيات التي تخللت في النصرانية أهم أسباب ظهور الدوغماتيات الباطلة فيها ؛ وفي هذا المبحث سوف يتم رصد تلك الأصول الوثنية للعقائد الدوغماتية التي ظهرت لدى أتباع النصرانية.

حيث أن الأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية لم تعد فرضاً علمياً أو تخميناً أو استنتاجاً، فبعد تقدم العلوم النقدية واكتشاف الوثائق، وقراءة المخطوطات والنقوش، قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية ما هي في حقيقة الأمر إلا خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة، ثم استمدتها النصرانية منها ونقلتها بعد ذلك نقلاً حرفياً ، وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف الفرنسي أرنت رينان : " إن التأثير الفارسي كان كبير جداً على المسيحية خاصة في الثنويات - الظلمة والنور - ، وإن هناك تشابهاً بين المسياء المسيحي ونظيره الفارسي، وقد أشار رينان أيضاً إلى أن الوثنيين المسيحيين قد أضافوا على المسيح صفات المعبود الوثني أدونيس " ^(٢).

(١) الكتاب المقدس العهد الجديد إنجيل متى (اصحاح ١٠ ، فقرة ٥ : ٦).

(٢) أندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف يونغ ، الأصول الوثنية ، ترجمة : سميرة عزمي الزين ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الانسانية ، ص ٩

ومن هنا نستطيع القول إن المسيحية بوجهها العام تبدو تلفيقية وثنية وأنها برغم تنقيحها تبقى تلفيقية ومن الأدلة التفصيلية لأثر هذه الديانات الوثنية في انحراف النصرانية عن وضعها الصحيح وكون عقائدها دوغمائية باطلة ما يلي

أولاً: التثليث

إن التثليث موجود عند الهنادكة والبوذيين قبل النصارى، وفي هذا يقول "فاير" في كتابه (أصل الوثنية) : "وكما نجد عند الهنود ثالثاً مؤلفاً من برهمة وفشنو وسيفا، هكذا نجد عند البوذيين، فإنهم يقولون إن بوذا إله ويقولون بأقانيمه الثلاث" كما كان يوجد ذلك أيضاً لدى المصريين والفرس واليونان والرومان والأشوريين والفينيقيين والاسكندنافيين والتتر والمكسيكيين والكنديين، وكذلك المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة، وهم "أتوم، وشو، وتغنوت" أو أوزيريس وأيزيس وحورس^(١).

ثانياً: الصلب

إن الصلب - فداء للبشر - عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة، وفي هذا يقول "هوك" في كتابه "رحلة هوك": "ويعتقد الهنود بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداءً عن الناس من الخطيئة".

وقال "دوان" في كتابه "خرافات التوراة والإنجيل" ما نصه: "ويعتقد الهنود بأن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو، والذي لا ابتداء ولا انتهاء له على رأيهم، تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأثاها، وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه" وقالت السيدة "جمسون" في كتابها "تاريخ سيدنا من الآثار": "كان الميليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل خشبه وتحت رجليه صورة حمل"، والسوريون يقولون: "إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس، ويدعونه (المخلص، والفادي، والمصلوب)"^(٢).

(١) راجع: البيروتى، محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تحقيق: محمد عبد الله الشرفاوي، دار الصحو للنشر ص ٥٤ - ٦٨ وأيضاً رندل كلارك، الرمز والأسطورة في مصر القديمة، ترجمة: أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م، ص ٣٩، وأيضاً: أندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ص ١٠

(٢) نقلاً عن: البيروتى: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٧٥، ٧٩

ثالثاً: التجسيد

الاعتقاد بأن إلهاً تجسد وولد من عذراء هو كذلك من عقائد الوثنيين، ففي هذا يقول "دوان" في كتابه السابق: "والهنود يقولون إن كرشنه هو ابن العذراء النقية الطاهرة ديفاكي ويدعونها والدة الإله. ويقول المصريون: إن هورس "حورس" المخلص ولد من العذراء إيسيس "إيزيس"، وأنه المنبتق الثاني من عامون، ويقولون الابن المولود، ويصورونه إما على يدي أمه أو على حضنها"^(١).

فهذه أمثلة واضحة على تأثر الديانة النصرانية بالأديان الوثنية قبلها، بل إن الأديان الوثنية تغلبت على ديانة المسيح -عليه السلام- وصبغتها بصبغتها، وقد صرح المؤرخ "ه. فيشر" بذلك التشابه حيث قال: "غير أنه ليس ثمة شك أن اتخاذ المسيحية - فيما بعد- ديانة رسمية للبلاد - يعني الإمبراطورية الرومانية - ساعد على ازدياد صفوف المسيحيين زيادة سريعة، سيما أن التحول عن الوثنية إلى المسيحية لم يكن انتقالاً إلى جو غريب تمام الغرابة، أو شعوراً بانقلاب باغت مفاجئ، بل بدا الولوج في المسيحية عملية رفيقه في كثير من التدرج الشعوري العاطفي، إذ شابها طقوس الديانة المسيحية وأسرارها المقدسة ما للديانة القديمة من طقوس وأسرار، كما اشتملت تعاليمها على تعاليم الأفلاطونية الحديثة"^(٢) يضاف إلى ذلك أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء"^(٣).

وفي نفس الموضوع يقول "شارل جنبيير" رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس: "إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة، وإذا كانت - أي النصرانية- قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان "التأليف" الديني الوثني؛ فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخسبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية، قامت هي -أي النصرانية- بترتيبها، وتركيبها، وأضفت عليها الانسجام الذي تقتقر إليه، بحيث استطاعت أن تقف مفردة أمام أشتات المعتقدات والشعائر التي يؤمن بها أعداؤها دون أن تظهر ضعفاً أو نقصاً عليها في أي من المجالات الهامة.

^(١) نقلاً عن المرجع السابق ص ١٨٥ ، وانظر : الرمز والأسطورة في مصر القديمة ص (١٠٤-١٠٦) .

^(٢) الأفلاطونية الحديثة: هي فلسفة دينية ذهبت إلى احتواء المعتقدات السائدة والأساطير والطقوس وعبادات الشرق، والسحر، والكيماويات القديمة، ويعد أفلوطين مؤسس الأفلاطونية الحديثة . راجع عبد الرحمن بدوي ، : موسوعة الفلسفة ص ١٩١ - ٢٠٨ .

^(٣) ه.أ.ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة : محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، دار المعارف ، مصر ط ٦ ، ص ٨.

وتمت ظاهرة التشرب هذه- وهي من الظواهر الأساسية في تاريخ المسيحية - في ببطء بطيء معتمدة على الاتصال الدؤوب بتطور الإيمان بين جميع طبقات المجتمع الوثني، ذلك المجتمع الذي اختلفت فيه صور الإيمان باختلاف بيئاته وباختلاف العهود التي مر بها، ... وإنما لظاهرة تفسر لنا كيف جاء العصر الذي استطاعت فيه المسيحية أن تكسب عطفاً نشيطاً بين رحاب العالم اليوناني الروماني^(١).

فهذا يكفي للدلالة على تشرب الديانة النصرانية للأديان الوثنية التي توجهت إليها، وقد كان هذا التشرب من أهم أسباب ظهور الدوغمائية عند النصارى إن لم يكن أهمها على الإطلاق ؛ ذلك لأن هذا التشرب والتأثر، والخلط بين العقائد الوثنية والنصرانية يُعد في عرف الدين الحق انحلالاً وكفراً بالدين الإلهي الذي يجب أن يكون صحيح النسبة إلى الله تعالى- في أصوله وفروعه- نقياً في عقائده وتشريعاته من خرافات البشر، وإملاءات الشياطين.

(١) شارل جنيبير ، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ص ١٢١.

الفصل الثاني

مصادر النصرانية الدوغمائية

ويشتمل على المباحث الآتية :

- المبحث الأول: دوغمائية الأناجيل الأربعة
- المبحث الثاني : دوغمائية المجامع المقدسة

المبحث الأول

دوغمائية الأناجيل الأربعة

مصادر النصرانية بعد عيسى - عليه السلام -

الكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والأناجيل، ورسائل الرسل، وتسمى التوراة (أسفارها الموسوية وغيرها) كتب العهد القديم، وتسمى الأناجيل، ورسائل الرسل كتب العهد الجديد، ولنترك الكلام في التوراة فقد تم ذكره في موضعه من الدراسة للديانة اليهودية، "بيد إنه يجب أن يلاحظ أن بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسيحيين، لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها".^(١)

أما العهد الجديد: فهو مجموعة من الأناجيل والرسائل الملحقة بها وتتضمن حسب المدون فيها: دعوة المسيح عليه السلام، وتاريخه، وشيئاً من دعوة أوائل النصارى، وتاريخهم، ورسائل دينية أخرى، وهي على الترتيب:-

- ١- إنجيل متى
- ٢- إنجيل مرقس
- ٣- إنجيل لوقا
- ٤- إنجيل يوحنا
- ٥- أعمال الرسل
- ٦- رسالة بولس إلى أهل رومية
- ٧- رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس
- ٨- رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس
- ٩- رسالة بولس إلى غلاطية
- ١٠- رسالة بولس إلى أفسس
- ١١- رسالة بولس إلى أهل فيلبي

^(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٤٠ .

١٢- رسالة بولس إلى أهل كورنثوس

١٣- رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكى

١٤- رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكى

١٥- رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس

١٦- رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس

١٧- رسالة بولس إلى تيطس

١٨- رسالة بولس إلى فلپمون

١٩- الرسالة إلى العبرانيين

٢٠- رسالة يعقوب

٢١- رسالة بطرس الرسول الأولى

٢٢- رسالة بطرس الرسول الثانية

٢٣- رسالة يوحنا الرسول الأولى

٢٤- رسالة يوحنا الرسول الثانية

٢٥- رسالة يوحنا الرسول الثالثة

٢٦- رسالة يهوذا

٢٧- رؤيا يوحنا اللاهوتي^(١)

وسيتيم الاكتفاء في هذه الدراسة ببيان حال الأناجيل من ناحية ثبوتها، وصحة نسبتها إلى من تنسب إليه، وهل يصح اعتبارها كتباً مقدسة^(٢)؟ أم أن الإيمان بها وادعاء قدسيتها مجرد دوغمائية من أتباع الديانة النصرانية وقبل الشروع في ذلك أعرج إلى تعريف الإنجيل .

(١) أنظر : فهرس العهد الجديد .

(٢) الرسائل الملحقة بالأناجيل هي في الحقيقة أقل حالاً من ناحية صحة نسبتها إلى من تنسب إليه وإن كان لها في الواقع الدور الأكبر في تشكيل الديانة النصرانية وخاصة رسائل بولس.

تعريف الإنجيل

لغة: "الإنجيل هذه الكلمة مأخوذة عن اليونانية، ومعناها البشارة" ^(١)، وفي العربية الإنجيل بالكسر كإكليل وإخريط، ويفتح، وبه قرأ الحسن قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْزَنْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ﴾ ^(٢)، وهو: اسم كتاب الله المنزل على عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، والجمع أناجيل، ومنه الحديث في صفة الصحابة: " أناجيلهم في صدورهم" ^(٣)، واختلف في لفظ الإنجيل فقليل: اسم عبراني، وقيل: سرياني، وقيل: عربي، وعلى الأخير قليل: مشتق من النجل، وهو الأصل، أو من نجلت الشيء: أي أظهرته، أو من نجله: إذا استخرجته، وقيل غير ذلك. ^(٤)

اصطلاحاً: تقول دائرة معارف القرن العشرين "الإنجيل" عندنا (إي نحن المسلمون): "هو الكتاب الذي أنزله الله على رسوله الأمين عيسى _ عليه السلام _ هدى ونورا لبني إسرائيل؛ أما عند المسيحيين فالإنجيل يطلق على الكتب الأربعة التي هي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، التي هي تراجم حياة عيسى عليه السلام وفيها أقواله وآدابه وأعماله ^(٥).

ومن تعريفات علماء النصرانية للإنجيل قول فنتون : "يبدو أن كلمة إنجيل تعني ترتيب المادة التي تتحدث عن أقوال يسوع وأفعاله بالطريقة التي تجعل المؤلف يعبر خلال مؤلفه كله عن معتقدات محددة ألزم نفسه بها " ^(٦).

إنجيل السيد المسيح عليه السلام

أوحى الله سبحانه وتعالى ، إلى المسيح عيسى ابن مريم _ عليه السلام _ إنجيلا ورد ذكره في أكثر من آية في القرآن الكريم، ولكن لا نعلم هل كتب المسيح الإنجيل الذي أوحى إليه من ربه ، أو أمر أحدا من أتباعه بكتابته أم أنه كان يدعو قومه به شفاهة، ولكن من المؤكد أن هذا الإنجيل قد ضاع واختفى ، أو تم إخفاؤه عن عمد وسابق إصرار ؛ فضاعت آثاره، ولم يعد له وجود، ولا تتحدث عنه المصادر المسيحية، حيث أنه "من المؤكد أن المسيح عليه السلام وتلاميذه وأتباعه كانوا يتعبدون بالإنجيل الذي أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى عبده

^(١) جورج بوست ، قاموس الكتاب المقدس، ج ١ ، ص ١٤٨.

^(٢) المائدة: ٤٧.

^(٣) الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط ٢، رقم الحديث : ١٠٠٤٦ ، ج ١٠ ، ص ٨٩.

^(٤) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)

تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية ج ٣٠، ص ٤٥٨.

^(٥) محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان، ط ١٩٧١: ٣، ج ١ ص ٦٥٥.

^(٦) جون فنتون ، تفسير إنجيل متى ، ص ٩ - ١٧ ، نقلا عن : أحمد عبد الوهاب ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب ، مكتبة وهبة صفحة، ط ٢ : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ص ٤٤.

ورسوله عيسى ابن مريم، إذ أن الأناجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها التي بيد النصارى اليوم لم تكن بطبيعة الحال موجودة أثناء حياة المسيح، فقد ألقت كلها بعد رفعه بسنوات طويلة، كما أنه من غير المقبول أن يبشر المسيح _ عليه السلام _ بأناجيل تلاميذه أو غيرهم هذا على فرض وجودها في حياته^(١)، وعلى الرغم من التحريف الذي تعرضت له الأناجيل الأربعة وملحقاتها إلا أنه لا يزال يوجد بها إشارات تدل بوضوح على أنه كان للسيد المسيح إنجيل يبشر به، وقد دعا بني إسرائيل ؛ للأخذ بهذا الإنجيل والإيمان به، فقد جاء في إنجيل مرقس: "وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله، ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل"^(٢).

وقد ذكر هذا الإنجيل أوائل النصارى ودعوا إلى الإيمان به، وفي هذا يقول سفر أعمال الرسل عن بطرس ويوحنا في دعوتهما للسامريين من اليهود: " وكما شهدا وتكلما بكلمة الرب رجعا إلى أورشليم وبشرا بالإنجيل في قرى كثيرة للسامريين"^(٣)

فإذن الإنجيل كان موجوداً ومعروفاً لدى النصارى الأوائل بأنه إنجيل الله أو إنجيل المسيح، إلا أن هذا الإنجيل لا نجده بين الأناجيل الموجودة بين يدي النصارى اليوم: فأين هو؟^(٤)

على النصارى أن يجيبوا على هذا السؤال، أو يعترفوا بأنهم فقدوه في زمن مبكر من تاريخهم، ولعل هذا هو الأرجح. إذ يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَى أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٥) وقد صار عند النصارى بدل الإنجيل الواحد أربعة أناجيل يجعلونها في مقدمة كتابهم العهد الجديد، ولا ينسبون أيّاً منها إلى المسيح عليه السلام، وإنما هي منسوبة إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا.^(٦)

(١) عبد الوهاب صالح الشايع ، تاريخ النصرانية مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ ، ٢٠١٥ ، ص ١٧٤ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل مرقس (الاصحاح ١ ، فقرة : ١٤ - ١٥) .

(٣) هذا النص مأخوذ من نسخة الكتاب المقدس المطبوعة في لبنان عام ١٩٩٢م بغاية اغناطيوس زيادة/ دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، سفر اعمال الرسل (الاصحاح ٨ ، فقرة : ٢٥) أما النسخة العربية عن العبرانية التي استخدمها في العادة والمكتوب عليها "دار الكتاب المقدس في القاهرة" لا يوجد فيها كلمة الإنجيل في هذا الموضع.

(٤) يزعم بعض النصارى أن المسيح لم ينزل عليه شيء ولم يترك كتاباً مكتوباً، وذكروا أن الأناجيل كان مبدؤها من الأجيال اللاحقة للمسيح، وذكروا أن المراد بالإنجيل في كتبهم هو إعلان مجد الله الذي هو في زعمهم تجسد المسيح – انظر: القس فهم عزيز المدخل إلى العهد الجديد، ١٩٨٠م - ١٤٤٤هـ ص ٧٦-٧٨، وأيضاً : حبيب سعيد ، أديان العالم ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة ، ص ٢٥٧ .

وهذا منهم ذر للرماد في العيون من أن تبصر الحقيقة، وهي أن النصارى ضيعوا الإنجيل الأصلي، واستبدلوه بأناجيل فيها شيء من الحق وكثير من الباطل، فهل من المعقول أن يترك المسيح أتباعه بدون أن يسلمهم تعاليم يهتدون بها وهم في وسط ذلك الوضع الذي كانوا فيه بين اليهود الحاقدين المعاندين وبين الرومان وغيرهم من الوثنيين الجاهليين.

(٥) سورة المائدة: ١٤ .

(٦) ، سعود الخلف ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ١٩٧ - ١٩٩ .

وفي هذا الصدد يقول أ. كولمان في كتابه العهد الجديد: " بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين عاما في شكله الشفهي فقط على شكل أقوال وروايات منعزلة وقد نسج المبشرون كل على طريقته وبحسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة، الروابط بين هذه الروايات"^(١)، أي أن إطار الأنجيل أدبي الطابع وليس له أساس تاريخي كما أنها مقطوعة الصلة بالوحي الإلهي إلا بعض النقول الشفهية التي احتفظت بها الذاكرة .

دوغمائية الاقتصار علي الأنجيل الأربعة

إن الأنجيل المعتبرة عندهم أربعة، وهي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

وهذه الأنجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها، ومما هو جدير بالذكر أن المسيحيين في القرن الأول الميلادي تداولوا عشرات النسخ من الأنجيل ثم اعتمد آباء الكنيسة أربع نسخ منها فقط، وذلك في مجمع هيبو عام ٣٩٣م وفي مجمع قرطاجنة عام ٣٩٧م وتم استبعاد ورفض أي أنجيل أخرى، ويتساءل فولتير في مقال بعنوان المتناقضات: "من خول الكنيسة سلطة الحكم بأن أربعة فقط من الخمسين إنجيلا التي دونت في القرن الأول هي وحدها - أي الأربعة المعتمدة - موحى بها من عند الله؟"^(٢)، كما أننا لا ندري على أي أساس اعتمدت الكنيسة في اختيار هذه الأنجيل دون سواها، وفي تأكيد ذلك يقول جون لوريمر: " لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التي اعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية "^(٣)

وقد كان من الأنجيل المستبعدة: إنجيل بطرس - إنجيل اندراوس - إنجيل فيلبس - إنجيل برتولماوس - إنجيل توما - إنجيل يعقوب - إنجيل ماتيئاس - إنجيل المصريين -- إنجيل برنابا - انجيل العبريين - انجيل نيقوديموس - انجيل الطفولة... إلخ.^(٤)

وأول من ذكر هذه الأنجيل الأربعة أرينيوس في سنة ٢٠٩م، ثم جاء من بعده كليمنس اسكندريانوس في سنة ٢١٦، وأظهر أن هذه الأنجيل الأربعة واجبة التسليم^(٥)، ولم تكتف الكنيسة باختيار هذه الأنجيل الأربعة، بل أجبرت الناس على قبولها لاعتقادها صحتها، ورفض غيرها . كشكل من أشكال الدوغمائية، وتم لها ما أرادت فصارت هذه الأنجيل هي المعتبرة دون سواها.

(١) مريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ : ١٩٩٦م ، ط٢ : ٢٠٠٤م ، ص ٧٨ - ٧٩ .
(٢) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج ٨ ، ص ٢٠١ .

(٣) جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة ، ج ١ ، ص ١٥٢ .
(٤) راجع : الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن ، ص ١٥٩ - ١٦٢ ، انظر قائمة بأسماء ٤٦ إنجيلاً مرفوضاً في كتاب، المسيحية المسيحية الحقّة كما جاء بها المسيح بين الالتزام والتحريف ودعوة الاسلام : للأستاذ علاء أبو بكر، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ١٩٩٧م ، ص ٤٤ . وأيضا : أحمد عبد الوهاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، ص ٣٦ وما بعدها .

(٥) رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية ، ص ٣٧ .

تاريخ الأناجيل الأربعة هو دليل دوغمائية الإيمان بها

إن الكتب الدينية لها مكانة عظيمة لدى أتباعها، فلهذا يجب أن تكون الكتب ثابتة الإسناد إلى أصحابها الذين هم رسل الله والمبلغون عن الله عز وجل، فإذا لم تكن كذلك فإنها تفقد قيمتها، إذ تكون عرضة للتحريف والتبديل من قبل أصحاب الأهواء والمقاصد الخبيثة، أو من قبل العوارض البشرية كالنسيان، وقلة العلم، والوهم ونحو ذلك.

وإذا بحثنا في التاريخ لدى النصارى عن إسناد لهذه الأناجيل إلى من تنسب إليه لا نجد من ذلك شيئاً البتة لا قليلاً ولا كثيراً، ورسائل بولس وكذلك الرسائل الأخرى وأعمال الرسل ليس في شيء منها إشارة إلى واحد من هذه الكتب الأربعة، الأمر الذي يترتب عليه أن هذه الكتب لم تكن معروفة في ذلك الزمن ولم يطلع عليها أحد منهم، وفي هذا دلالة قوية على أن نشأة هذه الكتب وظهورها كان متأخراً عن هذه الرسائل، بخلاف إنجيل الله أو إنجيل المسيح، فقد ورد ذكره في كلام بولس مرات عديدة، كما ورد ذكره في إنجيل مرقس، وأعمال الرسل؛ مما يدل على وجوده وأنه كان معروفاً معلوماً،^(١) بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحى أوحى إليه ولكنها كتبت من بعده، وهي تشتمل على أخبار المسيح وصلواته، وأقواله وعجائبه، من بدايته إلى نهايته في هذا العالم، وهذا لب المسيحية ومعناها، كما فيها أيضاً النواة الأولى لألوهية المسيح، وعقيدة النصارى فيه^(٢)، وسوف تعرض الباحثة كل إنجيل من هذه الأناجيل ليتبين تاريخه ومؤلفه ومكانته ودرجة الثقة التي يمكن أن نطمئن بها له أم أن هذه الأناجيل تفتقد إلى الثقة بها كمصادر دينية يمكن الركون إليها والاعتماد عليها فيكون تقديسها والإيمان بها إيمان دوغمائي لا أساس له من منطق أو برهان.

أولاً: إنجيل متى:

يصدر النصارى كتابهم المقدس بهذا الإنجيل، فهو أول كتبهم في الترتيب، وهو أطولها إذ يحوى ثمانية وعشرين إصحاحاً؛ ويزعم النصارى أن "متى" الذي ينسب الكتاب إليه هو أحد الحواريين وكان قبل اتباعه للمسيح عشاراً "جابي ضرائب"^(٣)، و"أن إنجيل متى كان باللسان العبراني وفقد بسبب تحريف الفرق المسيحية والموجود الآن ترجمته، ولا يوجد عندهم إسناد هذه الترجمة،"^(٤) قال جيروم^(٥): "أن متى كتب الإنجيل باللسان العبري في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود"

(١) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٤٢.

(٣) سعود الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٢١٥.

(٤) رحمت الله الهندي إظهار الحق، ج ١، ص ١٥١.

(٥) جيروم: ولد سنة ٣٤٠ ميلادي من أبوين على المذهب الكاثوليكي، وتعلم في روما، ودرس الآداب اللاتينية والرومانية واللغة العبرية، واعتنق المسيحية عندما بلغ العشرين من عمره، وعاش حياته حياة النساك في الصحراء، وفي عام ٣٨١م زار مدينة القسطنطينية وتعلم على يد اللاهوتي الأشهر جيرجوري النازنزي ٣٢٩-٣٨٩م، وقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وهي الترجمة التي أضحت

أما عن تاريخ تدوين هذا الإنجيل وترجمته ، فنجد ابن البطريق^(١) يذكر إنه دون في عهد قلوذئوس قيصر الرومان من غير أن يعين السنة التي كتب فيها، ويذكر أن الذي ترجمه يوحنا، ولكن لا نجد أحدا من المؤرخين أيده، بل أن الكثيرين منهم يقولون: "إنه لم يعرف المترجم".

فموضع الخلاف في تاريخ تدوينه، ومن الذي ترجمه إلى اليونانية، فمن المتفق عليه من أكثرهم أن متى كتب إنجيله بالعبرانية، ولا شك أن جهل تاريخ التدوين وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها، والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي^(٢)، تدعو للتساؤل ما الشيء الذي يدعو النصارى إلى تقديس هذا الإنجيل أم هو تقديس دوغمائي لا أكثر.

وبناءً على هذا الاختلاف الواضح في تاريخ التأليف يتساءل العلامة أحمد ديدات فيقول: (وإذا لم نقدر أن نعزى هذا الإنجيل وننسبه إلى الحواري متى، فكيف ندع له، ونقبله على أنه كلام الله؟)^(٣)

إضافة إلى ما سبق يؤكد صاحب الفارق: "أن إنجيل متى كان بالعبرانية لا اليونانية، وأن نسخته الأصلية فقدت ثم ظهرت ترجمتها، ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل؟، ومن هو المترجم وما هو حاله في القوة والضعف في الدين؟، وهل هو من المسيحيين أو اليهود أو غيرهم؟، وإذا كان كذلك فكيف تجزمون بهذا الإنجيل وتتخذونه دستوراً مقدساً ترجعون إليه في عقائد الدين وأصوله، وكيف جزمتم بأنه لمتى وأنتم لا تعلمون الذي ترجمه؟، ولا تدرون هل أدخل فيه من الضلالات ما لا يرضى به متى ولا المسيح"^(٤)، الإجابة على ذلك هي الدوغمائية العمياء.

النسخة المعتمدة في الكنيسة في العصور الوسطى والعصر الحديث . ينظر: أحمد غانم حافظ، الإمبراطورية من النشأة إلى الإتهيار ، ص ١٢٨.

(١) ابن البطريق (٢٦٣ - ٣٢٨ هـ = ٨٧٧ - ٩٤٠ م) سعيد بن البطريق: طبيب مؤرخ، من أهل مصر. ولد بالقسطنطينية وأقيم بطبريا في الإسكندرية وسمي إنتيشيوس (Entychius) سنة ٣٢١ هـ وهو أول من أطلق اسم (اليعاقبة) على السريان الذين اتبعوا تعاليم يعقوب البرادعي المتوفى ٥٧٨ م ، له (نظم الجوهر - ط) في التاريخ، و (الجدل بين المخالف والنصراني) و (علم وعمل) كناش في الطب. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ج ٣، ص ٩٢.

(٢) راجع : أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ص ٤٣، ٤٤، وأيضا : رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية ، ص ٣٩ - ٤٢.

(٣) أحمد ديدات ، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ترجمة : إبراهيم خليل أحمد ودراسة تحليلية وتقديم : نجاح الغنيمي، دار المنار، ط ١ : ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م، ص ١٥٥ .

(٤) عبد الرحمن الباجه جي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق ، تصحيح ومراجعة : عبد المنعم فرج درويش، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ هـ ، ص ٣٧.

كما إن الدارسين لهذا الكتاب والباحثين من النصارى وغيرهم يرون أن كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيراً على إنجيل مرقس^(١)، ومرقس في كلام النصارى تلميذ بطرس، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريين في زعمهم على تلميذ من تلاميذهم في الأمور التي هم شاهدها وعايروها وعاشوا أحداثها؟

هذا يدل على أن كاتبه غير "متى" الذي يزعمون أنه حوارى، وأن دعوى النصارى أن كاتب الإنجيل هو متى الحوارى دعوى عارية عن الدليل، وهي من باب الظن والتخمين الذي لا يغني عن الحق شيئاً وتقديس هذا الإنجيل بناء على هذه الدعوة الباطلة شكل من أشكال الدوغمائية التي يتمسك بها النصارى دون محاولة للتعرف على طبيعة هذا الإنجيل وما يثار حوله من شكوك تنفي صحته.

ثانياً: إنجيل مرقس:

هذا الإنجيل الثاني في ترتيب الأناجيل لدى النصارى وهو أقصرها إذ أنه يحوى ستة عشر إصحاحاً فقط^(٢)، أما كاتبه فيقول المؤرخون أن اسمه يوحنا ويلقب بمرقس، ولم يكن من الحواريين الاثني عشر الذين تتلمذوا للمسيح، ولكنه من أوائل الذين أجابوا دعوته، فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس في اعتقادهم من بعد رفعه، وألهموا بالتبشير بالمسيحية، كما ألهموا مبادئها، وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية، ولم نر أحداً من كتاب المسيحيين ناقض ذلك فقد ذكر صاحب مرشد الطالبين: "قد زعم إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس سنة ٦١م، لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته". وقد ذكر الأمر بلفظ الزعم، كأنه لا يصدقه، وإنه لا يراه مقبولاً، كما نراه غريباً، ولكن هكذا يذكر الرواة. وبجوار هؤلاء الذين يقولون أو يزعمون أن إنجيل مرقس كتب بتدبير من بطرس، وبولس فقد قرر الكاتب أرينيوس: "أن مرقس كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس".

وفي الحق أن ذلك الاختلاف وإن كان زمنياً في ظاهره هو في معناه ولبه اختلاف في شخص المحرر لهذا الإنجيل، فابن البطريق، وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذي كتبه هو بطرس عن مرقس، ونسبه إليه وأرينيوس^(٣) يقرر أن الذي كتبه هو مرقس من غير تدبير بطرس، لأنه كتبه بعد موته؛ فمن الكاتب إذن؟! ليس بين أيدينا ما ترجح به إحدى الروايتين على الأخرى!. ولنتجاوز هذا إلى تاريخ كتابة ذلك الإنجيل،

(١) راجع: القس فهيم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، ص ٢٤٣. مريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ص ٨٤. وانظر: أحمد ديدات، مناظرتان في استكھولم، ترجمة: علي الجوهرى، دار الفضيلة، ص ٦٦ ومجد الأعظمي، اليهودية والمسيحية ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ١١٨.

(٣) ايرانيوس: من أباء الكنيسة في القرن الثاني ميلادي، ولد في سميرنا - مدينة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى وهي أزمير حالياً، في أوائل القرن الثاني الميلادي حوالي ١٣٠م، وتعرف فيها على بوليكراريوس ثم ذهب إلى روما وقضى وقتاً بها، ثم اختير قسيساً في مدينة ليون، وتوفي بها سنة ٢٠٠ أو ٢٠٢م، راجع تأثير المسيحية بالأديان الوضعية د. أحمد عجيب، ط ١، ص ١٢٧.

فنجدهم أيضاً قد اختلفوا في زمان تأليفه، وقد قال في ذلك هورن: "ألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦م وما بعدها إلى سنة ٦٥م والأغلب إنه ألف سنة ٦٠م أو سنة ٦٣م، ويقول صاحب كتاب مرشد الطالبين: إنه كتب سنة ٦١م^(١)؛ هناك إذا اختلاف في شخصية المؤلف، قد يكون مرقس وقد يكون بطرس وقد يكون غيرهما، واختلاف آخر في زمن التأليف، كل ذلك يدعو للتشكك في هذا الإنجيل وعدم الوثوق به ؛ ذلك لأن ضياع أو اختفاء شخصية الكاتب وسنة التدوين يسقطان حرمة الكتاب في نظرة العلم المحايد من درجة الكتب المقدسة إلى كتاب عادي^(٢)؛ فيصير الإيمان بهذا الإنجيل واعتقاد قدسيته وكونه وحيا من الله محض دوغمائية، وفي تقرير ذلك تذكر الباحثة بعض أقوال علماء الغرب أنفسهم، حيث يقول د. بوكاي عن إنجيل مرقس: "إنه ليس كتاب أحد الحواريين، هو على أكثر تقرير كتاب حرره تلميذ أحد الحواريين".

وعن حقيقة شخصية مرقس يقول نينهام - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن - في تفسير إنجيل مرقس ص ٣٩: "لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة في الكنيسة الأولى ... ومن غير المؤكد صحة القول المأثور الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل بأنه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢/١٢، ٢٥، أو أنه مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولى ١٣/٥ - ثم يقول: "لقد كان من عادة الكنيسة أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكثر الأسماء اللاتينية شيوعاً في الإمبراطورية الرومانية ... فعندئذٍ نتحقق من مقدار الشك في تحديد الشخصية في هذه الحالة".

وكما أن صاحب الإنجيل مجهول الهوية فإنه لا واسطة لتحقيق زمن كتابة الإنجيل، ولا دليل على مكان كتابته، فقيل: رومية، وقيل: أنطاكية، وقيل: الإسكندرية، يضاف إلى ما سبق اعتقاد الكثير من المحققين أن خاتمة هذا الإنجيل ١٦/٩-٢٠، مؤلف مضاف إليه، لأنها ليست موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأنجيل، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي وقال وارد الكاثوليكي في كتابه: "صرح جيروم في كتبه أن بعض العلماء كانوا يشكّون في الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس"^(٣)، كل هذه الأمور تدعو للشك في هذا الإنجيل وتجعل من يعتقدون قداسته دوغمائيين.

(١) محاضرات في النصرانية، ص ٤٦، ٤٧.

(٢) رؤف شلبي، أضواء على النصرانية، ص ٤٤.

(٣) راجع: مريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة ص ٨٤-٨٧، وأحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص ٥١-٥٣، ورحمت الله هندي، إظهار الحق، ج ١ ص ١٥٢، وأبو زهرة: محاضرات في النصرانية ص ٤٦، ٤٧.

ثالثاً: إنجيل لوقا:

هو ثالث الأنجيل وأطولها، ويتكون من أربعة وعشرين إصحاحاً، وأما كتابة هذا الإنجيل فتختلف المصادر في تحديد زمنها بين ٥٣ - ٨٠ م، وقد اعتمد الكاتب في مصادره على مرقس، فنقل عنه ثلاثمائة وخمسين من فقراته التي بلغت ستمائة وإحدى وستين فقرة، كما نقل عن متى أو عن مصدر آخر مشترك بينه وبين متى^(١).

وتنسب الكنيسة هذا الإنجيل إلى القديس لوقا، ولا تذكر المصادر النصرانية الكثير عن ترجمته فيقولون: إن لوقا ولد في أنطاكية، ودرس الطب، ونجح في ممارسته ولم يكن من أصل يهودي، ولقد رافق بولس في أسفاره وأعماله، ففي الإصحاح الرابع من رسالة بولس إلى كولويسي يقول: "ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب"^(٢) ولكن الدكتور بوست يقرر إنه لم يكن أنطاكياً، وزعم أنه كان رومانيا نشأ بايطاليا، ومهنة الطب التي نسب إليها ليست أيضاً موضع اتفاق ؛ لأن بين المؤرخين المسيحيين من يقرون أنه كان مصوراً.

ومن هذا يتبين أن الباحثين ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حواربيه، ويختلفون أيضاً في القوم الذين كتب لهم أولاً هذا الإنجيل ؛ حيث أن إنجيل لوقا يبتدئ بهذه الجملة: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضاً، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس؛ لتعرف صحة الكلام الذي علمت به"^(٣)، وثاوفيلس هذا يقول عنه ابن البطريق إنه من عظماء الروم، وهناك من يقول أن ثاوفيلس هذا كان مصرياً لا يونانياً، فهو قد كتب للمصريين لا لليونانيين.

ويقول الدكتور بوست^(٤) في تاريخه: " قد كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم وقبل الأعمال، ويرجح إنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ - ٦٠ من الميلاد غير أن البعض يظنون إنه كتب قبل ذلك"، ومن هذا يفهم أن بوست يرجح أنه ألفه وبولس حي في الأسر ولكن يحقق العلامة لارون أنه حرر إنجيله بعد أن حرر مرقس إنجيله، وذلك بعد موت بطرس، وبولس، والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك، فقد قال هورن: ألف الإنجيل الثالث سنة ٥٣ م أو سنة ٦٣ م أو سنة ٦٤ م.

(١) راجع : أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص (٦٤ - ٦٥ ، ١٥٠)، وموريس بوكاي التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص (٨٧ - ٩٠).

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، رسالة بولس الرسول إلى أهل كولويسي (الإصحاح ٤ ، فقرة : ١٤)

(٣) الكتاب المقدس ، العهد الجديد، إنجيل لوقا (الإصحاح ١ ، فقرة : ١ - ٤)

(٤) الدكتور بوست : (١٨٣٨ - ١٩٠٩) : طبيب أمريكي مستشرق ، ولد في نيويورك وتعلم بها ، ورحل إلي سوريا وتعلم العربية ، فلما نشأت الجامعة الأمريكية في بيروت عين أستاذا للطب والنبات فيها ، أقام ببيروت حتى توفي بها ، له مؤلفات بالعربية ، ومنها " نبات سوريا وفلسطين ومصر " ومبدئ علم النبات ، وقد أعد فهرس الكتاب المقدس " ومعجم الكتاب المقدس . الموسوعة العربية الميسرة ، طبعة جديدة (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥) مج ١ ، ص ٥٩٩.

ويلحظ المحققون على إنجيل لوقا ملاحظات، من أهمها:

١ - أن مقدمته تتحدث عن رسالة طابعها شخصي، وأنها تعتمد على اجتهاده لا على إلهام وحي، وكان قد لاحظ ذلك أيضاً عدد من محققي النصرانية، فأنكروا إلهامية هذا الإنجيل، منهم مستر كدل في كتابه " رسالة الإلهام "، ومثله واتسن ونسب هذا القول إلى القدماء من العلماء، وقال القديس أغسطينوس: " إنني لم أكن أؤمن بالإنجيل لو لم تسلمني إياه الكنيسة المقدسة".

٢ - شك كثير من الباحثين في الإصحاحين ؛ الأولين من هذا الإنجيل، بل إن هذا الشك كما ذكر جيروم يمتد إلى الآباء الأوائل للكنيسة، وكذلك فرقة المرقيونية (مارسيوني) فليس في نسختها هذان الإصحاحان.

ويؤكد المحققون بأن لوقا لم يكتب هذين الإصحاحين، لأنه يقول في أعمال الرسل " الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع "(١) أي معجزاته، بدليل تكملة النص " ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به إلى اليوم الذي ارتفع فيه "(٢) ، والإصحاحان الأولان إنما يتكلمان عن ولادة المسيح، لا عن أعماله.

ونقل العالم الكاثوليكي توماس وارد في كتابه (Errata to the Protestant Bible) عن جيروم قوله: بأن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون أيضاً في الباب الثاني والعشرين من هذا الإنجيل (٣).

ويتضح من كل ما سبق أن الغموض يلف شخصية كاتب إنجيل لوقا، فهو غير معروف البلد، ولا المهنة ولا الجهة التي كتب لها إنجيله تحديداً، ولا تاريخ الكتابة و المعروف فقط أنه من تلاميذ بولس، وأنه لم يلق المسيح، وعلى هذا فلا يطمئن العلم إلى الأخذ من هذا الإنجيل نظراً لهذا الغموض الذي يحوطه من جوانب متعددة، فكيف يصح الاحتجاج بمن هذا حاله، وكيف يجعل كلامه مقدساً؟

فلا شك أن من يعتقد بقداسة هذا الإنجيل، وأنه وحي من الله تعالى هو شخص دوغمائي في إيمانه هذا مع كل هذه الشكوك والشبهات التي تكتنف هذا الإنجيل وكاتبه .

(١) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (الإصحاح ١ ، فقرة : ١)

(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل (الإصحاح ١ ، فقرة : ١ - ٢)

(٣) راجع: عبد الرحمن باجي البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص (٥٣٥ - ٥٣٦)، صابر طعيمة، الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، عالم الكتب بيروت، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٢٦١ - ٢٦٦. دراسة الكتب المقدسة ص ٨٧ - ٨٨، محاضرات في النصرانية ص ٤٨، ٤٩، وعلى وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ط دار النهضة العربية ص ٨٥-٨٨، إظهار الحق، ج ١، ص ١٥٢، الفاضلي، أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم ص ١٦٦.

لهذا الإنجيل خطر وشأن أكثر من غيره ؛ لأنه الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، فهذه الألوهية يعتبر هو نص إثباتها وركن الاستدلال فيها. ويقول جمهور النصارى: أن كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي الصياد الذي كان يجله السيد المسيح، حتى إنه استودعه والدته وهو فوق الصليب، كما يعتقدون، ولكن بجوار هؤلاء من محققي المسيحيين من أنكر أن يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية، وأن ذلك الإنكار ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، فإن العلماء بالمسيحية في القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وكان بين ظهرائهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، كما كانت فرقة الوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا.

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مزية ولا شط كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنتين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتى وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاقتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا، ولو بأوهى رابطة، ذلك الرجل الفلسفي - الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني - بالحواري يوحنا الصياد الجليل، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخطبهم على غير هدى".

وهذا قول بعض الباحثين من كتابهم ومن البديهي أن يعد المتعصبون (الدغمائيون) ذلك القول خروجاً على وجه المسيحية، ولذلك قال أحد هؤلاء المتعصبين، وهو الدكتور بوست : "وقد أنكر بعض الكفار قانونية هذا الإنجيل؛ لكرهتهم تعليمه الروحي، ولا سيما تصريحه الواضح بلاهوت المسيح"^(١).

(١) راجع : رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ١، ص ١٥٥ - ١٥٦، عبد الرحمن الباجي البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق، ص ٣٤٢. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، ص ٣٧٦، أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ٥٠.

تاريخ تدوين هذا الإنجيل وسبب تدوينه:

لقد اختلف المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بينا، فالدكتور بوست يرجح إنه كتب سنة ٩٥ م أو سنة ٩٨ م وقيل سنة ٩٦ م، ويقول هرون في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل: ألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨ م أو سنة ٦٩ م أو سنة ٧٠ م أو سنة ٨٩ م أو سنة ٩٨ م من الميلاد" إذن فليس هناك تاريخ محدد لتدوين هذا الإنجيل، كما إنه ليس هناك بيان قد خلص من الشك بحقيقة كتابته ثم إن بعض المؤرخين ومنهم تشارلز الفريد، وروبرت إيزلز وغيرهما قالوا بأن يوحنا مات مشنوقاً سنة ٤٤ م على يد أغريباس الأول، وعليه فليس هو مؤلف هذا الإنجيل، إذ أن هذا الإنجيل قد كتب في نهاية القرن الميلادي الأول أو أوائل الثاني^(١).

أما عن سبب تدوينه فقد قال يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره: (من تحفة الجبل) "أن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها، والسبب إنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح، فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس، ولوقا في أناجيلهم"، فالثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو هي كانت كذلك قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل، وهذه حقيقة يجب تسجيلها، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح، (وثانيهما) أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها، ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم، ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك، فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب كما يقولون إنجيله الذي يشتمل على الحجة، وبرهان القضية، والبيئة فيها على زعمهم، وهذا ينبئ عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب عليه، وإلا ما اضطروا اضطراراً إلى إنجيل جديد طلبوه افتقدوه، فلما لم يجدوا طلبوا من يوحنا أن يكتبه^(٢).

وإذا بحثنا في صحة نسبة الكتاب إلى يوحنا الذي يزعم النصارى أن الكتاب من تصنيفه نجده أقل كتبهم نصيباً من الصحة ؛ لعدة أدلة أبرزها منكر نسبة الكتاب إلى يوحنا الحواري وهي: أن بوليكرابوس الذي يقال إنه كان تلميذاً ليوحنا لم يشر إلى هذا الإنجيل عن شيخه يوحنا، مما يدل على أنه لا يعرفه، وأن نسبته إلى شيخه غير صحيحة، كما أن الكتاب مملوء بالمصطلحات الفلسفية اليونانية التي تدل على أن لكاثيه إماماً بالفلسفة اليونانية، أما يوحنا فكما يذكر النصارى فقد كان يمتنح الصيد مما يدل على أنه بعيد عن الفلسفة ومصطلحاتها، فلماذا يقول القس فهمي عزيز بناء على ذلك: "إن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا

(١) راجع: إبراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، دار المنار، القاهرة ، ط ١ : ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص (١٨)، وابو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ٥٣ - ٥٤ ، مصطفى شاهين النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتبا ومذاهب، دار الاعتصام ، ص ١٧٧ - ١٨٢ .
(٢) راجع : الفاروق بين المخلوق وللخالق ، ص ٣٤١ - ٣٤٢ ، محاضرات في النصرانية ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

الإنجيل^(١)، فهو يناقض الأناجيل الأخرى في مئات من التفاصيل وفي الصورة العامة التي يرسمها عن المسيح، كما أن ما فيه من تأكيد للآراء الميتافيزيقية قد جعل الكثير من الباحثين في الدين المسيحي في شك من أن واضع الإنجيل هو يوحنا، ووصفته دائرة المعارف الفرنسية بأنه إنجيل مزور.

فمن يزعم أنه كتاب مقدس موحى به من الله، فهذا فيه افتراء عظيم على الله عز وجل، وإضلال لعباد الله بالباطل ودوغمائية ممن يعتقد ذلك، حيث أن الاختلافات المهمة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى كالاختلافات في الفترة الزمنية لبعثة المسيح وظهوره لتلاميذه بعد قيامه من الموت وغيرها، هي اختلافات صريحة لا تجد لها حلاً ولا تأويلاً إلا بتصاديق أحد الأناجيل وتكذيب الآخر. وهو ما دفع د. موريس بوكاي أن يتساءل: "إذن فمن يجب أن نصدق؟! أنصدق متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا؟؟!!". والجواب معروف لكل ذي لب وهداية هو رفض هذه الأناجيل المتناقضة لعدم التمكن من التمييز بينها، ولأن الوحي الإلهي لا يكون فيه تناقض.^(٢)

بعد هذا كله يتضح للناظر اللبيب أن النصارى وكذلك اليهود من قبلهم لا يملكون مستنداً صحيحاً لكتبهم يثبت صحة نسبتها إلى من ينسبون لها إليه، يقول الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه العظيم "إظهار الحق" "ولذلك طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم،^(٣) فقال: "إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على النصارى إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة"^(٤).

وفي هذا كفاية ودلالة على أن تلك الكتب التي تسمى الأناجيل كتب لا يملك أصحابها أي مستند يمكن الاعتماد عليه في صحة نسبتها إلى من ينسبون لها إليه فضلاً عن أن يصح نسبتها إلى المسيح عليه السلام أو إلى الله عز وجل، وأن اعتقاد قدسيتها وكونها وحياً من الله دوغمائية محضة.

(١) القس فهم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد ص ٥٥١.

(٢) راجع : موريس بوكاي ، دراسة الكتب المقدسة ص ٩٢-٩٣، ورحمت الله، إظهار الحق، ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٧، وأحمد عبد الوهاب ، المسيح في مصادر العقائد المسيح ص ٧٠ وما بعدها، علي عبد الواحد وافي ، الأسفار المقدسة ص ٦٧ - ٦٨، أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ص ٥١-٥٠.

(٣) المقصود بها المناظرة الكبرى التي تمت في الهند بين الشيخ رحمت الله الهندي وزعيم المنصرين في الهند مبعوث الكنيسة الانجليزية د. فندر وكانت المناظرة سنة ١٨٥٤م في يومي ١٠-١١ نيسان وكانت موضوعاتها هي: النسخ والتحريف، وألوهية المسيح، والتثليث، وإعجاز القرآن ونبوته محمد ﷺ، وقد منى د. فندر بهزيمة نكراء وخزي وعار بإقراره بالنسخ والتحريف. ثم قطع المناظرة، ثم جلا عن الهند، وفر منها وعاد إلى بريطانيا، بعد أن أظهر الله كذبه ونشر خزيه ورد عن المسلمين والله الحمد عدوانه وشره. انظر أخبار المناظرة في مقدمة كتاب إظهار الحق ٣٤/١.

(٤) انظر : رحمت الله هند ، إظهار الحق ج ١ ، ص ١١١ .

الأنجيل الأربعة متناً

إن الكتب المقدسة كتب معصومة عن الخطأ، محفوظة من الخل والزلل، لأن المفترض فيها أن تكون من قبل رب العالمين الذي يعلم السر وأخفى، وإله الحق لا يصدر منه إلا الحق جل وعلا.

والنصارى يسندون كتبهم إلى الله عز وجل عن طريق الإلهام إلى كتابها،^(١) والدارس لهذه الكتب يستطيع أن يتبين صدق هذه الدعوى من كذبها، إذ أن الحق لا خفاء فيه.

وقد سبق أن ذكرت الباحثة نبذة عن هذه الكتب من ناحية السند، حيث تبين أن النصارى لا يوجد عندهم دليل يثبت صحة نسبة كتبهم إلى أولئك الناس الذين نسبت إليهم، فعليه لا يمكن اعتبارها كتباً صحيحة، ولا يجوز لعاقل أن ينسبها إلى أولئك الرجال فضلاً عن أن ينسبها إلى الله عز وجل. ومما يؤكد عدم صحتها الاختلافات الكثيرة بينها، وكذلك الأغلاط العديدة فيها، وسنضرب لذلك أمثلة:

أولاً: الاختلاف والتناقض

إذا قارنا بين الأنجيل الأربعة نجد بينها اختلافات جوهرية تدل على خطأ كاتبها وأنهم غير معصومين ولا ملهمين، وأن الله عز وجل بريء منها، ورسوله عيسى عليه السلام،^(٢) ومن الأمثلة على ذلك:

فأول ما يلفت النظر من أوجه اختلاف الأنجيل في الأمر الواحد الذي لا يقبل إلا حقيقة واحدة. اختلاف إنجيل متى عن إنجيل لوقا في نسب المسيح^(٣)، فإن من يقابل بين نسب يوسف النجار متبني المسيح في الأنجيل يجد الاختلاف في ستة أوجه ذكرها الشيخ - رحمه الله - الهندي في كتابه إظهار الحق فقال:

١- في متى أن يوسف بن يعقوب، وفي لوقا أنه ابن هالي.

٢- يعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السلام، ومن لوقا أنه من أولاد ناتان بن داود.

٣- يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن لوقا إنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناتان.

(١) انظر: القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الكتاب المقدس هل هو كلمة الله، مطرانية القليوبية - قطاع شبرا الخيمة، مطبعة الأخوة المصريين، ص ٢٢.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٢٢٦، ٢٢٥.

(٣) إن قضية التناقض في نسب المسيح بين إنجيلي متى ١/١ - ٨ وإنجيل لوقا ٣/٢٣ - ٣٨ مما اتفق على ذكره العلماء الثقات من الذين عنوا بنقل عقائد الأمم والشعوب أنظر في ذلك مثلاً " الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم " ج ٢ - ص ٩-١٣، وابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، ط ١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٢١٥، و القس أنسلم تورميذا الشهير بعبد الله الترجمان الاندلسي، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب، تحقيق: محمود علي حامية، دار المعارف، القاهرة ط ٣، ص ١٨٥، وغيرهم كثير.

٤- يعلم من متى أن سلتائيل بن بكينا، ومن لوقا أن سلتائيل ابن نيرى.

٥- يعلم من متى أن اسم ابن زربايل أبيهود، ومن لوقا أن اسمه ريسا.

والعجب أن أسماء بني زربايل مكتوبة في الباب الثالث من السفر الأول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم، وليس فيها أبيهود ولا ريسا فكل منهما غلط.

٦- من داود إلى المسيح عليهما السلام ستة وعشرون جيلاً على ما بين متى وواحد وأربعون على ما ذكر لوقا.^(١)

وهذا الاختلاف الذي يعترف به المسيحيون، ولا يجدون مناصاً من الإقرار به يدل على أمرين:

أحدهما: أن أحد الإنجيليين لم يكن بالهام بيقين، ولما كان الصحيح منهما غير متعين فالشك يرد على الاثنين، حتى يثبت الصحيح، ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر، ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهاماً ؛ لأن الشك إن اعترى الأصل زال الاعتقاد.

ثانيهما: أن تلك المخالفة تنتج إحدى اثنتين: أما ألا يكون إنجيل متى معروفاً للرسول لوقا، وذلك يقتضي ألا يكون موجوداً ؛ وأما أن يكون موجوداً يعرفه لوقا ولكن لا يعترف به مصدراً صادق الرواية، وإحدى القضيتين لازمة حتماً، ولكن لا يعترف المسيحيون بكليتهما، وتلك سمة الدوغمائية في رفض ما يخالفها.

ثانياً: الاخبار غير الصحيح

فقد اشتمل بعض هذه الكتب على أخبار لو صحت لكانت معلومة مشهورة في التاريخ يعرفها الخاص والعام، ولدونتها كتب التاريخ على أنها حوادث مفردة عجيبة في الدهر. ولكن لم يرد لها ذكر في التاريخ، ولم يعرف الناس أمرها إلا من تلك الكتب.

هذا متى يقول عند صلب المسيح وقيامته: "فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح، وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين. وأما قائد المائة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة، وما كان خافوا جداً، وقالوا: حقاً كان هذا ابن الله"^(٢).

(١) رحمت الله هندي ، إظهار الحق ، ج ١ ، ص ١٨٧ - ١٩٠ .
(٢) الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، إنجيل متى (الاصحاح ٢٧ ، فقرة ٥٠ - ٥٥) .

وهذه حادثة عظيمة لو صحت لدونها التاريخ العام الذي لم يشر إلى المسيح بكلمة، ولو صحت أيضاً لآمن الرومان واليهود، الصخور تتشقق، والأرض تزلزل، والأموات ينتشرون، ويسيرون على الأرض، ويراهم الكثيرون، ويبقى بعد ذلك مساعٍ لإنكار، ولكن لم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود على أثر تلك البينات الباهرات.

ولقد جزم العلامة المسيحي نورتن بكذب هذه الحكاية، وقال في تكذيبها: "هذه الحكاية كاذبة والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة في اليهود بعد خراب أورشليم، فلعل أحداً كتب هذه الحكاية في النسخة العبرانية، وأدخلها الكتاب في المتن، وهذا المتن في يد المترجم فترجمها كما وجدها".

ونقول: لعل كثيراً مما في المتن أصله في الحاشية ثم نقل خطأ في المتن، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يكون هذا الكتاب وأشباهه مصدراً؟!^(١)

إنجيل متى والكلاب والتعصب العرقي

يقول إنجيل متى على لسان السيد المسيح (لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير)^(٢)، والكلاب تعبير كان يستعمله اليهود لوصف الأمم أو غيرهم من الشعوب، وللأسف تذكر الأناجيل أن السيد المسيح قد استعمله أيضاً وهذا محال ويتنافى مع شخصية المسيح وآداب النبوة.

وقد تكرر هذا القول مرة ثانية في متى إصحاح ٢٦:١٥ "وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جدا ... فأجاب وقال ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب".^(٣)

يقول مفسروا الأناجيل: إن هذه العبارة تحمل دعوة عنصرية انفصالية، لا تتفق مع رسالة المسيحية التي هي لجميع الناس.

ويضيف ر. ت فرانس تلك الكلمات المكتوبة لا يمكن أن تعبر عن ملامح شخصية يسوع، ويصف (بير) هذا القول بأنه فظيع يعبر عن إهانة بالغة، ويقوم على أساس أسوأ أنواع التعصب العرقي والغلو في القومية.

وكلمة القدس هي كلمة (قادوس) العبرية كانت أصلاً مكتوبة (قادشا)، ومعناها (قرط) بالآرامية، فربما عن طريق النسخ تغير المعنى، وربما المعنى الأصلي كان: (لا تعطوا القرط للكلاب).

(١) راجع: رحمة الله الهندي، إظهار الحق، (١/ ٣١٣ - ٣١٦) محاضرات في النصرانية ص ٨٤، ٨٥، ٨٨.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ٧، فقرة: ٦).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ١٥، فقرة: ٢٢ - ٢٦).

هكذا يعترف شراح الأنجيل بتغيير الألفاظ وأخطاء النساخ، وهذا مثال من أمثلة كثيرة ذكرتها كتب التفسير للأنجيل.^(١)

إنجيل متى يناقض نفسه في نفس الإصحاح

يقول متى في الإصحاح العاشر (إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا)^(٢) الأمم: تعبير كان يستخدمه اليهود لوصف غيرهم من الشعوب. السامريين نسبة إلى السامرة (عاصمة مملكة إسرائيل الشمالية): وكانت عقائدهم قد اختلطت بالعقائد والطقوس الوثنية ؛ فاحتقروا من اليهود.

هنا ينادي المسيح بأن تقتصر رسالة الإنجيل على اليهود فقط، وفي نفس الإصحاح العاشر يقول متى (وتساقون أمام ولاية وملوك من أجل شهادة لهم وللأمم)^(٣)

إنجيل متى يناقض نفسه مرة أخرى:

يقول متى أن المسيح بشر تلاميذه الاثني عشر قائلاً (متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر) متى ٢٨:١٩ إنه يبشرهم بالمجد الذي سيستمتعون به في العالم الآخر، ويبدو أن المسيح لم يفتن، ولم يتنبأ بخيانة يهوذا الأسخريوطي، ووعده بكرسي من كراسي المجد، ثم إن إنجيل متى يلعب ذلك التلميذ الخائن (ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) متى ٢٤:٢٦

هكذا إنجيل متى يبشر الرجل بالمجد ثم يلعبه ويتوعد بسوء العاقبة، كما إن العقيدة المسيحية تؤمن بأن الله قد تجسد في صورة الإنسان ؛ ليصلب ويموت من أجل خطايا البشر وبذلك يكون موقف التلميذ يهوذا مشرفا وعظيما ؛ لأنه قام بمساعدة الله وتسهيل مهمته لكي يقبض عليه ويصلب. فلماذا يلعنونه ويتوعدونه بالعقاب مادام الله يريد ذلك، وجاء إلى الأرض بمحض إرادته من أجل محبة البشر كما يقولون؟.^(٤)

(١) بهاء النحال، تأملات في الأنجيل والعقيدة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ١، [الكتاب مرقم آليا]، ص ١١٥-١١٨.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ١٠، فقرة: ٦)

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ١٠، فقرة: ١٨)

(٤) تأملات في الأنجيل والعقيدة، المؤلف: دكتور بهاء النحال، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ١ [الكتاب مرقم آليا]، ص ١١٨، ١١٩.

هذه بعض المتناقضات بين هذه الكتب بعضها مع بعض، وبعض مناقضتها للعقل والمدون في التاريخ، وإذا كانت هذه الكتب متناقضة متضاربة يلحقها الكذب كلها في جملتها وأجزائها عند مناقشتها فهي إذن ليست بإلهام، ويكفي هذا بطلاناً لمدعاهم في الإلهام وإثباتاً لدوغمائيته.

رأي النصارى في أغلاط الكتاب الأناجيل

وبعد: لعل المرء يتساءل ما هو رأي النصارى بأغلاط الأناجيل؟ وهل يقرونها؟

في الإجابة نقول: لا ريب أن أتباع الكنيسة الذين أغلقوا عقولهم في وجه الحقيقة يرفضون أن يحوي الإنجيل غلطاً، لأن روح القدس لا يغلط، ومن هؤلاء الدكتور القس شروش، حيث يقول: " إنا نعلم أن الإنجيل هو وحي الله ؛ لأن التنبؤ بالأحداث قد تم قبل وقوع الأحداث بقرون، إن للإنجيل تأثيره على المجتمعات البشرية طالما تم الإيمان به والعمل بمقتضاه، أكثر من ذلك فإن دقة الإنجيل قد وجدت من يتحداها، ولكنها لم تجد من ينجح في التحدي ".

ويقول أيضاً: " إن صحة محتويات الإنجيل قد أثبتتها الوثائق التاريخية والحفريات الأثرية والوثائق القديمة، وتوجد الآن أكثر من خمس وعشرين ألف وثيقة من الوثائق المقدسة بالمتحف البريطاني من أجلكم، لكي تتأكدوا من صحة مشيئة الله ". ^(١)

ولما كانت الحقيقة - بوجود الغلط في الأناجيل والرسائل - ساطعة كالشمس عمل بعض علماء النصرانية على التخلص من هذه الأغلاط بالإقرار بأن الإلهام لم يكن مصاحباً للإنجيليين حال كل كتابة كتبها، يقول هورن: " إذا قيل إن الكتب المقدسة أوحى بها من عند الله لا يراد أن كل الألفاظ والعبارات من إلهام الله ... ولا يتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه، وفي كل حكم كانوا يحكمون به ".

وتقول دائرة المعارف البريطانية: " وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة، هل هو إلهامي أم لا؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها، فقال جيروم وكثيرون: ليس كل قول إلهامي ... الذين قالوا: إن كل قول إلهامي لا يقدر أن يثبتوا دعواهم بسهولة ". ^(٢)

وهذا القول يطالب قائلوه بتعيين المواضع غير الإلهامية وإقامة الدليل على خصوصها بعدم الإلهام أو إقامة الدليل على خصوص المواضع التي يقولون بإلهاميتها، وإذا لم يتم ذلك وجب التوقف في شأن الكتب المقدسة، إذ فيها ما هو عمل بشري لا يجوز اعتباره مصدراً دينياً.

^(١) انظر: أحمد ديدات، وأنيس شروش، مناظرة العصر بقاعة البرت بلندن، ترجمة: علي الجوهري دار الفضيلة، ص ٣٥.
^(٢) رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ٢، ص ٣٥٨.

ما يجب أن يكون في الكتاب الديني من صفات ليكون حجة:

لأجل أن يكون الكتاب الديني حجة فلا يكون تقديسه دوغمائية يجب أن يتوافر في هذا الكتاب أمور:

أحدها: أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب ولا شك، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بمعجزة، وأن يشتهر أمر ذلك التحدي وهذا الإعجاز، ويتوارثه الناس خلفاً عن سلف، ويتواتر بينهم تواتراً لا يكون للإنسان مجال لتكذيبه.

ثانيها: ألا يكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره، لأن ما يكون عن الله لا يختلف، ولا يفترق، ولا يتناقض.

ثالثها: أن يدعى ذلك الرسول إنه أوحى إليه به، ويدعم ذلك الادعاء بالبيانات الثابتة، وهي المعجزات التي بعث بها الرسول، ودعا إلى كتابه على أساسها ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر، أو يثبت بالكتاب نفسه.

رابعها: أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي، بأن يثبت نسبة الكتاب إلى الرسول، بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف، جيلاً بعد جيل من غير أي مظنة للانتحال.

تطبيق هذه الشروط على كتب النصارى:

إن الكتب في الدين هي أساسه، فإن لم تكن مستوفيه الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملاً، بل تكون طائفة من أساطير الأولين اكتتبها طائفة من الناس، وأدعوها ديناً، ونسبوها لشخص معترف به، لتروج عند العامة، وتدخل في أوهامهم.

وعند البحث نجد أنه لا يزعم النصارى أن هذه الكتب كتبها المسيح نفسه، حتى ننظر في قوة نسبتها إليه، ولكن يزعمون أن الذين كتبوها رسل من بعده مبعوثون بها، يبشرون الناس بما فيها، فنبحث، هل هؤلاء رسل حقاً وصدقاً قد ثبتت رسالتهم بدليل لا مجال للريب فيه؟.

لقد قلنا أن الطريق لذلك أن يدعوا هم هذه الرسالة ويثبتوها بمعجزة يجريها الله على أيديهم، ويتحدوا الناس ؛ ليدفعوهم إلى الإذعان، أو ليسجلوا عليهم الكفر بعد أن يقوم الدليل عليهم.

إننا نبحت في مراجعهم فلا نجد مرجعاً صحيحاً قرر أن هؤلاء أدعوا مثل هذه الرسالة، ودعوا الناس إلى الإيمان بها، ومعهم البرهان عليها، والدليل القائم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.^(١)

(١) محاضرات في النصرانية ، ص ٧٧، ٧٨.

لذلك فإن المرء يعجب غاية العجب من زعم النصارى: أن هذه الكتب حقيقية وصادقة، وتنقل بأمانه وإخلاص كلام المسيح وتروي أخباره^(١). كيف تجرؤا على مثل هذا الكلام، وكيف قبله أتباعهم مع أنهم لا يملكون الدليل على ذلك، وكل دعوى عريت عن الدليل فهي باطلة ودوغمائية .

ويدلل الشيخ ديدات على أن الأناجيل ليس كلام الله بأقوال علمائهم، فهذا هو يحاج النصارى بأقوال (هانز كوكب) ، قرر (هانز) أنه لا يوجد دليل واحد على أن الإنجيل ينحدر مباشرة عن الله، ولقد قدم (هانز) الأدلة الصريحة على أن الإنجيل إنما هو كلام بشر ؛ مستدلا على ذلك بما ورد في إنجيل لوقا الذي يقول فيه : " إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معانين، رأيت أيضاً، إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به".^(٢)

فلو يحاكي من سبقه فيكتب كما كتبوا لا بتكليف من الله ولا بتكليف من الروح القدس ؛ مبرهننا بذلك على أن الإنجيل ليس كلام الله .^(٣)

ولكن ذلك العجب يذهب وتلك الدهشة تزول إذا علمنا أن للآباء والكبراء والسادة من أهل الضلالة الذين يسعون إلى المحافظة على مكاسبهم الدنيوية الدور الأكبر في إضلال العوام والدهماء الذين لا يستخدمون ما وهبهم الله من عقل وسمع وإدراك وإنما يتابعون وينقادون انقياد (دوغمائي) أعمى، وفي هذا يقول الله عز وجل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^(٤) .

(١) يقول النصارى في المجمع المسكوني الثاني للفاطيكاني المنعقد في الفترة من ١٩٦٢-١٩٦٥ م عن العهد الجديد.

"وأمّنت أمانة الكنيسة المقدسة وتؤمن بكل قوة وثبات أن الأناجيل الأربعة المذكورة تنقل إلينا بكل أمانة ما صنعه حقاً يسوع ابن الله من أعمال وما أعلنه من تعاليم أثناء حياته بين البشر إلى يوم صعوده إلى السماء " الطبعة الثانية ١٩٧٩ م لوثائق المجمع ص ٤١٣ . وانظر أيضاً : موريس بوكاي "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم"، ص ٨٠ حيث نقل النص المذكور .

(٢) أنظر : إنجيل لوقا (١/١ - ٤).

(٣) راندة إبراهيم اللحام ، أحمد ديدات وجهوده في الرد على النصارى ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة ، إشراف د. عماد الدين عبد الله الشنطي ، ت : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، ص ١٢٥ .

(٤) سورة المائدة: ١٠٤ .

المبحث الثاني

دوغمائية المجامع النصرانية

مدخل

يحاول أتباع الديانة النصرانية أن يفهمونا أن الإيمان الذي عليه الكنيسة الآن هو الإيمان الذي تسلمته الكنيسة الجامعة من المسيح، وأنه على مدار التاريخ ظهرت بعض الهرطقات ولكن الكنيسة الجامعة عقدت مجامعها فحرمت هذه الهرطقات وأصحابها واستمرت الكنيسة بإيمانها السليم حتى هذه اللحظة !!

وبعيدا عن التشنجات الطائفية نقول إن التاريخ الكنسي نفسه يكذب ذلك، فنحن الآن نستطيع أن نرى الكنائس المختلفة بعقائد متعارضة، وكل منها يعتبر ما تعتقده الكنيسة الأخرى هرطقة، والأعجب من ذلك هو أن كل كنيسة في دعواها تعتمد على قرارات مجامع سواء منها المسكوني أو المحلي وكل منها يزعم أن المجمع الذي يعتمد عليه الآخر هو مجمع ظلم وسرقة لإيمان الكنيسة وبعضهم يصف هذه المجامع بمجمع اللصوص، وكل كنيسة تقبل من المجامع ما ترفضه الأخرى ، وترفض ما تقبله الأخرى ! وفي هذا المبحث سوف يتم عرض هذه المجامع كمصدر لدوغمائية أتباع الديانة النصرانية بما شملته من إقرار عقائد دوغمائية، و التمسك في إنكار ورفض المخالف لهذه العقائد والدعوة إلى الأتباع الأعمى لقرارات المجمع، والتعامل معها كدوغمائية لا تقبل النقاش، وفي البداية تعرض الباحثة تعريف بهذه المجامع ونشأتها وأنواعها.

تعريف المجامع ونشأتها وأنواعها

المجمع لغة: المجمع من جمع الشيء عن تفرقه ، والمجمع كالمجمع : اسم لجماعة الناس . والمجمع يكون اسما للناس وللوضع الذي يجتمعون فيه .^(١) ويصح في الموضع . مجمع ، بفتح الميم الثانية وكسرها.^(٢)

المجامع اصطلاحا : يقول أحد علماء النصرانية، وهو الأستاذ زكي شنودة " والمجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها ، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة (٥١) ميلادية ، برئاسة أسقفها يعقوب^(٣) الرسول ؛ للنظر في مسألة ختان الأمم ، ومن ثم نسجت الكنيسة بعد ذلك على منوالهم " ^(١)

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، باب العين ، فصل الجيم ، مادة: جمع ، ج٨ ، ص ٥٣.

(٢) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦ هـ) ، مختار الصحاح، مادة : جمع ، ص ٦٠.

(٣) وهو يعقوب بن حلفى، ويدعى بالصغير تمييزاً له عن يعقوب بن زبدي أخى يوحنا الإنجيلي . وكان - لاشتهاره بالنسك الشديد- يعرف بـيعقوب البار . وكان يعقوب من التلاميذ في العلية بعد صعود السيد المسيح ، وهو أحد التلاميذ الاثني عشر ، وأول أسقف على مدينة أورشليم ورئيس أول المجامع المسيحية . وهو الذى كتب الرسالة التى تحمل اسمه . وقد إستاء رئيس كهنة أورشليم من إنتشار المسيحية على يد يعقوب، فأجبره على الصعود فوق جناح الهيكل كى يشهد أمام اليهود ضد المسيح، فوقف وقال لهم : " إن يسوع جالس الآن فى

وكما يتبين من هذا التعريف فإن المسيح عليه السلام لم ينشئ هذا النظام، ولم يشر إليه، وإنما رسمه وشرعه الذين جاؤوا بعد المسيح عليه السلام، والأمر الذي لا شك فيه أن المسيح عليه السلام لم يدع إلى شريعة جديدة بل سار على النسق الذي رسمه الله لموسى عليه السلام وحكم بشريعته وناموسه وهذا يعني أن شريعة موسى هي الشريعة التي كان عليها أصحاب المسيح وتابعيه، وحينما أراد المسيحيون الجدد بعد المسيح عليه السلام وعلى رأسهم بولس أن يغيروا نظام الديانة ويلغوا التعامل بشريعة اليهود أقاموا مجمع أورشليم المشار إليه سابقا ليحكم لهم بما أرادوا وليعطوا حكمه الصفة المقدسة (الدوغمائية)، ولتأخذ المجمع الصفة التشريعية بدل التوراة غير أن المجمع في عهد قسطنطين تخطت مرحلة جديدة من مراحل تغيير الديانة وتحريفها، وهي صياغة قانون الإيمان ووضع أسس العقيدة، وقد كان لقسطنطين الفضل في إضفاء الإلزام لهذه المجمع، فقد أمر بتنفيذها وإلزام المسيحيين بقوانين الإيمان التي أصدرها المجمع وتوعد بالعقاب من يخالف هذه القوانين أو يخرج عليها، بل تعدى الأمر إلى الفعل، فقد أمر بحرق كل المتعلقات الخاصة بالمعتقدات المخالفة لقانون المجمع الإيماني الذي قرره مجمع نيقية^(٢)، هكذا نشأت المجمع، وهي تحمل لواء الدوغمائية في مسلكها ومعتقداتها على اختلاف أنواعها التي تعارف عليها المجتمع الكنسي.

فالمجامع النصرانية نوعان، مجامع مسكونية (عالمية) : أي تجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة، وهي تبحث في العقيدة النصرانية، ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة، ومجامع محلية أو إقليمية : وهي التي تعقدها كنائس مذهب أو أمة في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها" إما لإقرار عقيدة، أو لرفض عقائد أخرى ؛ فهي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها^(٣)، والذي يهمنا في هذا البحث منها هو ذكر المجمع التي تعتبر عامة، سواء صادق عليها الجميع أو أنكرها بعضهم على

بعض، لما في ذلك من معرفة النتائج التي تولدت عنها، فقد كان كل مجمع مسكوني يُصدر وثائق يعلن فيها إيمان الكنيسة القويم وعقائدها الثابتة، ويرشق بالحرمة تعاليم المبتدعين والهرطقة.

الأعلى عن يمين القوة " . فالقوة من فوق جناح الهيكل ثم رجموه حتى مات شهيداً في نحو سنة ٦٢ ميلادية ودفن حيث مات بقرب الهيكل . ينظر : زكي شنودة موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، مكتبة المحبة ، ط ١ : ١٩٦٢ م ، ج ١ ، ص ٣٦ .

(١) راجع : زكي شنودة ، تاريخ الأقباط ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وأيضاً : دكتور سلطان عبد الحميد سلطان المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط ١ : ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ص ٨١ .

(٢) أحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٣) راجع : زكي شنودة ، تاريخ الأقباط ، ج ١ ، ص ٨٨ ، وأبو زهرة ، محاضرات في النصرانية، ص ١٢١ ودراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٢٤٩ .

والمجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية إلى سنة ١٨٦٩م عدتها عشرين مجعاً ابتداءً من مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حتى مجمع الفاتكان سنة ١٨٦٩م^(١) وفيما يلي أهم المجامع المسكونية التي تعتبر هي المصدر والمؤسس للعقائد الدوغمائية لدي أتباع الديانة النصرانية، ونبدأ بأعظم هذه المجامع، وأبعدها أثراً وأكبرها شأنًا، وأولها وجوداً وأعظمها ذكرًا وهو مجمع نيقية.

مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م :

يسمى مجمع نيقية بالمجمع المسكوني الأول، وقد عقد في نيقية عاصمة بثنينة بآسيا الصغرى في ٢٠ مايو سنة ٣٢٥ ميلادية بأمر الإمبراطور قسطنطين الكبير ، وقد حضره بنفسه^(٢)

سبب انعقاده:

وقد انعقد هذا المجمع بسبب الاختلاف الذي كان يدور حول شخص المسيح، "أهو رسول من عند الله فقط، من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع إنه مخلوق لله، أنه هو كلمته، ومن قائل إنه ابن الله، له صفة القدم، كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم، واختلفت، وكل يزعم أن نحلته هي المسيحية الصحيحة"^(٣) هذا السبب العام أما السبب الخاص فقد كان ذلك الخلاف والتعارض بين دعوة كنيسة الإسكندرية التي كانت تنادى بالوهية المسيح على مذهب بولس، وبين دعوة الأسقف الليبي " آريوس"^(٤) الذي وُصِفَ بأنه عالم مثقف وواعظ مفوه، وزاهد متقشف، وعالم بالتفسير، حيث أخذ ينادي بأن الله إله واحد غير مولود أزلي، أما الابن فهو ليس أزلياً، وغير مولود من الأب، وأن هذا الابن خرج من العدم مثل كل الخلائق حسب مشيئة الله وقصده^(٥) ، وقد قال في بيان مقالته ابن البطريق: "كان يقول أن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن".

ولم يكن بدعاً في القول بهذه الفكرة بين المسيحيين، بل إنها كانت معروفة مذكورة مشهورة من قبله كما يقول المسيحيون أنفسهم، كما كان لرأي آريوس في اعتبار المسيح مخلوقاً لله مشايعون كثيرون، فقد كانت الكنيسة في أسبوط على هذا الرأي، وعلى رأسها ميليتوس، وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين من حيث العدد، أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون، كما كان لهذا الرأي مشايعون في فلسطين ومقدونية، والقسطنطينية.

(١) راجع : أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٢١ ، و شلبي ، المسيحية ، ص ١٩٧ .

(٢) زكي شنودة ، تاريخ الأقباط، ج ١ ، ص ٨٨ .

(٣) راجع : أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٢٢ ، و رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية ص ٩٦ .

(٤) ولد آريوس في ليبية القيروان بأفريقيا سنة ٢٧٠ ميلادية، ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية ، ثم رسمه البابا بطرس بطريك الإسكندرية شماساً سنة ٣٠٧ ، ثم قسا وواعظاً ، وكان ذكياً فصيحاً ، فما لبث أن طلع على الناس بعقيدة جديدة تخالف عقيدة الكنيسة بل وتهدمها . فالكنيسة تؤمن بأن السيد المسيح هو " ابن الله المولود من الأب قبل كل الدهور "، وأنه " مولود غير مخلوق" وأنه " مساو للأب في الجوهر " فقام آريوس ينادي بأن " الأب أقدم من الابن، وأنه خلق الابن من العدم فالابن إذن غير مساو للأب في الجوهر، لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة" . ينظر ، زكي شنودة ، تاريخ الأقباط ، ج ١ ، ص ٧٥ ، وجون لوريير ، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس ص ٢٤٧ .

(٥) راجع : القس حنا جرجس الخضري ، تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر أجيال، دار الثقافة القاهرة ، ج ١ ، ص ٦١٩ ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٢٥٠ .

وقد أراد بطريرك الإسكندرية أن يقضي على هذه الفكرة، فلم يعمد إلى المناقشة والجدل، حتى لا يتسع الخرق على الراقع، وحتى لا يلحن بالحجة عليه أريوس ولكنه عمد إلى لعنه، وطرده من حظيرة الكنيسة - كما هي سمة الدوغمائية في إنكار الآخر ورفض فكره وعدم قبول المناقشة والحوار - وبني ذلك على أنه رأى المسيح في منامه يتبرأ من أريوس ويلعنه^(١)، وذلك في مجمع محلي بالإسكندرية وقابله مشايعو أريوس بعقد مجمع محلي آخر في " بثنينة " بآسيا الصغرى قرر فيه قبول أريوس وأتباعه وكتابة طلب إلى أسقف الإسكندرية برفع الحرمان الذي قرره عليه، وعندما اشتد الخلاف بين الطرفين تدخل قسطنطين إمبراطور الرومان في الأمر حيث كان يرى في هذه الانقسامات والمعارك اللاهوتية عاملاً خطيراً وهداماً لوحدة الامبراطورية الرومانية ؛ فأرسل كتاباً إلى أريوس وإلى ألكسندروس أسقف الإسكندرية يدعوهما إلى الوفاق، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية سنة ٣٢٥م^(٢).

عدد الحاضرين ومذاهبهم:

اختلف كلام النصارى في ذكر عدد المجتمعين، فالبعض يرى أن عدد المجتمعين كان ٣١٨ أسقفاً فقط، وبعضهم يرى أنهم ما بين ٣٠٠-٥٢٠^(٣) ويذكر ماري سليمان في كتاب "المجلد" وكذلك ابن البطريق أن عددهم كان (٢٠٤٨) أسقفاً^(٤).

أما مذاهب الحاضرين فكانت متباينة تبايناً شديداً ؛ وذلك لأنهم كما يقول ابن البطريق كانوا مختلفين في الآراء والمعتقدات، فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله وهم البربرانية ومن قائل إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها وهي مقالة سابلوس ، كما كان منهم من يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وأن الابن من مريم، ويرون أن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية ، ومنهم من كان يقول : بألوهية المسيح وهي مقولة بولس، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً^(٥).

(١) راجع : أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٣. وسلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص ٨٧.

(٢) راجع : القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، ج ١، ص ٦٢٢ - ٦٢٥، وجون لوريير، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس ص ٢٤٧ - ٢٥٠، وزكي شنودة، تاريخ الأقباط ج ١، ص ٧٦ - ٧٨، و أبو زهرة محاضرات في النصرانية ص ١٢٣.

(٣) القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، ج ١، ص ٦٢١ - ٦٢٢.

(٤) راجع: ماري بن سليمان، أخبار بطاركة المشرق من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، ١٨٩٩م ص ١٥، وروؤف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، مكتبة الأزهر، ط ١: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ج ١، ص ٢١٢، وأبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٤.

(٥) راجع: ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ج ٢، ص ٥٥٤، وروؤف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢١٢، و دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ٢٥٢.

وعرض كل هذه المقولات إن دل على شيء فهو يدل على أن أصل دين المسيح قد نسي وضاع أيام اضطهاد النصرانية، وكل فريق من هؤلاء إنما كان يقول برأيه الخاص، وينادي بدوغمائيته التي لا برهان عليها ويقول ول ديورانت عن ذلك: " إن أتباع المسيح قد انقسموا في الثلاثة قرون الأولى من ظهوره إلى مائة عقيدة وعقيدة ".^(١)

وقد اجتمع أولئك المختلفون، وسمع قسطنطين مقال كل فرقة من ممثليها، فعجب أشد العجب مما رأي وسمع، فأمرهم أن يتناظروا لينظر الدين الصحيح مع من، وأخلى داراً للمناظرة، ولكنه جنح أخيراً إلى رأي بولس، وعقد مجلساً خاصاً للأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي وكانت عدتهم ثمانية عشر وثلاثمائة.

ثم قرر المجمع ألوهية المسيح، وإنه من جوهر الله، وإنه قديم بقدمه، وإنه لا يعتريه تغيير ولا تحول، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيدة بسلطان قسطنطين، لاعنة كل من يقول غير ذلك والذين فرضوا هذا القول ٣١٨ أسقفاً^(٢) ومن هنا أصدر المجمع دوغمائية ألوهية المسيح^(٣) مؤيدة بسيف السلطان طاردة، ولاعنة كل مخالف لها ، وقد كانت دوغمائية ألوهية المسيح هي أهم الدوغمائيات التي صدرت عن هذا المجمع، ولكن لم تكن الوحيدة فقد أصدر المجمع عدة أوامر دوغمائية أخر وإن لم يكن لها نفس تأثير "دوغمائية ألوهية المسيح من ذلك أن المسيح نزل ليصلب تكفيراً عن خطيئة البشر ، وأيضاً عدم التصريح لمن يتربص من الكهنة بأن يتزوج مرة أخرى كي يكون كل منهم، كما قال بولس الرسول " بعل امرأة واحدة " كما اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات السابقة، وقرر تدمير ما عداها من الرسائل والأنجيل.^(٤) فهذه الأمور أصبحت عقيدة لديهم غير قابلة للمناقشة وكأن المجامع قد أصبحت إنجيلاً خامساً مقدساً "دوغمائياً" وبناء على فقد دشن مؤتمر نقية الذي عقد بطلب من الإمبراطور سابقة خطيرة في التاريخ العام للمسيحية ، إذ تمت المصادقة على قانون الإيمان تحت الضغط المادي والمعنوي للسلطة السياسية وفقدت الكنائس المحلية حريتها

(١) قصة الحضارة ، مج ٣ ، ج ٣ ، ص ٢٩ .

(٢) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ .

(٣) قانون الإيمان النيقوي الذي صدر عن المجمع هو قولهم "نؤمن بإله واحد الله الأب كلى القدرة، خالق كل الأشياء، ما يرى وما لا يرى ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله، المولود من الأب، إله من إله نور من نور، إله حق من إله حق، مولود، غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس الذي تألم وفي اليوم الثالث قام، وصعد إلى السموات، ويأتي ليدين الأحياء والأموات". انظر تاريخ الكنيسة (٤٨/١).

(٤) شلبي ، المسيحية ، ص ١٩٨ .

بعد أن أصبحت ملزمة بقانون ذي صبغة قضائية، ومهد ذلك لنشأة ما صار يصطلح عليه باللاهوت السياسي.^(١)

الدليل على دوغمانية قرارات هذا المجمع

^(١) أن الذين حضروا المجمع من البطارقة والأساقفة بلغوا ثمانية وأربعين وألفين من الأساقفة، ولكن من صاغوا قرارات هذا المجمع ووقعوا عليها هم فقط ثمانية عشر وثلاثمائة أسقف، فما هي آراء الباقين؟ ولماذا أهملت كل هذا الإهمال؟ أكانوا جميعاً مختلفين في النحل والآراء، حتى أن نحلة لم يصل عددها إلى ٣١٨، فلما تعذر الأخذ بالكثرة المطلقة التي يزيد عددها على النصف، ولو واحداً، اتجهوا إلى الأخذ بالكثرة النسبية إن المروي غير ذلك، لأن ابن البطريق يقول: أن قسطنطين هو الذي اختار أن يعقد أولئك الأساقفة الذين يبلغون ٣١٨ مجلساً خاصاً بهم، ولأن الرواة يقولون أن أريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم أنضم إلى آرائه أكثر من سبعمائة أسقف، وذلك العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النحل المختلفة، فلو كانت النصر بالكثرة النسبية، لكان الواجب إذن أن يكون الغلبة لأريوس الذي احتج بما تحت أيديهم من أناجيل، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها^(٢) فيظهر أن المجمع اتخذ قراره بأقلية مغلوبة على أمرها؛ وتأييدا لذلك يقول كانتو: " وكان الحزب الأريوسي قويا منذ البداية بدرجة لا يمكن معها أن تسحقه المجموعة الأرثوذكسية - كنيسة الإسكندرية - دون مساعدة الإمبراطور ^(٣)

^(٢) المجمع فرض لنفسه سلطاناً كهنوياً "دوغمائياً" على الناس حيث نجد أن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين، وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً، بل لابد من تلقيها من أفواه العلماء ورجال الكهنوت، وإن أقوالهم في ذاتها حجة، سواء أخالفت النصوص أم وافقت، فالعلماء تسلطوا على إخوانهم المسيحيين لما أعطاهم قسطنطين خاتمه وسيفه وقضيبه، وبذلك خالفوا المسيح عليه السلام ليطيعوا قسطنطين.^(٤) فقد كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب بولس الذي انتهى إليه المجمع.

^(١) عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار، ص ٨٨ - ٨٩.

^(٢) أبو زهرة محاضرات في النصرانية، ص ١٢٧، ١٢٦.

^(٣) أحمد عجيبة، تأثير المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٢٧٦.

^(٤) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٢٧.

(٣) أن المجمع أمر بتحريق الكتب التي تخالف رأيه، وتتبعها في كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأي أمر من الأمور التي تخالف رأيه، وهو بهذا يحاول التحكم في القلوب، والسيطرة على النفوس بحملها على قراءة ما وافق رأيه فقط^(١)

(٤) قسطنطين يتدخل ذلك التدخل وهو لم ينتصر حيث أن هذا المجمع الذي يعد من أخطر المجامع كان لعبة بيد الإمبراطور الذي كان وثنياً، ولم يكن من أهل تلك الملة وقت ترأسه ذلك المجمع، كما أن المجتمعين لم يكونوا يعتمدون على نصوص متفق عليها مقبولة لدى الجميع وإلا لثم الإذعان لمدلولها، وإنما كانوا يعتمدون على تصوراتهم أو تصورات أمثالهم من الناس فلهذا وقع الإعراض عنها بعد عودتهم إلى كنائسهم.^(٢)

نقول المسيحية مايل وبرتن : " وضع قانون الإيمان القديم، وقدم للمجتمع وطلب الإمبراطور إلى جميع الأساقفة التوقيع عليه مهددا بنفي كل من لا يفعل ذلك ورغم التهديد استتفد عدد قليل من التوقيع "^(٣) إذن فكيف يوثق في مجمع قرر أقلية قرارات ظهر فيما بعد أن جانبا من الحاضرين قد أرغم على قبولها والذي تمثله قصة (أوسابيوس) وهذا ما يقرره القس حنا الخصري فيقول : "إن كثيرين من الأساقفة والآباء الذين اشتركوا في أعمال هذا المجمع عادوا إلى أبرشياتهم وكنائسهم وبدأوا من جديد ينادون بالتعاليم التي كانوا يعلمون بها قبل هذا المجمع المسكوني، ولقد سبب هذا الأمر اضطرابات كثيرة ومعارك كرسولوجية جديدة."^(٤)

أثر المجمع

في هذا المجمع أتم المتآمرون ما بدأه (بولس اليهودي)، وحققوا ما أرادوه حينما حولوا المسيحية من دين مثالي كما جاء به المسيح صلوات الله وسلامه عليه .. إلى دين خليط من الوثنيات والخرافات والأساطير، كما هو مشاهد الآن .. وكما تدل عليه أمانتهم التي جعلوها أساس دينهم ، وقاعدة معتقداتهم، والتي كان يجب أن تسمى " الخيانة "^(٥) حيث وجد بعد هذا المجمع مغالبة قوية بين التوحيد وألوهية المسيح، الأولى تغالب بالكثر وقوة الإيمان، وسعة الحيلة، والثانية بقوة السلطان، وبقايا الوثنية، ولكن قوة السلطان طمست نور المذهب الأول ؛ إذ أنها احتاطت فجمعت كل الأساقفة ممن لم يكونوا موحدين ، وأخذ أولئك يسيطرون على قلوب العامة

(١) أبو زهرة محاضرات في النصرانية ، ص ١٢٨، ١٢٧.

(٢) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٢٥٥.

(٣) انقلا عن : حمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٢٧٧.

(٤) القس حنا الخصري ، تاريخ الفكر المسيحي ، ج ١ ، ص ٦٣٢.

(٥) راجع : ابراهيم سليمان الجهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، عالم الكتب السعودية، ١٩٨١ ، ص ٥٠، سلطان عبد الحميد سلطان ، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ، ص ٩٦.

بالرؤى والأحلام والهجمات يزعمونها، حتى اختفى المذهب الحق في لجة التاريخ، ولم يبد على السطح إلا ألوهية المسيح.^(١)

فالمسيحية كانت قبل هذا المجمع قائمة على التوحيد، وكانت الأغلبية منهم موحدتين، ولكن المجمع فرض نفسه، وفرض قراره في قضية من أخطر قضايا العقيدة ووضع قانون الإيمان النقاوي الدوغمائي.

المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١

وسبب انعقاد هذا المجمع أنه قد تقرر في مجمع نيقية أن المسيح إله، ولأنه ابن الأب وأنه جوهر قديم من جوهر الأب، ولم يتعرض للروح القدس، أهو إله أم روح مخلوق، وليس بإله. ولم يكن مجمع نيقية قد أصدر قراراً في هذا الأمر، لذلك ظهرت أفكار بين المسيحيين لا تعترف له بألوهيته، ويظهر أن الإسكندرية التي كانت مهداً للأفلاطونية الحديثة التي تقول بالتثليث وأن المسيطر على العالم ثلاث قوى مؤثرة فيه، قوة المكون الأول، والعقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس) - تريد أن تفرض ذلك فرضاً على المسيحيين، كما كانت العامل القوي في إعلان ألوهية المسيح.^(٢)

فدعا الإمبراطور "ثيودسيوس" سنة ٣٨١م إلى عقد مجمع القسطنطينية ؛ لمواجهة دعوات كانت منتشرة بين الكنائس، وكان الغرض من عقد المجمع محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت في ذلك الحين ، ومنهم مكدونوس ويوسابيوس وأبوليناريوس :

١. وكان مكدونوس أسقفاً أقامه الأريسيون على القسطنطينية سنة ٣٤٣ ميلادية ، ثم عزل في سنة ٣٦٠ ميلادية، لمناذاته ببدعة جديدة وهي إنكار لاهوت الروح القدس، إذ قال أن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات ، وقد ناقشه المجمع ثم حرمه وحرم بدعته ، وأسقطه من رتبة الأسقفية .

٢. وكان يوسابيوس ينكر وجود الثلاثة الأقانيم ، ويقول إن للثالوث ذاتاً واحدة وأقنوماً واحداً ، فناقشه المجمع ثم قطعه وأسقطه من رتبته .

٣. وكان أبوليناريوس أسقفاً على اللاذقية ، وقد أنكر وجود النفس البشرية في المسيح واعتقد أن لاهوته قام مقام الروح الجسدية في احتمال الآلام والموت أي أن الآلام والموت قد وقعاً على جوهر اللاهوت، كما اعتقد

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ١٣١.

(٢) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٣٢ ، و رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية ، ص ١٠٠.

بوجود تفاوت في العظمة بين الأقانيم الثلاثة فالروح القدس عظيم والابن أعظم والآب هو الأعظم وقد حكم المجمع بحرم أبوليناريوس وتحريم بدعته وإسقاطه من رتبته ^(١).

وقد حضر ذلك المجمع مائة وخمسون أسقفًا. قرروا فيه ألوهية الروح القدس ولعن وطرد من خالف ذلك ^(٢) فأكتمل بذلك دوغمائية ثالوث النصارى.

وكما هو ظاهر فإن هذا المجمع عقد بدعوة من الإمبراطور "ثيودسيوس" الذي كان قد سن القوانين والتشريعات لمصلحة القائلين بألوهية المسيح والمثلثين من النصارى.

وتقرير الرأي الذي أجمع عليه المؤتمر بعد ذلك، وهذا ما نقله ابن البطريق عنه بنصه: (قال ثيموثاوس بطريق الإسكندرية: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته. فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق، فقد قلنا أن حياته مخلوقة وإذا قلنا أن حياته مخلوقة، فقد زعمنا إنه غير حي، وإذا زعمنا إنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن) .

وانفقوا على لعن مقدونيوس، فلعنوه هو وأشياعه، ولعنوا البطارقة الذين يكونون بعده، ويقولون بمقالته ^(٣)، كما هي سمة الدوغمائية في إنكار الآخر، كما أن ما بنوا عليه قرار المجمع ما هي إلا جملة من الأفكار التعسفية غير المسلمة لتكون ممهدة لترسيخ دوغمائية ألوهية روح القدس، ذلك أننا إذا نظرنا في تلك السلسلة الفكرية التي ساقها في شكل دليل شرطي كثرت مقدماته وكثرت تالياته وأن نظرة سريعة فاحصة إلى الأساس الذي قامت عليه السلسلة ترينا إنه جعل روح القدس هي روح الله، وهذا لا يسلمه له مخالفه، ولا يستطيع هو أن يقيم عليه دليلاً.

أن روح القدس خلقه الله، وأتخذ له ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً، فهي ليست روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال، ولكن هكذا ساق السلسلة، وهكذا اقتنع سامعوه ؛ وبذلك تم له الثالوث الذي يتشابه تماماً مع فلسفة الإسكندرية، وقد أعلنها بطريرك الإسكندرية وزادوا بذلك على مجمع نيقية هذا الأَقنوم الثالث. ^(٤)

(١) زكي شنودة ، تاريخ الاقباط ، ج ١ ، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) انظر: حنانيا إلياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة ، منشورات النور، بيروت، لبنان، ط ٢: ١٩٩٨م، ص ٢٤٦، وتاريخ الكنيسة (١٠٤، ١١١/٣)، محمد أحمد الحاج النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم دمشق، دار الشامية، بيروت ط ١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م ص ١٨٣.

(٣) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص ١٣٣.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٤.

كما أن السلطان كان له دخل في تنمية تقرير التثليث، فقد أصدر أوامر بوجوب الخضوع لقرارات هذا المجمع والإيمان بالأقانيم الثلاثة، وطرد من لم يخضع لها وبذلك تقررت دوغمانية التثليث على يد الأباطرة والباطنيين^(١)

مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١

انعقد هذا المجمع لمواجهة قول " نسطور"^(٢) أسقف القسطنطينية، الذي قيل عنه إنه كان يقول: بأن المسيح له طبيعتان إلهية وإنسانية بشرية^(٣)، وأن مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله. وإن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح متوحد مع ابن الإله ، ويقال له إله وابن الإله، ليس على الحقيقة ولكن موهبة واتفاق الاسمين على طريق الكرامة.^(٤)

وشرح نسطور مذهبه قائلاً " إن مريم لم تلد إلها ، بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسدا ، وما يولد من الروح هو روح ، إن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانا هو آلة لللاهوت "^(٥)، وتعليقا على ذلك يقول القس منسى يوحنا : " وقصد نسطور بذلك أن يمهد السبيل إلى إنكار ألوهية المسيح الذي قسمه إلى شخصين معلما أن اللاهوت لم يتحد بالناسوت بل ساعده فقط " ^(٦)

فعقد المجمع في أفسس سنة ٤٣١م بحضور مائتا أسقفاً ورفض نسطور حضور المجمع ؛ لأنه كان يعلم ما سيؤول إليه أمر المجمع من اللعن والطرء، وعدم القبول للرأي الآخر، كما هي سمة المجامع السابقة من الدوغمانية.

وقد قرر هذا المجمع لعن نسطور وحرمة وتحريم مذهبه من الكنيسة، كما قرر أن مريم العذراء والدة الله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبعتين متوحد في الأقنوم أي أن المسيح أقنوم واحد بعد الاتحاد بدون اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة.^(٧)

(١) عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٢٨٣.

(٢) نسطور : اشتهر كراهب بمواقفه في أنطاكية ، وصار أسقفا للقسطنطينية في عام ٤٢٨ ، وسرعان ما أنهك في جدل العقيدة عن المسيح، ينظر: جون لوريير، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس، ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٣) راجع: القس حنا الخصري، تاريخ الفكر المسيحي (١٧٠/٢)، جون لوريير، تاريخ الكنيسة (٢١٥/٣)

ويذكر البعض أن نسطور كان يرى أن المسيح لم يكن إلها وإنما هو إنسان مملوء من البركة والنعمة. انظر كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص ١٨٤.

(٤) هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى، ج ٢ ، ص ٥٦٤.

(٥) أحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٢٨٥.

(٦) القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة ، ص ٢٥٧.

(٧) انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص ٢٨٨، تاريخ الكنيسة جون لوريير (٢١٩/٣)، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ١٨٥، وأحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٢٨٨.

وبعد صدور تلك الدوغمائية عن هذا المجمع زادت حدة الاختلاف بين المسيحيين نتيجة لهذا المجمع، حيث عُقد اجتماعه قبل حضور جميع الأساقفة أي أن المجمع لم يكن شاملاً لكل أطراف النزاع ، وذلك لغياب أساقفة انطاكية ونسطور نفسه، كما أن المجمع لم يضع حداً للاختلاف حول طبيعة المسيح وهذا يدل على أن العقيدة خرجت من أيديهم بتقرير دوغمائية لاهوت المسيح والروح القدس فأصبحت عقيدة معقدة ، صعبة الفهم والإدراك، ولذلك كلما أرادوا حل بعض مشاكلها زادوها تعقيداً وصعوبة.^(١)

وبعد مجمع أفسس عُقدت مجامع عديدة كلها تبحث في طبيعة المسيح عليه السلام، منها:

مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م:

في هذا المجمع عادوا للبحث في طبيعة المسيح، وقرر المجتمعون: أن المسيح له طبيعتان إلهية وبشرية بلا اختلاط ولا تحول ولا انقسام ولا انفصال^(٢)!، وكان المناصرون لهذا القول هم الأساقفة الغربيين الذين لعنوا وطردوا من لا يقول بهذا القول، ولم توافقهم الكنائس الشرقية على هذا، وقد أصروا على قرارهم السابق في مجمع "أفسس" بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية وبشرية، وهذا من أهم الفوارق بين الكاثوليك القائلين بالطبيعتين، والأقباط والأرمن والسريان القائلين بالطبيعة الواحدة.^(٣)

وسارت المناقشة بعد ذلك في جو عنيف متعصب وانتهى المجمع إلى أن قرر أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة، وأن الألوهية طبيعة وحدها، والناسوت طبيعة وحده. التقتا في المسيح.

فهذا المجمع يرى أن المسيح له طبيعتان أحدهما إنسانية يشارك فيها الناس والأخرى لاهوتية، وأقنوم الابن مكون من الطبيعتين، وهو بذلك يخالف النسطوريين ؛ لأنهم يقولون: أن أقنوم الابن لم يكن من العنصرين، بل من العنصر الإنساني وحده، ويخالف قرار أفسس الثاني الذي يقول أن المسيح طبيعة واحدة تجسد فيها العنصر اللاهوتي من الروح القدس، ومن مريم العذراء مصيراً هذا الجسد معه واحداً وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشينة واحدة، والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة تلزم بأحكامها المسيحيين أجمعين، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعاً عاماً في نظر المصريين، والكنائس التي تنهج نهج كنيستهم.

(١) ينظر : احمد عجيبية ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) انظر إلى الجمع بين المتضادات في عقيدتهم وهو كلام يعادون عليه ويوالون، وهو هراء مفترى ليس لهم عليه أدنى دليل أو برهان عقلي أو شرعي.

(٣) انظر: مجموعة الشرع الكنسي ص ٣٦٤ ، وتاريخ الكنيسة جون لوريير (٢٢٦/٣-٢٣٢) .

والمجامع الآتية بعد ذلك ليس فيها مجمع قد أجمع عليه المسيحيون قاطبة بأنه مجمع عام مسكوني كما يعبرون، فكل هذه المجامع لم تمثل فيها الكنيسة المصرية بعد انشقاقها على كنيسة رومة، أو انشقاق كنيسة روما عليها.^(١)

وهكذا نرى أن هذه المجمع تسبب في الانشقاق المزمّن بين المسيحيين، فهو أساس اختلاف الكنائس إلي اليوم، وهو أساس انفصال الكنيسة المصرية عن الكنائس الأخرى ، ولا زال هذا الانفصال سارياً.

مجامع أخرى

المجمع الخامس : الذي عقد في القسطنطينية سنة ٥٥٣م للرد على القائلين بتناسخ الأرواح وأنه ليس هناك قيامة.

المجمع السادس : الذي عقد بالقسطنطينية أيضاً سنة ٦٨٠م وحكم بالكفر على القائلين بالمشيئة الوحيدة ولعنهم وطردهم من الكنيسة.

المجمع السابع: المراد بالمجمع السابع مجمعان، المجمع الأول انعقد سنة ٧٥٤م بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الخامس وذلك للنظر في موضوع الصور والتماثيل وما يقدم لها من التقديس والعبادة، وخرج بقرار يلعن به كل من يصور المسيح أو أمه أو أباء الكنيسة باعتبار أنها وثنية^(٢).

ثم أمر الإمبراطور أن يمحي ويدمر كل ما في الكنائس من صور وتماثيل، كما حمل على الرهبان فأغلق الأديرة وصادر أموالها، كما أرغم الرهبان على أن يتزوجوا الراهبات.

وبعد وفاة الإمبراطور قسطنطين الخامس سنة ٧٧٥م تولى على الإمبراطورية زوجته إيريني التي كانت تؤيد الصور والتماثيل فدعت إلى مجمع عام سنة ٧٨٧م في نيقية حضره ٣٥٠ أسقفاً خرجوا بقرار: وجوب تعليق الصور والتماثيل للمسيح وأمه وقديسيهم وكذلك الملائكة، ويقدم لهم صنوف التكريم من التقديس والسجود

(١) أبو زهرة ، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٨- ١٤٢.

(٢) مجموعة الشرع الكنسي ص ٧٩٥.

ويستشفع بهم إلى الله في الحاجات لما لهم من المكانة والدالة على الله - تعالى الله عن قولهم - كما لعن المجمع كل من لا يكرم تلك الصور والتماثيل^(١).

المجمع الثامن سنة ٨٦٩م: وهو أساس انفصال الكنائس الشرقية التي ترأسها كنيسة القسطنطينية عن الكنائس الغربية التي ترأسها كنيسة روما.

وقد علمت أن المجامع الماضية التي انفصلت بسببها فرق مسيحية كان أساس الخلاف فيها طبيعية المسيح، ولم يتعرض أحد للروح القدس، ومن أي شيء انبثق، حتى أثار بطريرك القسطنطينية كيف كان انبثاقه، فحكم بأن انبثاق الروح القدس كان من الأب وحده، فعارضه في ذلك بطريرك رومة قائلاً: "أن انبثاق الروح القدس كان من الأب والابن معاً، ولم يكن من أحدهما، وكل فريق عاضد رأيه بجمع قد جمعه، وكلاهما قد اعتبر هو ومشايعوه مجمعه عاماً ملزماً للأخر"، ومجمع الآخر خاصاً غير ملزم، وكل لعن الآخر وطرده، واعتبره محروماً مطروداً من حظيرة المسيحية، كشأنهم عند كل اختلاف وقد كان هذان المجمعان هما السبب في انقسام الكنيسة إلى شرقية يونانية، وغربية لاتينية ورئيس هذه الكنيسة الغربية هو البابا، وهو مستقل بسياستها وله السلطان على كل الطوائف المنقادة إلى تعاليمها^(٢).

وتتوالى بعد ذلك المجامع الكاثوليكية لأغراض عامة أو إقليمية والمجامع اللاحقة كلها غير مسكونية إلا في نظر الكنيسة الغربية، وأهم هذه المجامع وأعظمها أثراً، وأقواها عملاً

المجمع التاسع: عشر الذي انعقد في تريديننتو والذي دام انعقاده من سنة ١٥٤٢ إلى سنة ١٥٦٣، وفيه الرد على البروتستانتية.

(١) ننقل هنا قرار المجمع السابع المتعلق بالصور والتماثيل لما فيه من المعاني التي تدل على عمق الانحدار الوثني الذي آل إليه أمر النصرانية، فقد قرروا: " أنه كما يرفع الصليب الكريم المحي هكذا يجب أن تعلق الصور الموقرة المقدسة المصنوعة بالدهان أو من الفسيفساء أو من مواد أخرى في كنائس الله المقدسة، وأن توضع على الأواني المكرمة، والحلل الكهنوتية، وأن ترفع وتعلق في المنازل وفي الطرق ونعني بذلك صورة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، وصورة سيدتنا الكلية الطهارة والدة الإله وصور الملائكة المكرمين وصور كل القديسين وكل الأشخاص الأتقياء، لأنه بتكرار مشاهدتهم من رسومهم يسهل على الشعب أن يتذكر الأصل وتثار فيه الرغبة للإقتداء بسيرتهم، ويجب أن يقدم لهذه الصور الإكرام وسجود الاحترام دون العبادة المختصة بالطبيعة الإلهية دون سواها. وحسب العادة التقوية القديمة يجوز أن يقدم البخور، وتضاء الشموع أمام هذه الصور وأمام الصليب الكريم المحيي وكتاب الأناجيل وغير ذلك من الأشياء المقدسة لأن التكريم الذي يقدم للصورة إنما يقدم للأصل الذي تمثله، فالذي يكرم الصورة إنما يكرم الأصل الممثل فيها مجموعة الشرع الكنسي ص ٨٠١.

(٢) ابو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٤٦، ١٤٥.

المجمع الثاني عشر: الذي عقد سنة ١٢١٥م وقد تقرر فيه أن العشاء الرباني يتحول إلى جسد ودم المسيح، وأن الكنيسة البابوية الكاثوليكية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء.^(١)

وختام هذه المجامع هو المجمع المتمم العشرين المنعقد في رومة سنة ١٨٦٩ وقد أثبتوا فيه العصمة للبابا.

من خلال هذا الاستعراض السريع لبعض المجامع النصرانية وقراراتها يتبين لنا ما يلي:

أولاً : أن هذه المجامع لم يؤسسها المسيح ولم يدع إليها ولم يأمر بها ولم يشر إليها وإنما ابتدعت بعده فقد كانت من ابتداع من ليسوا من أصحاب المسيح ولا من حواريه وإنما من اختراع من كان مناوئاً للمسيحية ومن كان وثنياً حيث إن أصول العقائد والشرائع في الدين السماوي من الله _ سبحانه وتعالى _ لا من تأليف وتقرير مجمع أو غيره ، وهذا يعني أن المسيحية حين تناست أصول عقائدها وشرائعها الصحيحة رأت أن توجد بدعة المجامع لتقرر لها البديل في العقائد والشرائع.

ثانياً : أن المجامع فرضت سيطرتها على عقول المسيحيين حين قررت أن التعاليم المسيحية من عقائد وشرائع ونظم وعبادات لا يتلقاها الناس من الكتب المسيحية بل لابد من تلقيها من المجامع المؤلفة من الأساقفة بتدبير الأباطرة.

ثالثاً : أن هذه المجامع هي التي قضت على عقيدة التوحيد في المسيحية ، فلقد حرم المجمع الأول أريوس بالرغم من أن الأغلبية كانت معه ، وقرر المجمع الثاني ألوهية الروح القدس والمجمع الثالث قرر عقيدة التجسيد المسيحية يقول د/بركات دويدار "كان من الواجب على المسيحيين أن يرجعوا إلى نصوص الوحدانية في الكتاب المقدس، ويرفضوا كل عقيدة ضد التوحيد ولكن الأمر سار على غير هذا فعقدت المجامع وفي كل مجمع كان يختنق صوت التوحيد ؛ ليرفع صوت الشرك والتثليث"^(٢)

رابعاً: أن النصارى لا يملكون أدلة صحيحة صريحة في أكثر دعاويهم لهذا اختلفوا تلك الاختلافات الخطيرة التي تمس جميع نواحي العقيدة لديهم فما يستند إليه النصارى ويتحمسون له لا يعدو أن يكون فهما خاصا يسعى أصحابه لتثبيتته عن طريق تلك المجامع، ولا يخلو الأمر من الأهواء والأغراض الخاصة من حب الرئاسة وفرض السيطرة.

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، ص ٢٦٠.

(٢) أحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، ص ٣٠٢.

خامساً: أن المجامع لم تكن يوماً من الأيام هيئات شورية يتباحث القساوسة فيها الآراء ويتوصلون فيها إلى الحق بأدلته، بل كانت في الأغلب تعقد لفرض رأي أو تصور عن طريق تلك المجامع وبقوة السلطان أو قوة الكنيسة ؛ حيث أن تلك المجامع كانت أداة بيد الأباطرة الرومان يسخرونها لرغباتهم في التوسع والسيطرة أو تحقيق أغراض سياسية.

سادساً: أن تلك المجامع كانت من أعظم أسباب الفرقة وتشتيتها في العالم النصراني، بحيث أنهم لم يخرجوا في واحد منها متفقين، بل كلما اجتمعوا في مجمع من تلك المجامع يزداد اختلافهم وبالتالي انقسامهم.

سابعاً: أن المجامع صاغت العقيدة وقررتها بعد خلاف طويل وهذا يدل على أن العقيدة النصرانية في الإله وفي المسيح، وفي نقاط عديدة ليس لأدلتها من الوضوح ما يكفي لجعلها مسلمات وقطعية الدلالة لكل نصراني نظر في الأنجيل وعلم أقوال المسيح، وهذا أمر يجب التوقف عنده والتفكير في مهمة المسيح ماذا كانت؟ فإنه إذا لم يكن واضح وجلي تلك القضايا وأبان عنها البيان الكامل الذي لا يفتح مجالاً للاختلاف فيها وخاصة أنها من أصول الديانة وأهم العقائد، فما هي مهمته إذاً؟

هل جاء ليلقي كلاماً مبهماً لا يعرف معناه يحار الناس فيه قروناً؟ أم أنه تكلم بكلام واضح وجلي كما هي حقيقة مهمة الرسل إلا أن الناس حرفوا كلامه بعد ذلك وحملوه على غير محامله ونسبوا إليه ما لم يقل؟!

ثامناً: إن المجامع قررت قرارات ولعنت وحرمت من لم يقل بها، وقررت أن سبيل النجاة هو اعتقاد تلك الأقوال - وهنا سؤال يطرح نفسه ما هو حال حوارى المسيح وأوائل النصارى الذين لم يكونوا يعتقدون تلك العقيدة ولم يتكلموا فيها بكلمة، كالتثليث، وطبيعة المسيح وانبثاق الروح القدس من الأب أو الابن معاً إلى غير ذلك.

تاسعاً: إن المجامع قد صاغت العقيدة النصرانية بكل تفاصيلها، وذلك يدل على أن تلك العقيدة بتفاصيلها صنعة بشرية لم ينزلها الله تعالى على المسيح عليه السلام وأن المجامع النصرانية هي المصدر الحقيقي للديانة النصرانية المحرفة، لأن تلك الفهوم التي كانت تقرر وتصدر وفقها القرارات لم تكن تعتمد على نصوص قطعية

واضحة، بل أحياناً كانت تعتمد على نصوص متشابهة وكلام محتمل لأكثر من معنى ويكون من أقلها احتمالاً المفهوم الذي تدعيه الكنيسة كما في دعوى ألوهية المسيح عليه السلام.

وأحياناً كانت لا تعتمد على أي نصوص موجودة لديهم وهو الأكثر، بل يكون تركيباً ذهنياً وهمياً، أو تصوراً خاطئاً بني على تصور خاطئ، كما في قراراتهم المتعلقة بألوهية الروح القدس، وطبيعة المسيح، وتقديس الصور والتماثيل وعصمة البابا ونحو ذلك.^(١)

عاشرا : أن المجامع المسكونية نسبت إلي نفسها العصمة من الوقوع في الخطأ متعللين بأن الروح القدس يحل عليهم في اجتماعاتهم ، ففي كتاب " مجموعة الشرع الكنسي " جاء ما يلي : "إن المجامع المسكونية تنسب إلي ذاتها الحصانة من الخطأ في تعاليمها في العقائد والآداب ، واعتمادا على الوعد بحلول الروح القدس على المجتمعين وإلهامه لهم"^(٢)

(١) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٢٦١-٢٦٣

(٢) حنايا إلياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي ، ص ١٠ ، نقلا عن أحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان

الوضعية ، ص ٣٠٠

الفصل الثالث

العقائد الدوغمائية لدى أتباع الديانة النصرانية

ويشتمل المباحث التالية:

- المبحث الأول: دوغمائية ألوهية المسيح
- المبحث الثاني: دوغمائية ألوهية الروح القدس
- المبحث الثالث: دوغمائية التثليث
- المبحث الرابع: دوغمائية الصلب والفداء

تمهيد

إن الله - عز وجل - أرسل سيدنا عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل؛ ليزيل تشددهم، ويكمل ويتمم شريعة سيدنا موسى - عليه السلام -، فاتبعه فريق وخالفه فريق آخر، ومن المؤسف أن الذين ادعوا أنهم نصارى قد انحرفوا في اعتقادهم في الله - سبحانه وتعالى - وفي سيدنا عيسى - عليه السلام - وتلوثت عقائدهم بكثير من العقائد الوثنية متأثرين بعقائد الشعوب التي خالطوها، ومن هذه الانحرافات العقائدية الدوغمائية أنهم اتخذوا رجال الدين عندهم أرباباً من دون الله، وقد ذكر القرآن

ذلك في قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)، وانحرفوا عن عقيدة التوحيد الخالص الذي جاء به عيسى - عليه السلام - وغيره من الرسل، فجعلوا الله ثالث ثلاثة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

وقد اشتهر هؤلاء بالمثلثة، وتنص عقيدتهم على أن عيسى ابن الله، وتارة يقولون هو الله ويقولون الله الأب، والله الابن والله الروح القدس، وتصلت فيهم عقيدة التثليث جيلاً بعد جيل إلى الآن، وغالوا في سيدنا عيسى - عليه السلام - فقالوا هو الله كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَتَلْنَاهُمُ اللَّهُ أَذَى يُوَفَّكَونَ ﴾ (٤)، وليس ذلك فحسب بل اضطهدوا عيسى - عليه السلام - وأرادوا قتله كما قتلوا غيره من الأنبياء، وادعوا كذباً أنهم قتلوه، وبعد القتل صلبوه، وقد نفى القرآن الكريم ذلك، وأبطل مزاعمهم فقال تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (٥).

(١) سورة التوبة: ٣١.

(٢) سورة المائدة: ٧٣.

(٣) سورة المائدة: ١٧.

(٤) سورة التوبة: ٣٠.

(٥) سورة النساء: ١٥٧.

وزعموا أن هذا الصلب يكفر عنهم خطاياهم التي ارتكبوها، فهو المخلص والفادي، وأن الذنوب لا تُغفر إلا إذا اعترف الخاطئ أمام القسيس وقدم القرابين وصكوك الغفران، وأصبح للكنيسة سلطان على النصارى لا يجب عليهم مخالفته، ومن خرج عليها يرمونه بالهرطقة، وغير ذلك من القضايا الدوغمائية التي جعلوها أساساً للاعتقاد عندهم بل وضعوا من خلال المجامع المقدسة - في زعمهم - قانوناً يجمع الطوائف المسيحية في صيغة إيمانية واحدة.

وفي هذا الفصل سوف أعرض تلك العقائد الدوغمائية التي أنتجها النصارى من بعد ما انحرفوا عن الدين الذي جاء به المسيح من عند الله، وذلك في عدة مباحث يتناول الأول منها دوغمائية ألوهية المسيح، والثاني دوغمائية ألوهية الروح القدس، والثالث دوغمائية التثليث، أما المبحث الرابع فيتناول دوغمائية الحلول والاتحاد، والخامس دوغمائية الصلب والفداء.

المبحث الأول

دوغمائية ألوهية المسيح

مدخل

لقد غالى النصارى في المسيح - عليه السلام - فذهبوا فيه مذاهب شتى تتسم بالميل والشطط والانحراف عن الحق والنظرة المعتدلة لشخصيته - عليه السلام - كبشر رسول بعثه الله - عز وجل - لبني إسرائيل، فأخرجوه عن طور البشر وألبسوه ثوب الألوهية، وفي هذا المبحث سوف أتناول دوغمائيتهم تلك القائلة بألوهية المسيح وأفند أدلتهم عليها؛ لبيان بطلانها، وأنها لا تعدو أن تكون إحدى الدوغمائيات التي انحرفت بالنصارى عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام.

أولاً: مقولة النصارى الباطلة التي تقول بتأليه المسيح - عليه السلام -:

اختلف النصارى في تأليه المسيح - عليه السلام - اختلافاً كبيراً؛ مما يدلّ على الاضطراب والتذبذب الذي يشوب هذه العقيدة، وبالتالي توضع موضع شك وريبة.

والرأي السائد بين النصارى يقول: باتحاد اللاهوت الكامل بالانسوت الكامل في شخص المسيح، فالمسيح في نظرهم ذو طبيعتين تامتين كاملتين، فهو إله تام وإنسان تام، اتحدا في شخصه الواحد بالتجسد، وهم يعتقدون أن المسيح هو الإله الذي خلق السموات والأرض، وهو الديان الذي سيحاسب الناس على أعمالهم يوم القيامة.

ثانياً: الأدلة التي يستدل بها النصارى على تأليه المسيح - عليه السلام -:

أ- بعض الأدلة من العهد القديم:

١ - قول أشعيا: "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعي اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أبدياً رئيس السلام"^(١).

٢ - وفيه أيضاً: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"^(٢)، ومعنى كلمة عمانوئيل "الله معنا" أو إلهنا معنا^(٣)، وغير ذلك من النصوص التي وردت في العهد القديم وتقرر ألوهية المسيح - عليه السلام - كما يدعون -.

(١) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر أشعيا (الإصحاح ٩ - فقرة ٦)

(٢) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر أشعيا (الإصحاح ٧ - فقرة ١٤)

(٣) مجلس التحرير: الدكتور القس صمانيل حبيب - القس فايز فارس - القس منيس عبد النور - جوزيف صابر قاموس الكتاب المقدس (دار المعارف الكتابية)، دار الثقافة، ط ٢، ج ٥، ص ٣٣٠

ب- بعض الأدلة من العهد الجديد:

١ - قول يوحنا: "الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن"^(١).

٢ - وقوله أيضًا: "والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم"^(٢).

٣ - وجاء أيضًا: "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"^(٣).

وغير ذلك من النصوص التي وردت في العهد الجديد وتقرر ألوهية المسيح -كما يدعون-.

ثالثاً: نقد أدلة القائلين بدوغمائية تأليه المسيح:

المرحلة الأولى: الرفض الكامل لهذه النصوص التي لا يقبلها عقل ولا منطق وذلك:

أ- لأنه يستحيل على نبي من الأنبياء أن يكذب على الله، ويدعو الناس إلى عبادته بدلاً من عبادة الله الخالق.

ب- كما إن ما ورد في الأناجيل من نصوص يدعون أنها تشير إلى ألوهية المسيح، لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير وهو اعتبار المسيح إلهاً، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل من صنع متى ويوحنا أو من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت إليهم؛ لأنّ الصلة بين إنجيل عيسى المسيح -عليه السلام- وهذه الأناجيل مقطوعة، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نُسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضًا^(٤).

ج- لأنّ هناك نصوصاً أخرى تنص على أن سيدنا عيسى -عليه السلام- لم يدع الألوهية، وإنما ادعى النبوة وحسب ..

منها: "لا تسبوا أباكم على الأرض فإن أباكم الذي في السماء وحده، ولا تدعو معلمين فإن معلمكم المسيح وحده"^(٥).

وفي هذا من التناقض ما فيه فكيف يقولون إنه إله في نصوص، وأنه يعترف لله بالوحدانية في نصوص أخرى، وتلك القدرة على التعايش مع التناقضات الموجودة داخل البناء الفكري لألوهية المسيح عند النصارى تعد سمة واضحة لدوغمائيتهم.

(١) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا (الإصحاح: ٨ - فقرة: ٥٨)

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٧ - فقرة: ٥)

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد - رسالة بولس إلى العبرانيين: (الإصحاح ١٣ - فقرة: ٨)

(٤) ينظر: الطهطاوي، محمد عزت الطهطاوي، النصرانية والإسلام، مكتبة النور، ص ٤٠.

(٥) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٢٣ - فقرة: ٩ - ١٠)

المرحلة الثانية:

١. التسليم الجدلي بصحة ما استدلوا به من نصوص؛ مجارة للخصم، ولكن هذه الأدلة لا تدل على أن سيدنا عيسى -عليه السلام- إله عند تفسيرها تفسيرًا يتناسب مع طبيعتها كوحي سماوي مقدس - كما يدعون-(١).
- ٢ - إبراز التناقض والتعارض بين نصوص الأناجيل في هذه القضية: فإن كانت هناك أدلة يحتج بها النصارى على ألوهية المسيح - كما يدعون - فإن هناك نصوصًا أخرى من الأناجيل تثبت أن المسيح -عليه السلام- ما هو إلا بشر رسول أرسله الله -عزَّ وجلَّ- إلى بني إسرائيل، ويعتريه ما يعتري البشر، ويحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، ومن ذلك:

أولاً: لقد ورد في الأناجيل نصوص كثيرة تدل على أن عيسى إنسان في مواضع متعددة منها:

- أ- "لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم ... ولكن لتعلموا أن لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا"(٢).
- ب- "جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا إنسان أكل شريب خمر"(٣).

ثانياً: تعددت النصوص التي تصف المسيح -عليه السلام- بأنه نبي مرسل من هذه النصوص ما يلي:

- ١ - "من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني من يقبل نبيًا باسم نبي فأجر نبي يأخذ"(٤).
- ٢ - "ومن قبلني فليس يقبلني أنا؛ بل الذي أرسلني"(٥).

إن المفاد الوحيد الذي تشير إليه النصوص المتقدمة ينحصر في هذين الوصفين:

١ - المسيح إنسان.

٢ - المسيح نبي مرسل.

ثالثاً: كما أن الأناجيل خلت من أي كلمة تُشير إلى أنه قال عن نفسه إنه إله (٦)، بل إن الأناجيل تصرح بأن عيسى وهو يُقاد إلى خشبة الصليب كان يدعو ويقول: إلهي إلهي لماذا تركتني (٧)، فكيف يكون إلهًا وله إله آخر؟(٨).

(١) صالح، سعد الدين السيد صالح، مشكلات العقيدة النصرانية، طبعة دار الأرقم للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، ص ٩٩ - ١٠٢.

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى: (الإصحاح ٩ - فقرة ٤ : ٦) باختصار

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى: (الإصحاح ١١ - فقرة ١٩ : ١٩)

(٤) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى: (الإصحاح ١٠ - فقرة ٤٠ : ٤٠).

(٥) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل مرقس (الإصحاح ٩ - فقرة ٣٧ : ٣٧)

(٦) ينظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، دار الوفاء، المنصورة، ط ١ : ١٤٠٧ هـ -

١٩٨٧م، ط ٢ : ١٤٢٣ هـ - ١٩٩٢م، ص ٤٠٣.

(٧) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٢٧ - فقرة ٤٦ : ٤٦)

ومما يؤكد بشرية سيدنا عيسى -عليه السلام- أن الصورة التي رسمتها له الأنجيل ليست إلا صورة إنسان لا تتوفر فيه صفات الألوهية، فالله عليم خبير لا يخفى عليه شيء، والمسيح ليس كذلك (متى ٢٤ / ٣٦)، ومرقس (١٣ / ٣٢) والله معبود وسميع الدعاء والمسيح عابد يدعو لله (متى ١١ / ٢٥)، والله حي لا يموت، والإنجيل ينص على أن المسيح ظل ميتاً ثلاثة أيام (متى ١٧ / ٢٣) والله لا تدركه الأبصار، والمسيح كانت تدركه الأبصار وظل محدوداً في رحم أمه فترة حملها به، والله لا ينام والمسيح ينام (لوقا ٨ / ٢٣ - ٢٤)، والله قادر والمسيح غير قادر (يوحنا ٥ / ٣٠)، وغير ذلك من الأوصاف ثبت من خلالها أن المسيح لم يدع الألوهية أو البنوة لله تعالى^(٢)، وكل هذا يرسخ لمفهوم دوغمائية ألوهية المسيح؛ فيتضح جمود الفكر المسيحي وتشدده في هذا المعتقد حتى مع عدم وجود دليل على صحته، فلا يشعر أصحاب دوغمائية ألوهية المسيح بأنهم أشخاص عقلانيين منطقيين وهذا أمر طبيعي؛ فتصلبهم الذهني يؤدي إلى تخلف طرحهم وتقادم مفاهيمهم ومقوماتهم.

المرحلة الثالثة:

رد التفسير الخاطئ للنصوص التي استدلت بها النصارى وحملوها على حقيقتها والتزموا بالتطبيق الحرفي لها، فالمقصود من هذه النصوص المعنى المجازي وليس المعنى الحقيقي لها، مع عرض هذه الدعوى وتلك المقولات الباطلة على العقل فمثلاً: يقول النصارى: إن "عيسى" إله ويروجون لهذه المقولة بأمرين: الأول: ولادته من أم من غير أب.

الثاني: قيامه بمعجزات لم تُعرف لغيره^(٣).

مناقشة الأمر الأول: ولادة سيدنا عيسى -عليه السلام- من غير أب:

ينتقد العلامة رحمت الله الهندي قولهم بولادته من غير أب دليل على ألوهيته بقوله: "إن استدلال النصارى بولادة عيسى -عليه السلام- بلا أب هو استدلال ضعيف جداً؛ لأنّ العالم حادث بأسره، وما مضى على حدوثه إلى هذا الزمان ستة آلاف سنة - على زعمهم - وكل مخلوق من السماء والأرض والجماد والنبات والحيوان وآدم خلق عندهم في أسبوع واحد، فجميع الحيوانات مخلوقة بلا أب وأم، فكل هذا يشارك المسيح في كونه مخلوقاً بلا أب، ويفوق عليه في كونه بلا أم ... وآدم -عليه السلام- يفوق عليه، وكذلك "ملكى صادق الكاهن" - ملك أورشليم - الذي هو معاصر لإبراهيم -عليه السلام- ففي الرسالة العبرانية: "بلا أب بلا أم بلا نسب لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة"^(٤) فيفوق المسيح في كونه بلا أم وفي كونه لا بداية له^(٥).

(١) المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ص ٤٠٣.

(٢) أحمد إدريس، تاريخ الإنجيل والكنيسة، دار الحراء، مكة، ١٩٨٧م، ص ٣٦، ٣٧ (بتصرف يسير).

(٣) انظر: المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق، ص ٣٧٦.

(٤) الكتاب المقدس - العهد الجديد - الرسالة إلى العبرانيين: (الإصحاح ٧ - فقرة : ٣).

(٥) رحمت الله هندي، إظهار الحق، ج ٣، ص ٧٦٥ (بتصرف).

كما فند ابن تيمية مقولة تأليه المسيح -عليه السلام- بسبب ولادته من غير أب بالأدلة العقلية والنقلية من وجوه كثيرة منها: أن قول الله تعالى: ﴿إِن مِّثْلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾^(١) "كلام حق فإنه سبحانه وتعالى خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة؛ ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى ... وخلق المسيح من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح ... فلهذا شبهه الله بخلق آدم، الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادراً أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان، وهو سبحانه خلق آدم من تراب ثم قال له كن فيكون لما نفخ فيه من روحه، فكذلك المسيح نفخ فيه من روحه وقال له كن فيكون، ولم يكن آدم بما نفخ فيه من روحه لاهوتاً ولا ناسوتاً؛ بل كله ناسوت فكذلك المسيح كله ناسوت"^(٢).

مناقشة الأمر الثاني: وهو قيامه بمعجزات لم تُعرف لغيره:

أن عيسى -عليه السلام- لم يكن وحده الذي تحققت على يديه المعجزات؛ بل غيره من الرسل أيضاً أيدهم الله بمعجزات كثيرة، وفي هذا الصدد يقول العلامة رحمة الله الهندي: الاستدلال بمعجزاته على ألوهيته، استدلال ضعيف؛ لأن من أعظم معجزاته إحياء الموتى مع قطع النظر عن ثبوته وعن أنه يفهم عن هذا الإنجيل المتعارف تكذيبه، وأن عيسى -عليه السلام- بحسب هذا الإنجيل ما أحيأ إلى زمان الصلب إلا ثلاثة أشخاص، وأحيأ حزقيال ألوفاً كما هو مصرح به في الإصحاح ٣٧ من سفره، فهو أولى بأن يكون إلهاً، وأحيأ إيلياء ميتاً كما هو مصرح به في الإصحاح ١٧ من سفر الملوك الأول، وأحيأ اليسع أيضاً ميتاً كما هو مصرح به في سفر الملوك الثاني ... وغير ذلك من معجزات أجراها الله على يد أنبيائه ورسله^(٣)، واعتراف المسيح -عليه السلام- بعدم اقتداره على فعل الشيء من نفسه إلا ما علمه الله، وأن كل شيء دُفع له من الله، وأن الأعمال التي أعطها الله إياها هي بعينها التي عملها؛ لتشهد له بأن الله أرسله^(٤)، وذلك قوله: "كل شيء قد دفع إلي من أبي"^(٥).

(١) سورة آل عمران: ٥٩.

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٥٤-٥٥ (بتصرف بالحذف).

(٣) راجع: إظهار الحق: ج ٣، ص ٧٦٥ - ٧٦٦، الإسلام في مواجهة الاستشراق العلمي، ص ٣٨٦. (بتصرف)

(٤) أيوب بك صبري آدم، الجرهر الفريد في رد التثليث وتأييد التوحيد، العامرة، الشرقية، ط ١، ١٣١٩هـ، ص ٩٢.

(٥) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ١١، فقرة: ٢٧)

"وإنه لغريب من المسيحيين أن يعتبروا المعجزات دليل الألوهية مع كون كتبهم نفسها تنكر كون المعجزة دليل النبوة، فضلا عن الألوهية التي يدعونها لابن مريم عليهما السلام فقد جاء في متى قول المسيح: "سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة، وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين" ^(١)، وكذلك قوله: "كثيرون سيقولون في ذلك اليوم يا رب يا رب أليس باسمك تتبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أصرح لهم إني لم أعرفكم قط، اذهبوا عني يا فاعلي الإثم" ^(٢)، "فإذا كان الآثم المنافق يستطيع أن يأتي بالخوارق؛ فعلى أي قياس يمكننا أن نميز بين الأنبياء والأشرار؟! .. وإذا كان الحال كذلك فهل نستطيع اعتبار معجزات ابن مريم دليل نبوته فضلا عن اتخاذهم إياها دليلا على ألوهيته المزعومة" ^(٣).

٢- كما "أن كلمة ابن الله أو قول "هذا هو ابني الحبيب" ^(٤) لو صح هذا أو ذاك لما كان دليلاً قط على ألوهية المسيح، فإنه استعمال مجازي معناه التكريم والطاعة، ونظيره إطلاق الأنجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان مع أنهم أبناء آدم؛ والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للآباء ^(٥) جاء في قاموس الكتاب القدس في شرح كلمة أبناء الله ما يلي: "أبناء الله: استعمل هذا التعبير . أبناء الله . في العهد الجديد عن المؤمنين بالله بنوع خاص، فيصبح المؤمنون أبناء الله بالميلاد ... إنهم مولدون من الله بالمعنى الروحي" ^(٦).

كما إن إطلاق لفظ ابن الله على المسيح في غاية الضعف؛ لأنّ هذا الإطلاق معارض بإطلاق ابن الإنسان ...؛ لأنه لا يصح أن يكون لفظ "ابن" بمعناه الحقيقي؛ لأنّ معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الأبوين، وهذا محال في هذا المقام، فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح ^(٧).

وقد جاء في الأنجيل لفظ "ابن الله". بمعنى المؤمن الصالح الطائع، من ذلك ما رواه "مرقس" في إنجيله حيث يقول: "ولما رأى قائد المئة الواقف مقابله، وأنه صرخ هكذا، وأسلم الروح قال: حقًا كان هذا الإنسان ابن الله" ^(٨).

(١) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٢٤ ، فقرة : ٢٤)

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٧ ، فقرة : ٢٢-٢٣)

(٣) محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، دار الفضيلة، ص ٧٩-٨٠.

(٤) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٣ ، فقرة : ١٧)

(٥) ينظر: الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية والإسلام، ص ٤١.

(٦) المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، ص ٤٠٦.

(٧) رحمت الله هندي، إظهار الحق، ج ٣، ٧٥٢.

(٨) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقس (الإصحاح ١٥ ، فقرة : ٣٩).

ويقيم البغدادي - رحمه الله - الأدلة العقلية والنقلية على بطلان القول ببنوة المسيح لله تعالى، وبالتالي أبوة الله له على الحقيقة، فيقول: جعل المسيح "ابن الله" أي مولوداً منه - كما أطلق عليه النصارى ذلك - مردود عقلاً ونقلاً. أما من جهة العقل: فإن الإله يجب أن يكون واجب الوجود لذاته، فولده إما أن يكون أيضاً واجب الوجود أو لا يكون، فإن كان واجب الوجود لذاته كان مستقلاً بنفسه، قائماً بذاته، لا تعلق له في وجوده بالآخر، ومن كان كذلك لم يكن مولوداً البتة؛ لأنّ المولودية تشعر بالفرعية والحاجة، وإن كان ذلك ممكن الوجود لذاته فحينئذ يكون وجوده بإيجاده واجب الوجود لذاته، ومن كان كذلك فيكون مخلوقاً لا ولداً فثبت أن من عرف الإله ما هو (أي مفهوم الإله وحقيقته) امتنع أن يثبت له ولد ... إلى غير ذلك من الأدلة العقلية التي ساقها إلى أن قال: فثبت بالبداهة بطلان ما ذهب إليه النصارى^(١).

٣- مما يدلّ على أن المسيح في الأزل مع الأب قوله: "والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم"^(٢).

الرد: لو كان المسيح في الأزل مع الأب للزم عليه أن يكون هو إلهاً مستقلاً عن الإله الأب، وهذا لا يقول به الأرثوذكس الذين يقولون إن عيسى هو الله نفسه، وهذا التعبير كناية عن أن الله قدر وجود عيسى - عليه السلام - في الأزل كما يقدر وجود أي إنسان^(٣).

٤- مما يدلّ على أن المسيح كان في السماء ونزل إلى الأرض قوله لليهود: "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق، أنتم من هذا العالم، أما أنا فليست من هذا العالم"^(٤).

الرد: معنى الكلام أنتم تعيشون في اللذات الجسدية، أما أنا فأعيش في عالم الروح، أنتم في عالم الأرض تريدون أن تعيشوا، أما أنا ففي عالم السماء مقصودي، وقد قال المسيح هذا القول بالنسبة لجميع تلاميذه: "لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته، ولكن لأنكم لستم من العالم؛ بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم"^(٥).

(١) عبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق طبعة مكتبة الثقافة الدينية- تعليق د/ أحمد حجازي السقا، طبعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧ م، ص: ١٨٤ - ١٨٦، ١٩٥.

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا: (الإصحاح ١٧ - فقرة: ٥، ٢٤).

(٣) أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى، دار الأنصار القاهرة، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧ م، ص ١١٤.

(٤) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا (الإصحاح ٨ - فقرة: ٢٣).

(٥) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا: (الإصحاح ١٥ - فقرة: ١٩).

لقد سوى بينه وبين تلاميذه في عدم الكون من هذا العالم؛ فلو كان هذا مستلزماً للألوهية للزم أن يكونوا كلهم آلهة^(١).

٥- يقولون: إن عيسى إله؛ لأنه كان معصوماً من الخطأ بدليل قوله لليهود: "من منكم يبكتني على خطية"^(٢).

الرد: لو كانت العصمة من الخطية سبباً في أن يكون الإنسان إلهاً لكان جميع الرهبان والراهبات عند النصارى آلهة؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطأ، وكان جميع الباباوات خلفاء بطرس وبولس ومرقس آلهة؛ لأنهم يدعون عصمتهم من الخطايا أيضاً، وقد شهد الكتاب المقدس لبعض الأنبياء بالبر والصلاح، فلماذا لم يجعلوهم آلهة؟!^(٣). وغير ذلك من الأدلة التي فسرها النصارى تفسيراً خاطئاً، إضافة إلى ما سبق أن المسيح - عليه السلام - لم يدع الألوهية ولكنه دعا إلى التوحيد؛ وهذا يبطل مزاعمهم في حق المسيح - عليه السلام - : "في إنجيل لوقا سأله رئيس قائلًا: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية، فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله"^(٤).

لقد حرص المسيح على أن ينفي عن نفسه صفة الصلاح ويردها إلى الله وحده، فكيف يُقال بعد ذلك أن المسيح إله أو ابن إله؟ بل أكثر من هذا نجد في إنجيل مرقس "فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله: أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: "أن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد"^(٥)؛ فلم يدع المسيح أنه إله يُعبد لكن موقفه أمام الله كموقف كل بنى إسرائيل، ولقد نادى المسيح - عليه السلام - بالتوحيد صراحة، فجاء في إنجيل يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"^(٦) وغير ذلك من الأدلة^(٧).

(١) ينظر: أحمد مختار رمزي، عقائد أهل الكتاب - دراسة في نصوص العهدين - دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ص ١٣١، وأيضاً: محمد وصفي، المسيح بين الحقائق والأوهام، ص ٨٧.

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا: (الإصحاح ٨ - فقرة : ٤٦) .

(٣) أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى: ص ١١٥ .

(٤) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل لوقا (الإصحاح ١٨ - فقرة : ١٨ - ١٩) .

(٥) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل مرقس (الإصحاح ١٢ - فقرة : ٢٨ - ٢٩) .

(٦) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٧ - فقرة : ٣) .

(٧) يُراجع: مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، مناظرة بين الإسلام والنصرانية الرناسة العامة لإدارت البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وكالة الطباعة والترجمة، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ، مقال أ/ إبراهيم خليل أحمد، ص ١٩٣، أيوب بك صبري، الجواهر الفريد: ص ١١٨.

أسباب دوغمائية ألوهية المسيح

ونتساءل ما الذي أدى إلى تأليه المسيح والرجوع بالبشرية إلى الوثنية من جديد؟ ما الذي أدى إلى فهم الأبوة الإلهية بمعناها اللفظي؛ مما أنزل النصارى إلى عقلية الإنسان البدائي في دولة أكد ومصر الفرعونية؟

يقول يوهان سملر أستاذ الفلسفة في (هالة): أن المسيحية قد جرفها عن تعاليم المسيح لاهوت القديس بولس الذي لم ير المسيح قط، ويؤكد فولتير ذلك قائلاً أن المسيح كان يهودياً يتمسك بالديانة اليهودية طيلة حياته، ويؤدي شعائرها، ويتردد على المعبد اليهودي، ولا ينطق بشيء يخالف الشريعة اليهودية، يقينا أنه ليس هو الذي أسس الديانة المسيحية، أن المسيح لم يبشر بأية خاصية واحدة من خصائص المسيحية.

وقد أعلن المسيح الهدف من رسالته "لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"^(١).

كما أن الديانة المسيحية قد ولدت والديانات الوثنية محدقة بها من كل جانب ففي مصر عبد المصريون الثالوث أوزوريس والابن حورس والآلهة ايزيس، واعتبر المصريون ايزيس أم الإله حورس فصوروا لها صوراً من الجواهر، وأقاموا التماثيل لها في معبد ابنها إله الشمس، "ولقد كان لهذه الأساطير والرموز الشعرية الفلسفية أعمق الأثر في الطقوس المسيحية وفي الدين المسيحي، حتى أن المسيحيين الأولين كانوا أحياناً يصلون أمام تمثال ايزيس الذي يصورها وهي ترضع طفلها حورس"^(٢).

إن العقل المتحضر يرفض تماماً فكرة تأليه المسيح، يقول جوته^(٣): "أنا أنحني أمام المسيح بوصفه المظهر الإلهي لأسمى مبدأ للفضيلة، ولكنه اعتزم أن يعبد الشمس كما يعبد المسيح، باعتبارها مظهراً عادلاً من مظاهر القوة الإلهية".

لقد اعتبر جوته السيد المسيح كالشمس مخلوقاً تتجلى فيه قدرة الله، فلماذا يعبدون مخلوقات الله؟،

ويقول جون تولاند أن الاعتقاد بإله ذي شخصية إنسانية يرجع إلى الوثنية، ويقول هرمان رايماروس إن المسيح ليس ابناً لله بل هو صوفياً متحمساً.

(١) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى (الإصحاح ٥ ، فقرة : ١٧)

(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢، ص ١٦٠.

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٤١، ص ٣٤٩.

وقد أنكر يوهان شولتز وهو أحد القساوسة لاهوت المسيح؛ فطرد من وظيفته وقد وصف كارل بارت السيد المسيح بأنه معلم عظيم فقط مثل كونفوشيوس وسقراط وسملر ومثله هو (أي كارل بارت)؛ وقد طرد أيضا من القسوسية.^(١)

من كل ما سبق يتبين أن ألوهية المسيح هي بدعة دوغمائية تمسك بها أتباع النصرانية لم يخبرهم بها المسيح ولم يتلقوها من وحي صريح، وأنها كانت ناتجة عن تأثرهم بجيرانهم من أصحاب الحضارة المصرية والحضارة الفارسية المحيطين بهم شرقا وغربا، وما ساعد على ترسخ هذه الدوغمائية في أنفسهم وشدة انقيادهم الأعمى لها هو إقرار اعتقادها بصك قانون الإيمان النقاوي في مجمع نقية عام ٣٢٥م باعتبارها حقيقة مطلقة لا تقبل الشك فيها، وأن من ينكرها فهو كافر ملعون مطرود من حظيرة الدين .

(١) دكتور بهاء النحال، تأملات في الأناجيل والعقيدة، ط٢، ١٩٩٤م، ص ٢٠٨- ٢١٢ بتصرف بالحذف.

المبحث الثاني

دوغمائية تأليه الروح القدس

لروح القدس في عرف المسيحيين هو الروح الذي حل على العذراء لدى البشارة لها، وعلى المسيح في العماد، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء، أما في نظر المسلمين فإن الذي أرسل إلى العذراء بالبشارة بولادة عيسى - عليه السلام - هو الملك جبريل عليه السلام^(١).

عرض مقولة النصارى الباطلة في الروح القدس ونقدها:

ألوهية الروح القدس^(٢) من الدوغمائيات الباطلة التي تمسك بها النصارى وجعلوها من صلب عقيدتهم، وهي عندهم تعتبر الأفتنوم الثالث من أقانيم الثالوث المقدس، وقد تقرر تأليه الروح القدس في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١ م^(٣). إثر الخلاف الذي حدث بين كنيسة الاسكندرية التي تنزع القول بالتثليث وأسقف القسطنطينية مقديسوس الذي أعلن أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع، والقرار الذي وافق عليه المجمع هو: تأليه الروح القدس، ولعن من يقول بغير ذلك، فقالوا: (ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق، وإذا قلنا أن روح الله مخلوق قلنا أن حياته مخلوقة، وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا إنه غير حي فقد كفرنا به ومن كفر به وجب عليه اللعن)^(٤).

وعلى ذلك (يرى أصحاب الثالوث أن الروح القدس الذي يمثل عنصر الحياة في الثالوث المقدس يعتبر أقنومًا قائمًا بذاته وإلهًا مستقلًا بنفسه، فالثالوث المقدس ثلاثة أقانيم هي الذات والنطق والحياة، فالذات هو الله الأب، والنطق أو الكلمة هو الله الابن، والحياة هي الله الروح القدس، وذلك أن الذات والد النطق والكلمة مولودة من الذات، والحياة منبعثة من الذات)^(٥).

(١) شلبي، المسيحية، ص ١٥٦

(٢) السبب في إطلاق اسم الروح القدس على هذا الأفتنوم: أنه يقوم بأعمال اللاهوت بوسيلة روحية، أو بالحرى بوسيلة غير منظورة، كما أنه يوصف بالقداسة لأنه هو الذي يعلن بحالة روحية قداسة الله التي هي الطابع العام لذاته، ولأنه أيضا هو الذي بعلمه الروحي في القابلين له من البشر يقدهم بالتنام لكي يكونوا متوافقين مع الله في قداسه. ينظر: عوض سمعان، الله ثالث وحادانية ووحداية ثالوثه، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ص ٩١-٩٢

(٣) يراجع: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٣، والطهطاوي، النصرانية والإسلام: ص ٤٥، ٤٦، ومحمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٣٥، وشلبي، المسيحية، ص ١٥٦.

(٤) يراجع: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٣٣، أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٥٧.

(٥) محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالث، مكتبة النافذة، الجيزة، ط ١، ١٩٧٢ م، ط ٢، ٢٠٠٤ م، ص ٩٥.

يقول وليمسن: "وهكذا نرى أن الروح القدس يسمى الله، وله خاصيات الله، ويعمل أعمال الله، ويعبد كما يعبد الله، فالروح القدس هو الله"^(١) تلك هي مقولة النصارى الدوغمائية في تأليهم للروح القدس. وسوف أعرض فيما يلي نقد لهذه الدوغمائية بما يثبت أن الإيمان بها والإذعان لها محض تعسف لا يستند إلى منطق عقلي ولا نص شرعي.

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية بتأليه الروح القدس:

يقول فضيلة الشيخ/ أبو زهرة في نقده لهذا القرار: المذكور في مقدمته "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله" يقول: إن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله، فهذا لا يسلمه له مخالفه، ولا يستطيع أن يقيم عليه دليلاً، والعقيدة الصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله، واتخذ له رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحياً من خلقه أو أمراً كونياً، فهي ليست روح الله المتعلقة بذاته، وليس عنده من دليل على ما قال^(٢). وقد جاء في قانون الإيمان المسيحي (المسمى بالأمانة) عن الروح القدس ما يلي: "تؤمن بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب المسجود له مع الأب والابن الناطق بالأنبياء".

وقد اختلف الأرثوذكس والكاثوليك حول انبثاق الروح القدس، فالأرثوذكس يعتقدون بأن الروح القدس منبثق من الأب وحده^(٣)، بينما الكاثوليك يعتقدون بأنه منبثق من الأب والابن معا^(٤)، ولكن الروح القدس عند جميع النصارى منبثق، والانبثاق يعني الانفجار كالاندفاع والانصباب، يقال بثق السيل موضع كذا يبتقه أي خرقة وشقه فانبثق أي انفجر.^(٥)

ومقتضى ذلك أن يكون هذا الرب المحيي في نظرهم انفجر من الأب واندفع منه وهذا المعنى لا يتفق مع اعتقاد النصارى أن الروح القدس هو الحياة.

"فمعلوم أن حياة الله التي هي صفته ليست منبثقة منه بل هي قائمة به لا تخرج عنه البتة، وهي صفة له لا تتعلق بغيره، فإن العلم يتعلق بالمعلومات والقدرة بالمقدورات ... أما الحياة: فاللفظ الدال عليها لازم لا يتعلق بغير الحي"^(٦).

(١) وليمسن، تفسير أصول الإيمان، ترجمة: فايز فضيل دار الثقافة المسيحية، ١٩٧٧م، القاهرة، ج ١ ص ٢٦.

(٢) ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية: ص ١٣٣.

(٣) حبيب جرجس: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، طبعة وزارة المعارف، ١٩٢٦م، القاهرة، ص ٥٤، راجع أيضاً تاريخ الأقباط ج ١، ص ٢٤١.

(٤) الأب بولس إلياس اليسوعي، يسوع المسيح، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ص ٧٨.

(٥) راجع: ابن منظور، لسان العرب، ص ٢٠٨، وأيضاً المعجم الوسيط ج ١، ص ٣٨.

(٦) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ١١٩.

هذا إلى جانب أن المسيحيين - بنص قانون الإيمان - جعلوا الروح القدس هذا ناطقا في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام "الناطق بالأنبياء".

كيف يتفق هذا وحياة الله صفة قائمة به لا تحل في غيره؟

وهذا المعنى يجزنا إلى القول بأن الروح القدس الذي تكون في الأنبياء والصالحين ليس هو حياة الله القائم به، ولو كان روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة؛ لكان كل من الأنبياء إلها معبودا قد اتحد ناسوته باللاهوت - كالمسيح عند المسيحيين - فإن المسيح لما اتحد به أحد الأقانيم كما يقول المسيحيون صار ناسوتا ولاهوتا، فإذا كان روح القدس الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة ناطقا في الأنبياء كان كل منهم فيه لاهوت وناسوت كالمسيح، والمسيحيون لا يقرون بالحلول والاتحاد إلا للمسيح وحده مع أنهم يشبتون لغيره ما ثبت له".^(١)

وعلى هذا فيمكننا القول أن المراد من إطلاق (الروح القدس) معنى آخر غير كونه أقنوما من الأقانيم الثلاثة التي تصور اللاهوت المسيحي وغير كونه حياة الله، والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أدلة من العهد القديم والعهد الجديد تؤكد أن من يطلق عليه الروح لا يتصف بالالوهية بأي حال من الأحوال وهذه الأدلة ما يلي:

١- ما جاء في سفر العدد: "وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ، فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيّدوا"^(٢).

٢- وما جاء في لوقا: "وكان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل والروح القدس كان عليه"^(٣).

(ولو كان من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلهاً؛ لاشتراك في الألوهية مع المسيح السبعون رجلاً الشيوخ من بني إسرائيل مع موسى وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح)^(٤).

٣- يستدل النصارى بما ينقلونه على لسان داود النبي: "لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدس لا تنزعه مني"^(٥).

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٢، ص ١٢٠.

(٢) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر العدد (الإصحاح ١١، فقرة : ٢٥) .

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل لوقا (الإصحاح ٢، فقرة : ٢٥).

(٤) انظر: الطهطاوي، محمد عزت، النصرانية والإسلام ص ٤٦.

(٥) الكتاب المقدس - العهد القديم، المزمير: (مزمور ٥١، فقرة : ١١).

"هذا دليل على أن روح القدس التي كانت في المسيح من هذا الجنس (الموجود في داود وغيره)؛ فعلم أن روح القدس لا خصوصية للمسيح فيها بل هي وبتوافقهم أنها حلت في داود وفي الحواريين وفي غيرهم وليس للمسيح خصوصية في ذلك وإلا فيلزم على قولهم: إن روح القدس هي حياة الله، ومن حلت فيه يكون لاهوتًا يلزم على قولهم هذا أن يكون كل هؤلاء الذين حلت فيهم روح القدس فيهم لاهوت وناسوت كالمسيح - عندهم - وهذا خلاف إجماع المسلمين واليهود والنصارى ...، حيث أنهم متفقون على أن داود وغيره عباد الله - عز وجل - وإن كانت روح القدس فيهم، فكذلك فالمسيح عبد الله وإن كانت روح القدس فيه فما ذكرتموه عن الأنبياء حجة عليكم.^(١)

٤ - "فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"^(٢).

(إن دليكم هذا هو عمدتكم على ما تدعونه من الأقانيم الثلاثة، وليس فيه شيء يدل على ذلك لا نصًا ولا ظاهرًا، فإن لفظ روح القدس لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله، ولم يسم أحد من الأنبياء حياة الله التي هي صفته روح القدس ولا أرادوا ذلك، وإنما أرادوا بروح القدس ما ينزله على الصديقين والأنبياء من الوحي والهدى والتأييد).^(٣)

وبناء على ذلك فإن ما استدل به النصارى من نصوص توراتية أو إنجيلية لا يصلح أن يكون دليلًا على ألوهية الروح القدس؛ بل هي حجج واهية لا تعدو إلا أن تكون أدلة ظنية غير قاطعة، والدليل إذا تطرق إليه الظن أو الاحتمال سقط به الاستدلال، فتلك العقيدة الدوغمائية لم يقل بها المسيح، ولم ترد في الأناجيل ولم يعتنقها الحواريين وأتباع المسيح الأوائل، وإنما نشأت لدى النصارى تبعًا لتأثرها بالفلسفات الوثنية والتي كان مركزها مدينة الإسكندرية التي رفع أساقفتها لواء هذه الدوغمائية في مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١م الذي صدرت عنه تلك الدوغمائية.

(١) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٣، ص ١٤٣ - ١٣٤ بتصرف بالحذف.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ٢٨، فقرة ١٩).

(٣) ينظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح ج ٣، ص ١٥٧ بتصرف.

المبحث الثالث

دوغمائية التثليث

مدخل

تبين فيما سبق أن سيدنا عيسى - عليه السلام - دعا إلى التوحيد الخالص ولكن النصارى لم يحافظوا على هذه العقيدة الصحيحة وانحرفوا من الوجدانية إلى التثليث، وتحولت النصرانية من الإيمان إلى الكفر، ومن التوحيد إلى الشرك بعد رفع المسيح - عليه السلام -، وقد ظهرت دوغمائية "التثليث" في مجمع نيقية عام ٣٢٥م، الذي وضع أساسها ثم اكتملت صيغتها الرسمية في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م، ومع أن دوغمائية التثليث تعتبر أهم ركن من أركان النصرانية، ولا يعتبر الشخص نصرانياً إلا إذا آمن بهذا الثالوث، يقول القس توفيق جيد: "إن عقيدة الثالوث أعظم العقائد المسيحية أهمية وأساسها كلها لأنها تتصل بذات الله حسبما أعلن لنا نفسه في كتابه، فمعرفتها هي معرفة الله والإيمان بها هو الإيمان بالله، ومن يجهلها يجهل مولاه، ومن ينكرها ينكر الله".^(١) ومع ذلك نجد أن الكتاب المقدس لا يشتمل على لفظ الثالوث أو لفظ الأقانيم، ولكن النصارى يحتجون لذلك بأن تعليم الثالوث مطابق لنصوص في الكتاب المقدس^(٢).

وفي هذا المبحث سوف أتعرض لهذه الدوغمائية من حيث تعريفها وأدلة القائلين بها، ثم بيان بطلان هذه الأدلة، وإثبات دوغمائية هذه العقيدة، وأن تمسك النصارى بها نوع من الجمود الفكري الدوغمائي.

تعريف التثليث ومرادهم به

١ - معنى التثليث في اللغة

إن مادة هذه الكلمة (ثلت) بجميع اشتقاقاتها وتصريفاتها تشير إلى التعدد والكثرة لا الوحدة، يقول ابن منظور: "ثلت الاثنين يثلاثهما ثلثاً: صار لهما ثالثاً، وثلثت القوم أثلاثهم، إذا كنت ثالثهم، وكملتهم ثلاثة بنفسك"^(٣). والتثليث أن تسقي الزرع سقية أخرى بعد الثنيا^(٤). فالتثليث إذاً كون الشيء ثلاثة في العدد. وفي المعجم الوسيط الثالوث: ما كون من ثلاثة^(٥).

(١) نقلاً عن: محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص ١١.

(٢) انظر: محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢١٩، و سعد الدين صالح، مشكلات العقيدة النصرانية، مطبعة دار البيان، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ١١٧.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ٣، ج ٢، ص ١٢١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٢٣.

(٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٩٩.

فكل اشتقاقات هذه الكلمة تدل على تعدد الشيء ذاته أو نسبته إلى ثلاثة أشياء أو تألفه من ثلاثة أجزاء، ولم
تقد معنى التوحد في ذات الشيء الدالة عليه بمعنى عدم تجزئته أو انقسامه.

٢ - معنى التثليث في الاصطلاح:

التثليث هو اعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة، أب وابن وزوجة، أو الأب^(١) والابن والروح القدس، يقول ابن
عباس - رضي الله عنه - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ
إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٢) يريد بالتثليث الله - تعالى - وصاحبته وابنه".

وقال القرطبي: "والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث، ويقولون إن الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم^(٣)،
فيجعلون كل أقنوم إلهاً، ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح
القدس، فيعنون بالأب الوجود، وبالروح الحياة، وبالابن المسيح... ومحصول كلامهم يؤول إلى التمسك بأن
عيسى إله بما كان يجريه الله - سبحانه وتعالى - على يديه من خوارق العادات"^(٤).

كما يذكر القاضي عبد الجبار أن معنى التثليث عند النصارى هو: "أنه - تعالى - جوهر واحد، وثلاثة
أقانيم: أقنوم الأب، يعنون به ذات الباري عز اسمه؛ وأقنوم الابن، أي الكلمة، وأقنوم روح القدس، أي الحياة"^(٥).
الحياة"^(٥).

(١) الأب: كلمة تعني الأصل والعلّة، وقد اصطلح على لفظة "الأب" كتعبير أصدق عن أول أقنوم من الأقانيم، يوضح هذه الخاصية التي
ينفرد بها الله من حيث هو ذات عليا أوجدت كل ما هو دونها من المحسوسات وظواهر خلّاق. ينظر: القمص بيشوي عبد المسيح،
المسيحية ديانة التوحيد، مكتبة المحبة، القاهرة، ص ٢٠.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

(٣) الأقانيم: جمع أقنوم، وقد اختلف المسيحيون حول أصل هذه الكلمة فقيل يونانية، والمراد بكلمة "أقنوم" اليونانية الأصل المستعملة في
علم اللاهوت هو التعبير عن شخصية كل من الأب والابن والروح القدس مع اشتراكهم في الجوهر الواحد غير المجزئ، ويرى البعض أنها
كلمة سريانية يطلقها السريان على كل من يتميز عن سواه على شرط ألا يكون مما شخص وله ظل، ولذلك فإنه يراد بالأقنوم "التعين"
ومعظم المسيحيين يركزون على المعنى السرياني وذلك لتخفيف حدة المعنى المراد في اليونانية فالكلمة في اليونانية بمعنى "شخص" أو
"أصل" أو "ذات" وكلها تعني الانفصال واستقلال كل أقنوم عن الآخر دون أن يكون جوهرًا واحدًا. راجع: أندرو وطسن، شرح أصول
الإيمان، راجعه: إبراهيم سعيد، مطبعة النيل المسيحية، ١٩٣٠م، القاهرة، ص ٤٦، و عوض سمعان، الله بين الفلسفة المسيحية، ط ١:
١٩٩١م ص ٤٢.

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام
القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة.

ط ٢: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ٦، ص ٢٣.

(٥) القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة
وهيبة، ص ٢٩١.

ويقول الدكتور جورج بوست، في قاموس الكتاب المقدس: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فالأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، غير أن الثلاثة أقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء"^(١).

٣- مراد النصارى بالتثليث

إن كلمة التثليث أو الثالوث هي الكلمة المعبرة عن عقيدة المسيحيين في الله - سبحانه وتعالى - وهم يعنون بها، أن في الله ثلاثة أقانيم: الله الأب، الله الابن الله الروح القدس، وأن الثلاثة هم واحد في الجوهر، وأنهم متساوون في سائر الكمالات"^(٢)، وأن لكل من الأب والابن والروح القدس ما للآخر من الألقاب والصفات الإلهية إلا ما كان خاص بالأقنومية"^(٣)، وأن كلا منهم يستحق العبادة الإلهية والمحبة والإكرام والثقة، "وأن بينهم تمايزا في الوظائف والعمل"^(٤).

فالله في نظر المسيحيين - كما يقول أحدهم - "واحد من حيث الجوهر لكن هذا الواحد في جوهره مثلث في أقانيمه"^(٥).

ويفسرون هذه العقيدة بقولهم إن تعليم الثالوث يتضمن:

(١) وحدانية الله.

(٢) لاهوت الأب والابن والروح القدس.

(٣) إن الأب والابن والروح القدس أقانيم يمتاز كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد"^(٦).

(٤) أنهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد.

(٥) إن بين أقانيم الثالوث تمييزاً أيضاً في الوظائف والعمل، حيث أن بعض أعمال اللاهوت تنسب في الكتاب المقدس إلى الأب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه، وبعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الأب مثل الاختيار والدعوة، وإن بعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الابن مثل الفداء وبعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الروح القدس مثل التجديد والتقدّيس"^(٧).

(١) بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٢) راجع: بطرس ديناسيوس، القول الصريح في تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح، مطبعة الوطن، القاهرة، ط ١: ١٩٨١م، ص ١٠، ووليمسن، تفسير أصول الإيمان، ترجمة: فايز فضيل، القاهرة: دار العالم العربي، ج ١، ٢٤، أحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٢٦٤.

(٣) الأقنومية: هي تلك التي بها يتميز الأقنوم الواحد عن الآخر بحيث أن أقنوم الأب لا يمكن أن يكون أيضاً أقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس، ولا الابن يمكن أن يكون الأب، ولا الروح القدس يمكن أن يكون الابن، راجع: أفلاطون مطران موسكو، الخلاصة الشهية في أخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية، عربه بتصرف يوحنا حزيون، منشورات النور بيروت، ص ٧٣.

(٤) القس جيمس أنيس، علم اللاهوت النظامي، مراجعة القس منيس عبد النور، الكنيسة الإنجيلية بقصر للدوبارة، القاهرة، ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(٥) مفيد كامل، الثالوث الذي به نؤمن، راجعه وقدم له: القمص عبد المسيح ثاوفيلس، الكلية الكليريكية بالبلينا بسوهاج، القاهرة، ص ١٩، نقلا عن: أحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٢٧٤.

(٦) وليمسن: تفسير أصول الإيمان، ج ١، ص ٢٤.

(٧) انظر: القس فايز فارس، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، ص ٥٣..

ويزيد "حبيب سعيد" في بيان عقيدة الثالوث عندهم فيقول "لا تعني عقيدة الثالوث أن لنا ثلاثة آلهة، بل إله واحد في ثلاثة أقانيم، وقد عبر عن هذه العقيدة أحسن تعبير قانون مارثاسيوس "الإيمان الجامع هو أن نعبد إلهاً واحداً في ثالوث، وثالوثاً في وحدانية ألا نخلط الأقانيم ولا نفصل الجوهر، فإن للأب أقنوماً على حدة، وللأبن أقنوماً آخر، وللروح أقنوماً آخر، ولكن لاهوت الأب والأبن والروح القدس كله واحد، والمجد^(١) متساو والجلال أبدي معاً ... الأب إله والأبن إله والروح القدس إله، ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد ... الأب رب والأبن رب والروح القدس رب، ولكن ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد ... الدين الجامع ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة أو ثلاثة أرباب"^(٢)

هذه عقيدة التثليث وشرحها عند النصارى، وأنت ترى بادئ ذي بدء أن وضع هذه العقيدة في معادلة رياضية أمر لا يقبله منطق العقل ولا يصدقه وإن جلبت له الحيل من كل وجه، فالثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة أبداً^(٣) ومع ذلك فتلك هي الدوغمائية التي يتمسك بها النصارى دون منطق أو عقل.

دعوى حتمية الثالوث وبطلانها

لقد ادعى المسيحيون أن التثليث حتمي بمعنى حتمية أن يكون الله الواحد ثلاثة أقانيم؛ وذلك لما يأتي:

أولاً: قولهم أن الله محبة، وهذه المحبة تستلزم محب ومحبوب وثمره محبة وتصبح المحبة عاطلة عند عدم وجود هذه الأمور، وفي هذا يقول بولس إلياس اليسوعي: "المحبة هي مصدر مدر سعادة الله، ومن طبع المحبة أن تفيض وتنتشر على شخص آخر فيضان الماء وانتشار النور، فهي إذن تقتض شخصين على الأقل يتحابان، وتقتض مع ذلك وحدة تامة بينهما؛ بحيث يندفع الحب إلى هبة الذات لمن يحب هبة تكون فيها سعادتهما، فليكون الله سعيداً كان عليه أن يهب ذاته شخصاً آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته ويكون بالتالي صورة ناطقة له، لهذا ولد الله الابن منذ الأزل نتيجة لحبه إياه، ووهبه ذاته، ووجد فيه سعادته ومنتهى رغباته، وبإدراك الابن الأب هذه المحبة، ووجد فيه هو أيضاً سعادته ومنتهى رغباته، وثمره هذه المحبة المتبادلة بين الأب والأبن كانت الروح القدس".^(٤)

(١) هكذا في المرجع ولعل صوابها (واحدوا المجد) حتى تستقيم مع (متساو والجلال)

(٢) حبيب سعيد، أديان العالم، دار التأليف والنشر الكنسية الأسقفية - القاهرة، ص ٢٨٠ - ٢٨١ بختصار.

(٣) عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار الكتب الحديثة، ط ١: ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦ م ص ٢١٠.

(٤) بولس إلياس اليسوعي: يسوع المسيح شخصيه وتعاليمه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦ م، ط ٢ ص ٧٩.

ثم يقول: "ليس الله إذن كائنا تأثها في الفضاء، منعزلاً في السماء لكنه أسرة مؤلفة من ثلاثة تسودها المحبة، ويفيض منها على الكون بره، وهكذا يمكننا أن نقول إن كنه الله يفترض فيه التثليث".^(١)

والمأمل في هذه الدعوى يجدها دعوى دوغمانية باطلة لما يأتي: أنهم أثبتوا لله الاحتياج إلى شخص آخر يبيته حبه وعطفه، والاحتياج أمانة الحدوث، وهو باطل في حقه تعالى؛ لقيام الأدلة القاطعة التي تثبت له القدم في الذات، ووجوب الوجوب، الوجود، والغنى المطلق عن ما عداه.^(٢)

١- يتبين من دعواهم أن هناك فروقا بين صفة الوجود بالنسبة لله الأب وصفة الوجود بالنسبة لله الابن، والله الروح القدس، ذلك أن وجود الله الأب هو وجود بالذات وليس بالغير، أما وجود الله الابن والله الروح القدس فهو وجود غيري وليس ذاتيا، فهما موجودان لغيرهما وليس لذاتهما، أي أنهما محتاجان إلى الغير في وجودهما سواء في أصل الوجود أو في استمراره وبقائه^(٣)، وهذا يدل على حدوثهما إذ لا يكون الإله محتاجا إلى غيره في الإيجاد وفي الاستمرار والبقاء، وبهذا يبطل قولهم أن كلا من الابن والروح القدس لهما كل صفات الألوهية والأزلية وإلا صار ذلك جمع للمتناقضات وهذا سمة الدوغمانية.

٢- أن المحبة بالمعنى الذي قصدوه، وهو ميل القلب إلى محبوب - كما يفهم من عبارتهم - محالة في حقه تعالى؛ لأنها من الكيفيات النفسية التابعة للمزاج المستحيل عليه سبحانه وتعالى، لذلك جرى المحققون من العلماء على أنها في حقه تعالى إرادة الثواب لمن أطاعه، أو بمعنى الإثابة للطائعين فهي على الأول صفة ذات، وعلى الثاني صفة فعل، وعلى كلا الحالين لا تقتضي محبوبة أزليا، أما على الأول فإن تعلق الإرادة الأزلي صلوحى أي أنها صالحة في الأزل لأن تخصص الممكن فيما لا يزال ببعض ما يجوز عليه، وأما على الثاني فلأن صفات الأفعال عبارة عن تعلقات القدرة التجزئية الحادثة^(٤)، وعلى كل فمحبة الله لا تستلزم وجود محبوب في الأزل كما يدعون.

٣- أن وصف الله تعالى بهذا الوصف لعجيب وغريب، إذ يصفون الله سبحانه وتعالى بما يصفون به البشر من احتياج إلى محب وكلمات حب .. وهذا التصور يجعل الله الغني محتاجا إلى شخص آخر يبيته عواطفه وينشئ

(١) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢) دكتور/ إبراهيم سلامة، القرآن وعقائد الكتاب، رسالة كتوراة، كلية أصول الدين، القاهرة، ص ٢٢٩.

(٣) راجع مقال د/ محمود مزروعة في مجلة أصول الدين. العدد السادس (١ / ٢٢).

(٤) محمد عبد اللافي شرعان، موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بالوهية المسيح رسالة دكتوراة، كلية أصول الدين، ص ٥٧، وأيضا: إبراهيم سلامة، القرآن وعقائد أهل الكتاب، ص ٢٩٩.

معه علاقات تنزل بالله إلى مستوى مخلوقاته^(١)، وكل هذا يدل على أن دعواهم بأن الثالوث حتمي دعوى باطلة ودوغمائية تؤدي إلى الكفر والضلال.

ثانيا: قولهم إن التثليث حتمي لأنه لا يعقل - كما يقول مفيد كامل - أن يكون الوجود الإلهي غير ناطق بالكلمة أو غير حي بالروح القدس، فالكلمة والروح القدس من مستلزمات الوجود الإلهي، فهي خواص أزلية واجبة الوجود وبدونها يصير جوهرها صامتا لا حياة فيه".^(٢)

ولو أمعنا النظر في العناصر التي جعلها دعاة التثليث هي مكونات الذات الإلهية - وهي الذات - النطق - الحياة - لوجدنا أن هؤلاء قد أخطأهم التوفيق كثيرا حين اقتصروا في وصف الله على هذه العناصر الثلاثة فقط، بل لقد أخطأهم التوفيق أيضا في اختيار تلك العناصر بالذات لتكوين الثالوث، وإذا حاولنا أن نقارن مثلا عنصر النطق الذي يكون الله الابن بعنصر العقل والتفكير لاتضح بجلاء أن العقل والتفكير أهم بكثير من النطق، فإعمال العقل والفكر يسبق النطق، أما النطق بدون عقل أو تفكير فهو تخريف وهذيان.^(٣)

كذلك الأمر بالنسبة للقدرة والسمع والبصر فهل يمكن تصور الله غير قادر، إن المتصف بالعجز لا يكون إلها، وهل يمكن تصور الله بدون سمع أو بصر؟ وهكذا.

يقول القاضي عبد الجبار: "إذا كنتم تثبتون الأقانيم الثلاثة من حيث استحالة عندكم كون الله تعالى فاعلا إلا وهو حي عالم، فأثبتتم له علما وهو الابن والكلمة وروحا وهي الحياة، فيجب أن تثبتوا له قوة؛ لأن الفعل لا يصلح إلا من قادر وحاجة الفعل إلى كون فاعله قادرا أكد من حاجته إلى كونه حيا عالما، ويلزمكم إثبات سمع له وبصر..".^(٤)

الأدلة التي يستند عليها النصارى في قولهم بالتثليث:

وقبل سرد أدلة النصارى على دوغمائية التثليث لابد من الإشارة إلى أن التثليث لم يرد بهذا الاسم ولا مرة واحدة في جميع كتب العهد القديم أو الجديد، وأن أول من نطق به هو "ثيوفيليوس" أسقف أنطاكية السادس، والمعتقد أنه توفي بعد ١٨٠م.

(١) ينظر: محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص ١٧.

(٢) مفيد كامل، الثالوث، ص ٧٣.

(٣) ينظر: محمد مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص ٢٩.

(٤) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، تحقيق: محمود محمد الخضير، مراجعة إبراهيم مذكور، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٨٥م، ج ٥، ص ٩١.

قال القس حنا الخضري: "إن أول شخص استعمل كلمة ثالث في تاريخ العقيدة المسيحية هو أسقف أنطاكية، ولقد استعمل هذا الاصطلاح في صيغته غريبة وهي (ثالث الله)، كما أنه يرى في الأيام الثلاثة السابقة لخلق الشمس إشارة إلى الثالث".^(١)

وأكمل الأمر "إنثاسيوس" الذي وضع أساس هذه العقيدة التي قبلها مجمع نيقية عام ٣٢٥م، ثم تبلور ذلك الأساس على يد "أغسطينوس" في القرن الخامس الميلادي، وصار القانون عقيدة الكنيسة الفعلية من ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، وفي هذا دلالة على أن النصارى ابتدعوا دوغمائية التثليث في وقت متأخر جداً عن ظهور المسيح ودعوته.

أما النصوص التي يستدل بها النصارى من العهد القديم ويدعون أنها تدل على التثليث والتي ذكرها العلماء منها ما يلي:

أدلة من العهد القديم:

- ١ - أن الله عز وجل ورد اسمه بالعبرية (ألوهيم) الذي يدل على الجمع.
- ٢ - أنه استخدم صيغة الجمع في التحدث عن نفسه في مثل ما ورد في سفر التكوين الذي يقول: "تعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا"^(٢).

أدلتهم من العهد الجديد:

- ١ - "بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها"^(٣).
 - ٢ - "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"^(٤).
 - ٣ - "فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد"^(٥).
- وغير ذلك من الأدلة التي يقمها النصارى في تأييد باطلهم، ويستنتجون من هذه النصوص عقيدتهم الباطلة إلى تقول بالتثليث عن طريق لي أعناق النصوص، وتفسيرها حسب أهوائهم.

(١) القس حنا الخضري، تاريخ الفكر المسيحي، ج ١، ص ٤٦٣.
(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (الإصحاح ١، فقرة ٢٦).
(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير (مزمور ٣٣، فقرة ٦).
(٤) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى: (الإصحاح ٢٨، فقرة ١٩).
(٥) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة يوحنا الأولى (الإصحاح ٥، فقرة ٧).

بطلان استنتاج النصارى عقيدة التثليث من الأدلة السابقة:

أولاً: أنه لا يوجد دليل صريح يدل على التثليث لا من العهد القديم ولا من العهد الجديد، وأن النصوص التي يدعون أنها تؤيد دعواهم لا تدل من قريب أو من بعيد على أن الآلهة ثلاثة بل تدل على أن الله - سبحانه - واحد، وهو الذي خلق السموات والأرض وما فيهن، ولكنهم يلوون أعناق النصوص ويفسرونها حسب أهوائهم؛ وبذلك يتبين تعسفهم وشططهم في تأويل النصوص.

ثانياً: أين صيغة الجمع في لفظ "ألوهيم"؛ بل إن صاحب قاموس الكتاب المقدس لم يشير إلى أن هذا اللفظ "ألوهيم" يدل على الجمع بل قال: "يدل هذا الاسم على صفة الله كالخالق العظيم، وعلى علاقته مع جميع شعوب العالم من أمم ويهود"^(١)، فهذا اللفظ للتعظيم وليس فيه دلالة على التثليث، كما أن اليهود الذين وجه إليهم الخطاب بهذا لم يفهموا ذلك، ولم يعملوا به، بل يعتبرون أن ادعاء إله غير الإله الواحد الذي هو الله شرك أكبر يستحق معتقده القتل.

ثالثاً: أما ما أورده من سفر التكوين وهو قول "وقال الله نعمل الإنسان"^(٢) فلا يعني أكثر من أنها وردت على صيغة التعظيم، ومن أولى بالتعظيم والتفخيم في الخطاب من الله عز وجل، كما أن مئات الأقوال واردة في العهد القديم على لفظ الأفراد، فكيف تترك تلك المئات ويؤخذ بهذه اللفظة الواحدة وشبهها. مناقشة للأدلة التي يعتمد عليها النصارى من الإنجيل في تقرير عقيدة التثليث ونقدها:

الدليل الأول:

"بكلمة الرب صُنعت السموات وبنسمة فيه أو روح فيه كل جنودها" ومؤداه عندهم أن هذا النص صرح بثلاثة أقانيم حيث قال الله وكلمته وروحه

فيرد على من ادعى التثليث وأن الكلمة هي الأقنوم الثاني وهي المسيح وأن لفظ الرب هو أقنوم الأب وهو الأقنوم الأول وأن لفظ الروح أو النسمة هو الأقنوم الثالث المدعو روح القدس، بأننا ننظر هل ممكن أن نستنتج من هذه الألفاظ وجوب اعتقاد الشخصية بكل لفظ منها أو جعله أقنوماً أم لا؟ وأنى لنا ذلك وقد ثبت بمدلول نصوص جميع الكتب المنزلة من عند الله تعالى تعيين معنى لفظ الكلمة والروح في مثل هذا المقام، والحق يلزمنا بالوقوف عند حد ما دلت عليه الكتب الإلهية^(٣) كما يلي:

(١) انظر: بوست، قاموس الكتاب المقدس، ج ١، ص ١٣٤، زامل، مريم عبد الرحمن عبدالله، موقف ابن تيمية من النصرانية، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٥٦٢.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (الإصحاح ١، فقرة: ٢٦).

(٣) أيوب بك صبري، الجوهر الفريد، ص ١١ - ١٢.

١ - فوصف الله للسيد المسيح بالكلمة في القرآن المجيد ظاهر إنها كلمة التكوين وصيغة الأمر كناية عن قوله جل شأنه "كن فيكون" بدلالة الإلقاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾^(١) كأنه تعالى ألقى إليها قوله "كن" التي هي أمر الإيجاد والتكوين، ثم إنه لما كان هذا القرآن منزلاً بالعربية الفصحى ففي اصطلاح العرب يسمون الرسول كلمة ولساناً، ويقولون هذا لسان فلان وكلمته؛ لكونه رسوله المبلغ عنه أوامره إلى الخلق، وهذا المعنى المتواتر المشهور بين سائر العالم لا يختلف فيه اثنان.

٢ - وكذلك نصوص التوراة في عدة مواضع ناطقة بذلك، وأن الكلمة لا معنى لها سوى النطق وهي كلمة التكوين؛ بدليل ما جاء في سفر الخليفة: "وقال الله ليكن نور فكان"^(٢) ولحصر المعنى في كلمة التكوين قد سمى المتقدمون سفر الخليفة "سفر التكوين"، وهناك نصوص كثيرة تدل على أن المراد بالكلمة الأمر ما جاء في أشعياء: "هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إلى فارغة"^(٣)، وما جاء في حزقيال: "فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم من قبلي"^(٤) وغير ذلك من النصوص الصريحة الناطقة بأن الكلمة لا معنى لها غير الأمر وهي كافية لإقناع كل معتدل، ومن تأمل بالفكر الحر المنزه عن الأغراض أنها ناطقة بكل صراحة بأن صنع السموات وكل جنودها هو بأمر الله تعالى وتأثيره وأن كلمته هي أمره تعالى وليست بأقنوم ولا شخص إلهي.^(٥)

٣ - ثم إن نص الإنجيل أيضاً ناطق بهذا المعنى في عدة مواضع منها: "كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا"^(٦)، ومنها: "والأب الذي أرسلني يشهد لي لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمته ثابتة فيكم"^(٧)، ومنها قوله: "إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب"^(٨)، ففي العبارة الأولى فسر معنى الكلمة بالإيمان الذي لا يناله العبد إلا بالتوفيق الإلهي والصبغة الإلهية، وفي العبارة الثانية الكلمة هي الأمر والتأثير الإلهي القائم به حياة الوجود، وأيضاً فسر الروح والنسمة بهذا التفسير واستبعد كونها تدل على أي من الأقانيم الثلاثة كما يدعون.^(٩)

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (الإصحاح ١ ، فقرة: ٣)

(٣) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر أشعياء (الإصحاح ٥٥ ، فقرة: ١١)

(٤) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال (الإصحاح ٣ ، فقرة: ١٧)

(٥) ينظر: أيوب بك صبري، الجوهر الفريد، ص ١١ - ١٢.

(٦) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل لوقا (الإصحاح ٣ ، فقرة: ٢)

(٧) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا (الإصحاح ٥ ، فقرة: ٣٧ - ٣٨)

(٨) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٠ ، فقرة: ٣٥)

(٩) نهاية كلام صاحب الجوهر الفريد: ص ١٣.

وينتقد العلامة الألوسي هذا النص أيضًا فيقول: إن هذا النص يقتضي أن تكون الآلهة أربعة بل خمسة؛ لأنه قال: رحمة الرب، وكلمة الرب، وبروح فيه إلى أن قال في نهاية هذا المزمور وعلى اسمه القدوس اتكلت، فالرحمة إله أول، والرب إله ثان، والكلمة إله ثالث، والروح إله رابع، والقدوس إله خامس، فصارت الأقانيم خمسة، وهذا لا يخفى على ذي عينين أو أحول يجعل الواحد اثنين ... وإذا كان داود علم أن الآلهة ثلاثة والثلاثة إله، فعيسى جزء من الآلهة فلم يخبر بني إسرائيل أن إلههم وربهم متعدد، وأن جزء الإله أو الواحد من الآلهة حامله إذ ذاك في صلبه، وأنه سيكون من ذريته^(١).

ومن ذلك يتبين أن تحليل النصارى لهذا الدليل تحليل باطل ومردود؛ لأنه يتناقض مع العقل.

الدليل الثانى:

"فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس"^(٢)، إن أساس التعميد بالتثليث مبني على هذه الوصية "عمدوا الناس باسم الأب والابن والروح القدس" قد سبق الرد على هذا الدليل في مبحث دوغمائية ألوهية الروح القدس، وأضيف هنا أن هذه الوصية وحدها تكفي بأن هذه الأناجيل مصنعة؛ لأنّ يحيى - عليه السلام - صرح بأن المسيح سيعمدكم بروح القدس، ولم يذكر التثليث، وكذلك "متي ومرقس ولوقا ويوحنا" اتفقوا وصرحوا في أناجيلهم بأن عيسى حين الرفع وقبله أوصى تلاميذه بأن يعمدوا بروح القدس فقط، والمترجم المختلس لإنجيل "متي" افترى وذيل ترجمته بقوله: "إن المسيح قبل الرفع أوصى التلاميذ أن يعمدوا الأمم باسم الأب والابن وروح القدس"^(٣) فتبين ببداهة العقل أن هذه الجملة إلحاقية من المترجم وإلا فلا يُتصور أن "متي" يروي روايتين مختلفتين بإنجيله عن المسيح في آن واحد^(٤).

وعلى فرض صحة رواية المترجم فهي ليست تثليثًا للإله؛ بل إنما المقصد منها ظاهر وهو قوله: "عمدوا الأمم باسم الأب" أي لقنوا الأمم المنتصرة بأن يؤمنوا بواجب الوجود والموجد لكل موجود، وقوله: "الابن" أي وأن يؤمنوا أيضًا بعيسى رسول الله وكلمته، وقوله: "روح القدس" أي أن يؤمنوا بجبريل أمين الوحي لكافة الأنبياء والمبشر للعدراء بحملها بعيسى - عليه السلام - ولا نزاع في جبريل بأنه "روح القدس"^(٥).

(١) الإمام الألوسي، الجواب الفسيح لما لفقّه عبد المسيح، أحمد حجازي السقا، ج ١، ص ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متي (الإصحاح ٢٨، فقرة: ١٩)

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متي (الإصحاح ٢٨، فقرة: ١٩)

(٤) البغدادي، الفارق بين المخلوق والخالق: رسالة أبحاث المجتهدين في ذيل الفارق، ص ٥٦، ٥٧ بتصرف بالحذف.

(٥) المرجع السابق: ص ٥٦ - ٥٧.

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - عن هذا النص: "ليس في هذا النص ما يدل على التثليث، وأن الأب هو الله، والابن هو المسيح، والروح القدس هو جبريل - عليه السلام -، والمراد بعبارة التعميد عنده -أي المسيح-: "مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله وبالملاك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول، وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل"^(١).

وإضافة لما سبق يقول د/ عبد الكريم الخطيب: "إن كلمات الأب والابن والروح القدس التي تردد ذكرها في الأناجيل قد جاءت في سياقات تعطي لكل منها دلالة مستقلة ومفهوماً خالصاً بحيث لا يمكن أن يجتمع منها مفهوم واحد أو دلالة مشتركة، فالأب أب والابن ابن والروح القدس هو الروح القدس لكل ذاتيته وشخصيته"^(٢).

ويقول الشيخ أبو زهرة: "إن شروط استدلال النصارى بهذا النص على وجود الأقانيم الثلاثة غير مستوفاه إذ ترى أن تلك العبارات التي عثروا عليها في كتبهم لا تفيد على وجه القطع ما يريدون؛ بل تفيد بأبعد أنواع الاحتمالات أو باحتمال قريب، ومن المعلوم في قواعد الاستدلال أن الاحتمال إذا دخل الاستدلال أبطله، وكل أدلتهم ينفذ الاحتمال إليها من كل جانب، وإن الاستدلال بكتبهم يفيد من يصدقها وهي ذاتها يعزوها النقد العلمي في سندها وفي متنها من كل ناحية، فهي في ذاتها في حاجة إلى دفاع طويل لإثباتها"^(٣).

ومن خلال ما سبق يتبين أنه لم يرد في العهد القديم ولا في العهد الجديد نص يدل دلالة صريحة على التثليث أو الأقانيم، وبالتالي فهذا الادعاء من النصارى ادعاء مردود؛ لأنه لا يوجد دليل يقويه وجميع استدلالاتهم على هذه العقيدة في غير موضعها وتعتمد على: إما تأويل باطل لنص من النصوص أو لحمل نص منها على الحقيقة وهو يُراد به المجاز، لذلك يغفل النصارى الدلالات المجازية في أغلب أدلتهم، ويحملون الألفاظ على حقيقتها؛ مما يخرجها عن مدلولها المراد؛ فيقعون في الخطأ عن عمد.

الدليل الثالث:

والذي ينص على ما يلي: "فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة: الأب، والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد".

استدل العلامة رحمت الله الهندي بهذا الدليل على إثبات التحريف بالزيادة في الأناجيل، وأن معتقدي التثليث أزدادوا على النص الأصلي ما يؤيد دعواهم، فقال: "وقع في الإصحاح الخامس من رسالة يوحنا الأولى هكذا:

(١) ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٩٧.

(٢) عبد الكريم الخطيب، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص ٢١٧.

(٣) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٠٦.

"فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد" والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد" كان أصل العبارة في هاتين الآيتين على ما زعم محققوهم هذا القدر "والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة الروح والماء والدم، والثلاثة هم في الواحد" فزاد معتقدو التثليث هذه العبارة "وفي السماء هم ثلاثة الأب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد، والذين يشهدون في الأرض" في أصل العبارة وهي ملحقة يقيناً، وقد اعترف بذلك رجال دينهم فكريسباخ وشولز، فهما متفقان على إلحاقيتها، وهورن مع تعصبه قال إنها إلحاقية واجبة الترك^(١).

(١) ينظر: رحمت الله الهندي إظهار الحق، ج ٢، ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

وينتقد صاحب كتاب الجوهر الفريد هذا الاستدلال بقوله:

هذه العبارة لا يوجد بها حكم التكليف بوجوب اعتقاد تثليث الله تعالى، ولا يوجد بها لفظ الأقنوم ولا الشخص الإلهي ولا الجوهر ولا التساوي، وإن هي إلا ألفاظ لو صح ورودها في أصل الكتاب المقدس لكانت محتاجة إلى التأويل بما لا يشذ عن قواعده ولا يناقض برهان العقل والنصوص الصريحة في شيء.

وهذه العبارة: "لأنّ الذين يشهدون ... الخ مشكوك فيها عند جمهور علماء المسيحية^(١)، وغير ذلك من الأدلة التي ناقشها صاحب كتاب الجوهر الفريد والعلامة رحمت الله الهندي وشيخ الإسلام ابن تيمية.

خلاصة القول في الرد على النصارى

أولاً: أنه لا يوجد في كلام الأنبياء ما يدل على ما ذكروه من التثليث، بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه لا شرع ولا عقل^(٢)، بل التوراة التي يؤمنون بها ليس فيها أي ذكر للتثليث.

ثانياً: يقال لهم: أخالق العالم عندكم خالق واحد، وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟

فإن قالوا إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون إله واحد، وخالق واحد.

فيقال هذا تناقض ظاهر، فإما هذا وإما هذا.

وإذا قلتم الخالق واحد له ثلاث صفات، لم ننازعكم في أن الخالق له صفات لكن لا يختص بثلاثة.

فإن قالوا بثلاثة آلهة خالقين، كما قد كثر منهم في كثير من كلامهم، بأن أن شركهم أعظم من كل شرك في العالم، فغاية المجوس الثنوية إثبات اثنين نور وظلمة، وهؤلاء يثبتون ثلاثة، ثم الأدلة السمعية في التوراة، والإنجيل والزبور وسائر كلام الأنبياء، مع الأدلة العقلية المبينة لكون الخالق واحداً، كثيرة جداً لا يمكن حصرها^(٣).

ثالثاً: أنهم اضطربوا واختلّفوا في معنى أقنوم الابن، تارة يقولون هو علم الله وتارة يقولون هو حكمة الله، وتارة يقولون هو كلمة الله، وتارة يقولون هو نطق الله. وروح القدس تارة يقولون هو حياة الله، وتارة يقولون هو قدرة الله، والكتب المنقولة عن الأنبياء عندهم، ليس فيها تسمية شيء من صفات الله، لا باسم ابن، ولا باسم روح القدس، فلا يوجد أن أحداً من الأنبياء سمى علم الله وحكمته وكلامه ابناً، ولا سمى حياة الله أو قدرته روح القدس^(٤)، فشرك النصارى وكفرهم ظاهر في قولهم بالتثليث، وهو مما حرفوا به دين عيسى - عليه السلام -.

(١) أيوب بك صبري، الجوهر الفريد، ص ٧.

(٢) انظر: ابن تيمية، الجواب الصحيح ج ٣، ١٨٤.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٧١.

(٤) انظر: المرجع السابق، ج ٣، ص ٤٢٧ - ٤٢٨، وابن القيم، هداية الحيارى ص ١٤٨ - ١٥٣.

فهذه العقيدة هي في حقيقة أمرها دوغمائية وثنية، وهي دخيلة على دين الله فالله منزّه عن أن يشبهه شيء، أو يشبه هو شيئاً آخر، ولا يجوز أن تتركب ذاته المقدسة من أجزاء، أو تتحد بالأشياء، أو تحل في خلق من المخلوقات.

ومن نافلة القول أن نذكر ما قالته دائرة معارف القرن التاسع عشر عن كلمة ثالث: "إن عقيدة الثالث، وإن لم تكن موجودة في العهد الجديد الإنجيل، ولا في أعمال الآباء الرسولين، ولا في تلاميذهم الأقربين، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستانتي الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان رغمًا من أدلة التاريخ الذي يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك ..

وإن تلاميذ المسيح الأولين الذي عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان (بطرس) أحد حواريه يعتبره إلا رجلاً موحى إليه من عند الله.

أما (بولس) فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لـ (عيسى عليه السلام)، وقال: إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد، أي عقل سام متولد من الله، وكان موجودًا قبل أن يوجد هذا العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس ولكنه مع ذلك تابع للإله الأب".

ثم قالت دائرة المعارف بعد ذلك: "كان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى - عليه السلام - كانت عالية مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المنتصرين.

فإن الناصريين^(١)، والإثيوبيين، وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى - عليه السلام - إنسان محض، مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد إذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملحدون".

قال (جوستين مارشير)^(٢): "إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنسانًا محضًا، وإن كان أرقى من غيره من الناس، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل" انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية.

إن بطلان عقيدة التثليث واضح وضوح الشمس، ومع ذلك لا أدري كيف يحرسون على ما هو باطل، ويتعصبون له تعصبًا أعمى، دون سند من التاريخ، أو حجة من المنطق؟!^(٣)

(١) سكان مدينة الناصرة التي تسمى بها النصارى.

(٢) مؤرخ لاتيني في القرن الثاني.

(٣) سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي - بيروت، ص ٦٢ - ٦٣ نقلًا عن كتاب: كنز العلوم واللغة

من هذه الأدلة ما يلي:

١- لما كان التثليث والتوحيد حقيقيين عند المسيحيين ... وإذا وجد التثليث الحقيقي لا بد من أن توجد الكثرة الحقيقية أيضًا، ولا يمكن بعد ثبوتها ثبوت التوحيد الحقيقي، وإلا يلزم اجتماع الضدين الحقيقيين - وهو محال - فلزم تعدد الوجباء (أي تعدد واجب الوجود) وفات التوحيد يقينًا، فقاتل التثليث لا يمكن أن يكون موحدًا لله تعالى بالتوحيد الحقيقي، والقول بأن التثليث الحقيقي والتوحيد الحقيقي وإن كانا ضدين حقيقيين في غير الواجب، لكنهما غير ذلك فيه سفسطة محضة؛ لأنه إذا ثبت أن الشئيين بالنظر إلى ذاتيتهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجبًا كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف وإن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد، وأن الثلاثة مجموع آحاد ثلاثة، والواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد رأسًا، وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة، فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءًا، وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الله مركبًا من أجزاء غير متناهية بالفعل لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب فكل جزء من أجزائه أيضًا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرا، وكون الشيء مركبًا من أجزاء متناهية بالفعل باطل قطعاً^(١).

٢- أن الرياضيات كعلم إيجابي تعلمنا أن الوحدة ليست أكثر من واحد ولا أقل، والذين يقولون بوحداية الله في ثالوث من الأشخاص قولهم هذا سفسطة، فلا يمكن لإله واحد أن يساوي ثلاثة آلهة، بل يساوي واحدًا منها فقط، ثم يمكن مخاطبة أي نصراني يؤمن بالثالوث بما يلي "بما أنك تسلم بأن كل شخص إله كامل مثل قرينه، فإن استنتاجك بأن $1 + 1 + 1 = 1$ ليس استنتاجًا رياضيًا بل هو ضرب من السخف^(٢) والتعسف الدغمائي.

٣- ثم إنه بناء على تصور أن لكل شخص في الثالوث صفات لا تنطبق على الاثنين الآخرين، وتدل هذه الصفات طبقًا للمنطق الإنساني واللغة الإنسانية على وجود قَبْلِيهِ وَبَعْدِيهِ فيما بينهما، فالأب يحظى بالمرتبة الأولى ويتقدم على الابن، أما الروح القدس فليس متأخرًا فحسب لكونه الثالث في الترتيب العددي بل إنه أقل درجة من أولئك الذين انبثق منهم. ألا يعتبر نوعًا من الإلحاد إذا ما أعيد ذكر هذا الثالوث بترتيب

(١) راجع: رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ج ٣، ص ٧٢٥، والإمام الألوسي، الجواب الفسيح، ج ١ ص ١٩١.

(٢) ينظر: عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة: فهمي شَمَّا، مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، ط ١: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ص ٤٥.

معكوس؟ ألا يعتبر إنشاء الصليب عند مشاهدة القربان المقدس أو تجاوز مبادئه، نوعاً من الزندقة عند الكنائس إذا عكست العبارة وصارت على النحو التالي: باسم الروح القدس، والابن والأب؟؛ لأنها إذا كانت متساوية ومتعاصرة فإنه لا داعي لمراعاة ترتيب الأسبقية بدقة كما أن الفرق والعلاقة التي يسلم النصارى بوجودها بين أشخاص الثالث لا تترك أي شك في أنها ليست متساوية، ولا يمكن مطابقة بعضها ببعض فالأب يُنتج ولا يُنتج، والابن مولود وليس بوالد، والروح القدس ناتج من الشخصين الآخرين^(١).

٤ - قولهم في التثليث جمع بين الضدين؛ لأن الوجدانية تنفي الشرك، والشرك ينفي الوجدانية، فلا يمكن أن تجتمع الوجدانية والشرك في مكان واحد، بل هما ضدان لا يجتمعان كالسواد والبياض. والنصارى يعتقدون اجتماعهما، مخالفين بذلك الحس والعقل والنقل، لتظهر من خلال ذلك الدوغمائية في الجمع بين المتناقضات داخل النسق الوحد وقبول ذلك والتسليم له.

لهذا صرح كثير منهم بعدم معقولية التثليث، وأنها قضية لا يفهمها العقل، ولا يقبلها فمن ذلك:

قول القس "توفيق جيد" في كتابه "سر الأزل": "إن الثالث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كلها في كفه"^(٢).

ويقول "باسيليوس إسحاق" في كتابه "الحق": "أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله"^(٣).

فهذا ما صرحوا به وتوصلوا إليه في النهاية: أن التثليث أمر مرفوض عقلاً وغير مقبول، ولكنهم مع ذلك يؤمنون به.

ويحاول بعضهم أن يشبه ذلك بقول المسلمين في صفات الله عز وجل "إن العقول لا تدرك كيفيتها"^(٤)، وهذا تلبيس وتدليس منهم؛ لأن إثبات صفات الله - عز وجل - أمر يقبله العقل بل يوجبه العقل ولا يرفضه، وعدم إدراك كيفيتها يتلاءم مع مستوى علم الإنسان بالله عز وجل، ومن هذا الباب كثير من الغيبيات التي يؤمن الإنسان بها وفق نصوص الشرع ويقبلها العقل، مثل ما ورد عن الجنة، والنار، وعذاب القبر وغيرها. وذلك يختلف تماماً عن التثليث الذي يزعمه النصارى وهو: أن الثلاثة الحقيقة هي الواحد الحقيقي، والواحد الحقيقي هو الثلاثة، فهذا ما لا يطبق العقل قبوله، وفهمه.

(١) ينظر: عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ص ٤٦ - ٤٧.
(٢) هذا القسيس يحاول أن يخفف من العبارة الدالة على استحالة التثليث، واستحالة قبوله بجعله سراً ثم زعمه أنه لا يدرك تمام الإدراك، كأنه يوحي بأنه يمكن أن يدرك منه بعض المعاني وتخفي البعض والواقع أنه لا يدرك منه شيء.
(٣) للمزيد من النصوص ينظر: محمد أحمد لحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص ٢٠٧ - ٢٠٩.
(٤) حبيب سعيد، أديان العالم، ص ٢٨٢.

نقد عقيدة التثليث بأدلة من الكتاب المقدس:

أولاً: أدلة من العهد القديم:

- ١- "اسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على أولادك" ^(١)... إلخ هذه الوصية.
- ٢- "احمدوا الرب لأنه صالح لأنّ إلى الأبد رحمته، احمداوا إله الآلهة لأنّ إلى الأبد رحمته، احمداوا رب الأرباب لأنّ إلى الأبد رحمته الصانع العجائب العظام وحده لأنّ إلى الأبد رحمته" ^(٢).

ثانياً: أدلة من العهد الجديد:

- ١- جاء في إنجيل يوحنا: "وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته" ^(٣)، فلو كان اعتقاد التثليث مدار النجاة لبينه ولما قال: "الإله الحقيقي وحدك"، ولما فرق بين المرسل والمرسل وإذا ثبت أن الحياة الأبدية هي اعتقاد التوحيد الحقيقي لله وحده واعتقاد الرسالة للمسيح، فضعهما يكون موتاً أبدياً وضلالاً سرمدياً بالبداهة؛ لأنّ التوحيد الحقيقي ضد التثليث الحقيقي وكون المسيح رسولاً ضد لكونه إلهاً؛ لأنّ التباين بين المرسل والمرسل إليه ضروري. ^(٤)
- ٢- ما جاء في إنجيل مرقس: "فجاء إليه واحد من الكتبة الذين كان سمعهم يتساءلون ونظر إجابته لهم حسنة، فسأله أي وصية أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا اسمع يا إسرائيل الرب إلها رب واحد هو. وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل نيتك ومن كل قوتك، هذه أولى الوصايا، والثانية هي مثلها أن تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب جيداً يا معلم، قلت بالحق أن الله واحد وليس آخر سواه" ^(٥). يقول العلامة الألوسي ردّاً على المثلثة بعد أن ساق هذا الدليل الدامغ على وحدانية الله عزَّ وجلَّ وبإقرار المسيح -عليه السلام- يقول: "فعلم أن أولى الوصايا أن يعتقد الإنسان أن إلهه واحد حقيقي، لا ثلاثة ممتازة بامتياز حقيقي" ^(٦).

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر تثنية: (الإصحاح ٦، فقرة: ٤ - ٧).

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر المزامير (مزمور ١٣٦، فقرة: ١ - ٤).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٧، فقرة: ٣).

(٤) راجع: رحمة الله هندي، إظهار الحق، ج ٣، ص ٧٣٦-٧٣٧، الألوسي، الجواب الفسيح، ج ١، ص ١٩٦.

(٥) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقس (الإصحاح ١٢، فقرة: ٢٨ - ٣٣).

(٦) الألوسي، الجواب الفسيح، ج ١، ص ١٩٧.

وملخص ما ارتآه العلامة الهندي حول إبطال التثليث بهذا الدليل والسابق ومن خلال تحليله له يتضح لدى الباحثة ما يلي: عدم ورود التثليث في التوراة لا صراحة ولا ضمناً، وخلق أسفار الأنبياء أيضاً من هذه العقيدة التثليثية، وأنه لم يصرح به عيسى عليه السلام - على فرض صحة الأنجيل ونسبتها إليه - لم يصرح بالتثليث أو بما يدلّ عليه من قريب أو بعيد، وأيضاً ورود ما يدلّ صراحة على التوحيد الحقيقي في التوراة والإنجيل.

٣- ما جاء في إنجيل مرقس: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب"^(١)، فهذا القول يناهض على بطلان التثليث؛ لأنّ المسيح -عليه السلام- خصص علم القيامة بالله ونفى عن نفسه كما نفى عن عباد الله الآخرين، وسوى بينه وبينهم في هذا، ولا يمكن هذا في صورة كونه إلهاً سيما إذا لاحظنا أن الكلمة وأقنوم الابن عبارتان عن علم الله وفرضنا اتحادهما بالمسيح، وأخذنا هذا الاتحاد على مذهب القائلين بالحلول أو على مذهب اليعقوبية القائلين بالانقلاب؛ فإنه يقتضى أن يكون الأمر بالعكس ولا أقل من أن يعلم الابن كما يعلم الأب، ولما لم يكن العلم من صفات الجسد فلا يجري عليه في عذرهم المشهور أنه نفى عن نفسه باعتبار جسميته فظهر أنه ليس إلهاً لا باعتبار الجسمية ولا باعتبار غيرها^(٢).

وحول هذا النص الذي يثبت بشرية المسيح -عليه السلام- ويبطل ما زعمه النصارى عن التثليث يقول الشيخ عبد الله الترجمان بعد أن استدل بالنص السابق (مرقس ١٣ / ٣٢) هذا إقرار من عيسى -عليه السلام- بأنّه ناقص علم حتى عن الملائكة، وأن الله تعالى هو المنفرد بعلم الساعة وقيامتها، وأن عيسى -عليه السلام- لا يعلم إلا ما علمه الله تعالى^(٣).

ومن مظاهر تناقضهم أيضاً: "زعمهم أن كلمة (الله) التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، ويقولون مع ذلك: إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً عنه، ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه، وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم بأنّه أنواع كثيرة، فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال: إنها ابنه وولده ومتولد عنه، ونحو ذلك فتكون حياته أيضاً ابنه وولده ومتولداً عنه، وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولداً عنه ... فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ، وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها وما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية، ومخالفون لجميع لغات الآدميين؛ وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم"^(٤).

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقس (الإصحاح ١٣ ، فقرة : ٣٢).

(٢) ينظر: رحمت الله هندي، إظهار الحق، ج ٣ ، ص ٧٤٠ ، و الألوسي، الجواب الفسيح، ج ١ ، ص ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) عبد الله الترجمان الأندلسي، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، ص ٨٤.

(٤) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج ٤ ، ص ٤٧٠.

الواقع أنهم استوردوها من الأديان الوثنية التي كانت تحيط بهم، أو نقلوها من الأديان التي كانوا عليها قبل أن يدخلوا في النصرانية، فقد ذكر كثير من الكتاب أن التثليث كان منتشرًا في كثير من المناطق قبل أن يدعيه النصارى.

فمن ذلك قول "برتشرد" في كتابه "خرافات المصريين الوثنيين": "لا تخلو كافة الأبحاث المأخوذة عن مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثي أي الأب والابن والروح القدس".

وجاء في كتاب "سكان أوربا الأول": "كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد ذو ثلاثة أقانيم".

وقال "بونويك" في كتاب "اعتقاد المصريين": "وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين "الوثنيين القدماء" هي قولهم "بلاهوت الكلمة"، وأن كل شيء صار بواسطتها، وأنها "أي الكلمة" منبثقة من الله، وأنها الله" (١).

ويقول ول ديورانت: عندما ذهب نهضة الفكرية إلى ما وراء المسيحية اكتشفت الذهن الوثني فأطلقت العنان لعمل العقل.

ويقول فشر: أن المسيحية لم تأت بجديد فقد ورثت العهد القديم عن اليهودية وأخذت الأسرار الكنسية المقدسة عن الديانات السرية، يضاف إلى ذلك أن القول بوجود واسطة بين الله والناس أمر مألوف عند الفرس وأهل الأفلاطونية الحديثة سواء. (٢)

(١) ينظر: البيروتى، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ٥٣ - ٦٨
(٢) دكتور بهاء النحال، تأملات في الأناجيل والعقيدة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤م، نسخة الشاملة [الكتاب مرقم آليا]

المبحث الرابع

دوغمائية الصلب والفداء

صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ركن أساسي من أركان العقيدة النصرانية؛ ويعبر عن الصلب في لغة المسيحيين بظهور الله في الجسد، حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح، وأساسه عندهم أن من صفات الله العدل والرحمة فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه وطُرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيدده، وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، ثم يُصلب ظلمًا؛ ليكفر عن خطيئة البشر، وهذا ما عبر عنه النصارى بالخلّاص، وهنا تمت المصالحة بين الله والناس^(١).

تلك هي مقولة النصارى في عقيدة الصلب والفداء لديهم، وفي هذا المبحث سوف أوضح دوغمائية هذه المقولة، وأنها لم تكن من أصل المسيحية الحقّة، وأنها نشأت متأخرة عن زمن المسيح، وسوف أسرد الأدلة التي توضح بطلان دوغمائية الصلب والفداء، وأنها محض أسطورة مقتبسة من الأديان الوثنية التي كانت منشرة في القرون الأولى للنصرانية.

موقف النصرانية الأولى من عقيدة الصلب والفداء

إن النصرانية الأولى قد خلت من عقيدة الصلب والفداء، فهذه العقيدة لم يقل بها المسيح ولا أحد من تلاميذه، فلم ينسب المسيح إلى نفسه أنه المخلص، وكذلك لم يقل أحد من تلاميذه عنه أنه المخلص أو الفادي، فهذه العقيدة فكرة دخيلة على المسيحية الحقّة التي جاء بها المسيح -عليه السلام-، فعيسى -عليه السلام- ابتداءً لدعوته في قومه بني إسرائيل؛ ليردهم عن غيهم وتماديهم في البعد عن الله وعما جاء به موسى -عليه السلام-، وإفراطهم في الماديات حيث لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالّة، وكانت دعوته تدعو إلى الوجدانية، وأنه بشر رسول ... لكن المنتبّع لروايات الأنجيل وما جاء في كتاب الله الكريم يرى رفض بني إسرائيل لدعوته، وإنكارهم لرسالته، والنيل منه ومحاولة قتله إلا أن الله نجاه من كيدهم ... والمسيحيون الأوائل لم يكونوا على علم ودراية بما سيؤول إليه أمر المسيح، ومن ثم فلم يكن لديهم فكرة عن صلب المسيح كفارة لخطيئة آدم الموروثة في البشر، وإنما هذه الدوغمائية قد تبنتها الكنيسة بعد حادث الصلب المزعوم^(٢).

(١) راجع: م/ الطهطاوي، النصرانية والإسلام ص ٤٨، و أ/ محمّد رشيد رضا، عقيدة الصلب والفداء طبعة دار الفتح للإعلام العربي ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ١٦-١٧، وانظر: علاء أبو بكر، المسيحية الحقّة كما جاء بها المسيح بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام، ص ٢٠٦؛ وانظر: أحمد شلبي، المسيحية، ص ١٥٩، وانظر: د/ عبد الأحد داود، الإنجيل والصلب، طبع في القاهرة سنة ١٣٥١هـ، ص ٦، وانظر: أ/ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٠٧، وأحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية، ص ٥٣٠.

(٢) مريم زامل، موقف ابن تيمية من النصرانية، ص ٦٤٤.

ومما يؤكد أنها دوغمائية من صنع العقل البشر المتأثر بالخرافات والأساطير "أن هذا السر اللاهوتي الذي كان مكتومًا عن كل الأنبياء والصالحين السابقين قد خيل أو كأنما كُشف للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وأن هُوية الأقانيم الثلاثة وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم وموسى وداود وعيسى - عليهم السلام - قد صارت من مبادئ معلومات كل غلام مسيحي فضلًا عن القسيسين والرهبان"^(١).

كما أن الحواريين في بدء دعوتهم لم يجدوا في النصوص المقدسة ولا في كتب الأخبار ما يشير من قريب أو بعيد إلى صلب المسيح وتعذيبه على خشبة الصلب كما يزعم بولس أن المسيح مات من أجل خطايا البشر.^(٢)

بداية ظهور عقيدة الصلب والفداء

أما عن بداية ظهور هذه العقيدة في النصرانية فيؤكد البيروتي^(٣) في كتابه: أن الذي يحمل وزر هذه العقيدة هو بولس اليهودي الذي تأثر بالفلسفة الإغريقية، وبعقائد الهنود التي تنص على صلب كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم، فقد تحرك شفقة وحنوًا؛ كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وخلّص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه، وقد تأثر بولس بها تأثيرًا كبيرًا انعكس على تعاليم المسيح التي أخذ يبشر بها عندما اختلق قصة دخوله المسيحية^(٤).

فيتبين أن فكرة صلب المسيح دخلت النصرانية على يد بولس، وهو الذي ابتدعها، يقول "ولز" من كبار كتّاب المسيحية في أوروبا: "إن بولس هو الذي أسس المسيحية الحديثة، وهو لم ير المسيح ولا سمعه، وكان اسمه في الأصل "شاول" وكان من مضطهدي المسيحيين ثم اعتنق المسيحية فجأة، وغير اسمه إلى بولس، وكان شديد الاهتمام بعقائد زمانه، فنقل إلى المسيحية كثيرًا من أفكارهم ومن ذلك قوله: "إن المسيح ابن الله، نزل ليصلب، ويفدي البشرية، وذلك مثل الضحايا القديمة أيام الحضارات البدائية"^(٥).

(١) عبد الأحد داود، الإنجيل والصلب: ص ٨.

(٢) مريم زامل، موقف ابن تيمية من النصرانية، ص ٦٤٥.

(٣) هو: محمد بن طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير البيروتي، من أهل بيروت، باحث متكلم رحل إلى مصر، ثم سوريا وتوفي بدمشق سنة ١٩٣٣م، من مؤلفاته: الدر النضير والعقائد الوثنية، انظر: الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ١٧٣.

(٤) انظر: محمد بن طاهر التنير البيروتي، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ٧٥، وانظر: مريم زامل، موقف ابن تيمية من النصرانية، ص ٦٤٥، وأحمد شلبي، المسيحية، ص ١٦٧.

(٥) انظر: هـ. ج. ولز، موجز تاريخ العالم، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة: محمد مؤمن نجا، النهضة المصرية، ١٩٨٥م، ص ١٧٨ - ١٧٩. و/م الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٢٦٥.

الأدلة التي يستند عليها النصارى في إثبات دوغمائية الصلب والفداء

- ١ - قول بولس: "المسيح افتدانا من لعنة ناموس، إذ صار لعنة لأجلنا؛ لأنه مكتوب: ملعون كل من علق على خشبة"^(١).
- ٢ - قول مرقس: "لأن ابن الإنسان أيضا لم يأت لِيُخْدَمَ بل لِيُخْدَمَ وليبذل نفسه فدية عن كثيرين"^(٢).
٣. ما ورد في إنجيل يوحنا: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم"^(٣).
- ٤ - قول بولس: "متبررين مجانًا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الفصح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله"^(٤).

المجامع تقرر الإيمان بصلب المسيح

ومن الأمور التي تؤكد على دوغمائية فكرة الصلب، وأنها نشأت بعد المسيح -عليه السلام- بزمان طويل أنها ضمن ما قرره المجامع؛ إسهامًا منها في تقنين العقائد الباطلة إذ أنها السلطة التشريعية العليا في المسيحية. ذلك أن الكنيسة التي تُعلن الحرب على الأصنام، هي بذاتها تعبد صليبًا مصنوعًا من معدن أو خشب، بدعوى أنه كشف سر التثليث ومثله، وكل النصارى - فيما عدا البروتستانت - يرسمون الصليب بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم وصدورهم، ويسجدون للتالوث الشريف ويمجدونه قائلين: "باسم الأب والابن والروح القدس"، وكمظهر لدوغمائيتهم إذا كان أحد العيسويين لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يُقبل الصليب مصنوع من الخشب أو المعدن لا تُقبل عبادته، ويُعد رافضًا ومرتدًا لدى كل الكنائس، كما هي سمة الدوغمائية في إنكار الآخر وعدم الاعتراف به أو تقبله، وأما البروتستانت فإنهم وإن لم يعبدوا الصليب فإنهم على كل حال معتقدون وقائلون إنه بواسطته انكشف التثليث وألوهية المسيح لنوع البشر "^(٥).

هذا وقد جاء في الأمانة التي انبثقت عن مجمع نيقية عام ٣٢٥م ما يدلّ على اعتقاد المسيحيين بصلب المسيح كركن أساسي من أركان عقيدتهم، ونصها: "تؤمن بإله واحد، وأب ضابط الكل، خالق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ... الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس "صار إنسانًا" وُصلب على عهد بيلاطس البنطي"^(٦).

(١) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس إلى أهل غلاطية (الإصحاح ٣، فقرة: ١٣).

(٢) إنجيل الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرقس، (الإصحاح ١٠، فقرة: ٤٥).

(٣) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا (الإصحاح ٣، فقرة: ١٧).

(٤) الكتاب المقدس، العهد الجديد، رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (الإصحاح ٣، فقرة: ٢٥-٢٤).

(٥) داود عبد الواحد، الإنجيل والصليب: ص ٨.

(٦) راجع: ابن تيمية، الجواب الصحيح، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣، وحبيب جرجس، خلاصة الأصول الإيمانية ص ١٠٦.

قصة الصلب إجمالاً كما وردت في الأناجيل

يعتقد النصارى أن المسيح مات مصلوباً؛ وقصة الصلب كما وردت في الأناجيل باختصار هي: أن المسيح - عليه السلام - طلبه اليهود؛ ليقتلوه لأنه في زعمهم كفر بالله، فدلهم على مكانه أحد أتباعه وهو يهوذا الإسخريوطي بعد أن أغروه بالمال، فقبضوا عليه ليلة الجمعة بعد أن كان قد فرغ من صلاة طويلة تضرع وتوسل فيها إلى الله - عز وجل - أن لا يذيقه هذه الكأس، ثم ساقوه إلى دار رئيس كهنة اليهود الذي تحقق من أنه مستحق للقتل، ثم حمل إلى دار الوالي الروماني الذي حكم عليه بالصلب بناء على رغبة اليهود، فصلب الساعة الثالثة صباحاً من يوم الجمعة، ومات على الصليب الساعة التاسعة مساءً أي وقت العصر بعد أن صاح "إلهي إلهي لماذا تركتني".

ثم أُنزل من الصليب في تلك الليلة، وأدخل قبراً بقي فيه تلك الليلة ثم نهار السبت ثم ليلة الأحد، ولما جاؤوا إليه صباح الأحد وجدوا القبر خالياً، وقيل لهم إنه قام من قبره، ثم إنه ظهر لهم في الجليل وكلمهم، وبقي معهم أربعين يوماً، ثم ارتفع إلى السماء، وهم ينظرون إليه، هذا ما ورد في الأناجيل عن قصة الصلب إجمالاً^(١).

النقض التفصيلي لأحداث الصلب والفداء

أولاً: إنه بالمقابلة بين الأناجيل الأربعة في الموقف الواحد من أحداث الصلب يتبين التناقض الواقع فيها والتعارض بين الروايات المتعددة في النص الواحد ولبيان الاختلافات والأغلاط الواردة في تفاصيل الأحداث يمكن الاستعانة بجهود العلامة رحمت الله الهندي في إظهار الحق، والبغداي في الفارق، وعلاء أبو بكر في المسيحية الحق وأ/ محمد رشيد رضا في عقيدة الصلب والفداء، إذ يتضح مما أورده اختلاف المعلومات الواردة في الأناجيل عن الصلب، وإليك بعض الاختلافات الموجودة في رواية هذه القصة.

(١) ذكر لوقا: أن ملكاً من الملائكة تراءى للمسيح يقوي عزمته في آخر صلاة صلاها، ولم يذكر ذلك الآخرون.

(٢) ذكر لوقا: أن المسيح صلى مرة واحدة، ولم يوقظ تلاميذه إلا مرة واحدة، أما متى ومرقس فذكرا أن ذلك تكرر ثلاث مرات، ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً.

(١) انظر في إنجيل متى الإصحاح ٢٦-٢٨، مرقس الإصحاح ١٤-١٦، لوقا ٢٢-٢٤، يوحنا ١٨-٢١، وانظر أعمال الرسل (٣/١).

(٣) أن الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ورد فيها: أن العلامة بين يهوذا الذي دل اليهود على مكان المسيح واليهود الذين جاءوا للقبض على المسيح هي أن من يقبله فهو المسيح، ويوحنا ذكر أن المسيح خرج إليهم وسألهم عن يطلبون فقالوا: يسوع فقال لهم: أنا هو.

(٤) أن يوحنا ذكر: أن اليهود لما قبضوا على المسيح ساقوه إلى حنان الذي كان حماً لرئيس الكهنة قيافا، أما الأناجيل الأخرى فلم تذكر ذلك، بل ذكرت أنهم ذهبوا به مباشرة إلى قيافا رئيس كهنة اليهود.

(٥) ذكر يوحنا: أن بطرس وتلميذاً آخر تبعوا المسيح إلى رئيس الكهنة بعد أن قبض عليه، أما الآخرون فلم يذكروا سوى بطرس الذي خرج بعد ذلك ولم يشاهد المحاكمة.

(٦) سؤال رئيس الكهنة للمسيح وقت المحاكمة حسب مرقس "أأنت المسيح ابن المبارك. فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء".

وفي متى "أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله. قال له يسوع أنت قلت. وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء".

وفي لوقا أن الجماعة سألوه "إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم إن قلت لكم لا تؤمنون وإن سألتكم لا تجيبوني ولا تطلقوني. ولكن من الآن يكون ابن البشر جالسا عن يمين قدرة الله. فقال الجميع. أفأنت ابن الله. فقال لهم أنتم تقولون إنني أنا هو".

وفي يوحنا أن رئيس الكهنة سأل المسيح عن تلاميذه وعن تعليمه، فأجابه وليس في شيء منها قوله السابق عن نفسه.

(٧) الأناجيل الثلاثة ذكرت: أن المسيح لما ذهب به اليهود إلى بيلاطس الوالي الروماني فسأله عما يتهمون به من أنه ملك اليهود، لم يجبه المسيح بشيء حتى تعجب منه بيلاطس.

أما إنجيل يوحنا فيذكر كلاماً بين المسيح وبيلاطس.

(٨) الأناجيل الثلاثة ذكرت أن الصليب الذي صلب عليه المسيح سخر له رجل اسمه "سمعان القيرواني" لحمله.

أما إنجيل يوحنا فيذكر أن المسيح هو الذي حمل صليبه.

(٩) ذكر لوقا: أن المسيح التفت إلى الجموع وهو في طريقه إلى الصليب وحذرهم مما سيقع لهم في الأيام القريبة من الأمور الخطيرة العظيمة. ولم يذكر ذلك أي من الأناجيل الأخرى.

١٠) إن علة صلب المسيح حسب لوقا مكتوبة على الصليب هكذا "هذا هو ملك اليهود" باليونانية واللاتينية والعبرانية.

وفي مرقص "ملك اليهود" ولم يذكر اللغات التي كتب بها.

وفي متى "هذا هو يسوع ملك اليهود" ولم يذكر اللغات.

وفي يوحنا "يسوع النصارى ملك اليهود" باليونانية واللاتينية والعبرانية.

١١) أن مرقص ومتى ذكرا: أن اللصين الذين صلبا مع المسيح كانا يعيرانه مع الناس.

أما لوقا فقد ذكر: أن أحدهما عيَّره، أما الآخر فرد عليه ودافع عن المسيح، ولم يذكر يوحنا ذلك.

١٢) ذكر يوحنا: أنه كان يقف عند الصليب أم المسيح وأخت أمه ومريم المجدلية مع التلميذ الذي يحبه المسيح، ويعني نفسه.

وأما لوقا ومرقص ومتى فقد ذكروا: أن نساء من بعيد كن ينظرن إليه، من بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويسى وسالومه وآخر كثيرات، ولم يذكروا حضور أي تلميذ من تلاميذه الصلب.

١٣) في متى ومرقص: أن المسيح صرخ في الساعة التاسعة وقال "ألوى ألوى لما شبقنتي، الذي تفسيره "إلهي إلهي لماذا تركتني".

وفي لوقا قال "ونادى يسوع بصوت عظيم قائلاً يا أبت في يديك أستودع روحي".

وفي يوحنا أنه لم يصرخ وإنما قال "قد أكمل، ونكس رأسه، وأسلم الروح".

١٤) الاختلاف في الأحداث بعد الصلب حيث قال متى "انشق حجاب الهيكل والأرض تزلزلت، والصخور

تشققت، والقبور تفتحت، وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبر بعد قيامته، ودخلوا

المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين".

وفي مرقص "انشق حجاب الهيكل إلى اثنين".

وفي لوقا "أظلمت الشمس^(١) وانشق حجاب الهيكل".

ويوحنا لم يذكر من ذلك شيئاً.

(١) "أظلمت الشمس" مرادهم به أن كسوفاً حصل في الشمس وهذا وفق اعتقاد الناس في الجاهلية كما ورد في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: كسفت الشمس على عهد رسول الله (يوم مات إبراهيم فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: "إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا الله" أخرجه البخاري. صلاة الكسوف الصحيح مع الفتح (٥٢٦/٢، ٥٤٦).

(١٥) الاختلاف في عدد وقت الذين جاؤوا صباح الأحد؛ لمشاهدة القبر الذي فيه المسيح ووجدوه خالياً. (١)

فهذه الاختلافات العديدة بينهم في رواية أعظم حدث في حياة المسيح حسب معتقد النصارى وهو: الصلب، إن دل على شيء فإنما يدل على أنه ليس لديهم علم مؤكد ومحقق في هذا الأمر، وأن ذلك كله من باب الظن والخرص الذي لا يغني من الحق شيئاً، ولو كان عندهم فيه شيء مدون، أو رواة ثقات عاينوا وشاهدوا الأحداث لما اختلفوا فيه، وإن من دلالة صدق الرواة لحدث من الحوادث اتفاقهم على رواية الخبر وتفاصيل وقائعه، وإن من دلالة كذب الرواة أو عدم علمهم به اختلافهم في رواية الخبر وتباين كلامهم عنه؛ وهذا حقيقة حال النصارى في هذا الحادث الذي قامت النصرانية المحرفة كلها عليه، فإنهم ليس عندهم علم به مؤكد إن يظنون إلا ظناً، وانظر واستمع إلى دقة كلام الله - عز وجل - في تعبيره عن الواقعة وعن روايتها حيث قال عز وجل:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ

لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (٢)

فأكد الله - جل وعلا - عدم صلبه وأنه رفعه إليه، وبَيَّن أن الأمر قد شُبِّهَ على اليهود الذين زعموا أنهم صلبوه، كما أن الذين اختلفوا فيه وهم النصارى الضالون علمهم فيه غير مؤكد، إذ هم متبعون للظن في قولهم وزعمهم، ويؤكد ذلك ويبينه أن الأنجيل الثلاثة متى، ومرقس، ولوقا قد ذُكر فيها: أن التلاميذ حال القبض على المسيح تركوه وفروا جميعاً، فهم لم يعاينوا القبض عليه، ولا محاكمته، ولا رفعه على الصليب، ولا موته، ولا دفنه، ولا قيامته من القبر، وأن الذي شاهد الصلب مجموعة من النساء كن ينظرن إليه من بعيد.

أما رواية إنجيل يوحنا بأن التلميذ الذي يحبه المسيح كان حاضراً وقت المحاكمة وعند الصلب، وكذلك أم المسيح كانت موجودة وقت الصلب، فهي رواية غير صحيحة لا شك لمخالفتها لرواية الأنجيل الثلاثة الأخرى. كما أن إنجيل يوحنا هو أقل الأنجيل نصيباً من الصحة - كما سبق بيانه.

٢ - بيان عدم الثقة في رواية الأنجيل، إذ أنه قد تبَيَّن فيما سبق من خلال نقد سند العهد الجديد أن الأنجيل الأربعة مفقودة السند، إضافة إلى الجهل بحال كُتَّابها، والاضطراب في زمن كتابتها .. كل ذلك يؤدي إلى ضعف الثقة فيمن نقلوا روايات الصلب، وقد اشترك في التنبيه على ذلك الإمام ابن تيمية والبغدادى، فقد بين ابن تيمية أن رواية الأنجيل لم يشهدوا عملية الصلب؛ بل إن الذين شهدوها هم اليهود (٣).

(١) لمزيد من التفصيل عن هذه الاختلافات ينظر: المسيحية الحقبة: ص ٢١٨ - ٣٥١؛ الفارق بين المخلوق والخالق ص ٣٤٢ - ٤٤٠. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٣٠٧ - ٣١٠.

(٢) النساء: ١٥٧-١٥٨.

(٣) انظر: الجواب الصحيح، ج ٢، ص ٣٠٣.

٣- اكتشاف ما وقع في قصة الصلب من أخطاء يؤكد استحالة صدور هذه القصة عن الوحي الإلهي، وبالتالي تنتفي صفة القداسة عن الأناجيل، وأنها من وضع بشر ما عدا ما بقي فيها من حق إلا أنه تلبس بكثير من الباطل.

بيان بطلان دوغمائية النصارى في الصلب والفداء بالإضافة لما سبق.

أولاً: بطلان هذه العقيدة وتناقضها مع غيرها من عقائدهم في المسيح مثل ألوهية المسيح فكيف يتم الجمع بين قولهم بأن المسيح إله حق وبين القول بأن الإله الحق صلب وقُتل وأهين .. فيقول الإمام ابن تيمية موجهاً نقده للنصارى:

إنكم قُلتُم في أمانتكم عن المسيح: أنه إله حق من إله حق، ومن جوهر أبيه الذي هو مساو الأب في الجوهر الذي نزل وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتأنس وصلب وتألّم اقتضى ذلك أن يكون الإله الحق المساو للأب في الجوهر صُلب وتألّم، فيكون اللاهوت مصلوباً متألماً، وهذا ما تقر به طوائف منكم وطوائف تنكره، لكن بمقتضى أمانتكم هو الأول أن اللاهوت صُلب وتألّم، وهذا لا يمكن أن يُقال^(١).

ويتساءل الإمام ابن القيم متعجباً ومستنكراً في نفس الوقت لما يقوله النصارى فيقول لهم: "أخبرونا من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب، وقد شُدت يداه ورجلاه بالحبال وسُمرت اليد التي أنقنت العوالم، فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟"^(٢).

ثانياً: يقال للنصارى ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتقلونه تواتراً أم آحاداً؟ فإن زعموا أنه آحاد لم يقدح بذلك حجة ولم يثبت العلم الضروري، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض ذلك لهم؛ فلا يحتج بهم في القطعيات^(٣).

وإن عزو ذلك إلى التواتر، قلنا لهم شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير عن الذين شاهدوا المشهود به - وهو المصلوب - وعلموا به ضرورة فإن اختل شيء من ذلك فلا تواتر، فإن زعموا أن خبرهم في قتل المسيح وصلبه هذه الصفة كذبهم الأناجيل إذ قالت: إن المأخوذ للقتل كان في شردمة يسيرة من تلاميذه، فلما قبض عليه هربوا بأسرهم، ولم يتبعه أحد سوى بطرس من بعيد، فلما دخل

(١) انظر: ابن تيمية الجواب الصحيح: ج ٣، ص ٢٣٢ بتصرف.

(٢) ابن القيم، هداية الحيارى، ج ٢، ص ٤٩٧.

(٣) المسعودي، المنتخب الجليل، ص ٢٧٤.

الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته، فقالت هذا كان مع يسوع فحلف أنه لا يعرف يسوع ... وخادعهم حتى تركوه وذهب^(١)، وأن شابًا آخر تبعه وعليه إزار فتعلقوا به "فترك إزاره في أيديهم وذهب عريانًا"^(٢).

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين يزعم النصارى أنهم حضروا الأمر لم يبلغوا حد التواتر؛ بل كانوا آحادًا وأفرادًا، وهم أعداؤه ويُحتمل تواطؤهم على الكذب على عدوهم إيهامًا أنهم ظفروا به^(٣).

ثالثًا: "يقول المسيحيون أن أساس هذا الصלב هو صفة العدل، إذ كان على الله بمقتضى هذه الصفة أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبتها أبوهم ولكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر"^(٤)؛ ولكن هناك بعض الاعتراضات على هذه الفكرة وهي نقد في نفس الوقت:

١ - أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح، فهل كان الله حائرًا بين العدل والرحمة آلاف السنين، حتى قبل المسيح منذ ألفي عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة البشر؟

٢ - إن المبدأ العام المعترف به في الديانات جميعًا وفي القوانين الوضعية وعُرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء سوى ثرواتهم، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤاخذ بها ذرياتهم، ويترتب على ذلك ما يلي:

أ- أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم طبقًا لما أوردته عقيدة الفداء عن النصارى بأن المسيح قُتل وصلب كفارة عن خطيئة آدم وذريته، إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه آدم؛ تطبيقًا لما ورد في سفر التثنية: "لا يُقتل الآباء عن الأولاد، ولا يُقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يُقتل"^(٥). وما ورد في حزقيال: "النفوس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم أبيه، والأب لا يحمل من إثم الابن، بر البار عليه وشر الشرير عليه يكون"^(٦)، فالقول بأن خطيئة آدم انتقلت بالوراثة إلى أبنائه قول مردود بكتابهم المقدس^(٧).

ب- فساد القول بالمعمودية التي يقول عنها النصارى أنها تطهير المصطبغ بها من خطيئة آدم.

(١) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى (الإصحاح ٢٦، فقرة: ٦٩ - ٧٤) إنكار بولس.

(٢) انظر: الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل مرقس (الإصحاح ١٤، فقرة: ٥٠ - ٥٢) وقد انفرد مرقس بذكر هذه الواقعة.

(٣) المسعودي، المنتخب الجليل: ص ٢٧٤.

(٤) الطهطاوي، النصرانية والإسلام: ص ٥٠.

(٥) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، (الإصحاح ٢٤، فقرة ١٦).

(٦) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حزقيال (الإصحاح ١٨، فقرة: ٢٠).

(٧) أحمد عجيبة، تأثر المسيحية بالآديان الوضعية، ص ٥٨٤.

٣ - إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي توجد بعد ذلك؟ ومنها ما هو أفسى من عصيان آدم.

٤ - إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه. ^(١)

رابعاً: أن هذه الدوغمائية يلزم منها عدة مجالات ذكرها أ/ محمد رشيد رضا ^(٢) في نقده لهذه العقيدة إذ يقول:

١ - لا يمكن أن يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد أن يكون بكل شيء عليمًا، وفي كل صنعة حكيمًا؛ لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عَزَّ وَجَلَّ، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره، وحين عصى آدم ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه حتى اهتدى إلى ذلك بعد آلاف السنين مرت على خلقه.

٢ - يلزم من يقبل هذه القصة أن يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من أن خالق الكون يمكن أن يحل في رحم امرأة في هذه الأرض التي نسبتها إلى سائر ملكه أقل من نسبة الذرة إليها وإلى سماوتها التي تُرى منها، ثم يكون بشرًا يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر، ثم يأخذه أعداؤه بالقهر والإهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلونه ملعونًا.

٣ - يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق - تعالى وتقدس - عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح؛ لأنه عذبه من حيث هو بشر، وهو لا يستحق العذاب؛ لأنه لم يذنب قط، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحرايب (على ما زعموا) لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالأحرى، فكيف يُعقل أن يكون الخالق غير عادل ولا رحيم؟ أو أن يكون عادلاً رحيمًا فيخلق خلقًا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء إحدى هاتين الصفتين، فيحاول الجمع بينهما فيفقداهما معًا. ^(٣)

^(١) انظر: الطهطاوي، النصرانية والإسلام، ص ٥٠ - ٥٣.

^(٢) هو: محمد رشيد علي رضا بن علي خليفة القلاموني البغدادي الأصل، ولد ونشأ في القلامون بالشام سنة ١٨٦٥م، صاحب مجلة المنار، له مؤلفات منها: عقيدة الصلب والفداء، شبهات النصارى وحجج الإسلام، توفي بمصر سنة ١٩٣٥م. ينظر: الزركلي، الأعلام ج ٦، ص ١٢٦.

^(٣) عقيدة الصلب والفداء: ص ١٧ - ١٩.

خامساً: أن جميع النصوص التي يذكرونها في الدلالة على أن الصלב وقع فداء للبشر ليس فيها نص واحد يعين الخطيئة التي يزعم النصارى أن الفداء كان لأجلها، وهي خطيئة أبينا آدم التي انتقلت في زعم النصارى إلى أبنائه بالوراثة، فجميع النصوص لا تعين هذا الأمر ولا تحدده؛ مما يدل على أنها من مخترعات النصارى المتأخرين الذين حاولوا أن يرقعوا بها فساد القول بالفداء كفارة عن الخطايا^(١).

ذلك أن كلام النصارى في الخطيئة التي رفعها المسيح - عليه السلام - بموته المزعوم على الصليب كلام مضطرب، ولا ينصون في كلامهم على الخطيئة التي كفرها المسيح في كل مقام^(٢).

سادساً: أن المراد من كون المسيح كفارة للخطايا أحد أمرين:

أحدهما: تكفير خطايا الناس التي اقتترفوها في الماضي، أو التي سيقترفونها في المستقبل، وكلاهما باطل.

أما الخطايا الماضية فلا تستحق هذا الفداء الإلهي في زعمهم، وقد كان يتم تكفيرها بالتوبة والقربان لدى اليهود قبلهم وكان كافياً.

أما الخطايا المستقبلية فلا يستطيع النصارى أن يزعموا أن صلب المسيح مكفر لها؛ لأن ذلك يعني إباحتها، وعدم ترتب العقوبة على ذنب من الذنوب مهما عظم، وفي هذا إبطال لدعوة المسيح ودعوة الحواريين وبولس إلى تنقية النفس من الآثام والخطايا وفتح للإباحية والفجور والكفر، مع العلم أن تكفير الخطايا إذا أطلق لا يراد به سوى ما وقع فيه الإنسان من الآثام وهي الخطايا الماضية، إذ التكفير من كفر أي ستر وغطى^(٣)، ولا يكون ذلك إلا فيما وقع وحدث.

سابعاً: إن دعوى الصלב والفداء مناقضة في الحقيقة للشرع والعقل، فمما يبين ذلك ويدل على بطلان دعواهم إضافة لما سبق أن يقال لهم:-

(١) الذي يبدو أن أول من ذكر أن الخطيئة التي كفرها المسيح هي خطيئة آدم التي ورثها أبناؤه في زعمهم هو أغسطينوس المتوفي عام ٤٣٠م، وقد بني قوله على كلام بولس الذي يقول فيه: "بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم"، وقد عارضه في ذلك الوقت بيلاجيوس الإيرلندي، وأنكر أن خطيئة آدم ورثها أبناؤه بل كل إنسان خطيئته تخصه وحده وتقع عليه وحده. وبعد نقاش وجدال طويل تدخل إمبراطور بيزنطة وأصدر مرسوماً يدين بيلاجيوس ويأمر بنفي من ينادي بتعاليمه، وهكذا ثبتت مقولة أغسطينوس في مسألة خطيئة آدم. انظر: جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ٣، ص ٢٠١-٢٠٧.

(٢) انظر: جون ستوت، المسيحية الأصل، تعريب: ريد زخاري، صادر عن منشورات النفير-بيروت، ص ١١٦-١٢٥.

(٣) ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٧١.

١- أن آدم عليه السلام الذي يزعمون أن الصلب والفداء كان لأجل خطيئته قد تاب من خطيئته بقوله عز وجل: ﴿ تُمْ أَجَبْتَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ ﴾^(١) وقد قبل الله توبته، كما أنه عوقب - عليه السلام - بإخراجه من الجنة وتأثر أبنائه بالعقوبة، وإن لم يكونوا مقصودين بها.

كما أورد اليهود في كتابهم أن الله قال لآدم "لأنك يوم تأكل من الشجرة موتا تموت"^(٢)، وقد وقع هذا لآدم بعد الأكل من الشجرة بإخراجه وزوجته من الجنة إلى الأرض ثم موتهما فيها، فقد عوقبا بذلك، كما ينص اليهود على إخراجهما من الجنة إلى الأرض التي فيها الكد والتعب، فمن أين أتى النصارى بفرية خطيئة آدم، وأحيوها هذا الأحياء، وألبسوها هذا اللبوس.

٢- هل يليق أو يعقل أن ينزل الله ﷻ وتقدس أسماؤه من عليائه وعرشه ويسمح لأبغض أعدائه إليه اليهود قتلة الأنبياء، والرومان الوثنيين أن يهينوه ويعذبوه ويصلبوه؟ ثم هو يفعل هذا لماذا؟ لأجل أن يرضي نفسه؟ لأجل من؟ من أجل عبيده؟

هذا مما لا يمكن أن يقال ويقبل بحال من الأحوال، بل يجب أن يستعاذ بالله من الشيطان الرجيم عند مرور مثل هذا خاطر والوسواس، ويقال سبحانه هذا بهتان عظيم!

٣- حسب عقيدة الفداء لدى النصارى يكون أعظم الناس براً وفضلاً على النصارى والبشرية عموماً اليهود والرومان والواشي بالمسيح، لأنهم الذين تحقق على أيديهم في زعم النصارى الهدف الأسمى الذي جاء من أجله المسيح وهو الموت على الصليب.

٤- أن دعوى النصارى بأن الصلب وقع على الجسد البشري الذي حمل الخطيئة، وأن هذا الجسد مات. دعوى تنقضها وتبطلها قصة قيامة المسيح عندهم، فلو كان تجسد لأجل تحمل الخطيئة؛ فالواجب أن يفني ذلك الجسد بعد حلول العقوبة عليه.

٥- أن دعوى أن المسيح قام من قبره ولمسوه وتأكدوا منه، ثم ارتفع إلى السماء تنقض دعوى أنه ابن الله وأنه تجسد بالصورة البشرية؛ لأن الدور الذي تجسد من أجله قد أداه وانتهى، ثم إن الجسد البشري لا حاجة إليه حيث يذهب المسيح في زعمهم عن يمين أبيه، وهذا من أوضح القضايا لو كانوا يعقلون.^(٣)

(١) سورة طه: ١٢٢.

(٢) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التكوين (إصحاح ٢، فقرة: ١٧).

(٣) دراسات الأديان اليهودية والنصرانية، ص ٣٢٧ - ٣٣٠.

ثامنا: حقيقة قولهم في الفداء هو: أنهم اخترعوا هذه الفرية وادعواها بدون دليل من شرع أو عقل؛ حتى يبرروا قضية الصلب التي اعتقدوها وآمنوا بها، ويرفعوا عن المسيح تلك السبة الشنيعة التي تلحقه بالصلب وهي اللعن، فادعوا أن الصلب هو الشرف الحقيقي وهو الهدف الأسمى من رسالة المسيح، وأنه لولا الصلب ما جاء المسيح^(١)، فأخذوا يدندنون حول هذا الأمر، ويبحثون له عن الأوجه التي تجعله في حيز المقبول والمعقول.

إلا أن كلامهم في الحقيقة يزيد الأمر تعقيداً وإرباكاً للقارئ والسامع وإليك مقتطفات من كلام ج. ر. و. ستوت في كتابه "المسيحية الأصلية" في الموضوع حيث افتتح الكلام عن معنى الصليب بقوله:

"ولكن لا أجسر أن أتناول الموضوع (يعني معنى الصلب) قبل أن أعترف بصراحة بأن الكثير منه سوف يبقى سرا خفيا، ذلكم لأن الصليب هو المحور الذي تدور حوله أحداث التاريخ^(٢)!"

ويا للعجب كيف أن عقولنا الضعيفة لا تدركه تماماً^(٣) ولا بد أن يأتي اليوم الذي فيه ينقشع الحجاب وتحل كل الألغاز ونرى المسيح كما هو...^(٤).

ثم يقول في آخر الكلام بعد فلسفة مطولة استغرقت عشر صفحات "ومن المدهش أن هذه القصة الخاصة بيسوع ابن الله الذي حمل خطايانا ليست محبوبة في عصرنا الحاضر، ويقال عن حمله خطايانا ورفعها قصاصها عنا إنه عمل غير عادل وغير أدبي وغير لائق، ويمكن تحويله إلى سخرية وهزء... ثم قال:

وفوق الكل يجب أن لا ننسى "أن الكل من الله" نتيجة رحمته ونعمته المتفاضلة فلم يفرض على المسيح قصاصاً لم يكن هو نفسه مستعداً له فإن الله كان في المسيح مصالحاً للعالم لنفسه"، فكيف يمكن أن يكون الله في المسيح بينما جعل المسيح خطية لأجلنا؟. هذا ما لا أستطيع أن أجيب عنه. ولكن الرسول^(٥) عينه يضع هاتين الحقيقتين جنباً إلى جنب، وأنا أقبل الفكرة تماماً كما قبلت أن يسوع الناصري هو إنسان وإله في شخص

(١) يقول صاحب كتاب المسيحية الأصلية ص ١٠٥: "لا مبالغة في القول أن الشخص الرئيسي في الكتاب هو يسوع المسيح، وأن الظاهرة الرئيسية في حياته كما يصورها الكتاب هي موته.. ثم يقول ص ١١٠: لأن الصليب رمز إيماننا... لا نصره بدون الصلب ولا مسيحياً بدون الصلب".

(٢) ما هي أحداث التاريخ؟ إن قصد التاريخ النصراني. فنعم. وإن قصد تاريخ البشرية قبل المسيح وبعده فهي مبالغة ومجازفة مكشوفة.

(٣) لاشك أن الكاتب لما أمعن النظر واستعمل عقله أدرك فساد تلك الدعوى وما فيها من الأمور الباطلة التي لا يستطيع العقل أن يقبلها، فلهذا نجده بعد يلغي عقله وبحيل الأمر على مستحيل بالنسبة له؛ لأن ما هو باطل اليوم وغير معقول سيبقى هكذا أبداً الدهر.

(٤) لعله يقصد أنه سيبقى سراً إلى أن يجيء المسيح مرة ثانية، فهل يليق أن يبقى الناس في عمى كل هذه الأزمان؟! ويلاحظ أن النصارى كلما عجزوا عن فهم عقيدة من عقائدهم صرحوا بأنه سر. وهذا منهم ذر للرماد في العيون.

(٥) يعني بالرسول "بولس" شاؤول اليهودي - وهل أهلك النصارى إلا هذا الضال.

واحد وان كانت تبدوا ظاهريا على شيء من التناقض^(١)، لكنني أراه في عمله كما أراه في شخصه، وإن كنا لا نستطيع أن نحل هذا التناقض أو نفك رموز هذا السر فينبغي أن نقبل الحق كما أعلنه المسيح وتلاميذه بأنه احتمال خطايانا بمعنى أنه احتمال قصاص الخطية عنا كما تعلمنا الكتب^(٢).

وإننا لنعجب غاية العجب من هذا الاعتراف بعدم معقولية هذه العقيدة ثم الإصرار عليها، فهذا غاية الضلال والانحراف، وأبرز أشكال الدوغمائية العمياء وكان الأولى بهم إذ لم يعقلوا هذه المسائل أن يبحثوا في مصادرها حتى يظهر لهم الحق، ولكن أنى لهم ذلك والدوغمائية تسوق فكرهم وسلوكهم.

(١) هذا تلاعب، بل هي متناقضة تماماً من ألفها إلى يانها.
(٢) انظر: جون ستوت، المسيحية الأصيلة، ص ١١٠ - ١٢١.

الفصل الرابع

أثر الدوغمائية على أتباع الديانة النصرانية

ويشتمل على المباحث الآتية:-

- المبحث الأول: الفرق النصرانية
- المبحث الثاني: الطغيان الكنسي
- المبحث الثالث: حركة الإصلاح الديني
- المبحث الرابع: العلمانية

المبحث الأول

الفرق النصرانية

مدخل

إن النصارى لما فقدوا كثيراً من آثار الوحي والنبوة التي جاءتهم، ولم يعد عندهم أصل صحيح يرجعون إليه؛ اختلفوا وتفرقوا شيعاً وأحزاباً متباغضة متعادية، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَحَدَنَا مِثْلَهُمْ فَسَوْا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١)، فلقد كان لضياع إنجيل المسيح - عليه السلام - والاضطهادات التي تعرض لها أتباع النصرانية في بداية ظهورها، وما تلى ذلك من ظهور الدوغمائيات التي أقرتها المجامع المقدسة وفرضتها بقوة السلطان على أتباع النصرانية لاعتنة كل من يخالفها أو يفكر خارج الإطار الذي حددته أثر كبير على حدوث انقسام في صفوف أتباع النصرانية وتفرقهم إلى فرق مختلفة لكل منها معتقداتها الخاصة.

وفي هذا المبحث سوف أوضح أثر الدوغمائيات التي أعتقها النصارى في تفرقهم وانقسامهم إلى فرق متباينة ومتباغضة.

الفرق التي ظهرت في عصر التوحيد

فرقة أبيون أو الأبيونيين Ebionities

"أتباع أبيون"^(٢)، وكانت تقر جميع شرائع موسى، وتعتبر عيسى هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، وتنكر ألوهية المسيح، وتعتبره مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية، ويحتوي هذا الإنجيل على إقرار جميع شرائع موسى، كما ينكر ألوهية المسيح، ويعتبره المسيح المنتظر، وأنه مجرد بشر رسول، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية المستمدة من نصوص القرآن الكريم، وقد انقرضت هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي".^(٣)

(١) سورة المائدة: ١٤.

(٢) كان يهوديا سامريا معاصرا ليوحنا الرسول، وذهب الأكثرون إلى أنه لم يوجد شخص بهذا الاسم ويقال أن أصل الاسم من ابيونيم بالعبرانية، ومعناه قوم فقراء. انظر: بطرس البستاني، دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، بيروت: المطبعة الكاثوليكية ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) على وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٠.

وتقول دائرة معارف البستاني: " كانت هذه الطائفة تتكر لاهوت المسيح على الختان مع استعمالها المعمودية والعشاء الرباني وتحفظ اليوم السابع الأسبوع سبتاً" (١)

ولعل هذه الفرقة كان إنجيلها هو إنجيل المسيح المفقود، ولكن للأسف هذه الفرقة اختفت إثر طغيان دوغمائيات القرن الرابع التي فرضتها المجامع المقدسة.

فرقة أريوس

يقول ابن حزم في بيان فرقة أريوس: "والنصارى فرق، منهم أصحاب أريوس وكان قسيساً بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى - عليه السلام - عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السماوات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم". (٢)

ويلخص ابن البطريق مذهب أريوس بقوله: كان يقول أن الأب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الأب حينما لم يكن الابن".

"ثم أخذ هذا المذهب يضمحل ويتناقص عدد أتباعه بعد أن حكم مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بطرد أريوس وكفره وإصدار قراره (دوغمائيته) بالوهية المسيح، وما زال يضمحل ويتناقص عدد تبايعه حتى انقرض كل الانقراض في أواخر القرن الخامس الميلادي". (٣)

فواضح أن هذه الفرقة انعزلت وانفصلت عن أتباع قرار المجمع إثر دوغمائيتهم التي حكمت على أريوس واتبعه باللعن والحرمان والانفصال عن الكنيسة.

أصحاب بولس الشمشاطي

وكان بولس الشمشاطي أسقفا لأنطاكية سنة ٢٦٠م، وأنكر ألوهية المسيح، وقرر أنه مجرد بشر ورسول، وقد عقد بأنطاكية من سنة ٢٦٤م إلى سنة ٢٦٩م ثلاثة مجامع؛ للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه وطرده، وقد بقي لمذهبه أتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي". (١)

(١) بطرس البستاني (دائرة المعارف) ج ٢، ص ٢٦٤.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ج ١، ص ٤٧.

(٣) علي وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠١ - ١٠٢.

ويقول فيه ابن حزم^(٢): "كان بطريكاً بأنطاكية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه، وكان يقول: لا أدري ما الكلمة، ولا روح القدس".^(٣)

ومن هذا يتبين أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً، وأن عيسى ليس إلا رسولاً من رب العالمين، وأنه كان إذا عرض له البحث في كلمة الله، وروح القدس أمسك عن ذلك، ولم يخض فيه وتوقف واعتصم بذلك.

وقد لقي الشمشاطي تأييداً من زنوبيا، ملكة تدمر، فيما ذهب إليه لكن المجمع الأسقفي الذي انعقد في أنطاكية في العام ٢٦٤م، ثم في العام ٢٦٨م، أصدر الحرمان (الدوغمائي) بحق الشمشاطي وخلعه؛ وفي العام ٢٧١م طرده الأمبراطور الروماني أوليانوس من أنطاكية إثر انتصاره على زنوبيا، ونفاه إلى "الليريكوم" كما هي سمة الدوغمائية التي تنفي الآخر، وتعتبر المخالف على الباطل المطلق، وأيضا أجبر أتباعه فيما بعد على أن يسلموا بقانون نيقية الذي انعقد في العام ٣٢٥م، وفيه ترسيخ عقيدة أن المسيح "إله من إله"^(٤)، حيث ثقافة التسلط، والرغبة في التحكم في الآخرين، وفرض أفكاره عليهم التي هي إحدى سمات الدوغمائية.

فرقة الموحدين في العصر الحاضر Unitarians

ومما يجدر ذكره وجود طائفة للموحدين في عصرنا الحاضر، وهذه الطائفة اسم لمجموعة دينية ترفض العقيدة المسيحية القديمة المألوفة للكنيسة المسيحية سواء كانت في عصر قديم، أو في عصر ما بعد التجديد.

وقد تأسست هذه الطائفة في القرن السادس عشر الميلادي (١٦م) في المجر ورومانيا وبولندا، وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر (١٨م و١٩م) انتشرت في بريطانيا والولايات المتحدة وغيرها، وهي تؤمن بأن الإله واحد لا شريك له وتتكفر ألوهية عيسى وعقيدة التثليث.

وقد عانت هذه الطائفة من الأذى والاضطهاد والقتل والتشريد والتغريب، فقد حدث في القرن السادس عشر (١٦م) أن أعلن شخص منهم يدعى (ميشال سيرفيتوس) إنكاره للتثليث؛ فقبضوا عليه وأحرقوه عام ١٥٥٣م في جنيف، وهناك آخرون لم يؤمنوا بعقيدة التثليث تم القبض عليهم وإحراقهم في ذلك الحين، فهاجر بعضهم إلى

(١) علي وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٠.

(٢) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة (٣٨٤هـ / ٩٩٤م)، وكان أبوه وزيراً للحاجب المنصور، وبعد سقوط الدولة العامرية نفي إلى (المرية) ثم إلى (بلنسية)، وكان ابن حزم في أول أمره شافعي المذهب ثم أصبح من الظاهرية الذين حملوا لواء الإسلام، وفي النصف الثاني من حياته وضع عدداً ضخماً من المؤلفات التاريخية والفقهية عندما وجد الأمن عند حاكم جزيرة (ميورقة)، توفي عام ٤٥٦هـ انظر: مقدمة كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق د/ محمد نصر، د/ عبد الرحمن عميرة ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل، ج ١، ص ٤٧.

(٤) أديب نصر الدين، ينباع في المسيحية والإسلام، بيروت ١٩٩٤م، ص ١٥٨، نقلاً عن: نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوانل، ص ٧٤.

بولندا، وتأسست فيها كنيسة جديدة سميت الكنيسة الصغيرة المجددة (الإخوان البولنديين)، كما انتشرت هذه الطائفة في ترانسيلفانيا في المجر، وأعلن زعيمها فيرنيس دافيد إنكاره أن تكون الصلاة موجهة إلى عيسى المسيح، فسجنوه ومات في سجنه عام ١٥٧٩م، وفي القرن السابع عشر (١٧م) ترجمت كتب عقائد هذه الطائفة من البولندية إلى الإنجليزية، ونشرت في إنجلترا، وقد تم إحراق نسخ منها علنا في لندن عام ١٦١٥م، وعام ١٦٥٢م، وذلك سمة الدوغمائية في عدم تقبل الآخر وأفكاره.

وقد انتشرت موجة التوحيدية في بريطانيا، وكذا في "أمريكا بين أبناء الطائفة الكالفينية Calvinists المتطهرة وهؤلاء يدعون إلى أن الله وحده خالق العالم ومالكه، وإننا نستطيع أن نعبد جيدا بأن نتحلّى بالأخلاق الفاضلة، وأن عيسى المسيح رسوله".^(١)

"وتأسس في عام ١٨٢٥م اتحاد التوحيدين البريطانيين والأجانب، ولا تزال هذه الطائفة موجودة في بريطانيا، وقد وحد أعضاؤها بعد أن كانوا متفرقين في منظمة سميت الجمعية العمومية لطائفة الموحدين والكنائس الحرة في عام ١٩٢٨م، كما "أسس الأمريكيون في عام ١٩٠٠م الاتحاد الدولي للمسيحية الحرة والحرية الدينية، وفي عام ١٩١٦م توحد التوحيديون والعالميون في كنيسة واحدة وهي: الاتحاد الأمريكي التوحيدي العالمي".^(٢)

ولا شك أن انقسام هؤلاء الموحدين عن جموع أتباع النصرانية في الفترة الأخيرة من تاريخ النصرانية راجع لاكتشافهم ما في النصرانية التي انتهت إليهم من دوغمائيات تناقض العقل والمنطق والفطرة السليمة.

دخول الوثنية على التوحيد

لقد وجدت في القرون الأولى للنصرانية بجوار الموحدين الذين كانت أقوالهم السائدة منتشرة في ربوع المسيحيين، آراء كثيرين ممن دخلوا في المسيحية وفيهم بقايا الوثنية، ولا تزال رؤوسهم مملوءة بما درسوه، ففهموا المسيحية على ضوء ما عرفوه أولاً، واهتضموا المسيحية متمثلة في نفوسهم بما استكن في تلك النفوس من آراء ومعتقدات سابقة^(٣)، لأن الكتب قد عراها ما بيناه في الكلام عليها، واختلط فيها الغث والسمين والطيب بالخبث وضلت العقول، فلم تستطع أن تميز بين الصحيح وغير الصحيح^(٤)، ومن هنا ظهرت الفرق الدوغمائية البعيدة عن المسيحية الحقّة، تلك الفرق كانت تلتزم عقائدها، بما تشتمل عليه من وثنية وأفكار باطلة بعيدة عن الوحي

(١) ملخص ومترجم من (الموسوعة البريطانية) ج١٨، ص ٨٦٠ مادة: Unitarians نقلا عن سارة بنت حامد بن محمد العباوي موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، مكتبة الراشد، الرياض، ط١: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٢١٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٦١.

(٣) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٨٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨٦.

الإلهي وحتى المنطق السليم، معادية كل من يخالفها كما هي سمة الدوغمانية في كل وقت وحين، وهذه الفرق كما يلي:

أتباع مرقيون

"تنسب إلى مرقين أو مرسيون هو من رجال القرن الثاني الميلادي، وكان قسيساً ثم حكم عليه بالطرْد والحرمان، ويقوم مذهبه على الاعتقاد بوجود إلهين ... ومن ثم يقوم هذا المذهب على طرح العهد القديم في جملة وتفصيله، ولا يعترف كذلك بمعظم أسفار العهد الجديد، والأسفار القليلة التي يعترف بها من أسفار هذا العهد هي إنجيل لوقا ورسائل بولس، ولا يعترف بها إلا بعد أن يدخل على نصوصها تغييرات كثيرة تخرجها عن أوضاعها ومدلولاتها الأولى، ويقال أنه كان لهذه الفرقة إنجيل خاص" ^(١)، ولعل هذه الفرقة كانت أولى الفرق الدوغمانية التي التزمت باعتقادات باطلة تخالف عقيدة المسيح في جوهرها التوحيدي.

ولقد قال ابن البطريق في هذه النحلة وأصحابها: "وزعموا أن مرقيون هو رئيس الحواريين، وأنكروا بطرس"، فالمنتحلون لهذه النحلة يزعمون أن مرقيون داعيتها والمنادي بها حوارى من حوارى عيسى عليه السلام، بل كبير الحواريين وشيخهم، والمقدم فيهم ورئيسهم. ^(٢)

وعلى الرغم من الحرب الشعواء التي شنتها الكنيسة على هذا المذهب فقد انتشر، وتبعه خلق كثير في إيطاليا وإفريقيا ومصر، وظل كذلك حتى منتصف القرن الثالث، ثم أخذ يضمحل ولكنه لم ينقرض إلا في حوالي القرن العاشر الميلادي". ^(٣)

البربرانية

فرقة البربرانية كانت تقول إن المسيح وأمه إلهان، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى كلماته في قوله تعالى مبيناً ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة، قال تعالى كلماته: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَإِيمَى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا

^(١) علي وافي، الأسفار المقدس في الأديان السابقة للإسلام، ص ٩٧ - ٩٨.

^(٢) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٨٧.

^(٣) علي وافي، الاسفار المقدسة، ص ٩٨.

أَمَرَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ (١)، ولعل فريقاً منهم كان موجوداً عند نزول القرآن الكريم.

"ومهما يكن من شيء فإن الاتجاه إلى تقديس مريم قد ترك آثاراً ورواسب كثيرة في معظم الفرق المسيحية الباقية، وتتمثل هذه الآثار والرواسب في عدة معتقدات وطقوس وأعياد خاصة بالسيدة مريم تعتقها وتقيمها جميع فرق المسيحيين في الوقت الحاضر باستثناء فرقة البروتستانت". (٢)

الفرق القديمة في عهد التثليث

بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسمياً عن الديانة المسيحية، وإن كان أتباعه أكثر عدداً، وأعز نفراً، ولم تستطع الحكومة الرومانية أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب بالنفي والتشريد بكل ذرائع الأذى والاضطهاد، كنوع من الممارسات الدوغمائية، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد، وفعل الزمن فعله، وتغلبت الظلمة على النور، وأخفى ظلام الليل نور النهار الساطع. وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل ألوهية المسيح في الجملة إن استثنينا مقدونيوس وفرقته.

فرقة مقدونيوس

فرقة مقدونيوس قد أنكرت أن يكون روح القدس إلهاً، وقاومت ما ترمي إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الألوهية، ودعوة الناس إليها، وحثهم على اعتناقها ولعل مقدونيوس هذا كان من الموحدين الذين لا يزالون يعتنقون التوحيد، فهاهنا أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح ويثنون بتأليه الروح القدس؛ فجاهر بإنكار الثاني لأنه لم يعد في قوس الصبر منزوع.

يقول ابن البطريق: "وفي عشر سنين من ملكه (قسطنطين ابن قسطنطين الثاني) صبر مقدونيوس بطيركا على القسطنطينية، وكان يقول: إن روح القدس مخلوق، وأقام عشر سنين ومات".

لكن مقالته لم تمت بموته، بل كان له أشياع وأتباع، وخصوصاً من بين الموحدين الذين لم يزولوا من المملكة الرومانية، وإن أصبحوا في الجملة لا سلطان لهم.

(١) سورة المائدة: ١١٦-١١٧.
(٢) على وافي (الأسفار المقدسة) ص ٩٨ - ٩٩.

لأجل ذلك انعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م، وكان المقرر والمناظر والمجادل في هذا المقام بطيريك الإسكندرية مهد الأفلاطونية الحديثة^(١)، فأصدر دوغمانية تأليه الروح القدس، ولعن وطرد كل من ينكرها.

فرقة النسطوريون

هذه الفرقة تنسب إلى نسطور، وقد كان بطيريك القسطنطينية، وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد إلهاً، بل ولدت فقط الإنسان، وهو بذلك يرى أن الأقتوم الثاني وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقتوم الثاني^(٢)، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الاتحاد اتحاداً حقيقياً، بل اتحاداً مجازياً؛ لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لا شك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم وحوكم وعوقب في زعمهم لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله.

ولما قال نسطور ذلك القول كاتبه كيرلس بطيريك الإسكندرية ويوحنا بطيريك أنطاكية في ذلك الإبان، ليعدل عن رأيه، فلم يصغ إليهما، ولم يجب طلبهما؛ لأنهما لم يكتابه من أجل الحوار والمناقشة، وإنما كاتباه ليعدل عن رأيه فدوغمانيتهما لن تقبل برأي آخر يكون محل حوار ومناقشة.

ولذلك انعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م، وقرر لعنه وطرده، وإثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله، وقد أبعد ذلك نسطور عن منصبه ونفي، فصار إلى مصر، وأقام في أحميم إلى أن مات.^(٣)

فرقة اليعقوبيون

هم أتباع يعقوب البراذعي، وهم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر إله بعنصر إنسان، وتكون من الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والانسوت^(٤)، ونسبة ذلك المذهب إلى يعقوب

(١) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) وقد رد عليهم الشيخ المسعودي بطرق عقلية كثيرة أظهرها ما يلي:

١ - أن يقال: إذا قلتم إن الجوهرين باقيان والأقتومين باقيان، فلا موقع للاتحاد وصار اسماً ساذجاً لا ثمرة له ولا فائدة.

٢ - أن يقال: كون المسيح أقنومين مكذب بالحس وذلك أن الذي يراه كل ذي بصر صحيح من المسيح إنما هو شخص واحد، وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه. ينظر: المسعودي، المنتخب الجليل: ص ١٥٨.

(٣) أبو زهرة محاضرات في النصرانية، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) وحكاية هذا المذهب تكفي بالرد عليه إذ حصلته أن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله فيقال لهم أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللتين صارتا طبيعة واحدة، هل تغيرت كل واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أم لا؟ فإن زعمت فرقة (اليقوبية) أنهما لم يتغيرا فقد نقضوا مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول إن المسيح بعد الاتحاد كهو قبله، وإن زعمت أن الطبيعتين صارتا طبيعة واحدة تركبت من الأوليتين فهذا تصريح بأن هذه الطبيعة لا إله ولا إنسان فلا يوصف المسيح بواحد منهما بل هو شيء آخر عجيب غريب، فإن زعموا أنهما كانتا قبل التركيب كاملتين لم يخرجهما عن الكمال، بل بقي المسيح إلهاً كاملاً وهو بعينه إنسان فقد تحامقوا أو زعموا أن القديم صار بعينه الحادث وأن الزماني صار بعينه الأزلي بمثابة قول القائل: "الحركة هي السكون والسواد هو البياض وذلك مردود، ينظر: المسعودي، المنتخب الجليل: ١٥٢ - ١٥٥.

البرادعي؛ لأنه من أنشط الدعاة إليه، لا لأنه مبتدعه ومنشئه، فإن ذلك المذهب أسبق من يعقوب هذا، فإن أول من أعلنه بطريك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي.

وبسبب ذلك الإعلان انعقد مجمع خليكونية، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية.^(١)

أهم الفرق النصرانية المعاصرة

أولاً: القائلون بالطبيعة الواحدة للمسيح.

هم من أخذوا بقرار مجمع أفسس، وهم الأقباط^(٢) واليعاقبة^(٣) والأرمن^(٤) والأحباش.

ثانياً: القائلون بأن المسيح له طبيعتان.

هم من أخذوا بقرار مجمع خلقيدونية، ويقال لهم الملكانية نسبة إلى الملك وهو الإمبراطور الروماني البيزنطي، والملكانية انقسموا إلى ثلاث طوائف كبار هي:

الطائفة الأولى: الكاثوليك

وهم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما، وكلمة: "الكاثوليك" كلمة لاتينية تعريبها: "العام أو العالمي"^(٥).

والكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه البابا والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية؛ لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل لله، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل أو المناقشة.^(٦)

وأما أبرز ما تختلف فيه الكنيسة الكاثوليكية عن الأرثوذكسية المصرية فهو:

(١) أبو زهرة محاضرات في النصرانية ص ١٩٤.

(٢) الأقباط: الآن هم نصارى مصر، وهم أكثر نصارى العرب عدداً ويفترقون الآن إلى ثلاث فرق، فرقة على القول بالطبيعة الواحدة، ويسمون الأقباط الأرثوذكس، وفرقة تركت هذا القول ووافقت الكاثوليك على قولهم بالطبيعتين، ويسمون الأقباط الكاثوليك، وفرقة وهي أقل عدداً أخذوا بقول البروتستانت. انظر المنجد في اللغة والأعلام ص ٥٤٤. والحسن بن طلال، المسيحية في العالم العربي، مكتبة عمان، الأردن، ١٩٩٥م، ص ١١٤.

(٣) اليعاقبة: هم النصارى السريان وجلهم في العراق وسوريا، ويفترقون إلى ثلاث فرق كالتي يفترق إليها الأقباط.

(٤) الأرمن: هم جاليات قدمت من أرمينية شرق آسيا الصغرى واستوطنت بلاد الرها وأنطاكية، ومنهم جاليات في الشام وينقسمون إلى ثلاث فرق كالتي يفترق إليها الأقباط واليعاقبة. انظر: المسيحية في العالم العربي ص ١١٢.

(٥) منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ١٦.

(٦) محمد فواد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان ص ٤٤، نقلا عن أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٣٩.

- قولهم بأن المسيح له طبيعتان ومشيتان: إلهية وإنسانية، فهو عند الكاثوليك إله تام وإنسان تام، وفيه اتحد الابن بناسوت المسيح.

- الأب والابن وروح القدس هي الأقانيم الأزلية للإله، والمتحد منها بجسد المسيح الإنساني هو الابن فقط.

- روح القدس انبثق من الأب والابن معاً، وهو مساوٍ للأب والابن.

- الأرواح الخاطئة لن تدخل الجنة حتى تتطهر في جحيم صغير في مكانٍ ما من الأرض يسمى: "المطهر" تتطهر به أرواح العصاة، ثم تكون أهلاً لدخول الفردوس.

- صلوات الكهنة ترفع العذاب عن النفوس الخاطئة، ومنه نشأت فكرة صكوك الغفران التي أقرها المجمع الثاني عشر المنعقد عام ١٢١٥م.

- القول بعصمة بابا روما، وبأنه وريث سلطان بطرس الذي دفعه له المسيح (انظر متى ١٦ / ١٩)، وبذلك تسمى أيضاً كنائس الكاثوليك بالكنائس البطرسية.

- تقديس الكنيسة الكاثوليكية مريم، وتسميها (والدة الإله) و (خطيبة الله)، وتخصها ببعض الصلوات والابتهالات.

وتعترف الكنيسة الكاثوليكية بسائر العبادات والطقوس الأرثوذكسية كالتعميد والاعتراف والعشاء الرباني ...، فقد صرح بقانونيتها المجمع التريدينيني عام ١٥٤٧م، ويحيز الكاثوليك عبادة الصور والأيقونات. ^(١)

الطائفة الثانية: الأرثوذكس

وهم أتباع الكنائس الشرقية (اليونانية)، وكلمة "أرثوذكس" كلمة لاتينية معناها: "صحيح أو مستقيم العقيدة" أو "مذهب الحق". ^(٢)

وأبرز معتقدات الكنيسة الأرثوذكسية وفروقها عن الكنائس الأخرى:

- أن الله هو الإله الواحد من جهة جوهره، المثلث من جهة أقانيمه، فالله هو الأب والابن والروح القدس.

- يرى أرثوذكس الكنيسة المرقسية المصرية أن المسيح له مشيئة واحدة وطبيعة واحدة اتحدت فيها الطبيعتان الإلهية والإنسانية في اتحاد عجيب، لا اختلاط فيه ولا تمازج ولا تغيير. يقول (القدّيس) كيرلس الإسكندراني

^(١) انظر: رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢٦١ - ٢٦٢، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، ص ٤٠٣ - ٤٠٦، منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٧ - ١٨.

^(٢) منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، ص ١٣.

الذي قاد الكنيسة في مجمع أفسس ٤٣٠م: "نحن نقرن الطبيعتين بالاتحاد .. نقول: طبيعة واحدة للكلمة المتجسد".^(١)

بينما يرى أرثوذكس روسيا وأوروبا (كنيسة القسطنطينية) أن له طبيعتين ومشيتين كما قرر عام ٤٥١م في مجمع خلقدونية، وهو المجمع الذي رفضت الكنيسة المصرية قراراته، في حين أن الكنائس الأرثوذكسية الرومية القائلة بالطبيعتين قبلته متفقة مع الكنيسة الكاثوليكية.

- يؤمن النصارى الأرثوذكس أن روح القدس انبثق من الأب فقط.

- يؤمن النصارى الأرثوذكس بأسرار الكنيسة السبعة (المعمودية - الميرون المقدس - القربان المقدس - الاعتراف - مسحة المرضى - الزواج - الكهنوت).^(٢)

الطائفة الثالثة: البروتستانت ويسمون الإنجيليين

وهم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وكلمة "بروتستانت" كلمة إنجليزية معناها: المحتجون. وقد انشق البروتستانت عن الكنيسة الكاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر وبعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة التي زكمت منها الأنوف.^(٣)

وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها.

وأهم ما يتميز به أتباع هذه النحلة هو:

١- أن صكوك الغفران دجل وكذب، وأن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة.

٢- أن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفا على الكنيسة.

٣- تحريم الصور والتماثيل في الكنائس؛ لأنها مظهر من مظاهر الوثنية.

٤- منع الرهبنة.

٥- إن العشاء الرباني تذكّار لما حل بالمسيح من الصلب في زعمهم، وأنكروا أن يتحول الخبز والخمر إلى لحم ودم المسيح عليه السلام.

^(١) القمص غبريال عبد المسيح، الرأي الصريح في طبيعة ومشينة المسيح، ص ٦٠.

^(٢) انظر: رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢٦١، ومجد ضياء الرحمن الأعظمي، اليهودية والمسيحية، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

^(٣) منقذ بن محمود السقار، الله ﷻ واحد أم ثلاثة، ص ١٨.

٦- ليس لكنائسهم رئيس عام يتبعون قوله.

وهذه النحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية^(١).

والصراع عنيف بين هذه المذاهب في العصر الحاضر كما كان في الماضي، فقد اعتبر الصليبيون الكاثوليك المسيحيين المصريين كفرًا وملاحدة، ومنعواهم من الحج للقدس؛ لأنهم أرثوذكس^(٢)، وقد ساد هذا الاتجاه جميع المذاهب المسيحية، فكتاب القسطاس^(٣) البروتستانتية يهاجم الكاثوليكية بعنف وكتاب الصخرة الأرثوذكسية يفند تعاليم كل من الكاثوليكية والبروتستانتية، ولو صدقنا هذه الكتب التي دونها قادة مسيحيون لانتبهنا إلى نتيجة حاسمة هي بطلان كل هذه المذاهب والقضاء على المسيحية كلها وقد مر أمد طويل وفي إيرلندا بالمملكة المتحدة صراع دموي بسبب الانتماء إلى مذاهب مسيحية مختلفة، وكل هذه الفرق والانقسام راجع إلى تلك الدوغماتيات التي سيطرت على فكر وسلوك أتباع النصرانية في العصر القديم والحديث.

(١) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ص ١٨٠، ١٦٤، ١٦١، رؤوف شلبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢٥٧ - ٢٦٢ ودراسات في اليهودية والنصرانية، ط ٤، ص ٣٧٣ - ٣٧٦.

(٢) أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٤٢.

(٣) انظر كتاب القسطاس لبروتستانتية، وكتاب الصخرة الأرثوذكسية لحبيب جرجس.

المبحث الثاني

الطغيان الكنسي

مدخل

منذ أن ظهر إلى الوجود ما يسمى المسيحية الرسمية (الدوغمائية) في مجمع نيقية عام (٣٢٥م)، والكنيسة تمارس الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صورته، وفرضت بطغيانها هذا عقيدة التثليث قهراً، وحرمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين، وأذاقتهم صنوف التعذيب وألوان النكال، ونصبت نفسها عن طريق المجامع المقدسة "إلهاً" يحل ويحرم، ينسخ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي، كائناً من كان، وإلا فالحرمان مصيره، واللجنة عقوبته؛ لأنه كافر "مهرطق".

لقد اشتد ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين، وبالغت في فرض آرائها الدوغمائية عليهم بمبالغة تجاوزت حد الغلو، فجعلت كل رأي في العلوم الكونية يخالف رأيها كفراً، فهذا المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة وهو المجمع المسمى باللاتيراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥م يقرر استئصال الهرطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأياً مخالفاً للكنيسة، ولو كان رأياً في الكون أو طبائع الأشياء^(١).

كما أن هناك أموراً كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطان، أو ترى في ذلك حرجاً، وأضافت الكنيسة إلى لغز "الثالوث" عقائد وآراء أخرى تحكم البديهة باستحالتها، ولكن لا مناص من الإيمان بها والإقرار بشرعيتها على الصورة التي توافق هوى الكنيسة، كقضية الاستحالة في العشاء الرباني وعقيدة الخطيئة الموروثة وعقيدة الصلب، كل هذا فرضته على الأتباع بحجة واحدة: هي أنها أسرار عليا لا يجوز الخوض فيها أو الشك في صحتها، ولم يسمحوا بأية مناقشة فيها كما هي سمة الدوغمائية، فكانوا لا يحتملون أسئلة، ولا يتسامحون في مخالفة، لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم، بل لأنهم دوغمائيين، وقد تعددت مظاهر الطغيان الكنسي وتعددت صورته التي كانت أثراً للدوغمائيات التي أعتنقتها الكنيسة وأضلت بها الأتباع، وإن التاريخ ليفيض في الحديث عن طغيان الكنيسة ويقدم نماذج حية له في كل شأن من الشئون فقد كان الختان واجباً فأصبح حراماً، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة، وكانت التماثيل شركاً ووثنية فأصبحت تعبيراً عن التقوى، وكان زواج رجال الدين حلالاً فأصبح محظوراً، وكان أخذ الأموال من الأتباع منكراً فأصبحت الضرائب الكنسية فرضاً لازماً، وأمورٌ كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطان، أو ترى في ذلك حرجاً^(٢)، ومن مظاهر هذا الطغيان ما يلي:-

(١) ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٧، وروؤف شلبي أضواء على المسيحية، ص ١٢٨
(٢) ينظر: سفر بن عبد الرحمن الحولي، العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، رسالة دكتوراه، دار الهجرة ص ١٢٨.

استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة

إن الاضطهاد البالغ الذي تعرض له أتباع السيد المسيح -عليه السلام- من بعده، ذلك الاضطهاد الذي أدى إلى تحول الدعوة المسيحية إلى دعوة سرية، فلم يكن الدعاة يسمحون للأتباع بتمليك النسخ أو يطلعونهم عليها خشيةً على أنفسهم وعلى الكتب أيضاً، كل ذلك أدى إلى انحصار المصادر الدينية للمسيحية في أيدي فئة قليلة من الناس، واقتصار حق شرحها وتأويلها عليهم وحدهم، فلما انقضت عصور الاضطهاد واعتنقت الدولة الرومانية الدين الكنسي، احتفظ رجال الكنيسة بحق قراءة وشرح الكتب المقدسة، فظلت مصادر الدين الكنسي حكراً عليهم، لا تقع عليها يد لباحث أو ناقد من غير رجال الدين، وكان باستطاعة الكنيسة أن تقرض كل شيء باسم الإنجيل وهي آمنة من أن أحداً لن يقوم حيالها بأدنى معارضة.

وما دامت مصادر الديانة غير مكشوفة فكيف يعرف الناس مقدار صدق رجال الدين فيما يقولون عن الله؟! وكيف يمكنهم مناقشة الكنيسة فيما تمليه من عقائد وتشريع؟! لم يكن أمامهم إلا التسليم المطلق والطاعة العمياء.^(١)

فقد احتجرت الكنيسة لنفسها الحق في فهم الكتب المقدسة، واستبدت بتفسيرها دون سائر الناس ولا معقب لما تقول في هذا التفسير، أو في رأي تبديه، أو أمر تعلنه، وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول سواء وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستخ عقله قولاً قالته أو مبدأ دينياً أعلنته أن يروض عقله على قبوله، فإن لم يستطع، فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول البابا.^(٢)

حقوق الحرمان والغفران

عززت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله، مثل حق الغفران وحق الحرمان، ولم تتردد في استعمال هذه الحقوق واستغلالها.

أولاً : حق الحرمان

وهو عقوبة معنوية بالغة كانت شجراً مخيفاً للأفراد والشعوب في آن واحد، فأما الذين تعرضوا له من الأفراد فلا حصر لهم، منهم الملوك أمثال "فرديريك" وهنري الرابع الألماني، وهنري الثاني الإنجليزي، ورجال الدين المخالفين من آريوس حتى لوثر، والعلماء والباحثون المخالفون لآراء الكنيسة من "برونو" إلى "أرنست رينان" وأضرابه.

(١) سفر بن عبد الرحمن الحولي، العلمانية - نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) راجع: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر، ط ٣، ص ١٧٠، ورووف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١٢٩، وأحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٥٤.

وأما الحرمان الجماعي فقد تعرض له البريطانيون عندما حصل خلاف بين الملك يوحنا ملك الإنجليز وبين البابا، فحرمه البابا وحرّم أمته، فعطلت الكنائس من الصلاة، ومنعت عقود الزواج وحملت الجثث إلى القبور بلا صلاة، وعاش الناس حالة من الهيجان والاضطراب حتى عاد يوحنا صاعراً يقر بخطيئته ويطلب الغفران من البابا، ولما رأى البابا ذله وصدق توبته رفع الحرم عنه وعن الأمة.^(١)

ثانياً: حق الغفران

أما بالنسبة لحق الغفران فإن الأساس الذي انبثقت عنه هذه البدعة هو الفكرة الوثنية التي ادعاها رجال الدين (فكرة القداسة)، وعن تقديس رجال الدين نشأت فكرة الاستشفاع بهم لدى الله لمغفرة الخطايا، فنتج عن ذلك أن تقرر (مبدأ التوسط بين الله والخلق)، وفي الوقت الذي كان رجل الدين فيه يتقبل الاعتراف لم يكن ليُدعي حق المغفرة من نفسه؛ لكن المسيح -بزعمه- يغفر لمن أقر بذنبه بين يدي أحد أتباع كنيسته التي أورثها سلطانه وفرض لها السيادة على العالمين.^(٢)

ثم عقد المجمع الثاني عشر المعروف باسم مجمع لاتيران سنة (١٢١٥م) ونجح هذا المجمع في إقرار مسألتين كان لهما أثر بالغ على المسيحية في القرون التالية هما:
مسألة الاستحالة^(٣)، ومسألة امتلاك الكنيسة حق الغفران للمذنبين.

ثم أتى حين من الدهر من بعد أن أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق، أن أفرطوا في إعطائه إفراطاً شديداً وأنشأوا له صكوكاً تباع وتشتري، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا، ومتعة من متعتها، وبذل العصاة في سبيلها المال وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ما شأؤوا من الموبقات، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاص، مادام ذلك يفتدى بمال قل أو جل، وهذا نص صك الغفران الذي يباع ببيع السلعة.

(١) ينظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية - نشأتها وتطورها، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١١١ - ١١٢.

(٣) "مسألة الاستحالة الأساس فيها أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزاً ويشربون خمرًا، ويسمون ذلك العشاء الرباني، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل إلى جسد المسيح، وذلك الخمر يستحيل إلى دم المسيح المسفوك فمن أكلها وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه، وذلك أمر غريب في العقل، لا يستطيع أن يستسيغه أحد ببسر وسهولة، بل لا يستطيع أن يستسيغه قط، إذ كيف يتحول الخبز لحماً، وكيف يصير لحد شخص معين معروف. وكيف يتحول الخمر دماً. وتصير دم شخص معين معروف؟ ذلك غريب. بل مستحيل التصور والقبول في العقل، ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبوله ومنعتهم من مناقشته، وإلا عرضوا للطرد والحرمان، وقد قام برنجار Berenegar رئيس شمامسة تور حوالي عام ١٠٥٤م وجهر بارتياحه في تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، فكان جزاؤه الحرمان من الدين.

راجع: ول ديورنت قصة الحضارة، ج ١٦، ص ١٨ - ١٩ أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر، ط ٣، ص ١٧٠-١٧١، ورؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١٢٩.

صورة من صك الغفران:

"ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحك باستحقاقات آلامه الكلية القداسة، وأنا بالسلطان الرسولي المعطي لي أهلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا، والكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقدار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخُطاة إلى محل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة، حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الأب والابن والروح القدس".^(١)

فإذا ما تسلم المشتري صك غفرانه ودسه في محفظته فقد أبيح له كل محظور وحل له كل حرام: ماذا عليه لو زنى وسرق وقتل، بل لو جدف وألحد وكفر ما دام الصك رهن يده؟ أليس المسيح هو الذي منحه إياه، والمسيح هو الذي يدين ويحاسب؟ أترأه متناقضاً إلى هذا الحد: يمنح الناس المغفرة ثم يحاسبهم على الذنوب؟، ليس المسيح هو المتناقض وإنما عقائدهم الدوغمائية هي المتناقضة

تلك هي المهزلة أو جانب منها، فمن أين جاءت بها الكنيسة إذا كانت الأناجيل والرسائل خالية مما يدعمها أو يدل عليها؟^(٢) لابد أنها من هوى رجال الكنيسة ورغبتهم في التسلط على أتباعهم.

وقد نتج عن هذا الحق في الغفران أن ارتفعت منزلة رجال الدين في نظر السذج والجهلة بعد أن منحهم المسيح هذه الموهبة العظيمة، إذ قد آمن الناس - ملوكاً وصعاليك - بحق الغفران، فقد سهل عليهم أن يؤمنوا بمقابلة حق الحرمان، ولم يزدادوا طمعاً في ذاك إلا وازدادوا رهبة لهذا.

ومن الوجهة المادية أثرت الكنيسة من عملية بيع الصكوك ثراء فاحشاً، حتى أصبحت بحق أغنى طبقات المجتمع الأوروبي آنذاك بما تكسب في خزائنها من أموال وتدفق عليها من عطايا وهبات.

^(١) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٧٢.

^(٢) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها، ص ١١١.

أما من الوجهة السياسية قويت الكنيسة، وتدعمت سلطتها بالجحافل البربرية التي تطوعت للقتال في سبيلها من أجل الحصول على الغفران، وبالمقابل انخفضت سلطة الملوك الذين كانوا جنوداً للكنيسة بأنفسهم في الحروب الصليبية، إلا من تردد منهم أو حاول التملص من قبضتها، فعوقب بالحرمان كما حدث لفريديريك الثاني^(١)، كما عرضت صكوك الغفران نفسها على من يتطوعون لمحاربة المارقين الألبنسيين في فرنسا، ويقول ويقول ماثيو باريس Mathew Paris في التعليق على هذا العمل: "ودهش المؤمنون من أن يعد البابوات بغفران جميع خطايا من يسفكون دماء المسيحيين، كما تغفر جميع خطايا من يسفكون دماء الكفار"^(٢).

وكان الخيار الصعب أمام الإنسان الأوروبي هو: إما أن يؤمن بصكوك الغفران فيحكم على نفسه تلقائياً بالجمود (الدوغمائية) والغباء والرجعية المتناهية، وإما أن يكفر بها فيلزمه الكفر بالإطار الذي يحويها بكامله، إطار الدين والغيبيات، لا سيما الآخرة.^(٣)

فرض سلطتها على الملوك

لقد كان البابا لا سلطان لأحد من ولادة الأمر عليه، وقد تقرر هذا من بعد ما صار تعيين البابوات باختيار المجامع، لا بتعيين ملك أو أمير، مهما تكن قوته وسطوته، وصار البابوات بعد تعيينهم غير خاضعين بأي نوع من أنواع الخضوع لأي ملك من الملوك، وعلى النقيض من ذلك لهم هم السلطان الذي لا يرد على كل مسيحي؛ لأن البابا خليفة لبطرس الرسول وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيساً على الحواريين من بعده، فالبابا على هذا الأساس خليفة للمسيح ينطق باسمه، ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه، ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح، وحارب دينه.^(٤)

"جاء في البيان الذي أعلنه البابا "نقولا الأول" قوله: "إن ابن الله أنشأ الكنيسة: بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، وأن أساقفة روما ورثوا بطرس في تسلسل مستمر متصل ... (ولذلك) فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين، حكاماً كانوا أو محكومين"^(٥).

(١) راجع، جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ٤، ص ٣٨ - ٢٩، وسفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها، ص ١١٦ - ١١٧، وأحمد عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط ١: ٢٠٠٤م، ص ٥٥.

(٢) قصة الحضارة، ج ١٥، ص ٦٦.

(٣) سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها، ص ١٢٠.

(٤) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٦٨-١٦٩.

(٥) قصة الحضارة، ج ١٤، ص ٣٥٢.

أما البابا الطاغية "جريجوري السابع" فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها نظاماً إلهياً خليفة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية، ومن حق البابا وواجبه - بصفته خليفة الله في أرضه - أن يخلع الملوك غير الصالحين، وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام أو تنصيبهم، حسب مقتضيات الأحوال".^(١)

إن النصر ظل حليف الكنيسة طيلة القرون الوسطى، بسبب سلطتها الروحية البالغة وهيكلها التنظيمي الدقيق واستبدادها المطلق، ولذلك فقد كان البابوات هم الذين يتولون تنصيب الملوك والأباطرة، كما كان في إمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ولم يكن باستطاعة أحد الانفلات من ذلك، ومن رفض الرضوخ فإن حكمه غير شرعي، ومن حق البابوية أن تعلن الحرب الصليبية عليه وتحرم أمته، ولا يعوزنا الاستشهاد على ذلك من التاريخ الأوروبي، فالأمثلة فيه كثيرة، ولعل خير مثال لذلك حادثة الامبراطور الألماني "هنري الرابع" المشهورة مع البابا جريجوري السابع، وذلك أن خلافاً نشب بينهما حول مسألة "التعيينات" أو ما يسمى "التقليد العلماني" فحاول الامبراطور أن يخلع البابا، ورد البابا بخلع الامبراطور، وحرمه وأحل أتباعه والأمراء من ولائهم له وألبهم عليه، فعقد الأمراء مجعاً قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا إلى ألمانيا؛ فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد، فوجد الإمبراطور نفسه كالأجرب بين رعيته، ولم يكن في وسعه أن ينتظر وصول البابا فضرب بكبريائه عرض الحائط، واستجمع شجاعته وسافر مجتازاً جبال الألب والشتاء على أشده، يبتغي المثل بين يدي البابا بمرتفعات كانوسا في تسكانيا، وظل واقفاً في الثلج في فناء القلعة ثلاثة أيام، وهو في لباس الرهبان متدثراً بالخيش حافي القدمين عاري الرأس، يحمل عكازة مظهرًا كل علامات الندم وأمارات التوبة، حتى تمكن من الظفر بالمغفرة والحصول على رضا البابا العظيم.^(٢)

وقد جاء في كتاب سوسنة سليمان: "المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة ١٢٤٥م بأمر البابا اينوسنت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمانه، وهذا المجمع لم تسلم كنيسة فرنسا حتى الآن بصحته أو بسلطانه مطلقاً"، فلم ينج إذن الملوك من قرارات الحرمان والطرده، وإن لذلك أثره في نفوس شعوبهم، كما إنه يحفز الملوك على العمل من جانبهم على حماية أنفسهم، وهم في ذلك لا يتمنعون عن أن يثيروا القالة في رجال الكهنوت، ويكبروا صغائرهم، ويروجوا عنهم ما يحط من قداساتهم، حتى ينفردوا بالاحترام، ولا يكون سلطان لأحد غيرهم.^(٣)

(١) سفر الحوالي، العلمانية - نشأتها وتطورها، ص ١٣٥.

(٢) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ٤، ص ٢٧، سفر الحوالي، العلمانية - نشأتها وتطورها، ١٣٦-١٣٧.

(٣) أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الفكر، ط ٣، ص ١٦٩.

كان مجلس (لاتران) المنعقد برياسة نقولاس الثاني وهلدبراند^(١) في عام ١٠٥٩م قد حرم من حظيرة الدين كل قس يحتفظ بزوجة أو سرية، ونهى المسيحيين عن حضور القداس الذي يقيمهم قس يعرفون أنه يحتفظ بامرأة في بيته، وأرسل جريجوري هذه القرارات إلى جميع أساقفة أوربا ومعها أمر صارم لهم بإذاعتها وتنفيذها بالقوة، وأباح لعامة الشعب ألا يطيعوا أمر من يخالفها من القساوسة. وكان لهذه الأوامر هي الأخرى رد فعل عنيف، فأعلن كثيرون من القساوسة أنهم يفضلون التخلي عن مناصبهم على التخلي عن أزواجهم، وعارض غيرهم في تنفيذ القرارات؛ لأنها تفرض على الطبيعة البشرية قيوداً لا يقبلها العقل السليم، وتتنبأ بأن تنفيذها سينشر الاختلاط الجنسي السري، وأعلن (أتو) أسقف كنستانس بأن يحبذ آراء قساوسته المتزوجين ويحميهم من العدوان، فما كان من جريجوري إلا أن أصدر قراراً بحرمانه، وأعفى رعاياه من إطاعة أوامره، وخطا جريجوري خطوة أخرى في عام ١٠٧٥م فأمر أدواق سوابيا وكارنثيا وغيرهم من الأمراء أن يلجأوا إلى القوة إذا دعت الضرورة؛ لمنع من يقاومون أوامره من القساوسة من أداء واجبات مناصبهم، وبإطاعة عدد من الأمراء الألمان، حرم كثيرون من القساوسة الذين أبوا أن يتخلوا عن أزواجهم من مناصبهم.^(٢)

لا غرابة وتلك حال أعلى طبقات رجال الدين أن تنتشر الرذيلة وينتشر الشذوذ باختلاف أنواعه بين طوائف الرهبان المنتظمة وبين القساوسة من غير الرهبان وأن يزداد هذا الانتشار يوماً بعد يوم. قصارى القول أن الفضيلة قد فقدت معناها على وجه الأرض.

ويجدر بنا أن نقول إنصافاً لهؤلاء القساوسة غير المتعفين أن التسري الشائع بينهم لم يكن يعد دعارة بل إنه يكاد يكون تمرداً عاماً على قانون العزوبة التي فرضها البابا جريجوري السابع (١٠٧٤م) على رجال الدين، وأرغمهم عليها إرغاماً، وهي سنة مرهقة لا تطيقها الطبيعة البشرية، ولم تكن عند الحواريين الأولين، ولا تجري عليها الكنيسة الشرقية.^(٣)

^(١) جريجوري السابع هلدبراند (١٠٧٣ - ١٠٨٥) وقد ولد من أبوين ينتميان إلى أسرة وضيعة في قرية سوفانو Sovano الواقعة في مستنقعات تسكانيا (١٠٢٣م)، وتلقى تعليمه في دير سانت ماري القائم على تل الأفنتين في روما، ثم انضم إلى طائفة الرهبان البندكتيين. ولما ارتقى نقولاس عرش البابوية في عام ١٠٥٩م، وكان أكبر الفضل في ارتقائه إياه راجعاً إلى نفوذ هلدبراند نفسه، عين هذا الراهب الذي لا غنى عنه وزيراً للبابا مع أنه لم يكن قد أصبح قساً.

ورفع هلدبراند في عام ١٠٧٣م إلى عرش البابوية. ينظر: قصة الحضارة، ج ١٤، ص ٣٩٣.

^(٢) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١٤، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

^(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ٢٢، ص ٤٧ - ٤٨.

الحروب الصليبية

إن الكنيسة طبقت عملياً ما يثبت إصرارها على الطغيان، وحشدت الجيوش الجرارة؛ لمحاربة من سولت له نفسه مخالفة آرائها أو اعتنق ما يخالف عقيدتها، ولا نعني بذلك المسلمين أو اليهود، بل الطوائف النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة في قضية من قضايا العقيدة أو الشريعة.

ومن أوضح الشواهد على ذلك في العصور الوسطى ما تعرض له "الكاثاريون" و "الوالدونيون" الذين لم يتخلوا عن الدين، بل كانوا يطالبون بحياة مسيحية حقيقية، تستمد مقوماتها من الكتاب المقدس نفسه، وأنكروا على الكنيسة ثراءها ودينويتها، ومع ذلك فقد أعلنت الكنيسة الحرب عليهم،^(١) وحرّض البابا "أنوسنت" كما يقول ويلز: على حرب صليبية ضد هذه الشيع، وأذن لكل نذل زنيم أو متشرد أثيم أن ينضم إلى الجيش وأن يعمل السيف والنار واغتصاب الحرائر، ويرتكب كل ما يمكن أن يتصوره العقل من أنواع انتهاك الحرمات، ويعلق المؤرخ الإنجليزي على ذلك بقوله:

"القصص التي تروى عن هذه الحروب الصليبية تحكي لنا من أضرب القساوة والنكال البشع ما يتضاءل إزاء بشاعته قصة استشهاد المسيحيين على أيدي الوثنيين، وهي فوق هذا تسبب لنا رعباً مضاعفاً لما هو عليه من صحة لا سبيل إلى الشك فيها، كان هذا التعصب الأسود القاسي روحاً خبيثاً ... يتعارض تماماً مع روح يسوع الناصري، فما سمعنا أنه لطم الوجوه أو خلع المعاصم لتلاميذه المخالفين له، ولكن البابوات كانوا طوال قرون سلطانهم في حق مقيم ضد من تحدثه نفسه بأهون تأمل في كفاية الكنيسة الذهنية"^(٢).

محاكم التفتيش

إن منشأ محاكم التفتيش يرجع إلى ما سنه كتاب العهد القديم من قانون لمعاملة المارقين من الدين يقضي بأن يفحص عنهم فحصاً دقيقاً، فإذا شهد ثلاثة شهود عدول بأنهم ذهبوا وراء آلهة أخرى أخرج المارقون من المدينة ورجموا بالحجارة حتى يموتوا^(٣).

"إذا قام في وسطك نبي أو حالم وأعطاك آية أو أعجوبة، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمك عنها قائلاً لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها، فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم، لأن الرب إلهكم يمتحنهم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم ... وذلك النبي أو الحالم ذلك

(١) سفر الحوالي، العلمانية - نشأتها وتطورها، ص ١٣٠.

(٢) ولز، معالم تاريخ الإنسانية ج ٣، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٣) ينظر: الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، (الإصحاح ١٣، فقرة: ١٠).

الحلم يقتل لأنه يتكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم ... فتنزعون الشر من بينكم. وإذا أغواك سراً أخوك بن أمك، أو ابنك أو ابنتك، امرأة حزنك، أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا أبائك ... فلا ترض منه ولا تسمع له، ولا تشفق عينك عليه، ولا تستره بل قتلاً تقتله.^(١)

وقد ورد إنجيل يوحنا أن عيسى - عليه السلام - ارتضى هذا القول: "إن كان أحد لا يثبت في يطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق".^(٢)

وكانت قوانين اليونان ترى المروق من الدين - أي الامتناع عن عبادة الآلهة اليونانية - جريمة كبرى يعاقب عليها بالإعدام، وهذا هو القانون الذي حكم به على سقراط بالموت، وفي روما القديمة حيث كان الآلهة حلفاء الدولة وأصدقاءها الأوفياء، كان الخروج عليهم من جرائم الخيانة العظمى التي يعاقب عليها بالإعدام. فإذا لم يوجد من يتقدم باتهام المذنب، استدعى القاضي الروماني نفسه هذا المتهم، وقام بتحقيق القضية ومن هذا الإجراء أخذت محكمة التفتيش أو التحقيق في العصور الوسطى شكلها واسمها.^(٣)

ولقد كان من المبادئ العامة لدى المسيحيين أن الكنيسة قد أقامها ابن الله، وتبعا لهذا المبدأ كان كل هجوم على المذهب الكاثوليكي جريمة موجهة إلى الله نفسه، وكانت النظرة التي ينظر بها إلى الضال العاصي هي أنه أداة للشيطان أرسل للقضاء على عمل المسيح.^(٤)

وكان أشد قوانين الاضطهاد هو القانون الذي سنه فردريك الثاني فيما بين عامي ١٢٢٠م و١٢٣٩م، وقضى بأن يسلم الضالون الذين تحكم عليهم الكنيسة إلى "اليد الزمنية - أي إلى ولاية الأمور المحليين - وأن يحرقوا أحياء، فإذا ما رجعوا عن ضلالهم نجوا من الموت وحكم عليهم بالسجن مدى الحياة، ثم صودرت جميع أملاكهم، وحرمت ورثتهم من ميراثهم، وظل أبنائهم محرومين من حق الاختيار إلى أي منصب ذي دخل أو كرامة، إلا إذا كفروا عن ذنب آبائهم بالتبليغ عن غيرهم من الضالين. وقضى القانون بأن تحرق بيوت الضالين ولا يعاد بناؤها قط.

وفي عام ١١٨٣م "بعث الكونت فليب صاحب فلاندرز هو ورئيس أساقفة ريمس "عدداً كبيراً من النبلاء، ورجال الدين، والفرسان، والفلاحين، والفتيات، والنساء المتزوجات، والأرامل إلى حيث أحرقوا وهم أحياء بعد أن صادرا أملاكهم واقتسماها بينهما"^(١).

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر التثنية، (الإصحاح ١٣، فقرة: ٩-١).

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد إنجيل يوحنا (الإصحاح ١٥، فقر: ٦).

(٣) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١٦، ص ٩٠-٩١.

(٤) المصدر السابق، ج ١٦، ص ٩١-٩٢.

وكان القانون الروماني القديم يجيز الالتجاء إلى التعذيب؛ للحصول على الاعتراف، ولم تكن هذه الطريقة تتبع في المحاكم الأسقفية، أو في السنين العشرين الأولى من سني محاكم التحقيق، غير أن إنوسنت الرابع (١٢٥٢م) أجازها حيث يكون القضاة واثقين من جرم المتهم، ثم أجازها من جاء بعده من الأحرار، وكان هذا الإجراء كله من حكم وتنفيذ يطلق عليه في أسبانيا اسم "عمل الإيمان"؛ لأنه كان يقصد به أن يقوى عقائد الشعب الصحيحة، ويؤيد الإيمان بالكنيسة..^(٢)

وهكذا ظهرت فكرة محاكم التفتيش في القرن الثالث عشر الميلادي مع تزايد غطرسة الكنيسة الكاثوليكية واجتهادها في مراقبة ضمائرها الناس في الدول التي كانت تحت سيطرتها، فكان بابا روما يكلف بعض الأساقفة بتعقب من كانت أفكاره مخالفة لتعاليم الكنيسة، وطبق هذا النظام في البداية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا حيث كان يتجول مندوبو البابا في أنحاء البلاد لتقصي أخبار الناس واتهام كل مخالف بالكفر، ثم القبض عليه ومعاقبته.

وهكذا تابعت محاكم التفتيش الكاثوليكية في كل أنحاء أوروبا المذاهب غير الكاثوليكية مثل الألبين واليهود، ثم أخذت تطارد كل من ظهرت عليه بوادر الشك في العقيدة الكاثوليكية حسب قرارات الكنيسة المتغيرة، فطورد العلماء والمفكرون، وشرذ وأحرق جم غفير ممن اتهموا بالسحر والعرافة.

وهكذا ابتدأ الاضطهاد الكنسي ضد اليهود المتتصرين فأحرق منهم الجم الغفير قبل سقوط غرناطة.^(٣)

فقد أقيمت محارق عدّة في الميادين العامة بالمدن الكبيرة، وكانت تُنظَّم لها مهرجانات واحتفالات، يشهدها الأحرار وأبناء الكنيسة والملوك أحياناً، كأنها أعياد يَطْرَبُ لها الناس، ولا يَجِدُونَ في مناظرها ما يدعُو إلى الصّيق والاشمئزاز^(٤).

وإذا وزنا بين اضطهاد المسيحيين للضالين في أوروبا من عام ١٢٢٧م إلى عام ١٤٩٢م، وبين اضطهاد الرومان للمسيحيين في الثلاثة القرون الأولى بعد المسيح، حكمنا من فورنا بأن هذا أخف وطأة وأكثر رحمة من ذلك..^(٥)

(١) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١٦، ص ٩٤.

(٢) قصة الحضارة، ج ١٦، ص ١٠٠-١٠٢.

(٣) علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ط ١، ص ٦٥-٦٧.

(٤) توفيق الطويل، الاضطهاد الديني في المسيحية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ص ٤٠.

(٥) ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١٦، ص ١٠٦.

لقد احتجبت مملكة الرب التي دعا إليها يسوع الناصري إذ وقعت الكنيسة في معمران هذا التطاحن الذي لا مفر منه بين هذه المتفارقات المتناقضة، واضطرت أن تصبح اعتقادية (دوغمائية) تأخذ بالمذهب الاعتقادي الحتمي، ذلك أنها حين يئست من بلوغ حلول أخرى لخلافاتها الفكرية التجأت إلى الاستبداد التعسفي.

فأصبح قساوستها وأساقفتها على التدرج رجالا مكيفين وفق مذاهب واعتقادات حتمية وإجراءات مقررة وثابتة؛ حتى إذا ما آن أوان توليتهم منصب الكرادلة أو البابوات إذا بهم في العادة كهول قد ألفوا من الكفاح السياسي ذلك الضرب الذي يقصد إلى غاية مباشرة، ولم يعودوا أهلا لقبول آراء رحيبة يشمل أفقها العالم بأسره، ولم تعد لهم بعد رغبة في رؤية مملكة الرب موطدة في قلوب الناس، فقد نسوا ذلك الأمر وأصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم هم، متسلطة على شئون البشر.

المبحث الثالث

حركات النقد والإصلاح الديني

مدخل

إن طغيان الكنيسة، ودوغمائية عقائدها، وحال رجالها، الذين يتدخلون في كل شيء، ينقبون عن القلوب، وقد سترها علام الغيوب، ويبرهقون من يتهمونهم بأقصى أنواع العذاب، ويفرضون سلطانهم على الراعي والرعية، حتى تململ من تحكمهم الملوك والأمراء، وذوو الفكر من الشعوب، فقد كانوا يجبون الإتاوات ويفرضون الضرائب حتى كأنهم في الحياة العشارون لا رجال الدين المهذبون، ويعطون أنفسهم حق مسح الخطايا بعد اعتراف المذنب في آخر أيامه في الدنيا، وأول أيامه في الآخرة، ثم يغالون، فيمنحون أنفسهم حق غفران الذنوب السابقة واللاحقة للقوي الصحيح، ويكتبون في ذلك صكوكاً يبيعونها بثمن قليل أو كثير كل ذلك جعل الأنظار المتربصة تحصي على رجال الدين ما يفعلون ووجد من بينهم من استكروا حالهم، وأخذوا يدعون زملاءهم إلى إصلاح حالهم.^(١) وفي هذا المبحث سوف أعرض أثر الدوغمائية عند النصارى في ظهور حركات النقد والإصلاح الديني.

حركات نقد الكنيس

إن أول خطوة في طريق تحرير العقل الأوروبي من سطوة الكنيسة وسيطرتها الدوغمائية كانت تتمثل في شجاعة بعض المفكرين وجراتهم في توجيه النقد للبابوية أو لرجال الدين المسيحي بوجه، واستنكارهم لما تقوم به الكنيسة من أعمال وأنشطة، وكانت تكمن أسباب نقدهم في عدة أمور، نذكر بعضها فيما يلي:

١- تدهور المستويات الأخلاقية، ونقشي حالات الفساد والانحطاط بين رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى - فقد عم الانحطاط وساد - كما يقول الكاتب المسيحي جاد المنفلوطي: "ودب في الحياة دبيب الفساد من هامة الرأس إلى باطن القدم، وأصبحت الكنيسة مريضة وموسومة بسمة الانحطاط الخلقي، لا فرق بين قائد ومقود، الجميع زاغوا وفسدوا معاً".^(٢)

٢. استغلال رجال الدين لنفوذهم بفرض ضرائب على رعايا الكنيسة، وجمعهم الأموال بالطرق غير المشروعة.

٣. طبيعة المعتقدات المسيحية ودوغمائيتها ومخالفاتها أو مناقضتها للعقل البشري، كعقيدة التثليث وطبيعة المسيح والتجسد والاستحالة وغيرها.

(١) ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) ينظر: جاد المنفلوطي، تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، ص ٣٦.

٤. كما كان رجال الكنيسة يضيقون ذرعًا بأي رأي مخالف لهم؛ وأي فكر مناقض لأفكارهم.

فيتضح أن تعصب رجال الدين واستبدادهم بالرأي، وبغضهم لكل فكر مخالف، ومقتهم العلماء إلى غير ذلك من سماتهم الدوغمائية كان من أهم أسباب نقد الكنيسة وظهور الحركات النقدية.

حيث ظهرت حركات عديدة في أوروبا؛ لتعارض الكنيسة وتظهر عيوبها ومساوئها وتنتقدها، ففي الفترة من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر ظهرت أكثر من حركة مناهضة للكنيسة منها:

(١) حركة الكاثاريون

وكانوا يعرفون بـ «الألبيجينيين» اسم المنطقة الفرنسية التي كانوا يعيشون فيها كذلك وجدوا في «كولون» بألمانيا وشمال إيطاليا وأسبانيا. ^(١)

وكانت عقائد الكاثاريين وشعائهم - كما يذكر ول ديورانت - من ناحية عودة إلى العقائد والأساليب المسيحية الأولى؛ وكانت من ناحية أخرى ذكرى غامضة للأريوسية التي انتشرت في فرنسا الجنوبية في عهد القوط الغربيين، ومن ناحية ثالثة نتيجة للآراء المانوية ^(٢)، وغيرها من الآراء الشرقية

ويصف أعداء الألبيجينيين أولئك القوم بأنهم يرفضون العشاء الرباني والقداس وتعظيم الصور المقدسة والتثليث، ولا يؤمنون بأن المسيح ولد من عذراء وعندهم أن المسيح من الملائكة ولكن ليس هو الله.

أما عن موقفها من الكنيسة: فقد كان موقفًا متشددًا حيث وجهت إليها نقدًا موجعًا، وأنكرت أن الكنيسة كنيسة المسيح، وقالت إن بطرس تلميذ المسيح لم يأت قط إلى روما، ولم يؤسس البابوية وأن البابوات خلفاء الأباطرة، وأن المسيح لم يكن له ملك ولا مال؛ ولكن كبار رجال الدين المسيحيين من ذوي الثراء العريض.

فهم نقدوا الكنيسة نقدًا لاذعًا، وأظهروا الشك في صحة مبادئ روما في التفسير الصحيح للكتاب المقدس، وكانوا يرون أن عيسى ليس ابن الله، وكانوا ينددون بالداعين إلى الحروب الصليبية ويصفونهم بأنهم قتله، وكان الكثيرون منهم يستهزئون بصكوك الغفران والمخلفات المقدسة. ^(٣)

^(١) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ترجمة: عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة، ط ١: ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٤٢.
^(٢) المانوية نسبة إلى ماني بن فاتك الفارسي ولد سنة ٢١٥ أو سنة ٢١٦ بمدينة إكباتانا العاصمة الميدية القديمة، وكان يزعم بأن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزا ولا ولن يزا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم راجع: الشهرستاني: الملل والنحل ج ١، ص ٢٤٤.
^(٣) قصة الحضارة، ج ١٦، ص ٧٩ - ٨٢.

وقد قاومت الكنيسة هذه الجماعة مقاومة شديدة، ورأت في وجودها خطراً على كيائها؛ ولذلك لما جلس البابا إنوسنت الثالث على كرسي البابوية عام ١١٩٨م وهو الذي كان له دور كبير وأساسي في نشأة محاكم التفتيش- بسبب هذه الجماعة- رأى في وجود هذه الجماعة وانتشارها خطراً محدقاً بالكنيسة؛ فأصدر الأمر بقمعهم وبشن حملات ضارية عليهم، مما يعكس السلوك الدوغمائي في مواجهة هذه الحركة، وفي هذا الصدد يذكر جون لوريمر أنه حينما أصدر البابا «إنوسنت الثالث» الأمر بقمع الألبيجينيين قامت حملة صليبية بالتعاون مع ملك فرنسا كانت نتيجتها إبادة جماعية، إذ انتهت هذه الجماعة في الواقع بمذبحة ففي مدينة «بيزير» قتل بحد السيف أكثر من سبعة آلاف من الرجال والنساء والأطفال.^(١)

(٢) حركة الولدانيون

الولدانيون من الحركات التي جاهرت بنقد الكنيسة، وعارضت آراءها، وأظهرت السخط على رجال الدين، ونددت بفسادهم ومساوئهم، مؤسس هذه الجماعة بطرس والدو المتوفي سنة ١٢١٧م، وكان تاجراً من ليون في فرنسا.^(٢)

واصطبغت هذه الحركة تدريجياً بصبغة معادية لرجال الدين ونبذتهم جميعاً، وأنكرت صحة العشاء الرباني الذي يقدمه قس آثم، وعارض بعض الأعضاء صكوك الغفران وعقيدة المطهر، وقد قاومت الكنيسة هذه الحركات وأحرقت آلاف الأشخاص من أتباع "والدو".^(٣)

(٣) حركة أبلارد النقدية

أبلارد هو فيلسوف فرنسي يعد من أشهر رجال القرن الثاني عشر في علم الجدل^(٤) كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكك في كل شيء حتى في طبيعة المسيح^(٥)

وأشهر كتبه- في اللاهوت- كتاب «مقدمة إلى اللاهوت»، وكتاب «نعم ولا» الذي أثار الجدل والنقاش، ويعد أشهر كتبه على الإطلاق وفيه يضع أبلارد جنباً إلى جنب أقوالاً متناقضة قالها آباء الكنيسة الأولون- في المسائل اللاهوتية- وقد أوضح ما بينها من تناقض، ويحتوي هذا الكتاب على مائة وسبعة وخمسين سؤالاً تشمل أهم العقائد الأساسية للدين المسيحي، وقد وضعت في عمودين متقابلين تحت كل سؤال طائفتان من

(١) راجع: جون لوريمر، تاريخ الكنيسة ج ٤، ص ٤٢، وقصة الحضارة، ج ١٦، ص ٨٣ - ٨٩.

(٢) جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ٤، ص ٤٣.

(٣) قصة الحضارة، ج ١٦، ص ٧٥ - ٧٧.

(٤) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، دار الكاتب المصري، القاهرة، ط ١: ١٩٤٦م، ص ١٠٣.

(٥) د/ جوزيف نسيم يوسف (في تعليقه على كتاب: عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، لمؤلفه الإنجليزي كولتون، دار المعارف، القاهرة، ط ٢: ١٩٦٧م، هامش ص ٢٢٠.

الأقوال إحداها تؤيد الرد الإيجابي والأخرى تؤيد الرد السلبي؛ وكلتاها مقتبسة من الكتاب المقدس أو من آباء الكنيسة أو من الآداب اليونانية الرومانية القديمة؛^(١) مما يدل على دوغمائية هذه العقائد، ويلاحظ أيضًا وضوح النزعة العقلية لدى أبيلارد في هذا الكتاب وفي غيره من كتبه الدينية، ومنها كتابه في «التوحيد والتثليث» الذي ألفه سنة ١١١٨م وصودر في عام ١١٢١م في مجمع سواسون.^(٢)

وقد جلب له هذا الكتاب كثيرًا من المتاعب حيث ندد فيه بمن يؤمنون بما لا يفهمون، وأبرز ما بين القول بالواحد والقول بالثلاثة من تناقض، فلقد انحاز إلى التوحيد ولجأ إلى تأويل الأقانيم^(٣)

وكان الذي أزعج الكنيسة أكثر من أي أمر آخر عند أبيلارد هو افتراضه أن لا أسرار في الدين: وأن العقائد كلها يجب أن تكون قابلة للتفسير القائم على العقل لذلك تصدى رجال الدين لمقاومته ومقاومة النزعة الجديدة التي ينادي بهاء واتهم بالهرطقة.^(٤)

هذه هي بعض الأمثلة لوصف اتجاه النقد العام للكنيسة الذي تولد نتيجة سيطرة الكنيسة على مقاليد الأمور وتعصبها ضد الفكر المخالف، ودوغمائية عقائدها وبعدها عن المنطق.

والواقع أن هذا النقد كان هو المحرك لتلك الحركات الإصلاحية التي ظهرت فيما بعد تنادي بإصلاح الكنيسة، فهو الذي حدا ببعض المفكرين المسيحيين أن يتجرؤوا أكثر ويوجهوا سهامهم النقدية صوب الكنيسة، ويجهروا بعدم الثقة بأمور آمنت بها الكنيسة وفرضتها على الناس فرضًا طوال فترة العصور الوسطى مثل: المطهر وصكوك الغفران وسلطة البابا وأسلوب نظام الأسرار الكنسية المقدسة وغيرها.^(٥)

مما يعني أن الدين المسيحي بما يحتوي عليه من عقائد دوغمائية معينة هو سبب من أسباب النقد والخروج على الكنيسة وربما على الدين أيضًا، فطبيعة الدين المسيحي واحتوائه على مسائل عقائدية غامضة وأصول إيمانية معقدة تثير التناقض، وتقف عقبة أمام التفكير العقلي، ولا توفر للعقل حرية النظر والتفكير فيها لمناقضتها لقواعده، وهذا يرجع إلى التحريف والتغيير والتبديل الذي لحق بالدين الذي جاء به المسيح عيسى - عليه السلام - وذلك بعد رفعه، فالدين المنزل من عند الله لا يختلف ولا يتناقض مع العقول بل يتواءم معها ويثيرها وينشطها إلى التفكير والتأمل والتدبر.

(١) راجع: قصة الحضارة، ج ١٧، ص ٧٤، وعبد فراج: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١: ١٩٦٩م، ص ١٨٣.

(٢) عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨١.

(٣) عبد فراج، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، ص ١٨٣.

(٤) قصة الحضارة، ج ١٧، ص ٨٦.

(٥) أحمد عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، دار الأفاق العربية القاهرة، ط ١: ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

حركة الإصلاح الديني البروتستانتي

أن أوربا كانت قد نهضت فيها حركات أظهرت سخطها وعدم رضاها عن الكنيسة وما تقوم به من أعمال^(١)، فلقد نشطت حركات النقد بشكل متزايد في أواخر العصور الوسطى؛ مما كان له أثره في تهيئة الجو العام لقيام حركة الإصلاح فكانت ارهاصات الإصلاح تبدو الوقت بعد الآخر، ويظهر رجال استعدوا للفداء زمناً بعد زمن، فمنذ القرن الرابع عشر والأصوات تعلو لإصلاح الكنيسة.

أبرز قادة الإصلاح الديني

ظهر عدد من المفكرين المسيحيين الذين نادوا بالإصلاح منهم على سبيل المثال (حنا ويكيليف ١٣٢٨م - ١٣٨٤م) الإنجليزي، و(حنا هس ١٣٧٣م - ١٤١٥م) التشيكي من بوهيميا

حيث هاجم (ويكيليف) البابوية ونقد قولهم في عقيدة الاستحالة، وأنكر القول بتحول الخبز والخمر في العشاء الرباني، وأنكر أيضاً ما يدعيه رجال الدين لأنفسهم من قوة روحانية خاصة، ودعا إلى عودة الكنيسة إلى ما جاء في كتابهم المقدس.

أما (هس) فقد تأثر بآراء (ويكيليف) وأضاف إليها أن الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب، وأن التوبة مع رحمة الله فقط هي الطريق الطبيعي لمحو الآثام وأن ما يسمى الاعتراف خرافة؛ ولذلك أدانته الكنيسة، وحكمت عليه بالحرمان في مجمع كونستانس ١٤١٤م، وحكم عليه بالإحراق، وتم التنفيذ سنة ١٤١٥م، كما أدان المجمع (ويكيليف) وأمر أن يحرق جسده الذي سبق دفنه من مدة طويلة.^(٢)

ثم ظهر بعد ذلك (جون كوليت ١٤٦٩م - ١٥١٩م) و(توماس مور ١٤٧٨م - ١٥٣٥م) الإنجليزيان، و(ديسيد يرازموس الألماني ١٤٦٩م - ١٥٣٦م)، وكانت لهم إسهامات في الإعداد لحركة الإصلاح البروتستانتي.^(٣)

وأشد من ظهر من أولئك تأثيراً وأقوالهم نفوذاً: مارتن لوتر وزونجلي، وكلفن ولنتكلم عن كل واحد من هؤلاء بكلمة موجزة.

(١) عبد العزيز الشناوي: أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤: ١٩٨٢م ص ٣٥٦، ٣٥٧.
(٢) أحمد علي عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص ٥٧، ورؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١٣١.
(٣) راجع تاريخ الكنيسة ج٤، ص ٧٠ - ٨٣.

أولاً: مارتن لوثر^(١) اختير ليكون عضواً في وفد مرسل إلى روما في سنة ١٥١٠م، وصدم لما رآه هناك وهاله انهيار المعايير الأخلاقية لدى رجال الدين ومن بينهم البابوات وانغماسهم في حياة البذخ والتبذل والملذات.^(٢)

فعندما رأى لوثر كل هذا عاد إلى ألمانيا حانقاً مستنكراً بعد أن ذهب راضياً مقدساً؛ وقد أخذ يعلن من ذلك الإبان أن التبرك بالمقدسات، والحج إليها وتكرار الصلاة لا يجدي العاصي، ولا يغنيه عن توبة نصوح، وأن أحداً من الخلق مهما تكن قدسيته لا يملك لأحد غفراناً، ولا يستطيع أن يستر ذنباً قد ارتكب، وعندما أراد البابا " ليو" أن يعيد بناء كنيسة بطرس في روما وجعل تمويلها من صكوك الغفران، وأرسل أحد الرهبان إلى ألمانيا لبيعها، هنا ثار لوثر على صكوك الغفران، وكتب في بطلانها؛ احتجاجاً على باب الكنيسة.

ولقد كان لذلك أثره في العامة والخاصة، ولم يكن من المعقول أن تقابل الكنيسة ذلك بالصمت أو الإغضاء، فقد أرسلت إليه تدعوه إلى الحضور؛ لمحاكمته أمام محكمة التفتيش التي كانت تدبيراً اتخذته المجامع ذريعة للقضاء على مخالفيها^(٣).

ثورة لوثر على الكنيسة:

بدأ لوثر في اتخاذ عدة خطوات عملية لتنفيذ الإصلاح، فوجه في سنة ١٥١٩م الدعوة إلى حكام الولايات الألمانية من الأمراء ومن إليهم كي يتزعموا هذه الحركة الإصلاحية، ووضع في سنة ١٥٢٠م ثلاث رسائل تسمى (الرسائل الثلاث العظمى في حركة الإصلاح الديني)، كانت الرسالة الأولى عبارة عن نداء وجهه باللغة الألمانية إلى قادة الفكر من غير رجال الدين في ألمانيا حثهم فيه على الشروع في إصلاح الكنيسة بأنفسهم دون الاعتماد على رجال الكنيسة وكان عنوان هذه الرسالة: (إلى هيئة النبلاء المسيحيين من الأمة الألمانية بصدد إصلاح العالم المسيحي)، وكانت الرسالة الثانية وقد وضعها باللغة اللاتينية عنوانها: (حرية الرجل المسيحي) ووجهها إلى البابا ليو العاشر على أنها نداء للسلام.^(٤)

(١) ولد مارتن لوثر في العاشر من نوفمبر سنة ١٤٨٣م في أيزلين، وهي بلدة صغيرة في مقاطعة سكسونيا بألمانيا، التحق بجامعة إيرفورت، ودرس فيها القانون وحصل منها على درجته الجامعية سنة ١٥٠٤م، ثم حول مسار حياته ودخل الدير الأوغسطيني في إيرفورت؛ ليصبح راهباً وقد طبق الرهينة بكل دقة، واحتفل بدخوله في سلك الكهنة، ثم عين مدرساً للفلسفة في مدرسة ويتنبرج سنة ١٥٠٨م، واستمر في دراسته اللاهوتية التي أهلتة لتدريس «الكتاب المقدس».

ينظر: الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٣٧٠، ورؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١٣٣، قصة الحضارة مج ٦، ج ٣، ص ٩ وما بعدها.

(٢) الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٣٧٢.

(٣) رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، ص ١٣٤، وأحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٥٩.

(٤) راجع: تاريخ الكنيسة ج ٤، ص ١٢١.

أما الرسالة الثالثة فقد وضعها باللغة اللاتينية أيضًا ووجهها إلى رجال الفقه الديني- المسيحي-، أظهر فيها ضعف البابوية وتدهور أخلاق رجال، ووضع عنوانا لها (مقدمة عن الأسر البابلي الكنسي)^(١)

ولذلك لم تجد الإدارة البابوية حلا لهذا سوى إصدار قرار الحرمان "للوثر" سنة ١٥٢٠م، ثم أصدر قرارا في مايو سنة ١٥٢١م بطرد لوثر خارج القانون وإهدار دمه؛ باعتباره يعرض أمن الدولة الداخلي والخارجي لأخطار فادحة، كما تضمن قرار حظر تداول كتب "لوثر" ومنع قراءة جميع كتاباته.^(٢)

ورغم هذا فقد ظلت الحركة "اللوثرية" وأخذت طريقها إلى الذيوع والانتشار، وأطلق على أنصار هذه الحركة لفظة «بروتستانت»، وهو الاسم الذي اشتهرت به حركة الإصلاح الديني، أما عن أهم مبادئ لوثر فهي كما يلي:

١. إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية.

٢. ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس.

٣. إباحة الزواج للقسس، وقد تزوج لوثر سنة ١٥٢٥م، بإحدى الراهبات وتدعى كاترين بورا.

٤. عدم إنشاء أديرة جديدة، وإلغاء الديرية والرهينة.^(٣)

ثانيا: زونجلي في الوقت الذي كان يغالب فيه لوثر الكنيسة وأنصارها من ذوي السلطان، كان في سويسرا صوت قوي آخر يناادي بما يقارب ما نادى به لوثر، ذلك هو أوليخ زونجلي^(٤) (١٤٨٤م - ١٥٣١م)، فقد ألمته حال الكنيسة ودعا إلى مثل ما دعا إليه لوثر في مسائل الدين، وسرعان ما قاد حركة إصلاح ديني انتهت إلى نتيجة مهمة لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم وهي انشقاق مقاطعات بأثرها من مقاطعات الاتحاد السويسري على كنيسة روما، وانقسام سويسرا إلى فريقين: فريق بروتستانت من أنصار زونجلي، وفريق كاثوليكي^(٥)، وقامت الحرب بينهما، وقتل زونجلي في موقعة كابل سنة ١٥٣١م.^(٦)

(١) راجع: الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٣٧٩، تاريخ الكنيسة ج ٤، ص ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٣٨٠ - ٣٨٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧٨.

(٤) سويسري الأصل درس اللاهوت وألم بفلسفة القرون الوسطى، وحصل على درجة البكالوريوس ودرجة الماجستير من جامعة "باسيل" ثم عين راعيا لأبروشية "جلاروس"، ثم عين قسيسا مرافقا للجنود السويسريين الذين يحاربون في صفوف القوات البابوية، ثم عين واعظا في أينسبدلن، وترامت شهرته في الخطابة إلى مدينة زيورخ، وبرز اسمه منذ ذلك التاريخ بروزا واضحا قويا في الأوساط الدينية والسياسية والاجتماعية في المقاطعة وتبوأ مكانا عاليا. راجع: تاريخ الكنيسة ج ٤، ص ١٦٣، ١٦٤، أيضا: الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٤٦٢.

(٥) الشناوي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ص ٤٦٣.

(٦) محمد فواد شكري، محمد أنيس: أوروبا في العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو، ط ٢: ١٩٦١م، ج ١ ص ١٣٥.

وكانت أهم المبادئ التي نادى بها زوينجلي أن الكتاب المقدس - عندهم - يجب أن يكون هو القائد والمعلم، وألح على زواج الإكليروس، وهاجم عزوبة رجال الدين وصكوك الغفران، وأكد على أنه لا أساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم الكنيسة في الكتاب المقدس وتعاليم المسيح، وأنكر عقيدة المطهر وقال إنها خرافة. (١)

ودعوة زونجلي هذه، وإن كانت تتلاقى في مبادئها في الجملة مع مبادئ لوثر كانت منفصلة عنها، فلم تتوحد الدعوتان، بل كانت كلتاهما تعمل في محيط إقليمي، بيد أن حركة لوثر كانت أوسع دائرة وأسرع انتشاراً، لسعة الإقليم الذي نشأت فيه، ولرعاية بعض الأمراء لها، بل لاعتناقهم مبادئها، ولأن الأحوال السياسية في ألمانيا كانت تسمح لمثل هذه الدعوة بالذيع والانتشار.

ثالثاً: كلفن (١٥٠٩م - ١٥٦٤م) ولد بفرنسا، ونشأ بها، وتثقف ثقافة قانونية ولكنه مال بعد تخرجه في القانون إلى الدراسات الدينية، وقد كانت حركة لوثر قد ذاعت وشاعت في ربوع أوروبا، وما أن أعلن كلفن آراءه حتى اضطر إلى الفرار بعقيدته إلى جنيف في سويسرا، وهناك ألف وكتب، وأخذ يعمل على نشر مبادئ المذهب البروتستنتي، وينظمها بعد موت لوثر، فتنظيمها على الشكل الأخير يرجع إلى كلفن أكثر مما يرجع إلى أي رجل آخر، وإن كان باذر البذرة سواه، بل إن بذور ذلك المذهب قد كانت أقدم تاريخياً من لوثر نفسه.

إنشاء كنائس للمصلحين

لما استيأس مريدو الإصلاح من أن يقوم الكنسيون بإصلاح حالهم، وأن يرفعوا الديانة حق رعايتها اتجهوا إلى الحكام؛ طالبين أن يتدخلوا لإصلاح الكنيسة، كما حاول لوثر، فقد أعطى الحكام حق الهيمنة على الكنيسة ليصلحوها، ولكن الحكام تقاعسوا، وكان ذلك إما تعصبا للكنيسة، وإما كراهة للمصلحين.

فلما يئس طلاب الإصلاح من الحكام، ويئسوا من رجال الكنيسة، اتجهوا إلى أن يجعلوا لأرائهم جماعة، ووحدة دينية منفصلة عن الكنيسة وآراؤها غير خاضعة للكنيسة. وأنشأوا لهم كنائس ليست معترفة لروما بأي سلطان، وسلطة رجال الدين فيها محدودة، وسميت كنائسهم كنائس إنجيلية أي أنها لا تخضع إلا لحكم الكتاب المقدس، وليس لرئيس الكنيسة خلافة تجعل كلامه مقدساً، مساوياً لأحكام الكتاب المقدس في الرتبة والاعتبار. (٢)

(١) أحمد على عجيبة، موسوعة العقيدة والأديان، ص ٦٤.

(٢) ينظر: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٨٣.

أهم مبادئ الإصلاح

(١) جعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس وحدها، وجعله الحكم وحده الذي لا ترد حكومته، ولا ترفض أوامره، وقياس كل أوامر الكنيسة القديمة وقرارات المجامع على ما نص عليه في ذلك الكتاب، فما وافقه قبل على أن الكتاب قد ورد به، وما خالفه رفض، ولو كان قد صدر عن أكبر رجال الكنيسة شأنًا في الماضي أو الحاضر، ولذلك يقول صاحب كتاب سوسنة سليمان في ذلك: "إنهم جميعاً متفقون في المعتقدات على مجرد ما في الكتاب المقدس فقط، فلا يخضعون لشيء من التقاليد التي لا يوجد لها فيه رسم أصلاً، ولا إلى أقوال أحد من الآيات أو المجامع إلا إذا كان موافقاً لنصوصه لفظاً ومعنى، أما تفسير الآيات الغامضة والتي لم يوضحها الوحي الإلهي، فلا يمارون أحداً فيها إلا إذا كان التفسير ينافي ما كان معناه واضحاً في غيرها من تعاليم الكتاب". وتلك النقطة لا أجد لها تطبيق فلم ترد ألوهية المسيح في نصوص الكتاب المقدس ولا عقيدة التثليث؛ ومع ذلك لم ترفضها حركة الإصلاح.

ومع ذلك تدعي حركة الإصلاح بأنهم لا يعترفون بسلطان لغير الكتاب، وقد كان تحكيم الكتاب وحده سبباً في جعل رجل الدين غير مطاوع إلا فيما ورد في الكتاب. وكان يمكن لهذا المبدأ أن يحقق إصلاحاً حقيقياً للمسيحية لو لم يكن الكتاب المقدس نفسه الذي اعتمدوه مرجعاً محرفاً، وليس مشتملاً لا على إنجيل عيسى ولا حتى تورا موسى، إنما هو قصاصات من ذاكرة الأتباع دونت في أوقات وظروف يشوبها الكثير من الشك والتردد.

(٢) عدم الرياسة في الدين: فليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها، والرياسة الكنسية التي تستمد الخلافة من أحد الحواريين أو من المسيح نفسه لا وجود لها عندهم، بل إن الكنيسة في كل مكان ليس لها إلا سلطان الوعظ والإرشاد، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية، وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه، ولم يكن عنده من الثقافة ما يمكنه من ذلك.

(٣) ليس لرجل الدين الغفران: فليس للكنيسة سلطان في محو الذنب أو ستره أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها سواء أكانت تلك هي المسحة الأخيرة عن الاحتضار، أم كانت قبل ذلك، فكل ذلك ليس لها فيه سلطان؛ لأنه من عمل الديان، وأيضاً منع الصلاة لأجل الموتى، كما أن طلب شفاعة القديسين لا قيمة له؛ لأنه لا يغير عمل الشخص من طالع إلى صالح.

(٤) عدم الصلاة بلغة غير مفهومة: رفض أولئك المسيحيون الصلاة بلغة غير مفهومة للمتعبدين، لأن الصلاة دعاء من العابد للمعبود، فوجب أن تكون بألفاظ يفهمها العابد؛ ليردد معانيها ويقصد مراميها، وقد كانت صلاة القسيس بلغة لا يفهمها المصلون مقبولة لدى الكاثوليك، لأن أساس ذلك أن عبادة القسيس عبادة لمن هم تحت سلطانه.

(٥) رأيهم في العشاء الرباني: انتهى البروتستانت بالنسبة للعشاء الرباني إلى إنه تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم، وتحملت الخليقة من بعد وزرها، وتذكار لمجيئه لدين الناس، فهو تذكار للماضي والمستقبل كما جاء في بعض الرسائل، وهم ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه.

(٦) إنكار الرهبة: أنكر أولئك المصلحون لزوم الرهبة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة، يفقد رجل الدين صفته الكهنوتية إن تخلّى عنها، ولقد رأوا ما أدى إليه ذلك الحظر من كبت للجسد الإنساني، كما أنها تعين على المعصية وتفسد رجل الدين، ولا يوجد نص عليها.

(٧) عدم اتخاذ الصور والتماثيل: منع البروتستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك قد نهى عنه في التوراة، فقد جاء في سفر الخروج: "لا تصنع لك تماثلاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهم ولا تعبدن؛ لأنني أنا الرب إلهك غيور أفنقذ ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، وأصنع إحساناً إلى أئوف من محبي، وحافظي وصاياي"^(١)، ولا شك أن ما نهت عنه التوراة يجب الأخذ به ما دام الجميع يؤمنون بالتوراة، وكتب العهد الجديد، وما دام لم يرد عن المسيح أو عن الرسل ما يبطل ما جاء في التوراة.^(٢)

تقييم حركة الإصلاح الديني

أولاً: ثورة الإصلاح لم تقض على الكنيسة وعلى مبادئها، وإنما خرجت عليها واستقلت بنفسها، وهذا لا يعد إصلاحاً؛ فهي لم تستطع تقويم الكنائس التي كانت قائمة، ولم تفلح في التغلب على البابا وأفكاره، فقنعت بإنشاء كنائس لها تظهر فيها المبادئ الإصلاحية التي اعتنقتها، وتركت آلاف الكنائس الأخرى تسير على النحو الذي كانت تسير عليه من قبل.

(١) الكتاب المقدس، العهد القديم سفر الخروج (الإصحاح ٢٠، فقرة ٤ - ٧).

(٢) راجع: أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص ١٨٣ - ١٨٨، ورؤوف شلبي، أضواء على المسيحية ص ١٣٧، الفاضلي، أصول المسيحية، ص ٢٧٦ - ٢٧٧، أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٦٠.

ثانياً: إن ثورة الإصلاح لم تجرؤ على أن تتناول الجذور والأصول التي كانت وما زالت سبباً في نقد الكنيسة أو بالأحرى نقد المسيحية، فقد كانت الحركة إصلاحاً للكنيسة لا إصلاحاً للمسيحية، والفرق بين الموضوعين كبير، ومعنى هذا أن ما أثار لوثر ومعاصروه هو أفعال الكنيسة في ذلك العهد، أما البحث في الأشياء الهامة التي دخلت على المسيحية الأصيلة فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه، لقد تلقى لوثر ومعاصروه المسيحية من الأجيال السابقة بشكل دوغمائي واعتنقوها تقريباً كما هي، ولم يثوروا إلا على ما ابتدعه الكنيسة في عهدها الأخير، كغفران السيئات، الاستحالة، وحق تفسير الكتاب المقدس والتشريعات غير المكتوبة التي يتوارثها البابوات... وعلى هذا بقية موضوعات ضخمة لم يتطرق لها الإصلاح، وذلك مثل:

١- التثليث.

٢- صلب المسيح للتكفير عن خطيئة الشر.

٣- ما الكتاب المقدس؟ ومن هم مؤلفوه؟ وما الصلة بين الأنجيل ومؤلفيها؟ وأين إنجيل عيسى؟

٤- مدى سلطة المجامع في اتخاذ قرارات تتعلق بأسس الدين.

وبهذا كان نجاح الحركة الإصلاحية - فيما أعتقد - محدود ومحدود للغاية.^(١)

ثالثاً: أصبح الكتاب المقدس هو المعصوم بدل الكنيسة قبل الإصلاح رغم ما لحقه من تحريف وما اكتتفه من جهالة وانقطاع للسند، كذلك كثرة الفرق التي قامت بعد الإصلاح نتيجة حرية النظر التي نادت بها حركة الإصلاح في الكتاب المقدس.

رابعاً: إن حركة الإصلاح بقيت امتداداً لما كان قبلها، فقد استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة، وقد أمر كلفن بإحراق (سيرميت) في جنيف؛ لأنه كان يعتقد أن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع، قبل مجمع نقيّة، وكان يقول إن الروح القدس ينعش الطبيعة بأسرها، فكان جزاؤه أن شوي بالنار حتى مات، وكذلك أحرق (فانتي) في سنة ١٦٢٠م، وكان لوثر أشد الناس إنكاراً على من ينظر فلسفة أرسطو.^(٢)

(١) أحمد شلبي، المسيحية، ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٢) الفاضلي، أصول المسيحية، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

فالبروتستانت لم يكونوا أقل دوغمائية في إنكارهم على الآخر المخالف لنظامهم الاعتقادي، يقول د/ توفيق الطويل: "إذا كانت الكاثوليكية قد ناصبت أحرار الفكر العداء وأصلتهم نارها من غير رفق ولا هوادة، فإن البروتستانتية كادت تشبهها قسوة ومرارة (فليس من شيء كان أبعد عن عقول قادة الإصلاح الديني من التسامح مع النظريات المخالفة لأرائهم).

ولذلك فإن (كالفن) كان لا يتردد قط في إعدام من خالفه في مذهبه، وموقفه من مصرع (سرفيتوس) خير شاهد على هذا، فقد كتب (سرفيتوس) يهاجم عقيدة التثليث؛ متأثراً في ميله إلى الوجدانية بما عرفه عن الإسلام، ولكنه حوكم وسجن في ليون (لأسباب كان منها دسائس كالفن)، ولكنه فر من سجنه ولاذ مسرعاً بجنيف حيث يقيم كالفن وحكومته، ولما حوكم أدين وصدر قرار بإعدامه عام ١٥٥٣م.^(١)

وبنفس هذه الروح قاومت إنجلترا البروتستانتية الحركة العلمية الجديدة، وتجلت المقاومة في عدائها للجمعية الملكية والمجتمع البريطاني لتقدم العلم، وكثيراً ما اتخذت المقاومة صورة التهمج وتوجيه الحملات إلى العلماء.^(٢)

فيتضح مما سبق أن حركة الإصلاح الديني وإن كانت قد نشأت نتيجة للممارسات الدوغمائية التي سيطرت على توجهات الكنيسة وسلوكها إلا أنها لم تكمل طريق الإصلاح إلى آخره، بل ما لبثت أن تحولت هي الأخرى إلى حركة دوغمائية تحارب مخالفيها، ولا تجعل موضع للتسامح مع الآخر، هذا بالإضافة إلى ما زالت تعتقه من دوغمائيات الكاثوليك.

(١) راجع : توفيق الطويل، قصة الصراع بين الدين والفلسفة، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط٣: ١٩٧٩م، ص٥٣ - ٥٧.
(٢) راجع: أحمد على عجيبة، أثر الكنيسة على الفكر الأوروبي، ص٨٠.

المبحث الرابع

العلمانية

مدخل

إن ثورة الإصلاح الديني لم تكن كافية لإقناع العقل الأوروبي بالمسيحية، ذلك لأن أسباب النقد والنزاع بين المسيحية والعقل وغيرها أمور مازالت باقية، ولذلك لم يقنع المفكرون الأوروبيون بهذه الثورة، وقاموا هم أنفسهم بمحاولات أخرى؛ للتخلص والتحرر من الدين المسيحي ما دام الإصلاح أصبح متعسرا لذلك ظل الصراع بين الدين والعقل باقيا حتى بعد ثورة الإصلاح البروتستانتي، بل إنه ازداد واشتد حتى كاد أن يعصف بالمسيحية، وفي ظل الاتجاهات الفكرية المختلفة التي نشأت في أوروبا؛ نتيجة لسيطرة الكنيسة على مقاليد الأمور في العصور الوسطى وما ترتب على ذلك من مواجهتها للعلم ومحاربة أهله، نشأ اتجاه جديد ينادي بالابتعاد عن الدين بما يشتمل عليه من دوغمائيات أو يجعله لا يتدخل في شئون الحياة، في محاولة من العلماء لتجنب الصراع مع الكنيسة، أو للحد من سلطان الكنيسة بجعلها لا تتدخل في أمور الحياة ولا تتدخل فيما يقوله العلم والعلماء، وهذا الاتجاه هو ما عرف بالعلمانية.

تعريف العلمانية في اللغة والاصطلاح

العلمانية لغة: لم توجد لفظ العلمانية في معاجم اللغة العربية القديمة، وقد وردت في بعض المعاجم الحديثة ومن ذلك:

أ- ما ورد في معجم المعلم البستاني: "العلماني: العامي الذي ليس بإكليريكي"^(١).

ب- وفي المعجم الوسيط^(٢): "العلماني نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي"^(٣).

(١) معجم المعلم بطرس البستاني، والكيرس أو الإكليروس: جماعة مفرزون ومكرسون لخدمة الكنيسة المسيحية كالشماس والقساوسة والأساقفة ويقابلهم العلمانيون، يونانيته: كليس ومعناه قرعة؛ لأنهم كانوا في القديم ينتخبون بالقرعة، الواحد إكلييريكي جمعه كليريكيون، ويلاحظ أن المعلم بطرس البستاني لم يضع لفظة علمانيين في مادة (ك ل ي) ولكنه وضعها في مادة (ع ل م). انظر: السيد أحمد فرج، جذور العلمانية الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية صراع منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م، دار الوفاء، المنصورة، ط٣: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٤: ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ص ١٥٤.

(٢) المعجم الوسيط (٢/٦٢٤).

(٣) الكهنوت: خدمة أسرار الكنيسة - سريانية معربة - والتاء فيه للمبالغة لا للتأنيث كتاء ملكوت وجبروت، ودرجاته ثلاث: الشماس، والقسيس، والأسقف، ومراتبه كثيرة منها: القاري، والخوري، والمطران، والبطريرك، والبابا، وفعله: كهن، وتكهن تكهنًا فهو كاهن، ج: كهنة. انظر: فرج، جذور العلمانية، ص ١٥١، نقلاً عن قاموس الأسقف جرمانوس فرحات ط سنة ١٨٤٩م في مدينة مرسيليا الفرنسية.

ولعل المعنى الصحيح لترجمة كلمة "العلمانية" هي "اللا دينية" أو "الدنيوية"، وليس المعنى ما يقابل الأخرى فحسب، بل بمعنى ما لا صلة له بالدين، يتضح ذلك مما تورده دوائر المعارف الأجنبية للكلمة، تقول دائرة المعارف البريطانية: "هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها"^(١).

وتقول دائرة المعارف الأمريكية: "الدنيوية هي: نظام أخلاقي أسس على مبادئ الأخلاق الطبيعية ومستقل عن الديانات السماوية أو القوى الخارقة للطبيعة..^(٢)".

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو فصل الدين عن الدولة.

وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة^(٣).

العلمانية في الاصطلاح: هي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والمذهب العلمي.^(٤)

ومن هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم، وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية الاقتصادية، الاجتماعية، والفكرية ... الخ.

كما أن اسم "العلمانية" يوحي بأن العلم والدين ضدان وأن الصراع قائم بينهما كما يوحي بأن الدين لا علاقة له بالدنيا، وأن التمسك به يعني التأخر والرجعية والجهل.

والسبب الأول في تسمية هذا المذهب بالعلمانية، هو ما فعله رجال الكنيسة النصرانية الذين وقفوا ضد التحضر والتقدم في الغرب زاعمين أن الدين يحرم العلم التجريبي والاختراعات والاكتشافات الناتجة عنه.^(٥)

لكن في الواقع العلمانية مذهب هدام يُراد به فصل الدين عن الحياة كلها وإبعاده عنها، أو هي إقامة الحياة على غير دين، إمّا بإبعاده قهراً، ومحاربته علناً كالشيوعية، وإمّا بالسماح به وبضده من الإلحاد، كما هو الحال

(١) انظر: محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة الديمقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية الإلحاد، دار الشروق، القاهرة، ط ٣: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط ٩: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٤٤٥.

(٢) نقلاً عن: د/ علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ط ٣: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٧٥.

(٣) انظر: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، ص ٢٣.

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٦٧.

(٥) راجع: ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ١٠٣ - ١٠٤، وعلي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيبي، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، ط ٣: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، ص ٥٩، وأيضاً: صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة، عالم الكتاب، ط ١: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

في الدول الغربية التي تسمي هذا الصنيع حرية وديمقراطية، أو تدين شخصي، بينما هو حرب للتدين، ذلك أن حصر الدين في نطاق فردي بعيداً عن حكم المجتمع وإصلاح شؤونه هو مجتمع لا ديني؛ لأنه أقام حياته الاجتماعية والثقافية وسائر معاملاته على إقصاء الدين.^(١)

أسباب العلمانية:

إن العلمانية كأثر من الآثار التي انتجتها دوغمائية المجتمع المسيحي اجتمعت عدة أسباب ساهمت في ظهورها وانتشارها بالصورة التي نراها عليها اليوم، وأقصد بالأسباب الشروط التاريخية التي تسببت في إفرازها ووجودها في العالم الغربي، فلا بد من تتبع السياق التاريخي الذي ولدت فيه العلمانية في الغرب لنستخلص هذه الأسباب التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: الطغيان الكنيسي

وقد سبق عرض مظاهر هذا الطغيان باستفاضة في مبحث سابق^(٢).

ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم

ترجع أسباب هذا الصراع إلى عدة أمور منها:

١- تعصب رجال الكنيسة الذين اعتبروا أنفسهم المصدر الوحيد للمعرفة، فتدخلوا فيما ليس من اختصاصهم كالعلوم التجريبية البحتة وعلوم الفلك ونحوها؛ وذلك بناء على دوغمائيتهم وادعائهم امتلاك الحقيقة المطلقة.

٢- إدخال رجال الكنيسة للمفاهيم الدينية نظريات مغلوطة عن الكون والطبيعة مستمدة من نظريات فلسفية قديمة أو من أقوال القديسين القدامى، كنظرية بطليموس التي تجعل الأرض مركز الكون وأن باقي الأجرام تدور حولها.

فلما جاء القرن السابع عشر بدأ الباحثون الأوروبيون في الجهر ببعض النظريات التي تخالف ما عليه الكنيسة، وكانت أول النظريات ظهوراً نظرية كوبرنيك الفلكية في كتابه «حركات الأجرام السماوية» التي بين فيها أن الأرض تدور كما تدور باقي الكواكب، فحرمت الكنيسة كتابه ومنعت تداوله، ثم جاء بعده برونو فأكد نفس النظرية فقبضت عليه محكمة التفتيش وسجنته ست سنوات، فلما أصر على رأيه أحرقته سنة ١٦٠٠م وذرت رماده في الهواء.

(١) انظر: محمد قطب، مذاهب فكرية معاصرة، ص ١٠٥.

(٢) راجع ص ٣٣٩ - ٣٥٢ من هذه الرسالة.

وبعده جاء جليلو فأكد نفس النظرية فقبض عليه وسجن حتى تراجع خوفاً وهو راكع، ومما قال في تراجعه أمام المحكمة: "أنا جليلو وقد بلغت السبعين من عمري سجين راكع أمام فخامتكم، والكتاب المقدس أمامي ألمسه بيدي، أرفض وألعن وأحتقر القول الإلحادي الخاطئ بدوران الأرض".^(١)

وأي إلحاد في دوران الأرض أو عدمه؟ ولكن هكذا رأت الكنيسة، وهكذا أسست لنهايتها.

وحبست الكنيسة دي روفنيس لإثباته أن قوس قزح إنما هو انعكاس لضوء الشمس في نقط الماء، وليس قوساً حربياً بيد الله ينتقم به من عباده إذا أراد كما تقول الكنيسة، وضربت برنيلي؛ لأنه قال: "إن النجوم لا تقع"، وسجنت هارفي لبرهنته أن الدم يجري في الجسم.

ومع انتشار البحث العلمي في أوروبا بدأت تهتز مكانة الكنيسة في النفوس، وبدأت مصداقيتها تتلاشى، وكثرت المناهج الفلسفية الداعية إلى المنهج العقلي التجريبي بدل أساطير الكنيسة، وهكذا تتابعت أبحاث ديكارت وسبينوزا وجون لوك وغيرهم.

وكذلك قابلت نظرية نيوتن في الجاذبية التي بينت إمكان تفسير الظواهر الطبيعية اعتماداً على ربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل خارجي.

فحاربتها الكنيسة واعتبرت أن الأشياء لا تعمل بذاتها، ولكن عناية الله هي التي تسيرها.

ولم تفهم الكنيسة أنه لا منافاة بين كون الله فاعلاً من جهة، وبين كون الأشياء لها أسباب طبيعية تؤثر فيها.

كل هذه الظروف وغيرها جعلت من الكنيسة عائقاً كبيراً أمام التقدم والبحث العلمي والتطور؛ لذلك كان واجباً الحد من نشاط الكنيسة ومجال عملها، وفصلها التام عن مجمل الحياة العامة وأصبح جميع الأوروبيين مقتنعين بضرورة الحد من هيمنة الكنيسة وحبسها داخل جدرانها، وإفساح المجال للبحث العلمي بالتححرر السياسي.

فقد «جاء التنوير الأوروبي، فلسفة رافضة لتجاوز الكنيسة حدودها التي رسمها الإنجيل: خلاص الروح ومملكة السماء، ومدافعة عن النزعة الدنيوية [العلمانية] للفلسفة الأوروبية، وداعية إلى العقل الذي استبعدته الكنيسة والرأي الذي قهره اللاهوت، ومنادية بالتححرر من سلطة التقاليد الكنسية التي كانت سوقاً تجارية راجت فيها مفسدات القساوسة والبابوات»^(٢).

(١) انظر: الحوالي، العلمانية للحوالي، ص ١٥٠ - ١٥١، ومراد وهبة، ملاك الحقيقة، ص ٢٤.

(٢) محمد عمارة، الإسلام بين التنوير والتزوير، دار الشروق، القاهرة، ط ١: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ط ٢، ٢٣٤١ هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٢١.

ثالثا: طبيعة الدين المسيحي

لا غضاضة عند المسيحيين بما فيهم رجال الدين من الفصل بين الدين وشؤون الحياة، كما هو واضح من خلال ما جاء في الإنجيل المحرف عن عيسى عليه السلام: أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

فالعلمانية في نشأتها تتلاءم مع الديانة المسيحية، ولم تكن خارجة عنها أو منكرة لحقيقتها، بل هي من أركان الديانة المسيحية، حتى قال بولس: إن من يقاوم السلطة يقاوم إرادة الله ويستحق إدانة الكنيسة.^(١)

رابعا: الفصل بين الدين والدولة من سمات المسيحية حتى قبل انتشار العلمانية

فقد كانت في أوروبا سلطتان: سلطة سياسية يمثلها الرئيس أو الملك وأعوانه وسلطة دينية يترأسها البابا ويساعده الرهبان والراهبات والقساوسة والكردنالات وغيرهم من رجال الإكليروس، وكانت لها ميزانيتها وإقطاعها وثوراتها.

وحتى بعد العلمانية لا زالت هذه السلطة على حالها إلى عصرنا، فللفاتيكان حكومة خاصة غير الحكومة السياسية، فالمسيحية منذ نشأتها ظلت دينا لا دولة، وشريعة محبة، لا تقدم للمجتمع ولا مرجعية قانونية ولا نظاما للحكم، ورسالة مكرسة لخلاص الروح، تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وظلت رسالة كنيسة خاصة بمملكة السماء، لا شأن لها بسلطان الأرض وقوانين تنظيم الاجتماع البشري في السياسة والاجتماع والاقتصاد وعلومها ومعارفها، كما قال عمارة^(٢).

وزاد: «فلما حدث وتجاوزت الكنيسة حدود رسالة الروح ومملكة السماء فاغتصبت السلطة الزمنية أيضا، أضفت على الدنيا قداسة الدين، وثبتت متغيرات الاجتماع الإنساني ثبات الدين، فدخلت بالمجتمعات الأوروبية مرحلة الجمود والانحطاط وعصورها المظلمة ..»^(٣).

هنا تفجرت فلسفة الأنوار العلمانية كحركة تصحيحية للدين المسيحي وإرجاعه لطبيعته الأولى الذي أخرجته الكنيسة منها بجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

«الأمر الذي جعل سجن الدين في الكنيسة وفي الضمير الفردي ثورة تصحيح ديني، وليس عدوانا على الدين»^(٤).

(١) راجع: سالم البهنساوي، الإسلام لا العلمانية مناظرة مع د. فؤاد زكريا، دار الدعوة، ص ١٠ - ١١، و سالم البهنساوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ١: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ص ٢٠٩.

(٢) محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط ١: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ١٨.

(٣) محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، ص ١٨.

(٤) نفس المرجع، ص ٢٠.

خامساً: الحروب الدينية

«العلمانية لم تكن نتاج مطارحات فكرية هادئة أو مجرد تعبير عن رغبة مزاجية عنت لبعض الأفراد أو المجموعات الفكرية والسياسية، بقدر ما كانت عبارة عن حل عملي فرضته أجواء الحروب الدينية التي شقت عموم القارة الأوروبية في القرنين السادس والسابع عشر، فالعلمانية كانت في صورتها العامة عبارة عن تسويات تاريخية فرضتها أجواء الحروب الدينية، مما جعل من غير الممكن استمرار الوضع على ما هو عليه، أو العودة به إلى ما قبل مرحلة الحروب الدينية»^(١).

فقد أدارت الكنيسة البابوية حروباً دائمة ولا هوادة فيها ضد من أسمتهم هراطقة الداخل وضد وثني وكفرة الخارج، كما مرت أوروبا على امتداد مائة وثلاثين عاماً (١٣٠٠ عاماً) من (١٥٥٩م - ١٦٨٩م)، أي منذ ظهور الحركة البروتستانتية في الشمال الأوروبي ثم محاولة امتدادها نحو الوسط، بحالة واسعة من الاضطرابات السياسية والحروب الدينية المفزعة.^(٢)

لذلك وفي ظل هذا الجو القاسي المفزع كان لابد من الخلاص من هذا الكابوس المرعب.

والحاصل أن العلمانية الأوروبية كانت رد فعل لدوغمائية صكوك الغفران والحرمان والطغيان الكنسي ومظالم الحكومة الدينية المتحدثة باسم الله، والتي اعتبرت كل ما لم يرضه رجال الكنيسة مخالفاً للإرادة الإلهية^(٣)، وكانت ردة فعل للحروب الدينية التي أفزعت أوروبا وأقلقنت راحتها.^(٤)

سادساً: نظرية التطور

في سنة ١٨٥٩م نشر الباحث الإنجليزي "تشارلز داروين"^(٥) كتابه "أصل الأنواع" الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وقد جعلت نظريته كون الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرود مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها.

(١) رفيق عبد السلام، في العلمانية والدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات، مركز الجزيرة للدراسات للدراسات للعلوم ببيروت، ط١: ١٤٢٩هـ، ص ٢٦.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٧.

(٣) انظر: سالم البهنساوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ص ٧٤.

(٤) ينظر: أبو سفيان مصطفى باحو السلاوي المغربي، العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، من ص ٦٦ إلى ص ٧٧.

(٥) داروين (١٨٠٩-١٨٨٢م) هو تشارلز داروين صاحب نظرية التطور العضوي المعروفة، ولد بوياتر في بريطانيا، وألف كتابه "أصل الأنواع" بعد رحلة طويلة وقد أحدثت نظريته انقلاباً فكرياً في معظم حقول المعرفة الأوروبية؛ نظراً للاستغلال العظيم الذي قام به المغرضون والهدامون، ولاسيما اليهود. راجع: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص ٣٥١. انظر: أحمد بن عبد بن الحسين الغوايشة، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، رسالة ماجستير، في العقيدة كلية الشريعة للدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز، إشراف: عبد الحمن حسن حبنكة الميداني، ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ، ص ٥٠٢.

فأحدث ذلك ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الحسبان.

وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية، ونشر الإلحاد في أوروبا، وقد استغلها اليهود استغلالاً بشعاً.^(١) والنظرية في جوهرها فرضية بيولوجية^(٢) أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، كما أنها بعيدة عن أن تكون حقيقة علمية ثابتة، وقد قال أحد العلماء الغربيين في النظرية الداروينية^(٣): "بأنها أبوها الكفر وأمها القذارة".^(٤)

والنظرية الداروينية باطلة بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله ﷺ، وباطلة بجميع الكتب السماوية، وباطلة بإجماع المسلمين في كل زمان ومكان، وباطلة بالعقل الصحيح، وبالفطرة السليمة من الشذوذ والانحراف. فبنو آدم وجميع الحيوانات والطيور، وجميع ما في البراري والبحار من آلاف السنين مخلوقات لله، وهي على ما هي عليه لم تتغير أشكالها ولا أسماؤها.

ومذهب داروين باطل؛ لعدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع من مخلوقات الله فمن الذي عاش آلاف السنين حتى شاهد تغير الإنسان من خلية إلى حشرة إلى حيوان إلى قرد كما يزعم داروين، وهو الذي لم يعيش سوى أقل من خمس وسبعين (٧٥) سنة.

قال تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴾^(٥)، والنظرية باطلة بقوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(٦)، فإله تعالى إنما أهبط من الجنة آدمياً يعقل، ولم يهبط حشرة ثم صارت حيواناً لا يعقل ثم صار قرداً.

(١) إمانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٢) بيولوجيا: علم الأحياء ويقسم إلى علم النبات وعلم الحيوان.

(٣) الدارونية نسبة لصاحب النظرية تشارلز داروين، وقد سبق التعريف به في الصفحة السابقة.

(٤) انظر: صالح بن إبراهيم البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، ط ٢: ١٤٠٤ هـ، ج ١، ص ١٤٩.

(٥) سورة الكهف: ٥١.

(٦) سورة البقرة: ٣٦.

والداروينيون الملاحدة يقولون على الله بغير علم قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (١)، وهم يجادلون بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَادِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْتِلِ لِلْجَحْشِ بِهَ الْحَقِّ وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (٢) إلى غير ذلك من الأدلة التي تنسف خرافة النظرية الداروينية (٣). (٤).

سابعا: الإلحاد

ثم جاء الإلحاد في ثورته العارمة ليضيف سبباً جديداً لقيام العلمانية في أوروبا، فساعد على زيادة النار اشتعالاً، والطين بلة، في موجة إلحادية قوية في شكل نظريات تبرهن على عدم وجود الله أصلاً، وأن الأشياء إنما وجدت بطبيعتها، وأن التدين إنما هو من صنع الإنسان وخیالاته، وليس من قوة إلهية خارجة عن البشر، وقد شكلت هذه الظاهرة مع ظاهرة الغضب الجماهيري كمأشة قوية على أعناق رجال الدين، وعلى الدين نفسه؛ مما أتاح فرصة سانحة لقيام العلمانية وسائر المذاهب في أوروبا بقسميها الشرقي والغربي. (٥)

مراحل العلمانية أو (صورها)

ذهب البعض إلى أن الفكر العلماني الأوروبي مرّ بمرحلتين:

المرحلة أو (الصورة) الأولى: مرحلة العلمانية المعتدلة، وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر - وهي وإن اعتبر الدين فيها أمراً شخصياً - لا شأن للدولة به. والتفكير العلماني في هذه المرحلة وإن طالب بتأكيد الفصل بين الدولة والكنيسة إلا أنه لم يسلب المسيحية كدين من كل قيمة لها، وإن كان ينكر فيها بعض تعاليمها، ويطالب بإخضاع تعاليم المسيحية إلى العقل وإلى مبادئ الطبيعة؛ مما نشأ عنه المذهب المعروف باسم مذهب الربوبيين، وهو مذهب يعترف بوجود الله كأصل للعالم، ولكنه ينكر الإعجاز والوحي وتدخل الله في العالم.

(١) سورة النجم: ٢٨.

(٢) سورة الكهف: ٥٦.

(٣) للمزيد من الرد على هذه النظرية. انظر: البليهي، عقيدة المسلمين، ج ١، ص ١٥٠ وما بعدها.

(٤) انظر: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، العلمانية وموقف الإسلام منها، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢هـ، ص ٣٥٢ وما بعدها.

(٥) د. غالب بن علي عواجي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها المكتبة العصرية الذهبية جدة، ط ١: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ٦٩٥ - ٦٩٧.

ومن دعاة هذه المرحلة: فولتير (١٦٩٤م-١٧١٣م) في فرنسا، وشفتسيري (١٦٧١م-١٧١٣م) في إنجلترا، وليسنج (١٧٢٩م-١٧٨١م) في ألمانيا والفيلسوف الإنجليزي جون لوك (١٦٣٢م-١٧١٤م)، وهوبز (١٥٨٨م-١٦٧٩م)، وديكارت وبيكون، وسبينوزا، وجان جاك روسو، وأضرابهم.^(١)

المرحلة أو (الصورة) الثانية: وهي مرحلة العهد المادي أو ما يسمى بالثورة العلمانية، وهي مرحلة القرن التاسع عشر وما بعده، وعلمانية هذه المرحلة هي مرحلة إلغاء الدين - أي دين إلغاء كلياً وعدم الإيمان بالأمور الغيبية - وليس فصلاً بينه وبين الدولة كما هو المفهوم في المرحلة الأولى، واعتبار أن الموجود الحقيقي هو المحسوس فقط، والدافع عليها هو الاستئثار بالسلطة، ولذلك كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة، بل كانت إلغاء للدين كمقدمة ضرورية إلى السلطة المنفردة التي هي سلطة جماعة العمل أو المجتمع أو الدولة أو الحزب حسب تحديد بعض هؤلاء الشيوعيين اليساريين، ومن دعاة هذه المرحلة: هيجل، فيرباخ، وكارل ماركس، وأضرابهم.^{(٢). (٣)}

مظاهر العلمانية

- ١ - في المعرفة والفكر والفلسفة: تؤمن العلمانية بالمادة، ولا شيء وراء المادة^(٤)، أما الدين فلا مكان له هنا؛ لأنه يعتمد في أصوله على مقومات غيبية وخرافية، ولا يوجد شيء مقدس إلا ما دلت عليه التجربة، وما عداه محض خرافات، وليس من هم العلمانية التطلع للأخرة، لأنها غيبيات أسطورية، بل محورها المركزي والوحيد هو هذه الحياة الدنيا، ولهذا السبب عرف بعضهم العلمانية بالدينيوية.^(٥)
- ٢ - العلمانية في السياسة: فصل الدين عن السياسة واعتماد القوانين الوضعية والتشريعات الإنسانية، وإبعاد كل اعتبار ديني.

^(١) راجع: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة ص ٣٦٧ - ٣٦٨، وعبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، كواشف زبوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم - دمشق، ط٢: ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ١٦٤، ومحمد شاكر الشريف، العلمانية وثمارها الخبيثة، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١: ١٤١١هـ، ص ١٥-١٦.

^(٢) انظر: المراجع السابقة.

^(٣) ينظر: حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، العلمانية وموقف الإسلام منها، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

^(٤) تحدث عزيز العظمة في العلمانية تحت المجهر (ص ١٦٢) عن علمانية المعرفة، لاستنادها إلى الطبيعة والتاريخ لا الكتب المقدسة. وتحدث في مكان آخر (ص ٩١) عنها بوصفها تقوم على نفي الأسباب الخارقة عن الظواهر الطبيعية والتاريخية، أي: الاكتفاء بالأسباب المحسوسة المادية وقوانين الحركة. انظر: عبد الوهب المسيري وعزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر، ط١: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ١٦٢ ص ٩١.

^(٥) في معجم علم الاجتماع المعاصر: العلماني معناه: الديني أو غير الروحي، أو غير الديني. انظر: عبد الوهب المسيري وعزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، ص ٦٠.

٣ - العلمانية في الاقتصاد: تسن القوانين والتشريعات والضوابط الاقتصادية بعيدا عن الدين، ولا مكان في العلمانية للحديث عن تحريم الربا والاحتكار والميسر وغير ذلك، ولا مكان لإيجاب الزكاة، لأنها معاملات ذات صبغة دينية والدين لا دخل له في شؤون الدولة حسب المعتقد العلماني.

ويدور الاقتصاد العلماني على الربح والمنفعة، ولا يهتم بما تحقق سواء بخمور أو ربا أو ميسر أو أفلام إباحية، أو دور دعارة، أو حتى أسلحة للعصابات المسلحة، ولا اعتبار لأية كوابح دينية.

٤ - العلمانية في المواطنة: الوطن القومي في العلمانية هو معيار المواطنة بغض النظر عن الدين، لأن أساس الولاء هو الوطن، والدين أي دين مسألة شخصية.^(١)

٥ - العلمانية في التربية والأخلاق: تقوم فلسفة العلمانية بخصوص الأخلاق على إبعاد الدين والمقدسات عن مجالاتها، واعتبار الأخلاق انعكاسا للأوضاع الفكرية والاقتصادية العامة، فلكل عصر أخلاقه وفنونه، فليس هناك قيم مطلقة لا تاريخية، فما كان ممنوعا بالأمس ليس بالضرورة أن يكون ممنوعا الآن فالشذوذ الجنسي أو زنا المحارم لا ترى العلمانية به بأسا إذا كان بالتراضي، لأنه ممارسة للحرية المطلقة التي ما جاءت العلمانية إلا لتحقيقها، وبالجملته تربط الأخلاق بالتاريخ والزمن لا بالثوابت الدينية.

٦ - العلمانية في الاجتماع: النظم الاجتماعية تستمد من الفلسفات والبحوث في علم الاجتماع لا من الدين، بمعنى أن نظم الأسرة والزواج والطلاق في شكلها الديني لا مكان لها في العلمانية، ويجب سن مفاهيم حديثة لا ترتبط بنظام الأسرة التقليدي القائم على سيطرة الأب، وضرورة تأسيس حكومات عسكرية للقيام بالإصلاح الاقتصادي والاجتماعي وتطبيق علم الاجتماع بنظرياته.^(٢)

٧ - العلمانية في الإعلام: للإعلام الحرية المطلقة في عمله ولا خطوط حمراء له، سواء تعرض للمقدسات أو الأديان أو الرموز الدينية، ولا ضير في إجراء تحقيق مع الشواذ والعاهرات والإشادة بهم، وعقد جلسات حوارية معهم، وفسح المجال أمامهم للتعبير عن آرائهم، ولا ضير في عرض الأفلام الإباحية أو رجل يقبل امرأة أو يجامعها، فالتقرز من هذه المناظر إنما هو من رواسب المؤثرات الدينية، أما في دين العلمانية فتلك ممارسة للحرية الشخصية وإبداع فني لا علاقة له بالدين.

ولا مانع كذلك من نقد الأحكام الشرعية، وربما الاستهزاء بها، لأن كل هذا لا يعدو ممارسة للحرية الشخصية، والدين مكانه المسجد أو الكنيسة، وحرية التعبير مكفولة للجميع.

^(١) جعل عزيز العظمة في العلمانية تحت المجهر (١٦٢) علمانية المكان باعتبار قومي للمكان وللوطن.

^(٢) سالم على البهنساوي، تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ص ٣١.

٨ - العلمانية في التعليم: ترى العلمانية أن التعليم يجب أن يبتعد عن كل المؤثرات والضوابط الدينية، فلا يلحق الطفل أي عقيدة دينية، كوجود الله والقرآن والرسول والآخرة ونحو ذلك، ولا يسمح للدين بالتدخل في التعليم، لا من حيث المواد التي تدرس، ولا من حيث منهج التعليم، ولا من حيث آلياته، وحتى مادة التربية الإسلامية فيجب أن تقتصر على المبادئ العامة التي تناسب العلمانية كالمساواة والتسامح والرحمة والتعاون والحرية وما أشبه ذلك.

ومن هنا سعى العلمانيون لإظهار رجل الدين في قالب المسكوني المنغلق المتطرف، ورجل التعليم المدني في قالب المتحرر والمتنور والواعي.

مغالطات العلمانية

ادعت العلمانية أنها سيرورة تاريخية لا مفر منها، وأنها أرقى ما وصل إليه العقل البشري، وبالتالي فهي حقيقة مطلقة، تتبني على أصول فلسفية وعقلية واحدة، وتقوم على أرض ديمقراطية صلبة، وذلك ما نحاول مناقشته باختصار في هذه الفقرات:

العلمانية وامتلاك الحقيقة المطلقة

طالما رمت العلمانية الأديان بادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، في حين أكدت هي على نسبيتها، لكنها تحولت هي الأخرى إلى حقيقة مطلقة جديدة، وادعت لنفسها أنها أرفع ما وصله العقل البشري من الفلسفات والأفكار، وأنه إما هي أو الطوفان.

إن الاتجاه العلماني يعتبر نفسه ماسكا للحقيقة وصانعا لها، ويعامل الآخر على أنه مناف لها^(١)، فالمثقف العلماني يصدر في تعامله مع ذاته ومع غيره عن إحساس بمركزيته ونرجسيته بنخبويته وتفوقه، ولهذا فهو يمارس الاستبداد والهيمنة.

وذلك أن العلمانية لا تكف عن إنتاج أشكالها القدسية وأبعادها اللاهوتية، فلا تخلو المجتمعات الغربية الحديثة من الممارسات التقديسية بالرغم من أنها تمارس حياتها باسم العقلانية والعلمانية والديمقراطية، ولهذا فقد يمارس المرء علمانيته بطريقة لاهوتية أصولية، وذلك بقدر ما يتعامل مع الحقيقة بصورة دوغمائية أحادية، وبقدر ما يتعامل مع المشروعية بطريقة قدسية لاهوتية، وبقدر ما يتعامل مع السلطة بطريقة فاشية.

(١) محمد عمارة، الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٦.

وتحدث على حرب عن تحول المشاريع الإيديولوجية العلمانية إلى نمط لاهوتي له مقدساته وله مبادئه المتعالية التي فُهر البشر تحت راياتها باسم الأمة أو الزعيم أو البروليتاريا أو المجتمع الاشتراكي.^(١)

وهكذا المثقف العلماني مارس دوره كما يقول على حرب بطريقة نبوية رسولية إنه الله أفكاره ومبادئه ونزّه ممارساته أعني تجاربه وأخطائه، وعصم زعماءه وقادته إذن مارس استبداده باسم المبادئ السامية والقضايا المقدسة.^(٢)

وكذا ذكر أركون أن الأيديولوجيات الحالية كالماركسية والليبرالية تحولت إلى أديان دنيوية^(٣)، وأكد البروفسور لويس كنتوري الأستاذ بجامعة جورج تاون وأحد أبرز الخبراء الأمريكيين في شؤون الشرق الأوسط، في ندوة لندن يونيو عام ١٩٩٤م: أن الليبراليين من أكثر الناس ضيقا بالنقد؛ لاعتقادهم أنهم يملكون الحقيقة والمفتاح السحري للتقدم بعد الذي حققه الغرب من إنجازات على ذلك الصعيد.

والحاصل أن العلماني تسيّج في سياج يدعي فيه امتلاك الحقيقة المطلقة التي تعلو فوق جميع الحقائق، بل لا حقيقة إلا هي، وتوقع في معسكره الأيديولوجي مسفها كل ما هو خارجه، معتبرا أن العلمانية أرقى ما وصل له العقل البشري بل هي الفردوس الأعلى الذي ليس فوقه أو بعده من نعيم، وليست العلمانية مرحلة من المراحل، بل هي المرحلة النهائية.

أليست هذه هي حقيقة الدوغمانية التي ينكرها العلمانيون على مخالفتهم؟ بل ألم تتحول العلمانية إلى عقيدة حديدية متخشبة صارمة مغلقة؟ أليست هذه هي الفاشية والتطرف والعنصرية في أبهى صورها؟ أليست هذه نظرة متعالية وطقوسية؟ ألم تتحول العلمانية إلى معسكر عقائدي وسجن إيديولوجي حديدي مغلق؟ ألا تعتبر نفسها أرقى ما وصل إليه الفكر البشري كفلسفة للوجود؟ وبالتالي فهي حقيقة مطلقة، تحولت لدى أتباعها إلى مقدس يستحيل التنازل عليه مهما كانت الظروف والأحوال، وهذا هو المقدس^(٤)، وترى أنه يحق لها أن تمارس العنف لفرض القيم العلمانية، وهذا ما يفسر ظهور الاستعمار بعد ترسخ العلمانية في أوروبا.

(١) انظر: علي حرب، الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط١: ١٩٩٥م، ص ٢٦٣ - ٢٦٧.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٦٢.

(٣) انظر: أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٣٦.

(٤) وفي داخلها مقدسات كثيرة: الوطن، حقوق الإنسان، الرموز الوطنية. انظر: أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ص ١٦٥ - ١٦٩.

العلمانية والحمية التاريخية

وتنطلق العلمانية من رؤية دهرية أحادية الجانب، فهي ترى أنها تستند إلى حتمية تاريخية، وأن الكون يتجه طوعا وكرها نحو رؤية دهرية علمانية تتحو نحو التخلص نهائيا من التصورات الدينية والخرافية^(١)، وهي لا تعدو هنا أن تكون متأثرة بالتوجهات الوضعية والنزعات الإلحادية للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فأوجيست كونت مثلا يرى أن للتاريخ ثلاث مراحل: الحقبة الأسطورية الغيبية، ثم الحقبة المتافيزيقية، وأخيرا الحقبة الوضعية العلمية المتطابقة مع نظرة العلمانية الدهرية، فالعلمانية إذن عندهم هي مرحلة نهائية لنضج الوعي.^(٢)

ثم جاءت فلسفة ما بعد الحداثة، ورجوع التدين بقوة إلى أوروبا وأمريكا لبدء ضعف تلك الحتميات السابقة لتتحول فيما بعد إلى أفكار متجاوزة، كما حدث مع الشيوعية، التي غردت نفس التغريد سابقا، وضربت على نفس الوتر، ثم انهارت كما تنهار بناية متصدعة.

هل تركز العلمانية على أسس فلسفية وعقلية قطعية؟

يزعم العلمانيون أن أطروحتهم تستند إلى أسس فلسفية عقلية ضرورية لا مجال للنزاع فيها، وهي بالتالي حتمية، يجب أن يذعن لها الجميع، مع أن لكل فيلسوف فلسفته، أو بعبارة أوضح لكل مدرسة فلسفية أسسها الفلسفية التي تخالف وربما تناقض المدارس الأخرى، وداخل كل مدرسة أسس لكل فيلسوف، بدءا من فلاسفة اليونان ومرورا بالفلاسفة المسلمين، ووصولا للفلاسفة المعاصرين.

فما هي الأسس العقلية الفلسفية التي يعتبرونها ضرورية حتمية؟

مع أنه لا يوجد تعريف موحد للعقل وماهيته واختلف الناس فيه: الفلاسفة والمتكلمون والفقهاء والمعاصرون، حتى ذكر الزركشي أنه قيل فيه ألف قول.^(٣)

والأسس الفلسفية لمن اعتبر العقل هو مصدر المعرفة متناقضة ومتعارضة، فإذا نظرنا في الفلاسفة وحدهم نجد فلاسفة اليونان مختلفين: فلسفة سقراط قائمة على اللأدرية، وفلسفة أفلاطون قائمة على الحركة، وفلسفة بيرون قائمة على الشك، وليست الفلسفة الحديثة بأقل اختلاف من الفلسفة القديمة، فإن سبينوزا رفض فلسفة ديكارت، وأقام فلسفته على شكل من أشكال وحدة الوجود، ثم جاء كانط فنقد كل أشكال العقل، ثم أقام هيجل

(١) رفيق عبد السلام، في العلمانية والدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات، ص ٢٢.

(٢) نفس المرجع، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن، دار بن حزم، الرياض، ط ١: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٢١٤.

فلسفته على المطلق، ثم رفض فيورباخ كل الفلسفات السابقة، وأقام فلسفته على الطبيعة والأنسنة، وإذا كان باركلي قد أنكر المادة، فإن ماركس رفض كل ذلك وقرر أن المادة هي المتحركة بكل ما في الكون، وهكذا لم يتفق الفلاسفة على هذه الأسس المزعومة.^(١)

وما هي الاعتبارات العقلية والفلسفية التي يسلم بها العقل؟ هل هي الفلسفة الميكانيكية التي أجازت للحاكم أن يبيد بشكل سريع وخاطف كل المعارضين الذين يهددون ملكه، وذلك من أجل جلب الاستقرار للبلاد، والتي تنبأها نابليون ومحمد علي وهتلر وستالين وغيرهم.

أم هي مثالية جان جاك روسو الذي دعا إلى الهمجي النبيل؟

أم هي اللاعقلانية المادية النيتشوية التي تركز الإنسان الأقوى، وتحكم بإبادة ملايين الضعفاء حتى لا يبقى إلا الإنسان الأعلى.

أم العقلانية المادية التي تتمثل في النفعية المطلقة دون أي اعتبارات إنسانية أخرى، والتي كرسها كل من وليم جيمس وجون ديوي وغيرهم.

أم هي العقلانية المادية التي رأت إبادة الملايين من الغجر والسلاف واليهود والأطفال المعوقين والمسنين ممن صنّفوا باعتبارهم أفواها مستهلكة غير منتجة كما فعلت النازية، وكما فعل ستالين الذي أباد ملايين الفلاحين الكولاك الذين كانوا يعوقون عملية الإنتاج الحتمية.^(٢)

ومن خلال ما سبق يتضح أن العلمانية وإن كانت ردت فعل قوية على الدوغمائية التي سيطرت على الفكر المسيحي؛ لكنها وللأسف أنتجت دوغمائية مقلوبة في شكل مقابل للدوغمائية المسيحية، ولكنه لم يلبث أن انتهج نفس الأسلوب في فرض مبادئ العلمانية واعتبار قدسية توجهها، وإنكار مخالفيها واعتقاد عصمة ما أنتجته من آراء وفلسفات.

^(١) ينظر: أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن (٢١٨).

^(٢) راجع: أبو سفيان مصطفى باخو السلاوي، العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب، ص ١٣٧ - ١٤٧ وأحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن، ص ٢١٨ - ٢١٩.

الباب الرابع

الدوغمائية عند بعض الفرق الإسلامية وموقف الإسلام منها

ويشتمل هذا الباب على الفصول الآتية:

الفصل الأول: الدوغمائية عند الخوارج

الفصل الثاني: الدوغمائية عند الشيعة الاثني عشرية

الفصل الثالث: موقف الإسلام من الدوغمائية

تمهيد

جاء الإسلام يدعو إلى الوحدة بين أتباعه وإلى التآلف، وينهى عن الفرقة والاختلاف بين المسلمين؛ من أجل ذلك جعل الإسلام رابطة الدين هي الجامعة المعتمدة، ودعا الناس لات

باعها ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، وقد أبان الله - تبارك وتعالى - أن مراده الاجتماع تحت شريعة الإسلام^(١) إذ يقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢) وحبل الله هو الإسلام^(٣)، وكما عني الإسلام بتأسيس هذه الجامعة وتسهيل الدخول إليها وتكثير سواد أتباعها - حاطها بسياج منيع من أن يجد معول الهدم إليها سبيلاً^(٤)؛ من خلال إرساء قواعد التسامح فقد عني القرآن الكريم بموضوع التسامح عناية فائقة، فنوه به ليمثله أهل الإسلام ولينبذوا ما ينافيه، (من التعسف والدوغمائية) وعده من خصائص دين الإسلام، فقال جل شأنه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٥)، وقال في صاحب الرسالة وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم: ﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾^(٦) وقال في أصحابه وأتباعه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٧)؛ ولذلك اعتبر القرآن المؤمنين إخوة، ووصفهم بهذا الوصف إشاعة لخلق التسامح فيما بينهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٨)، ثم إن وصف الأخوة يستدعي أن تثبت بين الموصوفين به خلال الاتحاد، الإنصاف، المواساة، المحبة والصلة، النصح، وحسن المعاملة؛ فيقبلها جميع الأمة بالصدر الرحب.^(٩)

(١) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ٣، ص ١٧٦، ١٧٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٣) وهو قول ابن زيد، انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١: ١٤٢٢ هـ، ج ١، ص ٤٨٣، والمرجع السابق ص ١٧٩.

(٤) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٨٤.

(٥) سورة الحج: ٧٨.

(٦) سورة الأعلى: ٨.

(٧) سورة الأنفال: ٦٣.

(٨) سورة الحجرات: ١٠.

(٩) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ١٩٧.

ولكن ما لبث أن انتهى العهد النبوي وعهد الخلفاء الراشدين حتى أطلت الفتنة والفرقة بين المسلمين؛ نتيجة لما ظهر في بعضهم من قصور في الوعي بمفاهيم الإسلام وقيمه، والتطرف والغلو في بعض القضايا والأشخاص، وسلوك نمط دوغمائي في حل هذه المشكلات دون استخدام عقل ناقد واعي أو رجوع صادق لمنهج الله من خلال كتابه وسنة رسوله، ففي هذه الفترة الحرجة تحكمت الأهواء والأطماع والجهل وبعض الدسائس؛ لتحود بفريق من المسلمين عن منهاج الله في التسامح ورحابة الاختلاف وقبول الآخر والحرص على الإخوة الإسلامية ووحدة المسلمين إلى مجموعة من الرؤى والاعتقادات الدوغمائية التي كانت سببا في بداية أول انقسام في صفوف من قال فيهم الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (١)

وفي هذا الباب سوف أتعرض لفرقتين من الفرق الإسلامية ممن انتهجوا أفكارا دوغمائية أثرت ومازالت تؤثر في انقسام المسلمين وعزلة أتباع هاتين الفرقتين فسأتناول في الفصل الأول من هذا الباب فرقة الخوارج ونشأتها ومظاهر الدوغمائية لديها والآثار التي أنتجتها دوغمائيتهم، أما الفصل الثاني سوف أتعرض فيه لفرقة الشيعة وأهم المعتقدات الدوغمائية لدى الشيعة الاثنى عشرية وأثرها عليهم، أما الفصل الثالث وهو موقف الإسلام من الدوغمائية فسوف أتناول فيه منابع الدوغمائية في المجتمع الإسلامي واتهامات أركان الفكر والتراث الإسلامي بالدوغمائية، ثم أتبع ذلك بما يوضح براءة الإسلام من الدوغمائية في تعاليمه ومبادئه.

(١) سورة الأنبياء: ٩٢

الفصل الأول

الدوغمائية عند الخوارج

ويشتمل هذا الفصل على المباحث التالية:

- المبحث الأول: مظاهر الدوغمائية عند الخوارج
- المبحث الثاني: أثر الدوغمائية عند الخوارج

المبحث الأول

مظاهر الدوغمانية عند الخوارج

مدخل

فرقة الخوارج تعد من الفرق الاعتقادية الكبرى، وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي، شغلت الدولة الإسلامية فترة طويلة من الزمن، وقد بسطوا نفوذهم السياسي على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، وفي عمان وحضرموت وزنجبار^(١) وما جاورها من المناطق الإفريقية وفي المغرب العربي، ولا تزال لهم ثقافتهم المتمثلة في المذهب الإباضي المنتشر في تلك المناطق.

ولا يخفى كذلك أن بعض أفكار الخوارج - ولاسيما الأزارقة - المتعلقة بتكفير العصاة لا يزال لها أتباع يمثلون تنطع الخوارج وتشددهم في وقتنا الحاضر؛ مما يستدعي عرض ودراسة هذه الفرقة، وما أنتجت من آراء وأفكار دوغمائية، وبيان ما جناه أتباعها على الإسلام والمسلمين^(٢) إثر دوغمائيتهم، وفي هذا الفصل سوف أعرض بالتفصيل التعريف بالخوارج وفرقهم، وأهم آرائهم الاعتقادية الدوغمائية مع إبطالها بالرد عليها وتفنيد شبهها، وأسباب دوغمائيتهم وأثرها على المجتمع الإسلامي، تاركة في هذه الفرقة وفي غيرها ما يمكن الاستغناء عنه أو لا تدعو الحاجة إلى ذكره مما لا يتعلق بموضوع البحث، وسوف أبدا هذا المبحث بالتعريف بمصطلح الخوارج.

أولاً: التعريف بالخوارج

في اللغة: الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس.^(٣)

في الاصطلاح: اختلف العلماء في التعريف الاصطلاحي للخوارج، وحاصل ذلك:

(١) وتسمى الآن (تنزانيا).

(٢) انظر: غالب بن علي عواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة، ١٣٩٨ هـ - ١٣٩٩ هـ، ص: ب، ج.

(٣) انظر كتب اللغة مادة (خرج)؛ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية تاج العروس: ج ٥ / ص ٥١٧، وأيضا محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠ هـ) تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، ج ٧، ص ٢٧.

١. منهم من عرفهم تعريفاً سياسياً فاعتبر الخروج على الإمام المتفق على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمن كان، فقال الشهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي انتقلت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو عاماً كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان".^(١)

٢. ومنهم من خصهم بالطائفة الذين خرجوا على الإمام علي - رضي الله عنه - فقال الأشعري: "والسبب الذي سُموا له خوارج؛ خروجهم على علي بن أبي طالب"^(٢).

زاد ابن حزم بأن اسم الخارجي يلحق كل من أشبه الخارجين على الإمام علي أو شاركهم في آرائهم في أي زمن، فقال: "ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلصون في النار وأن الإمامة جائزة في غير قريش فهو خارجي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وإن خالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً"^(٣) وهو يتفق مع تعريف الشهرستاني، ويزيد عليه القضايا التي اشتهر بها الخوارج.

ثانياً: نشأة الخوارج

يختلف المؤرخون في تحديد بدء نشأة الخوارج هل كان ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو في عهد عثمان أو في عهد علي رضي الله عنه أو أن نشأتهم لم تبدأ إلا بظهور نافع بن الأزرق وخروجه عام ٦٤هـ؛ والمختار القول بأن نشأتهم بدأت بانفصالهم عن جيش الإمام علي رضي الله عنه وخروجهم عليه، بعد قضية التحكيم، وهذا الرأي هو الذي عليه الكثرة الغالبة من العلماء؛ إذ يعرفون الخوارج بأنهم هم الذين خرجوا على علي بعد التحكيم، ومن هؤلاء الأشعري"^(٤).

ثالثاً: مظاهر الدوغمانية عند الخوارج

الخوارج ليس لديهم اتساق منهجي فيما بينهم، إذ سرعان ما يختلفون، ويخرج بعضهم على بعض، ويحدث انشقاق بين لحمتهم فيسارع كل فرع لتكفير الآخر وتكوين فرقة له ويدعو أصحابه لمبايعته أميراً! أو إماماً

(١) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل مؤسسة الحلبي، ج ١، ص ١١٤.
(٢) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٠٧.
(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٥٦٤هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي - القاهرة، ج ٢، ص ٩٠.
(٤) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٧، وينظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة، مكتبة ابن سينا، ص ٧٤.

عليهم؛ ونتيجة لذلك ظلوا في حروب وشتات فيما بينهم وبين بعضهم أو فيما بينهم كحزب سياسي أو ديني وبين خصومهم من خلفاء بني أمية والعباسيين بعدهم، فلم يتسع لهم الوقت لتدوين معظم آرائهم وأصولهم العقائدية، أو فكرهم السياسي بصورة ونسق متكامل، اللهم إلا بعض الاجتهادات في الأصول أو الفروع، بالإضافة إلى نظريات فكرية جافة عن نظم الحكم والسياسة.

وقد نستطيع أن نستنبط كما استنبط المتقدمون من العلماء في التاريخ والمذاهب أنساق الخوارج الدينية والسياسية من نثراتهم، ومناظراتهم لبعضهم البعض أو لخصومهم^(١)، ويتبين من هذه الأنساق مظاهر دوغمائيتهم، وهي ما سوف أعرض له في النقطة التالية.

دوغمائية تكفير الصحابة والتبرأ منهم

إن أول مظهر من مظاهر دوغمائية الخوارج هو نهجهم الفكري الذي اعتنقوه في تكفير الصحابة والخروج عليهم وقتالهم، وفي ذلك يقول المسعودي: "الذي يجمع الخوارج إكفارهم عثمان وعلياً، والخروج على الإمام الجائر، وتكفير مرتكب الكبائر، والبراءة من الحكمين أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري وعمرو بن العاص السهمي، وحكمهما، والبراءة ممن صوب حكمهما أو رضي به، وإكفار معاوية وناصرية ومقلديه ومحبيه، فهذا ما اتفقت عليه الخوارج من الشرارة والحرورية"^(٢).

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: "ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي - رضي الله عنهما - ويقدمون ذلك على كل طاعة". وقال في المحكمة الأولى: "وطعنوا في عثمان عليه السلام للأحداث التي عدوها عليه، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين".

وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي عليه السلام قال: "وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهم - وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار"^(٣).

وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه، واعتقاده دوغمائية، وضلال وغواية والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا فكانوا له تبعاً.

(١) أبو قحف، محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، قصة الخلافة نشأة الخوارج وتطور فرقهم ومذاهبهم حتى العصر الحديث، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م، ص ١٧٨.

(٢) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق: أسعد داغر، الناشر: دار الهجرة - قم، ١٤٠٩هـ، ج ٣، ص ١٨٣.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٥ - ١٢١.

إن اعتقادهم كفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله ﷺ دوغمانية باطلة لأمر عدة:

(١) أن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس، وكذا رسول الله ﷺ أخبر بأنهم أفضل أمتة، فقد قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله عز وجل: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ (٢)، قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة (٣) وعن عائشة، قالت: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ، ثُمَّ الثَّانِي، ثُمَّ الثَّلَاثُ» (٤)، "وإنما كان قرنه خير الناس؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس وصدقوه حين كذبوه، ونصروه حين خذلوه، وجاهدوا وآووا" (٥)، وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة.

(٢) شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الثابت في مواضع كثيرة من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَإِنَّهُ تَبِعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦)، فكلية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٧) في هذه الآية أول ما ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، إذ أنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع؛ لأنهم أول من خطبوا به، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (٨)، وهذه الآية تضمنت شهادة الله تعالى للمهاجرين والأنصار بأنهم أهل الإيمان حقاً فتكفير الخوارج لطائفة منهم هو عين الضلال، وعين المعاندة للأخبار القرآنية الإلهية، فلقد هلك الخوارج بنص هذه الآيات بحكمهم على طائفة من خيار الأمة بالكفر إذ أن الباري - جل وعلا - شهد لهم بحقيقة الإيمان والخوارج يكذبون الله في شهادته لهم بالإيمان وينسبون إليه الجهل، إذ أنه يبعد أن يشهد الله تعالى بالإيمان لقوم وهو يعلم أنهم سيكفرون.

(١) سورة آل عمران: ١١٠

(٢) سورة آل عمران: ١١٠

(٣) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، رقم الحديث: ٣١٦٠، ج ٢ ص ٣٢٣، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، حديث رقم: ٢٥٣٦ ج ٤، ص ١٩٦٥.

(٥) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط ١٣٥٦: ١ هـ، ج ٣، ص ٤٧٨.

(٦) سورة آل عمران: ٦٨

(٧) سورة آل عمران: ٦٨

(٨) سورة الأنفال: ٧٤

(٣) أن الله تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١)، ففي هذه الآية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم فهو ضال مخالف لله جل وعلا حيث كفر من رضي الله عنه ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا وتمرد وطغيان، وهذه صفة الرفضة والخارج المارقة، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢)، وفي هذه الآية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين كان منهم علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولا لرسول الله ﷺ فبايع له النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يده بدلاً عن يده فكانت خيراً له من يده؛ وإذا كان الرضا من الله تعالى عن العبد إنما يكون عن علمه أنه يموت على الإيمان وجب أن يكون المبايعون تحت الشجرة على هذه الصفة وكان علي وطلحة والزبير منهم، وكان عثمان يومئذ أسيراً، فبايع له النبي عليه السلام وجعل يده بدلاً عن يده، وصح بهذا بطلان قول من أكفر هؤلاء الأربعة (٣).

(٤) يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الخوارج كانوا شيعة علي وأنصاره في صفين، وموقعة الجمل، ولم يخرجوا عليه في مسألة دينية أو فقهية، بل على مسألة سياسية تتعلق بأصول الخلافة والحكم والإمامة! والدليل على ذلك أيضاً: أن الخوارج لم يكفروا علي ولم يكفروا عثمان رضي الله عنهما، في سنيهم الأولى للخلافة بل تولوا: خلافة الشيخين الكبيرين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم عثمان قبل الفتنة ومقتله، وعلي قبل قبوله بمبدأ التحكيم! يضاف إلى ذلك أن تكفيرهم لأصحاب الجمل طلحة والزبير ومن سار معهم من أصحابهما في خروجهم على إمامة أو خلافة علي رضي الله عنه لم يكن يحدث لو لم يخرجوا ويشقوا عصا الطاعة على إمامة علي، وقد صحت بيعته - كذلك لم يكفروا معاوية ولا عمرو بن العاص وأصحاب صفين، لو لم يشقوا عصا الطاعة على الإمام علي وينكروا خلافته؛ إذن يمكن أن يستنبط أن المنطلق عند هؤلاء الخوارج كان منطلقاً سياسياً، حزبياً، دوغمائياً، حدث من تلقاء الحادثة الواقعة بعد رفع المصاحف، وطلب التحكيم، والنزول على حكم الله وما جاء بكتاب الله عز وجل! (٤)

(١) سورة التوبة: ١٠٠

(٢) سورة الفتح: ١٨

(٣) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩٤-٩٥.

(٤) أبو قحف، محمد محمود عبد الحميد أبو قحف، قصة الخلافة نشأة الخوارج وتطور فرقهم ومذاهبهم حتى العصر الحديث، ص ١٨٠.

هذه هي مشكلة الخوارج الكبرى منذ أن نشأوا وطوال عهد الدولة الأموية وزمن متقدم من عهد الدولة العباسية، شغلته قضية الإمامة عملياً، فجردوا السيوف ضد الحكام المخالفين لهم ناقلين عليهم سياستهم في الرعية، من عدم تمكينهم من اختيار إمامهم بأنفسهم، ثم سياستهم الداخلية في الناس؛ حيث شغلتهم فكراً بتحديد شخصية الإمام وخصائصه ودوره في المجتمع، وكانوا يظهرون بمظهر الزاهد عن تولي الخلافة حينما يكون الأمر فيما بينهم، وحرباً لا هوادة فيها ضد المخالفين لهم.

ومن دوغمائيتهم في نظرتهم للإمامة تلك الشروط التي رأوا ضرورة توافرها في الإمام

شروط الإمام عند الخوارج

وضع الخوارج شروطاً قاسية لمن يتولى الإمامة، منها:

- ١- أن يكون شديد التمسك بالعقيدة الإسلامية مخلصاً في عبادته وتقواه حسب مفهومهم.
- ٢- أن يكون قوياً في نفسه ذا عزم نافذ وتفكير ناضج وشجاعة وحزم.
- ٣- أن لا يكون فيه ما يخل بإيمانه من حب المعاصي واللغو.
- ٤- ألا يكون قد حد في كبيرة حتى ولو تاب.
- ٥- أن يتم انتخابه برضا الجميع، لا يغني بعضهم عن بعض، ولا عبرة بالنسب أو الجنس، كما يقولونه ظاهراً دعاية لمذهبهم وفي باطنهم يملأهم التعصب.

وبالنظر إلى تلك الشروط يمكن الرد عليها أن كون الإمام ينتخب برضا أهل الحل والعقد، هذا مبدأ إسلامي لم يأت به الخوارج، أما عدم اعتبارهم للنسب فلم يلتفت الخوارج إلى ما صح من الأحاديث في اشتراط القرشية لتولي الخلافة، كما أنه لم يشترط الشرع في الإمام أن يكون ليله قائماً ونهاره صائماً، أو أنه لا يلم بأي معصية، أو يكون انتخابه برضا كل المسلمين من أقصاهم إلى أدناهم، لا يغني بعضهم عن بعض في مبايعتهم له كما يزعمه الخوارج^(١)، ولكن ذلك محض تعسف وجمود وتشدد دوغمائي من الخوارج.

(١) راجع: محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٧١. وعمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الأباضي، موقف للنشر، الجزائر، ٢٠١٣م، ج ٢، ص ١٢١.

ومن الدوغمائية أيضا ما يراه فريق منهم وهم المحكمة والنجدات والإباضية فيما قيل عنهم من أنه قد يستغنى عن الإمام إذا تناصف الناس فيما بينهم، وإذا احتيج إليه فمن أي جنس كان ما دام كفئا لتولى الإمامة^(١)، ومن مبرراتهم:

١- استنادهم إلى المبدأ القائل لا حكم إلا لله، والمعنى الحرفي لهذا المبدأ يشير صراحة إلى أنه لا ضرورة لوجود الحكومة مطلقاً.

٢- إن الضروري هو تطبيق أحكام الشريعة، فإذا تمكن الناس من تطبيقها بأنفسهم فلا حاجة إلى نصب خليفة.

٣- ربما ينحصر وجود الإمام في بطانة قليلة، وينعزل عن الأغلبية فيكون بعيداً عن تفهم مشاكل المسلمين فلا يبقى لوجوده فائدة.

٤- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشر صراحة ولا وضع شروطاً لوجود الخلفاء من بعده.

٥- أن كتاب الله لم يبين حتمية وجود إمام، وإنما أبان أن أمرهم شورى بينهم^(٢).

وتلك المبررات التي نسبت إليهم لا شك أنها مبررات واهية، ولا تكفي للقول بالاستغناء عن نصب الخليفة، أما القول بعدم وجود الإنسان الكامل فإنه لا يمنع من نصب الإمام حيث يختار أفضل الموجودين، ومن التصور الساذج القول بتناصر الناس فيما بينهم، وأما انعزال الإمام فإن مدار الأمر على التزامه بواجباته الشرعية وعدم إيجاد الحجب بينه وبين رعيته، وذلك مناط الحكم بضرورة وجود الإمام شرعاً وعقلاً.

وبعد هذه المبررات التي قدمها الخوارج فهل بقي القائلون بالاستغناء عن نصب الإمام على مبدأهم؟ والجواب بالنفي فإن المحكمة حينما انفصلوا ولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، والنجدات حينما انفصلوا تزعمهم نجدة بن عامر؛ وذلك مما يدل على تناقض مبادئهم مع واقعهم العملي وعدم اتساقهم مع منهجهم.

وقد ذهبت الخليفة من الخوارج الإباضية إلى أن كل إقليم أو حوزة يستقل بها إمامها فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين^(٣)، ويكون لهذا المناطق أئمة بعدد تلك المناطق؛ وهذا أيضاً باطل ولا يتفق مع روح الإسلام وأهدافه، لأن ذلك يؤدي إلى المشاحنات والعداوة وتقريب كلمة المسلمين، وحينما قرروا أن كل إقليم ينبغي أن يكون مستقلاً عن الآخر لا يخضع إقليم ولا منطقة لمنطقة أخرى تجاهلوا دعوة المسلمين إلى الاتحاد الذي يكمن فيه عزهم وقوتهم.

(١) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٥، والمسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٣٦.

(٢) عمار الطالبي آراء الخوارج الكلامية ص ١٢٥، محمد بن عبد الله السالمي، عمان تاريخ يتكلم، دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ١٢٣.

(٣) نقلاً عن آراء الخوارج ص ١٢٨.

دوغمائية تكفير مرتكبي الذنوب عند الخوارج

اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب بعد اتفاقهم بصفة عامة على القول بتكفيرهم كفر ملة ؛ وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي:

١- الحكم بتكفير العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون في النار مع سائر الكفار، وهذا رأي أكثرية الخوارج، وعلى هذا الرأي من فرق الخوارج: المحكمة والأزارقة والمكرمية والشيبية من البيهسية واليزيدية والنجيدات. إلا أنهم مختلفون في سبب كفره ؛ فعند المكرمية أن سبب كفره ليس لتركه الواجبات أو انتهاك المحرمات، وإنما لأجل جهله بحق الله إذ لم يقدره حق قدره.

وأما النجيدات فقد فصلوا القول بحسب حال المذنب، فإن كان مصرّاً فهو كافر ولو كان إصراره على صغائر الذنوب، وإن كان غير مصر فهو مسلم حتى وإن كانت تلك الذنوب من الكبائر وهو تفصيل بمحض الهوى والأمانى الباطلة.

٢- أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة، وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية، ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: " والفرق .. في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب، ودارهم هي دار الإيمان".^(١)

فمن أصول الخوارج اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً فقد بنى الخوارج رأيهم فيه على قولهم: إن العمل بأوامر الدين والانتفاء عما نهى عنه جزء من الإيمان، فمن عطل الأوامر، وارتكب النواهي لا يكون مؤمناً، بل كافراً إذ الإيمان لا يتجزأ ولا يتبعض، ولم يقف الخوارج عند هذا الحد، بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنباً واتخذوا هذا مبدءاً للتبرؤ والولاية، فمن ارتكب خطأ تبرؤوا منه وعدوه كافراً، ومن اتبع رأيهم وسلم من الذنوب في ظنهم تولوه^(٢).

(١) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج ١٩ ، ٧٣ ، وناصر بن عبد الكريم العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام منهجهم وأصولهم وسماتهم - قديماً وحديثاً وموقف السلف منهم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط ١: ١٩٤١هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٥.

(٢) راجع: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٧٢ - ٧٤، وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ٤ ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

قال الأشعري: "أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب أن حَكَمَ، وهم مختلفون هل كفره: شرك أم لا؟"، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجذات أصحاب نجدة"^(١).

أدلتهم والرد عليها

أولاً: أدلتهم من القرآن

تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم، وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر، قالوا: وليس وراء ذلك الحصر من شيء.

ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى:

١ - ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢).

وجه استدلالهم بالآية الأولى: أن الله تعالى حصر الناس في قسمين: قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذموم وهم الكفار، والفساق ليسوا من المؤمنين، فإذا هم كفار لكونهم مع القسم المذموم واستدلالهم هذا لا يسلم لهم أن الناس ينحصرون فقط في الإيمان أو الكفر، فهناك قسم ثالث وهم العصاة لم يذكر هنا وذكر فريقين لا يدل على نفي ما عداهما، والآية كذلك واردة على سبيل التبويض بمن، أي بعضكم كافر وبعضكم مؤمن، وهذا لا شك في وقوعه، ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون في الكفر.

٢ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣).

وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية: فقد زعموا أنها شاملة لكل أهل الذنوب، لأن كل مرتكب للذنوب لابد وأنه قد حكم بغير ما أنزل الله، وقد شملت الفساق؛ لأن الذي لم يحكم بما أنزل الله فيجب أن يكون كافر، والفساق لم يحكم بما أنزل الله حين فعل الذنب.

^(١) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٧٠، وغالب بن علي عواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص ٣٣٦ - ٣٤٥.

^(٢) سورة التغابن: ٢

^(٣) سورة المائدة: ٤٤

وهذا الاستدلال مردود كذلك لأن الآية واردة على من استحل الحكم بغير ما أنزل الله، أما أن يدعى الشخص إيمانه بالله ويعترف بأن الحق هو حكم الله فليس بكافر وإنما من أصحاب المعاصي حتى تقام عليه الحجة.

٣- ﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ وَهَلْ تَجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ (١)

وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة: فهو أن صاحب الكبيرة لابد وأن يجازى - على مذهبهم - وقد أخبر القرآن أنه لا يجازى إلا الكفور، والفاسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافراً.

وهذا الدليل مردود عليهم، وينقضه أن الله يجازي الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفاراً، وبأن الآية كانت تعقيباً لبيان ذلك العقاب الذي حل بأهل سبأ، وهو عقاب الاستئصال، وهذا ثابت للكفار لا لأصحاب المعاصي. (٢).

ثانياً: أدلتهم من السنة

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم في تكفير العصاة من المسلمين فقد أسأوا فهم الأحاديث وحملوها المعاني التي يريدونها، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (٣)، ولهم أدلة أخرى نكتفي منها بهذا الحديث.

فقد فهموا من هذا الحديث نفي الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر في الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه، فإن الحديث - كما يذكر العلماء - إما أن يكون وارداً فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب، أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال مواقعتهم لتلك الذنوب.

ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها ولهذا فقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث وما أشبهه يؤمن بها ويمر على ما جاء، ولا يخاض في معناها، وقال الزهري في مثل هذه الأحاديث "أمروها كما أمرها من قبلكم". (٤)

(١) سورة سبأ: ١٧

(٢) راجع تفسير الآيات من سورة سبأ في كلام: فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣: ١٤٢٠هـ، ج ٢٥، ص ٢٠١، وانظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٩، ص ٢٥٩، وأيضاً: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط ١: ١٤١٤هـ، ج ٤، ص ٣٦٨.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب: النهي بغير إذن صاحبه، حديث رقم: ٢٤٧٥، ج ٣، ص ١٣٦، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، حديث رقم: ٥٧، ج ١، ص ٧٦.

(٤) انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣: ١٣٩٢هـ، ج ٢، ص ٤١ - ٤٢.

وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «عَلَى رَغَمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ»^(١)، والكلام في أهل الكبائر مبسوط في موضعه من كتب التوحيد وكتب الفرق، والمقصود هنا هو التنبيه على دوغمائية الخوارج فيما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب من المسلمين مخالفين ما تضافرت النصوص عليه من عدم كفر مرتكبي الذنوب كفر ملة إلا بتفصيلات مقررّة.

مناقشة الخوارج

١ - الرّد على الخوارج: وقد ردّ النّسفي برّدود يستمدّها من نصّ الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَجَمَّ لَنَا نُورًا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢)، فالتوبة النصوح لا تكون إلا من الكبيرة، كما يستمدّ حججاً أخرى من أحاديث الرسول ﷺ أما تفسير الحديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"^(٣)، فقال النووي رحمه الله: "القول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه: لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله، ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة"^(٤).

٢ - ويردّ على الخوارج ومن وافقهم الذين يسلبون عن أهل الكبائر الإيمان من الكتاب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥) فلم يخرج تبارك وتعالى القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص والمراد أخوة الدين بلا ريب وقاله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاتَ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٦)، فوصف الطائفتين بأنهم من المؤمنين مع وجود البغي من إحداهما.

(١) رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الثياب البيض، حديث (٥٨٢٧)، ج ٧، ص ١٤٩، ومسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، حديث (٩٤)، ج ١ ص ٩٥، واللفظ لمسلم.

(٢) التحريم: ٨

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، برقم ٢٤٧٥، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، برقم ٥٧.

(٤) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ٢، ص ٤١.

(٥) سورة البقرة: ١٧٨

(٦) سورة الحجرات: ٩

٣ - ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدلّ على أن الزاني، والسارق، والقاذف لا يقتل، بل يُقام عليه الحدّ، فدلّ على أنه ليس بمرتدّ.

٤ - أما الردّ على الخوارج ومن وافقهم في قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار فهو كما قال الطحاوي رحمه الله: (وأهل الكبائر ... في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين، وهم في مشيئته وحكمته، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم، بفضله كما ذكره - عز وجل - في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(١) وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته^(٢)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي).^(٣)

فأهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يُكفر كفراً ينقل عن الملة بالكليّة كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة لكان مرتدّاً يُقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تُجرى الحدود في الزنا، والسرقه وشرب الخمر، وهذا قول معلوم بطلانه، وفساده بالضرورة من دين الإسلام.^(٤)

دوغمائية الخروج على أئمة المسلمين

من مظاهر دوغمائية الخوارج الخروج على أئمة المسلمين اعتقاداً وعملاً - غالباً - أو أحدهما أحياناً، والخروج على جماعة المسلمين ومعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراء منهم وامتحانهم، واستحلال دمائهم، وصرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم، وقتال المخالفين فيعيش الإمام عند الخوارج بين فكي الأسد، فالخوارج ينظرون إلى الإمام على أنه ممثل وجهه الأعلى، وينبغي أن يتصف بذلك قولاً وفعلًا وبمجرد أقل خطأ ينبغي عليهم القيام في وجهه ومحاسبته، فإما أن يعتدل وإما أن يعتزل.

(١) سورة النساء: ٤٨

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، شرح العقيدة الطحاوية، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط ٢: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ص ٢٥٧.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في الشفاعة، برقم ٤٧٣٩، وأحمد، ٢١٣/٣، والحاكم، ٣٨٢/٢، وقال: (على شرط الشيخين)، وقال الذهبي: (على شرط مسلم)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٧١٤، وأيضاً: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩ هـ) الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م، رقم الحديث ٢٤٣٥، ج ٤، ص ٢٠٣، وقال عنه حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقض، والنواقض، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ج ٢، ص ٨٢٠.

ومن غرائبهم ما يروى عن فرقة البيهسية منهم والعوفية، فقد اعتبر هؤلاء كفر الإمام سبباً في كفر رعيته، فإذا تركه رعيته دون إنكار فإنهم يكفرون أيضاً^(١) ولا شك أن هذا جهل بالشريعة الإسلامية، وعلى هذا فما تراه من كثرة حروبهم وخروجهم على أئمتهم أو أئمة مخالفهم يعتبر أمراً طبيعياً إزاء هذه الأحكام الخاطئة.

وقد حث الإسلام على طاعة أولي الأمر والاجتماع تحت رايتهم إلا أن يظهروا كفراً بواحاً، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وينبغي معالجة ذلك بأخف الضرر، ولا يجوز الخروج عليهم ما داموا ملتزمين بالشريعة بأي حال، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نُفَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا، مَا صَلَّوْا»^(٢).

قال النووي: "ومعناه من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا من لا يستطيع إنكاره بيده ولا بلسانه فيكرهه بقلبه بل يأثم بالرضا به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه"^(٣)، ويتضح من ذلك أن غاية ما يطلب من المسلم في مواجهة الإمام الجائر أنكر المنكر باللسان أو اليد، وفي حالة العجز عن ذلك عن الرضا بالمنكر وكرهه بالقلب، أما الخروج والقتال فقد نهى النبي ﷺ عنه لأن فيه فتنة أكبر على المسلمين، فقد ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى تحريم الخروج على أئمة الظلم والجور بالسيف ما لم يصل ظلمهم إلى حد الكفر وهذا قول جمع من الصحابة كسعيد بن أبي وقاس وأسامة بن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة، ولقد ادعى الإجماع عليه جمع من العلماء منهم النووي حيث قال: "... وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين"، وقد رد على من ادعى الإجماع بقيام الحسن وابن الزبير وأهل المدينة بالخروج على بني أمية، ولكن الذي يظهر أنه قد استقر أهل السنة بعد هذه الفتن على القول بتحريم الخروج، الأمر الذي دفع بعض العلماء إلى القول بأن: "هذا الخلاف كان أولاً ثم حصل الإجماع على منع خروجهم"، قال الكرمانى: "وفي الحديث أن السلطان لا ينعزل بالفسق إذ في عزله سبب للفتنة وإراقة الدماء وتفريق ذات البين، فالمفسدة في عزله أكثر منها في بقاءه"^(٤).

(١) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٩٤، الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٦، وعبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٠٩.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم إذا صلوا ونحو ذلك، حديث رقم: ١٨٥٤، ج ٣، ص ١٤٨١.

(٣) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤) ينظر: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، مؤسسة الرسالة، ط ٢: ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٤١٣ - ٤١٦.

دوغمائية الخروج على جماعة المسلمين

وذلك بمعاملتهم معاملة الكفار في الدار والأحكام، والبراء منهم وامتحانهم واستحلال دمائهم، وقد انقسم

الخوارج في نظرتهم إلى المخالفين لهم إلى فريقين:

١- فريق منهم غلاة.

٢- وفريق آخر أبدى نوعاً من الاعتدال.

ويذكر الأشعري - رحمه الله - في مقالاته أن الخوارج مجمعون على أن مخالفهم يستحقون السيف ودمائهم حلال إلا فرقة الإباضية^(١) فإنها لا ترى ذلك إلا مع السلطان^(٢).

واختلف علماء الفرق في أول من حكم بكفر المخالفين، هل هم المحكمة الأولى^(٣) أم هم الأزارقة^(٤) ومن سار على طريقتهم من فرق الخوارج فيما بعد.

وبتتبع حركة المحكمة الأولى نجد أنهم سبقوا إلى تكفير المخالفين لهم واستحلال دمائهم، والشواهد في كتب الفرق كثيرة كقتلهم عبد الله بن خباب بن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره في حوادث كثيرة إلا أن أشد من بالغ في تكفير المخالفين لهم وأعمل فيهم السيف هم الأزارقة، وفرقة منهم تسمى البيهسية وكذلك أتباع حمزة بن أكر.

- أما المعتدلون منهم - وهو اعتدال لا يكاد يذكر - فنجد مثلاً الأخنسية منهم يحرمون الغدر بالمخالفين أو قتلهم قبل الدعوة وجوزوا تزويج المسلمات منهم لمخالفهم الذين يعتبرونهم مشركين، وكذلك بعض البيهسية.

(١) تنتسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس، وللإباضية آراء تميزوا بها من بين فرق الخوارج، فهم يقولون: "إن مخالفهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة ويقولون إن دار مخالفهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي وأجازوا شهادة مخالفهم على أوليائهم، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة.

راجع: الملل والنحل للشهرستاني ١/١٣٤-١٣٥، وانظر الفرق بين الفرق ص/١٠٣-١٠٤، التبصير في الدين ص/٥٨.

(٢) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٤.

(٣) يقصد بالمحكمة الأولى أولئك الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الذين أعلنوا شعار "لا حكم إلا لله".

رجع: التبصير في الدين ص/٤٥-٤٦، وانظر مقالات الإسلاميين ١/٢٠٧-٢٠٩، الفرق بين الفرق ص/٧٤-٧٥، تاريخ الأمم والملوك ٧٢/٥ وما بعدها، الكامل في التاريخ ٣/٣٢٦ وما بعدها، مروج الذهب للمسعودي ٣/١٢٥.

(٤) هم أتباع رجل منهم يسمى بأبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عدداً وأشد منهم شوكة، ولهم اعتقادات فارقوا بها "المحكمة الأولى" وسائر فرق الخوارج فهم يعتقدون أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك بينما المحكمة يقولون: إن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركاً.

راجع: مقالات الإسلاميين ١/١٦٨-١٧٤، الفرق بين الفرق ص/٨٢-٨٣، التبصير في الدين ص/٤٩-٥٠.

وينبغي أن يعلم أن كل فرقة لابد فيها من غلاة يخرجون على جمهورهم إلا أن السمة الغالبة على الخوارج الشدة على المخالفين لهم، وقد تعود هذه الشدة إلى ما يراه الخوارج من وجهة نظرهم من خروج مخالفين عن النهج الإسلامي وبعدهم عنه، وبالتالي الرغبة في إرجاع الأمة إلى ما كانت عليه في أيام الرسول ﷺ وأيام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما يدعي الخوارج.

دوغمائية الخوارج في النظر إلى أطفال مخالفينهم

الخوارج لم يتفقوا على حكم واحد في الأطفال سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة، ونوجز أهم آرائهم في هذه القضية فيما يلي:

- ١- منهم من اعتبرهم في حكم آبائهم المخالفين فاستباح قتلهم باعتبار أنهم مشركون لا عصمة لدماء آبائهم^(١).
 - ٢- ومنهم من جعلهم من أهل الجنة ولم يجوز قتلهم.
 - ٣- واعتبرهم بعضهم خدما لأهل الجنة.
 - ٤- ومنهم من توقف فيهم إلى أن يبلغوا سن التكليف ويتبين حالهم.
 - ٥- والإباضية تولوا أطفال المسلمين وتوقفوا في أطفال المشركين، ومنهم من يلحق أطفال المشركين بأطفال المؤمنين.
- أما القول الأول فهو للأزارقة، واستدلوا بقوله الله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَدِيدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢)، وتبعهم في هذا بعض فرق الخوارج كالعجاردة والحمزية والخلفية.
- وأما القول الثاني: فهو للنجدات والصفيرية والميمونية، واستدلوا بقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(٣)، والذين توقفوا في الحكم عليهم قالوا لم نجد في الأطفال ما يوجب ولا يثبت ولا يوجب ولا يثبت عدائهم إلى أن يبلغوا فيدعوا إلى الإسلام فيقروا به أو ينكروا.
- هذه خلاصة أهم آراء الخوارج في هذه القضية، وبعد عرض مظاهر الدوغمائية عند الخوارج التي أدت إلى انقسام المسلمين وظهور أول فرقة بينهم أذكر الأسباب التي ساقتهم إلى هذه الآراء الدوغمائية وحادث بهم عن الطريق المستقيم، وهي كما يلي:

(١) أبو زهرة تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٧٠.

(٢) سورة نوح: ٢٧.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث: ١٣٥٨، ج ٢، ص ٩٤، ومسلم، كتاب القدر، باب: كل مولود يولد على الفطرة، حديث: ٢٦٥٨، ج ٤، ص ٢٠٤٧.

إن أظهر أسباب غلو ودوغمائياتهم الخوارج هو: (الجهل)، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»^(١)؛ أي: أنهم يأخذون أنفسهم بقراءة القرآن وإقراءه، وهم لا يتفقهون فيه ولا يعرفون معانيه ومقاصده^(٢).

وألوان جهل الخوارج كثيرة، منها:

أولاً: الجهل بالقرآن، فلقد كان عدم فهمهم للكتاب العزيز سبباً في انحرافهم، فقد أخذوا آيات نزلت في الكفار فحملوها على المسلمين، يقول عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في الخوارج: «إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ فَجَعَلُوهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^(٣).

ثانياً: الجهل بالسنة، إن الخوارج ينكرون السنة وذلك من أسباب انحرافهم ودوغمائياتهم، فقد زعموا "أنه لا حجة في شيء من أحكام الشريعة إلا من القرآن ولذلك أنكروا الرجم والمسح على الخفين؛ لأنهما ليسا في القرآن، وقطعوا السارق في القليل والكثير؛ لأن الأمر بقطع السارق في القرآن مطلق ولم يقبلوا الرواية في نصاب القطع ولا الرواية في اعتبار الحرز فيه، ولقد أتوا من ظنهم مناقضة هذه الأحاديث الصحيحة للقرآن، أو مناقضة بعضها لبعض، أو فساد معانيها، أو مخالفتها للمعقول^(٤).

ثالثاً: الجهل بقدر السلف وأهل العلم إن من أصول الدين رعاية قدر الصحابة - رضي الله عنهم - والاقتداء بهديهم والاستئنان بسننهم، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٥)، ولقد كان من الأسباب الرئيسة لانحراف الخوارج ودوغمائياتهم اعتدادهم بأهوائهم في مقابل النصوص، واعتدادهم بأنفسهم في مقابل الأجلة من أهل العلم أصحاب رسول الله ﷺ بل كان أول خارج ذا الخويصرة المعترض على قسمة النبي ﷺ القائل: (اعدل يا رسول الله!)، ثم تتابع سير الخوارج على هذا النهج، فكانوا يعترضون على أجلة العلماء صحابة النبي ﷺ ويرفضون أقوالهم بل ويتبرؤون منهم ويكفرونهم، ويستحلون دماءهم؛ لما رأوا من مخالفتهم إياهم فيما يعتقدون، وعلى ذات المنهج ساروا في معاملة أهل العلم من التابعين.

(١) رواه البخاري، كتاب أحداث الأنبياء، باب: قول الله عز وجل: {وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ} [الحاقة: ٦]، حديث ٣٣٤٤، ج ٤، ص ١٣٧، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث ١٤٢، ج ٢، ص ٧٤٠.

(٢) ينظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٨٣، ٦٩١.

(٣) ذكره البخاري معلقاً، كتاب: استتابة المرتدين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، ج ٩، ص ١٦.

(٤) ينظر: الشاطبي، الاعتصام، ج ١، ص ٣١٣.

(٥) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة رقم ٤٦٠٧، ج ٤، ص ٢٠٠، والترمذي، ت: شاكر، أبواب العلم، باب: ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، حديث رقم: ٢٦٧٦، ج ٥، ص ٤٤، وقال عنه الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وصححه الألباني.

رابعاً: الجهل بحقيقة الإيمان وعلاقته بالأعمال، فلقد عرف أهل السنة والجماعة الإيمان بأنه: قول وعمل قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح^(١). قال الإمام البخاري - رحمه الله -: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أن أحدا منهم يختلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص)^(٢).

وقد ضل الضالون الغالون من الخوارج وغيرهم في أبواب الأسماء والأحكام بأسباب من جملتها: جهلهم بحقيقة الإيمان، وعلاقته بالأعمال، فقد (قالت الخوارج والمعتزلة: قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض، ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلصين في النار، إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء)^(٣)، ومنشأ ضلالهم: أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها، وقالوا: الإيمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة^(٤).

إن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضغ وسبعون - أو بضغ وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٥) ثم من المعلوم أنه إذا زالت الإماطة ونحوها لم يزل اسم الإيمان^(٦)، ولكن قد يزول اسم الإيمان بزوال جزء أساسي تزول به حقيقة الإيمان كما إذا زالت الشهادتان، أو تركت الصلاة على الراجح من أقوال العلماء.

أسباب غلو ودوغمانية الخوارج المنهجية

أولاً: عدم الجمع بين الأدلة فإن من سمات هذا الدين التي أبان عنها القرآن الكريم اتساقه وتصديق بعضه بعضاً، وعدم تناقضه؛ لأنه واحد المصدر، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَفَرَأَنَّهُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٧) ولقد كان عدم الجمع بين الأدلة والاقتصار على بعضها، وضرب القرآن بعضه ببعض سبباً من أسباب انحراف الفرق ومنهم الخوارج.

(١) محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، شرح العقيدة الواسطية، ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة: الثالثة ١٤١٥هـ، ج ١، ص ٢٣١.

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ٤٧.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ٤٨.

(٤) راجع: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط ١: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، ج ٦، ص ٦٦٢.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، حديث رقم: ٣٥، ج ١، ص ٦٣.

(٦) ابن تيمية، مجمع الفتاوى، ج ٧، ص ٥١٧.

(٧) سورة النساء: ٨٢.

ثانياً: التعامل المباشر مع النص والفهم الحرفي له، فإن فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة يحتاج إلى معرفة اللغة التي تكلم بها الشارع، ومعرفة مقصوده من اللفظ، ويعرف مقصود الشارع سبحانه بمعرفة سنته في الخطاب، فتجمع النصوص ليخرج من مجملها بفهم مراد الشارع، كما يفهم أيضاً المقصود بالرجوع إلى السنة وأقوال الصحابة.

أما الخوارج فقد أعرضوا عن هذا المنهج الرشيد فصاروا إلى الأخذ بظواهر النصوص من غير تدبر ولا نظر في مقاصدها ومعاقدها، فبادروا إلى تفسيرها بمجرد ظاهر اللغة وفهم العربية؛ وبهذا يكثر غلطهم في فهم التنزيل.

المبحث الثاني

أثر دوغمائية الخوارج في العزلة والانقسام في المجتمع الإسلامي

مقولة الخوارج أول مقولة فرقت الأمة

ذلك أن أول نزاع أحدث المفارقة والافتراق والخروج على جماعة المسلمين وإمامهم يدور على مسألتين تجتمعان في أصل واحد هو: «دوغمائية التكفير بالذنوب ولوازمها»، أما المسألتان فهما: المسألة الأولى التَّحْكِيمُ والحُكْم، والمسألة الثانية التكفير؛ تكفير علي ومعاوية والحكمين بحكمهما أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(١)، ورتبوا على ذلك جميع لوازم الكفر: والتي منها أن علياً حين حَكَم الرجال لا إمامة له؛ فاعتقدوا أنهم في حل من إمامته وبيعته، وأنه يجب عليهم أن يؤمروا عليهم أميراً للمؤمنين يعنون أنفسهم أي (الخوارج) دون بقية المسلمين الذين صاروا في رأيهم كفاراً ما لم يلحقوا بهم، وأن كل من حكم الرجال أو رضي بالتحكيم فهو كافر فكان أن بايعوا "عبد الله بن وهب الراسبي" في ١٠/١٠/٣٧هـ، وهذا هو تاريخ أول افتراق فعلي معلن في الأمة^(٢)، وعليه فإن افتراق الخوارج هو أول افتراق وانقسام في تاريخ المسلمين، فكل الحوادث والنزاعات والاختلافات التي حصلت في عهد أبي بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - لم ينتج عنها افتراق ولا فرق، وكان كل نزاع ينتهي إما بالإجماع؛ أو الأخذ بقول الأغلب، أو العمل بما عليه الإمام أو الأكابر، أو كل يذهب إلى ما أدى إليه اجتهاده ويعذر كل فريق من المختلفين الآخر، ولم يصل الأمر إلى الافتراق ولا الخروج على جماعة المسلمين وأئمتهم؛ وحتى أولئك الذين قدموا المدينة ناقلين على عثمان - رضي الله عنه - كانوا أول أمرهم لم يُظهروا المنازعة ولا الفرقة ولم يطالبوا لأنفسهم ولا لأحد بعيته بالإمامة، إنما كانوا يطالبون بأن يخلع الإمام نفسه أو يخلعه أهل الحل والعقد، ويختار المسلمون لهم إماماً يرضونه، وكانوا يزعمون أنهم إنما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولما قتل عثمان - رضي الله عنه - وحصلت الفتنة، وصارت وقعة الجمل وصفين برزت من خلال ذلك أول فُرقة عن جماعة المسلمين وإمامهم، وكانت بظهور (الخوارج والشيعه)؛ وذلك عام ٣٧ للهجرة^(٣)، ولهذا كان أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون.

(١) سورة الأنعام: ٥٧

(٢) راجع: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت -، ط ٢: ١٣٨٧هـ، ج ٥، ص ٥٧ - ٨٩، وابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ج ٦، ص ٢٧٨ - ٢٧٩، وأحمد محمد جل، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعه)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) أنظر: العقل، ناصر عبد الكريم، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، ص ٢٤ - ٢٥.

فرق الخوارج

يظهر أثر الدوغمائية عند الخوارج في تعدد فرقهم وكثرت انقسامهم، ذلك أن الدوغمائي يتسم بالرفض والعداء والنفور من الآخرين الذين يؤمنون بعكس ما يؤمن ويعتقد؛ ويصفهم "بأنهم من الحمقى بسطاء العقول"^(١)، لذلك لا يسمح بدخول تغييرات على معرفته السابقة التي يعتبرها من وجهة نظره حقائق ثابتة"^(٢)، لذلك وعند أول خلاف بين الخوارج يحدث انقسام وفرقة رغم بساطة الخلاف لكنهم تتغلب على تفكيرهم سمة التشديد على أهمية الخلاف، بحيث لا تسمح بالقول بأن هذا الخلاف عرضي أو طارئ بل هو دائماً جوهر، فتكون قيمة الفكرة أو النظرية مستقاة أساساً من قدرتها على مواجهة أصدائها لا من اعتبار صحتها؛ لذلك انقسم الخوارج وتفرقوا إلى فرق متعددة، ومن ذلك العدد الكثير الذي ذكر في تعدد فرقهم، نذكر هنا أهم فرقهم المتمثلة في المحكمة الأولى^(٣)، والأزارقة^(٤)، والنجدة^(٥)، والصفريّة^(٦)، والإباضية^(٧)، وما عداها من الفرق فهي متفرعة منها وداخله فيها.

(١) عبيد محمد إبراهيم، التسامح وعلاقته بالدوغماتية لدى طلاب الجامعة، ص ٧٨٤.

(٢) الهشلمون، رانيا محمد، الجمود الفكري (الدوغماتية) والتعصب ودورهما في ارتكاب الجريمة من وجهة نظر نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في الأردن، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ت ٢٠١٦م، ص ١٠ - ١١.

(٣) يقصد بالمحكمة الأولى أولئك الذين خرجوا على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهم الذين أعلنوا شعار "لا حكم إلا لله" والتفوا حوله ثم فارقه ورجعوا إلى حروراء. راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٩، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٧٤-٧٥، والمسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ١٢٥.

(٤) الأزارقة: هم أتباع رجل منهم يسمى بأبي راشد نافع بن الأزرق الحنفي، وقد كانوا أكثر فرق الخوارج عدداً وأشدّهم شوكة، وهم من أشد فرق الخوارج دوغمائية فهم يعتقدون أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك، وقالوا: إنه لا يحل لأصحابهم المؤمنين أن يجيبوا أحداً من غيرهم إلى الصلاة إذا دعاهم إليها، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم، ولا أن يتزوجوا منهم، ولا يتوارث الخارجي وغيره، وهذه السلوكيات تعد نوع من العزلة والانقسام الناتج عن دوغمائيتهم، كما أنهم حرّموا قتل النصارى واليهود، وأباحوا قتل المسلمين، وهذه الآراء واضح فيها الجهل وعدم العلم والفهم للقرآن، وعدم الإلمام بالسنة. راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٦٨ - ١٧٤، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٢-٨٣، والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٢١. وأين حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٨٩.

(٥) هؤلاء هم أتباع نجدة بن عامر الحنفي وذهب النجدة إلى أن الدين أمران؛ أحدهما: معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله عليهم الصلاة والسلام وتحريم دماء المسلمين والإقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع والجهل به لا يعذر فيه، والثاني: ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه، إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلال والحرام، وتدين النجدة بمبدأ العذر بالجهل في أحكام الفروع حتى سموها "بالعاذرية"؛ وبسبب اختلافهم في تطبيق المبدأ الثاني وفهمهم له انقسموا، فصارت النجدة ثلاث فرق: النجدية، والعطوية، والفديكية، وكان هذا الخلاف بين النجدة من أعظم العوامل في تدمير هذه الفرقة حيث اضمحل أمرها وتلاشى أثرها، راجع: في شأن النجدة، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٧٤ - ١٧٦، وعبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٧-٩٠، والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٢ - ١٢٥.

(٦) هذه الفرقة تنتسب إلى عبد الله بن صفار التميمي، الذي كان مع نافع بن الأزرق في بداية أمره، ثم انفصل عنه عندما حصل الخلاف والانشقاق بين قادة الخوارج، والصفريّة كانت أقل شذوذاً وأقل غلوا ودوغمائية من الأزارقة إذ أنهم خالفوهم في رأيهم تجاه القعدة ومرتكب الكبيرة ولا يرى الصفريّة أن دار مخالفيهم دار حرب، كما لم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم. راجع: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٩١، والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٣٧.

(٧) تنتسب الإباضية إلى عبد الله بن إباض، وللباضية آراء تميزوا بها من بين فرق الخوارج، فهم يقولون: "إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة ومورثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكرّاع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسببهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجة، ويقولون إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغى، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وتوقفوا في أطفال المشركين وجوزوا تعذيبهم على سبيل الانتقام، وأجازوا أن يدخلوا الجنة تفضيلاً، والإباضية هي إحدى فرق الخوارج التي لها وجود إلى الوقت الحاضر، ووجودهم الآن يتمثل في دولة عمان بأكملها، "وجنوب الجزائر - وادي ميزاب، وجنوب تونس، وشمال ليبيا -

أثر دوغمائية الخوارج على الجماعات الإسلامية المعاصرة

إن آراء الغلاة الدوغمائيين المعاصرين متفقة إلى حد كبير مع آراء الغلو القديم وخصوصا الخوارج والرافضة بصورة ما، وهذا أمر قد قرره معظم الباحثين في هذا الموضوع^(١)، ولزيادة الأمر توضيحاً أعرض مجموعة من آراء الدوغمائية المعاصرة، التي قال بها الخوارج بشكل أساسي منسوبة إلى هؤلاء وأولئك:

١. تكفير العصاة أصحاب الكبائر.

٢. الانفصال الكامل عن المجتمع.

٣. تكفير المقيم غير المهاجر.

٤. القول أن ديار المسلمين دار كفر تستباح فيها الدماء.

٥. ما يسمى المفاصلة الشعرية^(٢).

وإذا اتضح هذا التشابه فهل معناه أن المعاصرين استفادوا من الخوارج؟ لقد اختلفت أنظار الكتاب في هذا؛ فمنهم من ينزع إلى القول بأن الغلاة اليوم استفادوا من الخوارج ومن فكرهم، يقول أحمد كامل أبو المجد^(٣): "نستطيع أن نقرر أن فكر الخوارج كان ولا يزال أحد الينابيع التي يستمد

منها كثير من آراء هؤلاء المتطرفين الجدد من الشباب"^(٤)، وإلى هذا يميل البهنساوي^(٥) إذ يقول: "إن أصول هذا الفكر كانت عند الخوارج"^(٦)، ويقرر هذا أحد المعاصرين بكتاب أسماه (جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات)^(٧)، وينزع البعض إلى القول بعدم استقاء المعاصرين من أفكار الخوارج

جبل نفوس". راجع: الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٣٤ - ١٣٥، وعبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص ١٠٣ - ١٠٤، وبكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، ط ٣: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٤ - ١٧.

(١) ينظر على سبيل المثال: أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ١١٦ وما بعدها، وأحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دار الشروق، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٦٧، سالم البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٦٩ - ٧٧.

(٢) سالم البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، ص ٢٨ - ٦٣.

(٣) كاتب مصري معاصر مهتم بدراسة الغلو عمل وزيراً للأعلام، وهو الآن أستاذ رئيس قسم القانون بجامعة القاهرة، له مؤلفات عدة منها (حوار لا مواجهة). ينظر غلاف بحثه التطرف الديني وأبعاده.

(٤) حوار لا مواجهة، ص ٦، وهنا ملاحظة مهمة: هي أن الرابط الأكبر عند كمال أبو المجد بين فكر الخوارج وبين فكر الغلاة المعاصرين هي الحاكمية، ويرى التسوية بين شعار لا حكم إلا الله وشعار (الحاكمية) مع ما بينهما من اختلاف.

(٥) سالم البهنساوي، كاتب مصري معاصر، دخل السجن في عهد جمال عبدالناصر، وشهد نشوء الغلو، وكانت له محاورات مع أهله أنتجت عدة مؤلفات منها الحكم وقضية تكفير المسلم.

(٦) سالم البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم ص ٧٧.

(٧) المؤلف هو اللواء حسن صادق، والسادات هو الرئيس المصري السابق محمد أنور السادات، ولد عام ١٤١٤ هـ، كان أحد الضباط المسمين بالأحرار الذين تولوا الحكم في مصر.

"وإنما هو لون غريب من التوافق في التفكير أدى إلى النتائج عينها"^(١)، مع أنه لا ينفي أن يكون بعض الغلاة "قد درس هذه الفرق وتأثر بمعتقداتها وبما توصلت إليه من أفكار وبما استشهدت به من حجج".^(٢)

والرأي الذي يتضح لي من خلال البحث في موضوع جذور الغلو الدوغمائي وارتباطه بالفرق وخصوصا الحوار أبينه فيما يلي:

أولاً: أن الغلو في مراحل الأولى لم يتصل بفكر الخوارج ولا الروافض ولا الفرق الأخرى، بل هو مبتوت الصلة بهذه الأفكار يدل على ذلك الحقائق التالية:

أ- أن الظرف الزماني والمكاني الذي نشأت فيه هذه الآراء لم يكن من السهولة فيه الاتصال بالكتب التي تتحدث عن فرق أهل الضلال، يقول أحد المتهمين بالغلو عندما ناقشه أحد الأساتذة في آرائهم وبين جذورها وأنها عند الخوارج وأمثالهم: "مستحيل، هذه الأحكام وليدة الزنانات والفقهاء البعيد عن أي كتاب؛ إذ لم يكن مع الجميع كتاب واحد حتى المصاحف كانت تصدر منا، وما توصل إليه الشباب فهو اجتهاد يقوم على ما يحفظون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ"^(٣)، ولكن التركيز في هذا الكلام يرجع بنا إلى أسباب ظهور الدوغمانية عند الخوارج، وكيف أنها كانت متوفرة لدى هؤلاء الشباب من الجهل وقلة العلم وعدم الفهم الصحيح لنصوص الكتاب والسنة، وقلة الخبرة، وحادثة السن.

ب- أن الغلو الدوغمائي حدث بعد مناقشات لبعض المسائل المستجدة، فهو وليد ظرف وحدث، ولم يكن عند أصحابه الأوائل مبادئ التقوا عليها من الأساس.

ج- أن غالب الأفراد الذين ابتدأوا الغلو - إن لم يكونوا كلهم - على جهل وغير متخصصين في العلوم الشرعية، إذ لم يسبق لهم اطلاع على هذه الكتب، ولذلك عندما بين لهم بعض من ناقشهم أن آراءهم موجودة في الملل والنحل للشهرستاني ونحوه من كتب الفرق، قال بعضهم: "بأنه لم يسمع بهذه الكتب وقال آخرون: إنهم سمعوا بها ولم يروها"^(٤).

د - أن ممن وقع في الغلو قوم رجعوا عن آرائهم؛ لما رأوا أصلها عند الخوارج مما يدل على ظنهم أنهم سابقون إلى هذه الأفكار^(٥).

(١) نعيان عبد الرازق السامرائي، التكفير جذوره، أسبابه، مبرراته، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٤) ينظر: نعمان السامرائي، التكفير جذوره وأسبابه، ص ١٢.

(٥) ينظر: البهناوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، ص ١٧٩.

ثانياً: أن أهل الغلو الدوغمائي في المراحل المتأخرة وخاصة المتصدرين منهم للقيادة أصبح عندهم علم بآراء الخوارج، وربما استفادوا منها بصورة ما، ويمكن أن يستأنس بما يلي:

أ- أن المناقشين لمنظري الغلاة بينوا هم من سبق الخوارج وغيرهم من الفرق إلى مثل هذه الآراء؛ مما دفعهم إلى الاطلاع عليها^(١).

ب- أن قادة الغلاة كانوا يمنعون أتباعهم من قراءة كتب التاريخ؛ وليس ثمت تفسيراً ظاهر لهذا إلا الخوف من معرفة تاريخ الخوارج وآرائهم المبنوثة في تلك الكتب^(٢).

ج- أن تطور فكرهم وقوة استدلالاتهم في المراحل المتأخرة دال على استنادهم إلى آراء سابقة لآرائهم.

د- أن بعض الآراء التي طرحها الغلاة: مثل غلوهم في تكفير مرتكب الكبيرة تكاد أدلتها تكون صورة لأدلة الخوارج من قبل.

وبهذا يتبين أن أثر الفرق القديمة على الغلاة المعاصرين جاء تالياً ولاحقاً فقد انحصر في إثراء تيارات الغلو وتأييد حججها لا في إيجادها، إذ أن وجودها كان أثراً لعوامل أخرى، وليس في هذا تبرئة لساحة الغلاة، أو تسويغاً لما وقعوا فيه ولكنه عرض لجذور أفكارهم تاريخياً؛ بما يساعد على تصور هذه القضية وفهمها وإذا تبين هذا فإن سر التشابه بين آراء الخوارج وآراء المعاصرين يتضح في الجوانب الآتية:

١. تشابه المنهج الفكري للفريقين: إن المنهج الفكري الذي استعمله الفريقان للوصول إلى الحقائق متشابه بدرجة كبيرة؛ وهذا ما يجعل الآراء في كثير من الأحيان تتشابه بل تتماثل، وسيأتي بيان هذا.

٢. تشابه المناخ الفكري للفريقين: إن الظروف الفكرية التي عاشها الخوارج والظروف الفكرية التي عاشها المعاصرون من أهل الغلو متشابهة من بعض الجوانب، وخصوصاً في الجانب الفكري فكلا الفريقين يتسم بسمة واضحة هي الجهل «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، كما أن التطور الفكري للفريقين متقارب حيث بدأ الغلو

(١) ينظر: السامرائي، التكفير جذوره وأسبابه، ص ١٢. والبهنساوي؛ الحكم وقضية تكفير المسلم ص ١٧٩.

(٢) ينظر: محمد سرور بن نايف زين العابدين، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو، دار الأرقم للطباعة والنشر، ١٩٩٢م، ص ٢٦٠.

بالتكفير ثم تطور إلى آراء غالية أخرى، إذ يبدو أن الغلاة المعاصرين لم يلتقوا من الأساس على مبادئ عامة واضحة؛ بل كان مبدأ غلوهم تكفير الحاكم، ثم تطورت صور الغلو من خلال الممارسات العملية، وكذلك الخوارج من قبل إذ لم يلتقوا على مبادئ معينة "بل رفعوا في البداية شعارات التقوا حولها، كقولهم (لا حكم إلا لله) وتكفيرهم لمقاتليهم واستباحة قتلهم وقتالهم، ومن خلال ممارساتهم تكونت للخوارج آراء عامة حول المشكلات التي أثاروها أو كانوا طرفاً في إثارتها، كمشكلة الإمامة ومشكلة مرتكب الكبيرة والحكم عليه كفوراً وإيماناً".^(١)

إن ظاهرة الخروج بما تحمله من مبادئ ومنهج لم تنته بنهاية الخوارج الذين ظهرُوا في تلك الفترة من تاريخ الإسلام، فالى جانب الإباضية الذين يعتبرون امتداداً لأولئك الخوارج، ظهرت في هذا العصر جماعات تبنت منهج الخوارج وأسلوبهم واعتنقت كثيراً من أفكارهم ومبادئهم الدوغمائية، ومن أشهر هذه الجماعات «جماعة التكفير والهجرة» التي لاحظ معظم من كتبوا عنها الارتباط الوثيق بين أفرادها وبين الخوارج رغم اختلاف الدوافع والغايات بين الفريقين^(٢)

(١) أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٤٧.

(٢) راجع: سالم علي البهنساوي، الحكم وقضية تكفير المسلم، ومصطفى حلمي، الخوارج الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم، دار الأنصار، ١٩٧٧م، الهضبي، حسن إسماعيل، دعاة لا قضاة أبحاث في العقيدة الإسلامية ومنهج الدعوة إلى الله، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٧٧م، يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، وتجدر الإشارة إلى أنه ليس بين أيدينا مصادر دونها أفراد هذه الجماعات عن حركتهم وفكرهم، وما نسب إلى هذه الجماعات عن طريق أجهزة الإعلام الرسمية ينبغي أن يؤخذ على حذر، كما ينبغي أن توضع أفكارهم وتقيم في ضوء الظروف التي تولدت فيها هذه الجماعات ونمت فيها أفكارهم.

الفصل الثاني

دوغمائية الشيعة الاثني عشرية

ويشتمل هذا الفصل على ما يأتي:

- المبحث الأول: التعريف بالشيعة وفرقهم
- المبحث الثاني: مظاهر الدوغمائية عند الشيعة الاثني عشرية
- المبحث الثالث: أثر دوغمائية الشيعة في عزلتهم وانقسامهم

المبحث الأول

التعريف بالشيعة وفرقهم

الشيعة لغة:

"الْقَوْمُ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى الْأَمْرِ. وَكُلُّ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا عَلَى أَمْرٍ، فَهُمْ شِيعَةٌ وَكُلُّ قَوْمٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ رَأْيَ بَعْضٍ فَهُمْ شِيعٌ. وَالشَّيْعَةُ: أَتْبَاعُ الرَّجُلِ وَأَنْصَارُهُ، وَجَمْعُهَا شِيعٌ، وَأَشْيَاعٌ جَمْعُ الْجَمْعِ". قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: "وَالشَّيْعَةُ قَوْمٌ يَهُوُونَ هَوَىٰ عِثْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُؤَلِّوْنَهُمْ".^(١)، وقد استعمل هذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ۖ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ ۖ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ﴾^(٣).

الشيعة اصطلاحاً:

"هم الذين شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصيبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسول عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتتصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً، وفعلاً، وعقداً، إلا في حال التقية".^(٤)

وهذا المعنى الاصطلاحي للشيعة لم يكن معروفاً في عهد النبي ﷺ أو أبي بكر أو عمر أو علي رضي الله عنهم، وإنما ظهر بعد مقتل الحسين رضي الله عنه.

المراحل التي مر بها مفهوم التشيع

المرحلة الأولى: كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي - رضي الله عنه - بمعنى المناصرة والوقوف إلى جانب علي - رضي الله عنه - وكان على هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين.

(١) راجع: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ١٨٨، تهذيب اللغة (٣ / ٤١).

(٢) سورة الصافات: ٨٣

(٣) سورة القصص: ١٥

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٦.

المرحلة الثانية: تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة وحينما علم علي - كرم الله وجهه - بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه وكان كرم الله وجهه يقول: «لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفترى».^(١)

المرحلة الثالثة: ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ توتّي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرؤون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارسي، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة، وحكموا على كل من حضر (غدير خم)^(٢) بالكفر والردة لعدم وفائهم - فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول ﷺ بعلي في غدير خم المذكور.^(٣)

وإذا استثنينا ما ورد من نسبة بعض هذه الآراء إلى ابن سبأ وجماعة السبئية، فإن كثيرا من المصادر تشير إلى أن هذه المبادئ لم تعرف عند الشيعة قبل هشام بن الحكم (توفي سنة ١٩٠ هـ) أحد متكلمي الشيعة، والذي يقال إنه ابتدع هذا القول ثم أخذه عنه معاصروه، ويقول عنه ابن النديم: "أنه ممن فتن الكلام في الإمامة" وهذب المذهب والنظر، وألف في هذا المقام "كتاب الإمامة"، و"كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول"، و"كتاب الوصية والرد على من أنكرها" ... الخ^(٤) ويؤيد ارتباط معتقدات الشيعة وتبلور مذهبهم بهذه الفترة التي ظهر فيها هشام بن الحكم وأمثاله كهشام بن سالم الجواليقي (توفي سنة ١٥٠ هـ) وزرارة بن أعين ومحمد بن النعمان (شيطان طارق) أو مؤمن الطاق كما تسمية الشيعة، يؤيد ذلك أن معظم أسانيد الشيعة عن النص والوصية ترجع وتنتهي عند جعفر الصادق (توفي سنة ١٤٨ هـ) ووالده أبو جعفر محمد بن علي، فإليهما وإلى علي الرضا تنسب أغلب الروايات عن النص والوصية ورجعة الأئمة وعصمتهم.

(١) الدهلوي، عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية، نقله من الفارسية إلى العربية: (سنة ١٢٢٧ هـ) الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي، اختصره وهذبه: (سنة ١٣٠١ هـ)، علامة العراق محمود شكري الألوسي، حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣ هـ ص ٦.

(٢) ذلك أن النبي ﷺ لما وصل غدير خم أمر بالدوحات فقممن، ونادوا: الصلاة جامعة، ثم قال عليه السلام وهو على الرحال: "من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟ ثلاثا" فادعت الإمامية أن هذا نص صريح وخم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة). ينظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٣. ويقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٩.

(٣) للاستزادة انظر المصادر الشيعية التالية: سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي، كتاب المقالات والفرق، صححه وقدم له وعلق عليه: محمد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، ص ٢٠ - ٢١، والحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، منشورات الرضا، بيروت، لبنان، ط ١: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٤٤.

(٤) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨ هـ) الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط ٢: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ص ٢١٧.

فالمذهب الشيعي الدوغمائي إذن قد تكون في هذه الفترة، وبناء على هذا ينص ابن المرتضي على أن مذهب الرافضة قد حدث بعد مضي الصدر الأول، ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في "علي" جلي ولا في اثني عشر إماماً كما زعموا.^(١)

وبعد الإعلان الرسمي عن غيبة الإمام المهدي في عام ٣٢٩ هـ حدثت في التفكير الشيعي أمور غريبة، كانت أولى هذه الأمور في الانحراف الفكري ظهور الآراء القائلة: بأن الخلافة بعد الرسول ﷺ كانت في "علي" وبالنص الإلهي، وأن الصحابة ما عدا نفر قليل منهم خالفوا النص الإلهي بانتخابهم "أبا بكر"، كما ظهرت في الوقت نفسه آراء أخرى تقول: إن الإيمان بالإمامة مكمل للإسلام وحتى أن بعض علماء الشيعة أضافوا الإمامة والعدل إلى الأصول الثلاثة، ومن هنا بدأ التشيع يأخذ منحىً جديداً، فلم يعد التشيع مجرد اختلاف حول أحقية علي في الخلافة، أو تفضيله على غيره، بل أصبح يحمل في طياته عقائد دوغمائية باطلة.

المرحلة الرابعة: وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بالألوهية علي، وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجاهل، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر، وعن ابن سبأ وأتباعه نشأت فرقة الغلاة من الشيعة.

فرق الشيعة

تنسب إلى الشيعة فرق متعددة تطرف بعضها، فرفعت علماً وذريته إلى مرتبة الألوهية، أو النبوة، وجعلت منزلة "علي" أعلى من منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ومرتبته، وبعضها لم يصل إلى هذا المستوى من الغلو والانحراف، وقد أنكر الشيعة أنفسهم نسبة تلك الفرق الغالية إليهم، أو إلى الإسلام^(٢)، ولكن كُتِّب الفرق الإسلامية جميعاً يثبتون علاقة وطيدة بين هذه الفرق الغالية، وبين التيار الشيعي العام، وإذا لم يكن لهؤلاء الغلاة صلة بالتشيع في صورته العامة فإنهم - لا شك - اتخذوا من التشيع ستاراً، ومن حب آل البيت وسيلة إلى نشر أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة^(٣).

وإن من أكبر فرقهم وأكثرهم نفوذاً ووجوداً في العالم الإسلامي إلى اليوم فرقة الإمامية الرافضة وفرقة الزيدية، ولكن هناك فرق أخرى أحدثت فارق في تاريخ الشيعة وأفكارهم العقديّة، كان لها أثر واضح في ظهور وتطور الأفكار الدوغمائية لدى الشيعة سوف أنهو لهم في هذا المبحث منهم:

(١) الخلاف حول الإمامة وأثره في ظهور الفرق، ص ١٠٠.

(٢) راجع: سعد بن عبد الله الأشعري القمي - وهو من الإمامية -، المقالات والفرق ص ٦٢ - ٦٤، ومحمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، دار الشروق، ص ٢٩١ - ٢٩٤.

(٣) راجع: أحمد أمين، فجر الإسلام، مؤسسة هندية للتعليم والثقافة، ص ٢٩٠ - ٢٩١، وأحمد جلي دراسة عن الفرق، ص ١٨٠ - ١٨١، إحسان إلهي ظهير، الشيعة وآل البيت، إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان، مطبعة جاويد الرياض، ص ٤٧.

السبئية

السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، وهو أول من أسس التشيع على الغلو في أهل البيت فدعا إلى التشيع لأهل البيت وإلى إثبات الوصاية لعلي إذ إنه - كما زعم - ما من نبي إلا وله وصي، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء؛ بحكم أنه وصي خير الأنبياء.

ثم دعا إلى القول بالرجعة، ثم إلى القول بالوهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء، وأن المقتول إنما هو شيطان تصور في صورة علي، وأن الرعد صوت علي، والبرق سوطه أو تبسمه، إلى غير ذلك من أباطيله الكثيرة^(١).

الكيسانية

تنسب هذه الفرقة إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وتسمى من أجل ذلك بالمختارية، وقد بدأت حركة شيعية معتدلة سعت إلى الثأر من قتلة الحسين بن علي من ناحية وإلى تحقيق أطماع وتطلعات قائدها المختار من ناحية ثانية، ثم تحولت إلى حركة غالية منحرفة^(٢)، فقد خص الكيسانية محمد بن الحنفية بالإمامة؛ لأنه يلي مكانة الحسن والحسين باعتباره ابن علي بن أبي طالب واختص محمد بن الحنفية بلقب فريد هو "المهدي"، ومن بعده اقترنت المهديونية بالكثير من دعوات الفرق الأخرى^(٣)، وظهرت مقولة "البداء" وتعني أن الله سبحانه يغير ويبدل إرادته نتيجة تجدد علمه^(٤)، لكن الأهمية القصوى لهذه المقولة هي ارتباطها بتبرير الفشل السياسي بعد القضاء على ثورة المختار، كما تعني بالإضافة إلى المهديونية والقول بالغيبة والرجعة استمرار الأمل في الخلاص خاصة بعد وفاة محمد بن الحنفية، فمنحنى التطرف في عقائد الكيسانية يمكن تفسيره بما جرى من محن ألمت بأتباعها بعد فشل الثورة^(٥)، ذلك أن الظلم الاجتماعي الذي لحق الشيعة في تلك الفترة والسرية في تناقل الأفكار والأخبار كانت من أقوى الأسباب لانتشار الأفكار الدوغمائية وشيوعها بين أتباع المختار من الشيعة.

(١) راجع: عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٢٣٥. والأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٨٦، والنوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٦ - ٥٨.

(٢) راجع: الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٦، والنوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٨ - ٥٩، وأحمد جلي، دراسة عن الفرق، ص ١١٢.

(٣) النشار، على سامي، نشأت الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط ٨، ج ٢، نشأة التشيع وتطوره، ص ٥٦.

(٤) الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٦.

(٥) ينظر: محمود إسماعيل، فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، سينا للنشر، من ص ١٣ إلى ص ٢٤.

الزيدية نسبتها ترجع إلى مؤسسها زيد بن علي زين العابدين، الذي كان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم جميعاً، ولم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة، ومن مذهبهم جواز إمامة المفضل مع وجود الأفضل ويعد هذا أساس افتراق الزيدية لاحقاً عن الشيعة الاثني عشرية، ومن أهم مبادئ الشيعة الزيدية ما يأتي:

- ١- عدم حصر الإمامة بأولاد الحسين بل إنها تشمل أولاد الحسن والحسين.
 - ٢- الاعتقاد بالشورى لاختيار الخليفة، ويذكر ابن خلدون ذلك: "أما الزيدية فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها، وأنها باختيار أهل الحل والعقد لا بالتعيين"^(١)، وهذا خلاف اعتقاد الشيعة الاثني عشرية الذين يشترطون الإمامة في أعقاب الحسين فقط.
 - ٣- اعتبار الدعوة من شروط الإمامة، فعلى الرغم من استفادة زيد بن علي من مبدأ التقية في بداية الدعوة لحركته،^(٢) إلا أنه رفض الاستمرار بالتقية وطرح فكرة الإمام القائم؛ "أي الذي يعلن نفسه للناس"، فمن خرج فهو مستحق للإمامة.^(٣)
 - ٤- الإمامة بالوصف وليس بالتعيين والنص^(٤)؛ لذلك ترفض الزيدية الوصية والعصمة للإمام، حيث لا يرى زيد أن الإمام مرجعاً في الدين، بل إن المصلحة هي التي تنصبه، لذلك فهو يصيب ويخطأ كأبي إنسان.^(٥)
 - ٥- جواز مبدأ إمامة المفضل على الفاضل: وقد استندت الزيدية في ذلك على قبول الإمام علي بهذا المبدأ بموافقة علي على إمامة أبي بكر.^(٦)
- وبالنظر إلى هذه المبادئ يبدو أن الزيدية أكثر فرق الشيعة تسامحاً وبعداً عن الدوغمائية وقرباً للمنهج الوسطي المعتدل، إلا أن فرق الزيدية انحرفت، ما عدا الهاديوية، عن مبادئ زيد هذه، ورفضوا خلافة الشيعين، وتبرؤوا من عثمان وقالوا بالرجعة وعصمة الأئمة موافقين للرافضة.^(١)

(١) ابن خلدون، المقدمة، دار العودة، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٥٨.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٥٥هـ - ١٩٦٥م، ط ٢، ص ١٠٠.

(٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٨.

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ١٥٦.

(٥) أبو زهرة، محمد، الإمام زيد، حياته وعصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص ٢٩١ - ١٩٣، مصطفى حلمي مراد، نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢١٠.

(٦) النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣١.

الإسماعيلية هي إحدى الفرق الشيعية الرئيسية، نشأت إثر تعرض حركة الشيعة إلى انشطار جديد بعد وفاة جعفر الصادق؛ حيث ادعى بعض الشيعة بانتقال الإمامة إلى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بدلا من الإمام السابع للشيعة الاثني عشرية موسى بن جعفر الصادق في عام ١٤٨هـ/٧٥٦م^(٢).

ويمكن تلخيص أفكار الإسماعيلية حول الإمامة بالنقاط التالية:

(١) تعتقد الإسماعيلية، بأن إسماعيل بن جعفر الصادق لم يميت بل أخفاه أبوه تقيّة^(٣)؛ لذلك ينتظرون عودته، باعتباره المهدي المنتظر الذي يقيم دولة العدل. وكانت هذه الفكرة من أكثر أفكارهم تأثيرا، ساهمت في توسيع نشاطهم بين الفئات الاجتماعية التي تعرضت للاضطهاد السياسي والحيث الاجتماعي، وخاصة من الفئات الفقيرة.^(٤)

(٢) وجود نوعين للإمامة: تقرر الإسماعيلية بوجود إمامين، فالإمام عندهم إما أن يكون ظاهرا أو مستورا؛ "فالإمام المستور يسير في البلاد سرا ويظهر دعوته جهرا".^(٥)

(٣) التأويل: تعتمد عقائد الإسماعيلية على تأويل القرآن والحديث.

(٤) التنظيم السري، تعتمد علاقة الإمام بأخصاره على التنظيم السري، وكذلك يتبع الأنصار السرية في نشر عقائدهم بين الناس، ولذلك "يعتبرون جمعية سرية محضة لم يكن واقفا على أغراضها إلا زعمائها الأقلون وقادة أفكارها المقربون إلى زعيم هذه الجمعية".^(٦)

وتكمن أهمية الحركة الإسماعيلية الفكرية في أنها شكلت الأساس العقائدي لفرق إسلامية مهمة ظهرت خلال العصر العباسي، وأقامت دولا ذات شأن في التاريخ الإسلامي، كالدولة الفاطمية وحركة القرامطة، ذات الجذور الاجتماعية المتطرفة في تطبيق مبدأ العدالة والمساواة الاجتماعية

(١) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٣٦، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٣٣ - ٣٦، والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٤، وأحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٢٧٧ - ٢٩٦،

(٢) الفخري، علي محمد عبد الله، تلخيص البيان في ذكر الفرق أهل الأديان، تحقيق رشيد البندر، دار الحكمة لندن، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ١٤٤ - ١٤٦.

(٣) النوبختي، فرق الشيعة، ص ٦٨.

(٤) إسماعيل محمود، فرق الشيعة، ص ٥١.

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٦) جوزي بندلي، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الأمانة العامة، جمعية الصداقة الفلسطينية - السوفياتية، ط ٢: ١٩٨١م، ص ١٢١.

عندما أقامت دولتها في البحرين (٢٧٨ - ٣٧٥ هـ)^(١)، كما أن الفرقة النزارية "الحشاشين" التي تطرفت في الباطنية والغلو، وأقامت دولة الحشاشين في خراسان (٤٨٣ - ٦٦٨ هـ) استمدت أفكارها من العقيدة الإسماعيلية^(٢)، كذلك تفرعت عنهم فرقة "إخوان الصفا" التي ظهرت في زمن خلافة المأمون (ت ٢١٨ هـ)، ويقال أن الذي كتب مبادئ "إخوان الصفا" هو الإمام الإسماعيلي، أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت ٢٢٩ هـ).^(٣)

الشيعية الإمامية الاثنا عشرية

الشيعية الإمامية الاثنا عشرية: هذه الفرقة لها عدة أسماء، فإذا قيل عنهم الرافضة؛ فهم الذين يرفضون إمامة الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - ، ويسبون ويشتمون أصحاب النبي ﷺ، وإذا قيل عنهم الشيعة؛ فهم الذين شايعوا علياً - رضي الله عنه - على الخصوص وقالوا بإمامته، وإذا قيل لهم الاثنا عشرية؛ فلاعتقادهم بإمامة اثني عشر إماماً، آخرهم الذي دخل السرداب بسامراء وهو محمد بن الحسن العسكري على حد زعمهم وادعت هذه الفرقة بأن هؤلاء الاثني عشر لهم من الأمور ما ليس لغيرهم كادعائهم علم الغيب فيعلمون متى يموتون ويعلمون ما كان وما سيكون وما إن كان كيف سيكون وهذا ما جاء في أصح كتبهم وهو الكافي في الأصول للكليني وإذا قيل لهم الإمامية؛ فلأنهم جعلوا الإمامة ركناً خامساً من أركان الإسلام وجعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي شغلتهم، وإذا قيل لهم جعفرية فلنسبتهم إلى الإمام جعفر الصادق وهو الإمام السادس عندهم، الذي كان من فقهاء عصره، ويُنسب إليه كذباً وزوراً فقه هذه الفرقة.^(٤)

وسوف اقتصر على هذه الفرقة في رصد وتتبع مظاهر الدوغمائية عندها، والرد عليها، وأثر هذه الدوغمائية عليها؛ وذلك نظراً لأنها أكبر فرق الشيعة التي لها امتداد في العصر الحالي، ولأن أفكارها الدوغمائية أحدثت ومازالت تحدث أثراً حتى الآن في أتباعها.

(١) العث، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، ص ١٥٥.

(٢) أركون دارول، تاريخ الجماعات السرية، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، الرباط المغرب، تانيت للنشر، ١٩٩٣م، ص ١٠ - ١١.

(٣) النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ٢، ص ٢٨٩ - ٢٩٨.

(٤) راجع: الأشعري، مقالات الإسلاميين ج ١، ص ٦٥، والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٤٦، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٩، والسكسكي، أبي الفضل عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي رحمه الله المتوفى سنة ٦٨٨٣ هـ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق: بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ص ٦٥، وأيضاً: أحمد جلي، دراسة عن الفرق، ص ٢٠٣ - ٢٧٠، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج ١، ص ٥١، وأبي عبد الله عامر عبد الله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، ط ١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ص ٢١ - ٢٢.

المبحث الثاني

مظاهر الدوغمائية عند الشيعة الاثني عشرية

مدخل

إن كثير من الأفكار الشائعة لدى الشيعة الاثني عشرية ما هي إلا أفكار دخيلة وطائرة لا تمت بصلة إلى مذهب أهل البيت؛ ذلك أن فكر أهل البيت أو الشيعة الأوائل هو أقرب إلى الفكر الإسلامي العام الذي يدور حول مبدأ الشورى^(١)، ومع تتبع الفكر الشيعي يتضح أن الشيعة الأوائل منذ التحكيم واغتيال علي - رضي الله عنه - مروا بكربلاء^(٢) وفخ^(٣) وباخمرا^(٤) وغيرها مروا بسلسلة من الاضطهاد والمطاردة لآل البيت الذين قضوا معظم تاريخهم في السجون والسراديب والدهاليز؛ كما جاء في كتاب الاصفهاني "مقاتل الطالبين"، وأمام تلك المجازر والمطاردات تحول العمل السياسي الشيعي معظمه إلى الأسلوب السري المنظم^(٥)، فقد كانوا أقلية محكومة ومضطهدة، وكان الشيعي دائما تحت المطاردة وملازما للتقية؛ خوفا من الخطر والقتل والسجن والتعذيب، وما أشبه هذه الظروف بما تعرض له النصارى الأوائل من اضطهاد ودعوات سرية وضياح للإنجيل وتحريف له من أعداء المسيحية وأصحاب الأهواء الذين حرفوه عن ضلال أو جهل، إن الاضطهاد والسرية كانا السبب في ظهور دوغمائيات النصارى ومن قبلهم اليهود ومن بعدهم الشيعة، فالعقائد التي تولد في الظلام لا ترضى بالنور ولا تقبل المناقشة ولا الحوار وترفض كل دليل على بطلانها، وبعد قيام الدولة الصفوية تحول الوجود الشيعي إلى قوة كبرى تحكم البلاد، وتقع تحت إمرتها أقوى الأجهزة الرسمية، والحاكم الذي كان يقمع الشيعة بشدة ويقتل كل من يشك بولائه وحبه لعلي ويعذبه ويقتله بات من أكبر المدافعين عن التشيع وأكبر المتظاهرين بالولاء لأهل البيت - وما أشبه تلك الفترة بالنصرانية في عهد قسطنطين - وهنا يتجسد بوضوح قانون

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، الدار العربية للعلوم، دار الشورى: لندن، ط ٣: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٠.

(٢) معركة كربلاء وتسمى أيضا واقعة الطف، هي معركة وقعت على ثلاثة أيام، وختمت في ١٠ محرم سنة ٦١ للهجرة والذي يوافق ١٢ أكتوبر ٦٨٠ م، وكانت بين الحسين بن علي بن أبي طالب ابن بنت النبي محمد، الذي أصبح المسلمون يطلقون عليه لقب "سيد الشهداء" بعد انتهاء المعركة، ومعه أهل بيته وأصحابه، وجيش تابع ليزيد بن معاوية. ينظر: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف بمصر، ط ٢، ج ٥، ص ٤٠٠).

(٣) (وفخ) بفتح أوله وتشديد ثانية واد بمكة، قتل به الحسين بن علي (العابد) بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب العلوي يوم التروية سنة ١٦٩ هـ، وقتل معه جماعة من أهل بيته، وفيه دفن عبد الله بن عمرو جماعة من الصحابة. قاله في (مراسد الاطلاع)، وتعرف فخ اليوم باسم حي الشهداء في العصر الحديث بمكة المكرمة. ينظر: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١ هـ)، معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع ط ١: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٢١١.

(٤) قرية باخمري تقع على الحدود على بعد خمسة وتسعين (٩٥) مترا من الكوفة، أرسل محمد النفس الزكية شقيقه إبراهيم إلى البصرة لنشر الدعوة سرا، فدعا الناس إلى بيعة أخيه، فاستجابوا له، وكان فيهم جماعة كثيرة من الفقهاء وأهل العلم، واستولى على دار الإمارة. ولما بلغه مقتل أخيه محمد بايعه العلويون في البصرة، وجهزوا جيشا وتوجه به إلى الكوفة يريد المنصور، فجهز المنصور لقتاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد العباسي ومعه حميد بن قحطبة فالتقوا بإبراهيم ومؤيديه في موقع يدعى باخمري - على ستة عشر فرسخا من الكوفة - وفي معركة ضارية جرت بين الفريقين سنة ١٤٥ هـ قتل إبراهيم وحمل رأسه إلى المنصور.

(٥) محمود إسماعيل، فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، سينا للنشر، ط ١: ١٩٩٥ م، ص ٤٦.

تبدل الحركة إلى نظام فيتحول التشيع إلى نظام ونسق اجتماعي رسمي مرتبط مع الأنساق الاجتماعية الأخرى كالأسرة واللغة وأنظمة الحكم والإدارة والمالية والاقتصاد ارتباطاً مصيرياً بحيث لا يمكن التفكيك بينهما بأي نحو من الأنحاء^(١)، ولبيت التشيع كان حبا لأهل البيت وترجيحاً معتدلاً لكفة الإمام علي، لكن الأمر تعدى ذلك إلى مجموعة من الدوغمائيات، أذكرها بشيء من التفصيل مع الرد عليها، وبيان بطلانها في هذا المبحث.

دوغمائية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

يعتبرون الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركناً من أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه - يعني الولاية -"^(٢)، ويقرر محمد حسين آل كاشف الغطا أحد مراجع الشيعة في هذا العصر: "أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذا يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه إماماً للناس من بعده"^(٣)؛ فيعتقدون أنها منصب ثبت من عند الله تعالى يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين.

وبناء على اعتبارها أصلاً من أصول الدين فإن الإيمان لا يقبل إلا بالاعتقاد بها وتنفيذ التزاماتها العقائدية (الدوغمائية)، فقد "انقضت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة وجد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة لهم فهو كافر مستحق للخلود في النار"^(٤)، وهذا وصف دوغمائي متشدد لمن لا يؤمن بنظرية الإمامة.

فهذه هي منزلة الإمامة عندهم، وما أدري أين سند هذه المنزلة المزعومة وكتاب الإسلام العظيم - كتاب الله - تذكر فيه مرات، وتؤكد مرات أركان الإسلام: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج ولا ذكر فيه لشأن ولاية أئمتهم؟!

والاثنا عشرية يحصرون الإمامة في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم بناء على رواية عن الإمام علي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الأئمة بعدي أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله عز وجل على

(١) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، تقديم إبراهيم دسوقي شت، ترجمة: حيدر مجيد، دار الأمير للعلم والثقافة، ط ١: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ط ٢: ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م، ص ٦٥.

(٢) آية الله عبد الحسين الشيخ عبد الله المظفر (١٣٤١ هـ - ١٩٢٠ م) (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)، الشافي في شرح أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، باب دعائم الإسلام رقم ٣، قال في شرح الكافي في بيان درجة هذا الحديث عندهم: "موثق كالصحيح"، فهو معتبر عندهم ط ١: ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م، ج ٦، ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفي (١٣٧٣ هـ)، أصل الشيعة وأصولها، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي عليه السلام، ط ١، ص ٢٢١.

(٤) الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) أوائل المقالات، دار المفيد، ط ١: ١٤٣١ هـ، ص ٤٤.

يديه مشارق الأرض ومغاربها" ^(١)، فاستقر قولهم بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً، على الرغم من أنه لم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول بإمامة الاثني عشر.. ^(٢)، وإنما عرف الاعتقاد (الدوغمائي) باثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري.

أدلة الشيعة على دوغمائية الإمامة لديهم ^(٣)

١- قالوا: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، والرسول ﷺ بعث لرفع الخلاف فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلى اختلافات الناس واجتهاداتهم، فمن أصول الروافض "أنه لا يجوز للرعية اختيار إمام، بل لابد فيه من النص" ^(٤) ذلك "أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص" ^(٥)، وأن الرسول ﷺ نص على علي - كرم الله وجهه - وأولاده ^(٦)، فهم الأئمة إلى أن تقوم الساعة.

٢- أدلتهم من القرآن:

قال شيخ الطائفة - كما يقبونه - الطوسي: "وأما النص على إمامته من القرآن فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٧) ". ^(٨) وقال الطبرسي: "وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل" ^(٩)، فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي؛ لما تصدق بخاتمته على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة، وقالوا "إنما" للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة. ^(١٠)

^(١) الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، إكمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: أحمد الماجوري مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط ١: ١٣٩٧ هـ - ١٠١٨ م، ج ١، ص ٢٨٢، علماً أنه لا يوجد ذكر لهذا الحديث بنفس اللفظ، وإنما يوجد حديث آخر له معنى قريب، وهو "عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ، لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَمْلُؤُهَا عَذْلًا كَمَا مَلَأَتْ جُورًا» أبو داود، سنن أبي داود، ابواب الفتن، باب المهدي، الحديث ٤٢٨٣، ج ٤ ص ١٠٧.

^(٢) راجع: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، آل رسول الله ﷺ وأولياؤه موقف أهل السنة والشيعة، ص ١٨، وابن تيمية، نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨ هـ) منهاج السنة النبوية، التحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ج ٣، ص ٤٠٧.

^(٣) أدلتهم على ذلك كثيرة جداً، حيث لفقوا عشرات الأحاديث في إثبات الوصية والخلافة في علي وأولاده كما فعل العاملي في كتابه المراجعات. انظر: العاملي، عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي المراجعات، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٥ هـ - ١٩٦٣ م، من ص ٢٣٩ إلى ص ٢٤٦، وانظر باباً خاصاً في الوصية هو المراجعة رقم ٨٦.

^(٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن الحر عاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة تكملة الوسائل، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائني، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا، ط ١: ١٤١٨ هـ، ج ١ ص ٣٨٤.

^(٥) المظفر، محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، قدم له: حامد حفني داود، ص ٧٤.

^(٦) الكليني، محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ - ٣٢٩ هـ، أصول الكافي، دار المرتضى، بيروت ط ١: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، باب ما نص الله ورسوله على الأئمة، ج ١، ص ٢٠٨ وما بعدها.

^(٧) سورة المائدة: ٥٥

^(٨) جعفر الطوسي، تلخيص الشافي، قدم له وعلق عليه السيد حسين بحر العلوم، ج ٢، ص ١٠.

^(٩) ينظر: الطبرسي، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ج ٣، ص ٢٩٨.

^(١٠) الزنجاني، السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، عقائد الإمامية الاثني عشرية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢: ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، ص ٨١-٨٢.

٣- يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي - رضي الله عنه - ومن ذلك:

أ- (من كنت مولاة فعلي مولاة)^(١)، وزيادة الشيعة "اللهم وال من والاه وعاد من عاده..."^(٢).

ب- «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»^(٣)، زاد الرافضة في الحديث الحديث (إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفة)^(٤).

وغير ذلك من الأدلة إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة على ما زعموه.

الرد على الشيعة ومناقشة أدلتهم

١- الرد على قولهم بالنص على إمامة علي - رضي الله عنه - نقول لهم كيف ذلك وقد رد علي - كرم الله وجهه - على من قال له: استخلف علينا - كما يرويه ابن كثير - فقال: "لا، ولكن أترككم كما ترككم رسول الله ﷺ، فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ".^(٥)

والشاهد في هذا النص أن علياً لم يذكر نصاً من الرسول ﷺ على ولايته، وفيه شاهد أيضاً على اعترافه بفضل أبي بكر رضي الله عنه.

ولا شك أن النص على عين من يتولى إمامة المسلمين إلى أن تقوم الساعة غير ممكن، إلا في عقل الرافضة الدوغمائي، وقد انتهى بهم هذا القول إلى الاستسلام لوهم كبير، حيث اضطروا إلى القول بحياة واحد من البشر قرونًا مديدة (وهو مهديهم الذي ينتظرونه)؛ فأصبحوا أضحوكة الأمم..^٢ - إن الشيعة تعتمد في استدلالها بالآية بما روي في سبب نزولها؛ لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادها، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم؛ يتبين هذا بالوجوه التالية:

أولاً: أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في علي هو "من أعظم الدعاوي الكاذبة"^(٦)،

(١) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٣٣. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، تحقيق شاكر، ج ٢، ص ١٨، رقم الحديث ٩٥٠، وجاء في سنن ابن ماجه، ماجه، ج ١، ص ٤٥، رقم الحديث ١٢١، وحكم عليه الألباني بالصحة، والترمذي في سننه، ج ٥، ص ٦٣٣، رقم الحديث ٣٧١٣، وقال عنه: «هذا حديث حسن غريب»، والنسائي في السنن الكبرى، ج ٧، ص ٣٠٩، رقم الحديث: ٨٠٨٩، وقال ابن تيمية: «حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في مسنده عن النبي - ﷺ - أنه قال من كنت مولاة فعلي مولاة، وأما الزيادة وهي قوله: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ... الخ، فلا ريب أنه كذب». منهاج السنة النبوية، ج ٧، ص ٣١٩ ... والشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٣.

(٢) العاملي، المراجعات، ص ١٦٥.

(٣) صحيح البخاري، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، رقم الحديث: ٤٤١٦، ج ٦، ص ٣.

(٤) انظر: العاملي، كتاب المراجعات، ص ١٦٢. وانظر: عبد الواحد الأنصاري، أضواء علي خطوط محب الدين العريضة، دار معجم متن اللغة للطباعة والنشر، بيروت، ص ٩٨.

(٥) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٣.

(٦) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٧، ص ١١.

وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها بقوله: "وليس يصح شيء منها بالكلية؛ لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها"^(١).

ثانياً: أن هذا الدليل الذي يستدلون به ينقض مذهب الاثني عشرية؛ لأنه يقصر الولاية على أمير المؤمنين بصيغة الحصر "إنما"؛ فيدل على سلب الإمامة عن باقي الأئمة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الآية في بعض الأوقات، أعني وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده، وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله، وهو زمان خلافة الثلاثة.^(٢)

ثالثاً: وقولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية مخالف للواقع؛ ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي ﷺ، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلي لم يكن من هؤلاء.

كذلك فإن "إعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزي عند كثير من الفقهاء إلا إذا قيل بوجوب الزكاة في الحلي، وقيل إنه يخرج من جنس الحلي، ومن جوز ذلك بالقيمة فالتقويم في الصلاة متعذر، والقيم تختلف باختلاف الأحوال."^(٣)

رابعاً: قولهم: "إن المراد بقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤) الإمامة - لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٥) فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة.

(١) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ١٢٦.

(٢) انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١: ١٤١٥ هـ، ج ٣، ص ٣٣٤.

(٣) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٧، ص ١٧ - ١٨.

(٤) سورة المائدة: ٥٥

(٥) سورة المائدة: ٥٥

فهذه الولاية هي المقصودة في الآية ^(١)، وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ^(٢)؛ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله ^(٣).

فتبين أن الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم على بعض ^(٤) ولهذا جاء قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٥) بصيغة الجمع.

وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم - كما يقوله شيوخهم - تبين أنهم ليسوا على شيء؛ ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عليها ابن تيمية بأجوبة جامعة. ^(٦)

٣- وأما استدلالهم بقوله ﷺ: (من كنت مولاه فعلي مولاه)؛ فجوابه أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعنى الإمامة، فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات موالاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وليس معناه أن من كان ولياً لآخر كان أميراً عليه دون غيره، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ^(٧) وولاية علي - رضي الله عنه - واجبة على كل أحد، من جنس موالاة موالاة المؤمنين بعضهم بعضاً، فكل من كان الرسول ﷺ مولاه فعلي مولاه ولا شك، فالذي لا يتولى الرسول ﷺ لا يكون ولياً لعلي رضي الله عنه، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاه أي أميراً عليه فعلي مولاه أي أميراً عليه؛ لأن معناه لا يوحي بهذا.

وأما استدلالهم بحديث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى).

فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي - رضي الله عنه - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله.

^(١) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٧، ص ٣٠.

^(٢) سورة المائدة: ٥٥

^(٣) انظر: الكشف للزمخشري: ٦٢٤/١، تفسير الرازي: ٢٥/١٢.

^(٤) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٧، ص ٢٩.

^(٥) سورة البقرة: ٩.

^(٦) وقد قدم الدكتور علي السالوس - في رسالة له بعنوان: "الإمامة عند الجعفرية والأدلة من القرآن العظيم" - عرضاً ومناقشةً للآيات القرآنية الكريمة التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالهم بتبني على روايات متصلة بأسباب النزول، وتاويلات انفردوا بها، ولم يصح شيء من هذا ولا ذاك بما يمكن أن يكون دليلاً يؤيد مذهبهم.

^(٧) سورة التوبة: ٧١.

وسبب الحديث يوضح مراد النبي ﷺ وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك علياً في المدينة للنظر في أمور المسلمين فقال بعض المنافقين في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه، فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف^(١) وأخبره بقول المنافقين فقال له رسول الله ﷺ: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى) فبين له أن استخلافه على المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، ولم يستخلف موسى هارون بغضاً له أو استثقلاً، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول ﷺ وعلي رضي الله عنه، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية، وإنما هو من الرسول ﷺ كهارون من موسى في الوصية له ووجوب احترامه ومعرفة فضله.^(٢)

وبعد عرض أقوال الشيعة وأدلتهم في موضوع الإمامة، والرد عليهم، وبيان ضعف أدلتهم، وبطلان أقوالهم، أتساءل كيف لهم أن يتمسكوا بهذه العقيدة التي ليس لها سند من الشرع أو العقل، وينكروا على غيرهم رفضهم لهذا المبدأ ويرمونهم بالكفر والخروج عن الدين؛ إن تفكيرهم هذا وسلوكهم لا يعد إلا أن يكون نوع من الدوغمائية العمياء التي لا ترى نور الحق، ولا تنتظر إلى الأمور بالعقل والنقد للأفكار الموروثة عن الآباء والمشايخ والزعماء.

دوغمائية عصمة الأئمة والأوصياء:

هذه إحدى خرافات الشيعة الدوغمائية في أئمتهم فقد ادعوا عصمتهم من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر، لا خطأ ولا نسياناً منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم وجوباً لا شك فيه.

يقول المجلسي: «جملة القول فيه - أي في مبحث العصمة - أن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً ونسياناً قبل النبوة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله تعالى، ولم يخالف في ذلك إلا الصدوق محمد بن بابويه وشيخه ابن الوليد قدس الله روحهما فإنهما جوزا الإسهاء من الله تعالى لا السهو الذي يكون من الشيطان في غير ما يتعلق

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. ينظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) انظر منهاج السنة، ج ٧، ص ٣٢٩ - ٣٣٤.

بالتبليغ وبيان الأحكام، وقالوا: إن خروجهما لا يخل بالإجماع لكونهما معروفين بالنسب»^(١)، فالمجلسي يسبغ على أئمة العصمة من كافة الأوجه المتصورة: العصمة من المعصية كلها - صغيرة أو كبيرة - العصمة من الخطأ، والعصمة من السهو والنسيان. وهذه الصورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقق لأنبياء الله ورسله كما يدل على ذلك صريح القرآن، والسنة، والإجماع.^(٢)

فجعلوا كلام أئمتهم ككلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، بل ككلام الله تعالى، وأعطوهم حق التشريع، يقول الخميني: «إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن لا تخص جيلاً خاصاً، وإنما هي تعاليم للجميع في كل عصر ومصر وإلى يوم القيامة، يجب تنفيذها واتباعها».^(٣)

سبب تلك الدوغمائية والدليل عليها عند الشيعة

وعند البحث عن سبب هذا الاعتقاد الذي جعلهم ينزلون أئمتهم هذه المنزلة المستحيلة، نجد أن الذي حملهم على ذلك هو أن العصمة عندهم شرط من شروط الإمامة^(٤)، إضافة إلى ذلك قالوا: إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هاد آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هاد آخر وهكذا فيلزم التسلسل فقطعاً للتسلسل ينبغي أن يكون كل إمام من أولئك معصوماً في وقته - حسب زعمهم - حتى يؤمن على حفظ الشريعة، وإلا احتجنا إلى حافظ آخر، إذ كيف يؤتمن على الشريعة شخص معرض للخطأ.^(٥)

كذلك من الأسباب أيضاً استنادهم في القول بعصمتهم إلى ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم، فقد نقل الكليني - فيما يكذب الشيعة على آل البيت - أن جعفر الصادق قال: (نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا.. نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض).

(١) المجلسي، محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار دار إحياء التراث العربي، ط ٢: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٢٥، ص ٣٥٠ - ٣٥١، ونكتة قوله معروف في النسب أنهم يعتقدون بأن المهدي قد يحضر مجالس الفقهاء، ويقول قولاً، فيستدلون بجهلهم به وينسبه، على أنه هو المهدي.

(٢) انظر: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٣: ١٤٢٨ هـ، ج ١، ص ٣٢٥.

(٣) روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية، ط ٣، ص ١١٣.

(٤) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ، كتاب الغيبة، قدم له الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف (الذريعة)، مكتبة نينوى الحديثة، طهران، ص ٤.

(٥) الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٥.

وفي رواية أنه قال لرجل اسمه سدير حين سأله بقوله: جعلت فداك، ما أنتم؟ قال: نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحى الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض.^(١)

ومن كلام الخميني - وهو أحد أئمتهم في هذا العصر - قوله عن هذه الخرافة: (نحن نفخر بأن أئمتنا هم الأئمة المعصومون، بدءاً من علي بن أبي طالب وختماً بمنقذ البشرية الإمام المهدي صاحب الزمان، عليه وعلى آبائه التحية والسلام، وهو بمشيئة الله القدير حي يراقب الأمور).^(٢)

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم

أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوماً، فإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفساد، وحفظ الأمن، والنظر في مصالح العامة وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصوماً، ولم يطالبه الشرع بإصابة عين الحق حتماً في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان، ولا مانع بعد ذلك أن يخطئ ويصيب كبقية الناس، وادعائهم أنه لا يجوز عليه الخطأ يكذبه العقل والواقع.

وكذلك زعمهم أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه باطل فلا يكفي إمام واحد فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذن أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحداً مكانه لجواز الخطأ عليه، وفي هذا من العنت ما لا خفاء فيه.

ومن العجيب أنه قد صدح كل الأئمة بعدم عصمتهم في كثير من المناسبات، ثم يروي الشيعة بعض ذلك في كتبهم، ثم لا يأخذون بها.

روى الكليني في باب التسليم على النساء، عن علي - رضي الله عنه - أنه كان يكره التسليم على الشابة منهن ويقول: (أتخوف أن يعجبني صوتها، فيدخل علي أكثر مما أطلب من الأجر).^(٣)، وكان يقول لأصحابه: (لا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل فإنني لست آمن أن أخطئ).^(٤)

فأمير المؤمنين يطلب من أصحابه ألا يترددوا في إبداء النصيحة والمشورة، فهو هنا لم يدع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، فعلم أن دعوى العصمة من مخترعات غلاة الشيعة.

(١) الكافي، كتاب الحجة، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) الموسوي الخميني، الوصية السياسية الإلهية، دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر، ص ٥.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٧٣. ولو كان علي يدعي العصمة لنفسه كما يزعم جهال الشيعة لما خاف الإثم.

(٤) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص ١٢١.

وأمر آخر يبطل دعوى العصمة ويثبت دوغمائيتها ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل، فأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل يصدق بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض.. والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها، ومن ذلك صلح الحسن مع معاوية وحرب الحسين مع يزيد بن معاوية، وما رووا أن الحسين بن علي بن أبي طالب كان يبدي الكراهية من صلح أخيه الحسن مع معاوية، ويقول: (لو جز أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي).^(١)

ومن المعلوم أنه إذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة فأين العصمة بعد ذلك؟!

كما أن مبدأ العصمة على فرض صحته له جانب سلبي يتمثل بلا معقوليته النابعة من حصر قيادة المسلمين باثني عشر إماماً إلى يوم القيامة، يضاف إلى ذلك أنه مجرد أئمة أهل البيت من كونهم بشراً، ودرجتهم أقل من الأنبياء لانقطاع الوحي عنهم، باعتباره خاصاً بالأنبياء، وكما يقول السيد حسين فضل الله: "إن كل الفكر الإسلامي - ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية - هو فكر بشري وليس فكراً إلهياً قد يخطئ فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يصيبون".^(٢) ثم أن دعوى عصمة أحد من الناس - إلا ما ورد فيه الخلاف في عصمة الأنبياء - دعوى تعارض الطبيعة البشرية المركبة من الشهوات، كما أنه لا يمدح الإنسان لأنه معصوم، بل يمدح لأنه يجاهد نفسه على فعل الخير كما أخبر الله بذلك في أكثر من موضع من كتابه الكريم.

هذا، وقد يكون مبدأ العصمة ورثته الشيعة عن المذهب المجوسي، ذلك أن المجوس تدعي في منتظرهم الذي ينتظرون وأصحابه أنهم لا يكذبون، ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة^(٣)؛ فالواضح أن القول بعصمة الأئمة دوغمائية مستحدثة عند أتباع المذهب الشيعي لا أصل لها من الشرع، ولا سند لها من العقل، ولم يقل بها الإمام علي ولا غيره من الأئمة إلا ما كان مكذوباً على بعضهم، وقد أرجعت بعض المصادر ذلك لتأثر الشيعة بغيرهم ممن جاورهم أو دخلوا في مذهبهم، وأدخلوا فيه ما ليس منه ولا من الإسلام في شيء.

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) فضل الله، السيد حسن، حوارات في الفكر والإجتماع، بيروت، دار الملاك، ط ١، ص ٨٠.

(٣) ينظر: القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥ هـ)، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى - شبرا - القاهرة، ج ١، ص ١٧٩.

إن القول بالمهدي وانتظاره من عقائد الشيعة البارزة والأساسية، ذلك المهدي الذي يزعمون أنه غاب عنهم لأسباب مؤقتة، وسيرجع وسيملاً الأرض عدلاً ورخاءً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١)؛ فالشيعة يؤمنون بوجود إمام هو الثاني عشر، ويلقبونه بصاحب الزمان، ويعتقدون أنه مختف في سرداب بمدينة سامراء، وهم ينتظرون خروجه، ويزعمون أنه إمامهم الآن، وأنه حجة الله على الخلق، كما كان سائر الأئمة حجة على الخلق، ويروون بأنه من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية،^(٢) بل يروون أنه لو بقيت الأرض بدون إمام لساخت بأهلها.^(٣)

كما أن المهدي الغائب شوهد مرات عديدة حول الكعبة وهو يدعو بهذا الدعاء: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم انتقم لي من أعدائك).^(٤)

وأنه يظهر في كل سنة لخواصه يوماً واحداً، فيحدثهم ويحدثونه، ويقلب لهم الحصى ذهباً.^(٥)

وهو لا يحب أن يساكن أحداً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ذكر الطوسي عنه أنه قال - كما أوصاه أبوه -: (لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم).^(٦)

الدليل على دوغمائية معتقد الشيعة في المهدي

أولاً: أنه مع كل اهتمام الشيعة بأخباره والتلف على لقائه؛ فلقد اضطرب كلامهم حوله، وتناقضت فيه أقوالهم، ومن تلك التناقضات الشيعة ما تجده من:

١ - اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته.

فقد اختلفت كلمتهم في وجود هذا الشخص، فبعضهم ذهب إلى أن الحسن العسكري مات ولم يعرف له ولد أصلاً، وقال هؤلاء بأن الحسن العسكري حين توفي ظن بعضهم أن بجاريته حملاً؛ فوكلوا بها من يراقبها حتى تبين أن لا حمل بها، واستدلوا أيضاً بأن الحسن العسكري حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته، ولو كان للحسن ولد لما حصل على ذلك.

(١) مما ينبغي الإشارة إليه هنا هو أنه ليس للشيعة مهدي واحد ينتظرون عودته بل لهم مهديون كثيرون حسب معتقداتهم وأما مهدي الاثني عشرية فهو ابن الحسن العسكري كما سيأتي.

(٢) انظر الرواية في بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ١١٥.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٧٩.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٣٥١.

(٥) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٥٢.

(٦) الطوسي، كتاب الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ على أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية، ج ١، ص ٢٨٩.

٢- وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن، بل وحددها محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختي بأنها كانت يوم الجمعة منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥هـ، بينما الكليني في الكافي يذكر أنه ولد سنة ٢٥٦هـ^(١)، بينما هو يقرر أنه خفي الولادة والمنشأ^(٢).

وأقويل أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها، وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد، وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم، وهذه الاختلافات تدل أيضاً على مدى تخبطهم وعلى الجهل الذي يخيم عليهم، ثم إن شخصية كهذه تملأ الأرض عدلاً ونوراً لا ينبغي بل ولا يصدق أن تكون ولادته محل خلاف أو خفاء.

ثانياً: أنه لم يكن أمر هذا الغلام معروفاً قبل هذه الحادثة المفجعة، وقبل أن يموت الحسن العسكري من دون أن يدركهم بإمام تتسلسل معه هذه النظرية، وتستمر به هذه الوصاية، ولم يكن أحد يروي أي خبر أو أثر عن هذا الوليد وغيبته، ولم يكن أحد يعرف أن المهدي هو هذا، بل قد اختلفت فرق الشيعة وتشتتت بعد موت كل إمام، فكان التنازع يحصل على من هو الإمام المعين بعده، فتتمسك فرقة منهم بالإمام الذي مات، ويزعمون أنه لم يمت وإنما غاب ليرجع في آخر الزمان، وأنه هو المهدي، وهذا ما حصل بعد وفاة الباقر، وبعد وفاة الصادق، وكذلك تفرقوا بعد وفاة الكاظم فوقف كثير منهم عنده وزعم أنه المهدي، وافترقوا بعد وفاة الرضا، وبعد وفاة الجواد وبعد الهادي وبعد العسكري^(٣).

وهذا أكد دليل على عدم وجود الأحاديث التي ذكروها عن هذا الوليد، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لم يخبر عنه ولا عن غيبته، فلو كان منصوباً عليه من قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لما تفرقوا وتنازعوا خصوصاً أنهم قبل موت الإمام الذي يختلفون بعده يكونون فرقة واحدة، لهم نفس المصادر، ونفس الأحاديث، وقد جرد عالم الشيعة الاتني عشرية والمعروف بالطوسي سيفه في كتابه "الغيبة"، على كل من زعم من فرق الشيعة مهدياً قبل محمد بن الحسن، ورد عليهم وأبطل دعاويهم، وفسقهم وضللهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا النص ولا ذكره في كتاب، ولا احتج به في خطاب، وأخبارهم مشهورة متواترة، فعلم أن هذا من اختلاق المتأخرين، وإنما اختلق هذا لما مات الحسن بن علي العسكري، وقيل إن ابنه محمداً غائب، فحينئذ ظهر هذا النص بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأكثر من مائتين وخمسين سنة»^(٤).

(١) الكافي (باب الإشارة والنص إلى صاحب الدار).

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) انظر ما كتبه الدكتور فيصل نور في كتابه: الإمامة والنص، دار الصديق، ص ١٤١ - ٢٥٧.

(٤) منهاج السنة، ج ٨، ص ٢٤٨.

ولك أن تستنتج من مواقفهم المتناقضة ما يزيدك يقيناً برداءة مذهبهم فيه ودوغمائييتهم.

ثالثاً: أن الهاشميين أنكروا وجود ولد الحسن العسكري على مرأى من الناس ومسمع، وذلك حينما ادعى شخص زمن المقتدر الخليفة العباسي أنه هو ابن الحسن العسكري، فجمع الخليفة جميع بني هاشم وعلى رأسهم نقيب الطالبين أحمد بن عبد الصمد المعروف في كتب التاريخ بـ (ابن الطومار) للبت في أمر هذا الرجل، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكري لم يعقب، فحبس المدعي وشُهر وضرب.

ورغم أن أهل البيت أدري بمن فيه، لكن هؤلاء الشيعة أبوا إلا المكابرة مهما كانت النتائج، وادعوا وجود هذا المهدي.

رابعاً: اختلف الشيعة في المكان الذي اختفى فيه مهديهم محمد بن الحسن العسكري على أقوال متضاربة توحى لأهل كل مكان ذكره بقرب المهدي منهم.

ومن تلك الأقوال، وهي كثيرة:

١- أنه مختفٍ في سامراء، في سرداب دار أبيه، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم، وفي كتبهم.^(١)

٢- أنه مختفٍ في المدينة المنورة.

قال أبو هاشم الجعفري للحسن العسكري: (يا سيدي هل لك ولد؟ قال: نعم. قلت: فإن حدث حادث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة.^(٢)

٣- أنه مختفٍ بمكة المكرمة.^(٣)

وقد أورد الطوسي روايات كثيرة في هذا، وأورد الكليني حديثاً في هذا.

٤- وبعضهم قال: هو بذات طوى.^(٤)

٥- وبعضهم قال: إنه في اليمن بواد يسمى شمرخ.^(٥)

٦- وبعضهم قال: إنه بالطائف حسب رواية الطوسي الطويلة عن علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي.^(٦)

(١) انظر رواية محمد بن يعقوب بإسناده عن ضوء بن علي العجلي عن رجل من أهل فارس، الطوسي أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٤٠ - ١٤٦.

(٢) الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٣٩.

(٣) المصدر السابق ج ٢، ص ١٥١ - ١٥٢، وانظر الكافي، ج ١، ص ١٨٠.

(٤) إحسان الله ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧ هـ)، الشيعة والتشيع - فرق وتاريخ، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان ط ١٠: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ص ٣٥٤.

(٥) الشيعة والتشيع، ص ٣٥٤.

وكل هذه الخلافات دليل على بطلان تلك الدعوى، والباطل أهله يختلفون فيه حتماً، ولا يخفى التباعد بين هذه الأماكن، وهذا التباعد بينها دليل على أنها افتراضات مبنية على هوى وأغراض سياسية، إذ لا يمكن لأي شخص أن يجمع بينها ويوصل إلى نتيجة مرضية مهما أوتي من المعرفة والذكاء، لكن الاثني عشرية مصرّة على ضرورة الاعتقاد بوجود هذا المهدي وغيبته، وهو من العقائد الأساسية عندهم، يقول مقرر عقائدهم آية الله المظفر: «غير أن الفرق بين الإمامية وغيرها هو أن الإمامية تعتقد أن هذا المصلح المهدي هو شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ هـ ولا يزال حياً، هو ابن الحسن العسكري واسمه محمد وذلك بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت من الوعد به، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجابه».^(٢)

دوغمائية الرجعة

إن هذه العقيدة هي من العقائد التي أجمعت الشيعة الاثني عشرية على الاعتقاد بها، فالرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا"^(٣)، وقال ابن بابويه في الاعتقادات: "واعتقادنا في الرجعة أنها حق"^(٤) وقال المفيد: "واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات"^(٥). معنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.^(٦)

وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية والكيسانية وغيرهما، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث الهجري.^(٧)

(١) الطوسي، كتاب الغيبة، ص ١٥٩ - ١٦١.

(٢) الزنجاني، عقائد، الإمامية، ص ٧٨.

(٣) راجع: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٣٦، وعلي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، ط ١: ١٤١١ هـ، ج ٤، ص ٨٣.

(٤) الشيخ الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبد السيد، ط ٢: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ص ٩٠.

(٥) الشيخ المفيد، أوائل المقالات، ص ٥١.

(٦) فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥ هـ، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، ج ٤، ص ٣٣٤.

(٧) راجع: الألوسي، روح المعاني، ج ٢٠، ص ٢٧، وأحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط ٧، ج ٣، ص ٢٣٧.

أما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عن الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

الأول: الأئمة الاثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

الثاني: ولاية المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر)، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. من قبورهم ويرجعون لهذه الدنيا - كما يحلم الشيعة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

الثالث: عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضًا، وهم الشيعة عمومًا، لأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم.

أدلتهم على الرجعة

عن أبي عبد الله قال: (ما يقول الناس في هذه الآية ويوم نحشر من كل أمة فوجًا، قلت يقولون إنها في القيامة، قال ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة أبحشر الله في القيامة من كل أمة فوجًا ويدع الباقين، إنما آية القيامة قوله: وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا).^(١)

وعنه قال: «فمهل الكافرين يا محمد، أمهلهم رويدا لوقت بعث القائم عليه السلام فينتقم لي من الجبارين والطواغيت من قريش وبني أمية وسائر الناس». ^(٢)

ورأس الطواغيت عندهم هما الجبت والطاغوت، أبو بكر وعمر، صهري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر الطوسي أن المهدي يخرج يوم عاشوراء يوم السبت بين الركن والمقام. وهذه الرواية عن أبي جعفر، وذكر رواية عن أبي عبد الله أنه ينادي باسم المهدي ليلة ثلاث وعشرين، ويقوم يوم عاشوراء يوم قتل الحسين. ^(٣)

وهذا كله بخلاف ما هو معلوم من دين الإسلام، بل وجميع الأديان السماوية مجمعة على أن الإنسان إذا انتهى عمره في الدنيا ومات فإنه لا رجعة له إلا للقاء ربه يوم القيامة للحساب والجزاء.

(١) أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، مؤسسة الإمام المهدي، ج ٢، ص ٧٤٨.

(٢) تفسير القمي، ج ٣، ص ١١٤٩.

(٣) الطوسي، كتاب الغيبة، ص ٢٧٤.

وهذا هو ما صرح به الله - عز وجل - في القرآن الكريم؛ حيث قال رداً على من تمنى الرجعة إلى الدنيا: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾^(١)، وهذا هو اعتقاد جميع المسلمين، ولم يقل بخلاف هذا أحد لا سلف الأمة ولا أحد من آل البيت الذي تزعم الشيعة أنهم تبع لهم، والقرآن صريح وواضح في إبطال هذه البدعة، والخرافة العقدية التافهة.

وقولهم: إن المهدي هو الذي يحاسب الناس، وينزل بهم العقاب؛ بسبب ما قدموه في حق آل البيت، فإن الإسلام يصرح بأن الله - عز وجل - يتولى حساب جميع خلقه، ويثيب أو يعاقب، أما البشر فليس لهم ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ ﴾^(٢)، وقول هؤلاء الشيعة إنما اقتبسوه من قول النصارى بأن المسيح هو الذي يتولى حساب الخلق - تشابهت قلوبهم.

مع أن إثبات هذا العقاب يؤدي في النهاية إلى عكس ما يريد الشيعة، ويناقض أقوالهم، وذلك:

١ - أن أولئك الناس لو أرجعهم الله إلى الدنيا للجزاء قبيل يوم القيامة لكان أمرهم في الآخرة إلى الجنة، إذ من الظلم أن يعذبوا مرة أخرى، فحصل لهم بتعذيبهم في رجعتهم إلى الدنيا تخفيف وراحة. وهذا ينقض ما ذهب إليه الإمامية، فإنه على أصولهم أن عذاب جهنم لا بد وأن يكون مستمراً على من آذى آل البيت.

٢ - أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - الذين حكم الشيعة عليهم بالرجوع؛ لعظم ما ارتكبه في حق آل البيت وجزاؤهم الشديد في الدنيا ثم يموتون - بزعمهم - ويبعثون يوم القيامة. ذنوبهم بإقرار الشيعة غصب الخلافة وبعض حقوق آل البيت - على زعم الشيعة -، وهذا الذنب - إذا جاز تسميته ذنباً - لا يصل إلى درجة الكفر بالله والشرك به، بل هو فسق والفسق لا يصل إلى هذا الحد من العقاب ولا يوجب الرجعة في الدنيا، ولو كان الأمر يقتضي الرجعة لكان إرجاع الكفرة والمشركين والذين ادعوا الألوهية مع الله - كفرعون ونمرود وغيرهما - أولى بالرجوع، والشيعة لم يقولوا بذلك، فوجب أن يكون - حسب مقياسهم - أن غصب الخلافة أو التعدي على آل البيت أعظم جرماً من الشرك ومن ادعاء الألوهية وقتل الأنبياء بغير حق، وهم لا يقولون بهذا؛ فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة رجعة أولئك الخلفاء لعقابهم في الدنيا بسبب غصبهم الخلافة.

(١) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠

(٢) مريم: ٩٣

٣- ثم إن قولهم برجوع النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وسائر الأئمة وإخراجهم من قبورهم لحضور هذا العقاب في الرجعة - فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى، والموت أشد آلام الدنيا ... فلم يجوز الله سبحانه وتعالى إيلام أحبائه عبثاً؟ إذ الموت لا بد أن يشمل كل كائن حي، وإذا أحيا الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى - على حسب هذا المعتقد الخرافي -، فكيف يعذب أوليائه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرة واحدة؟

٤- إنه على عزم الشيعة بإعادة هؤلاء وإيقاع العذاب عليهم في الدنيا - فيه نفع لهؤلاء المبعوثين إلى الدنيا؛ إذ يعلمون حينئذ أنهم أخطئوا فيتوبون حتماً توبة نصوحاً، والتوبة مقبولة في الدنيا ولو بعد الرجعة، فكيف بعد ذلك يمكن تعذيبهم، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. فوجب على معتقد الشيعة برجعتهم أن يقولوا بأنهم في الآخرة في الجنة؛ لصدق توبتهم في الدنيا في الحياة الثانية.

إلى غير ذلك من الردود التي تدحض مذهب الشيعة في القول بالرجعة، وأنه خلاف العقل والنقل والواقع، والله الهادي إلى سواء السبيل.^(١)

دوغمائية قولهم بالبدا على الله

البدا في اللغة

إن معنى البدا في اللغة العربية يتضمن معنيين:

الأول: الظهور بعد الخفاء. تقول: بدا سور المدينة؛ أي: ظهر.

والثاني: نشأة الرأي الجديد. ومنه "بدا له في الأمر"؛ إذا ظهر له استصواب شيء غير الأول، قال الفراء: بدا لي بداء؛ أي: ظهر لي رأي آخر، وقال الجوهري: بدا له في الأمر بداء؛ أي: نشأ له فيه رأي.^(٢)

وكلا المعنيين وردا في القرآن، فمن الأول قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ^(٣)، ومن الثاني قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُذُوءٌ حَتَّىٰ يَكُونَ فِيهِ كَذِبٌ﴾ ^(٤).

(١) راجع: مختصر التحفة الإثنى عشرية ص ٢٠١ - ٢٠٣، ص ٢٩٤. وإحسان إلهي رحمه الله، الشيعة والتشيع، ص ٣٧٦ - ٣٩٠.

(٢) وانظر دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٤٨ - ١٥٢، والشيعة في الميزان ص ٧٧ - ٨٤. (٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج ٦، ص ٢٢٧٨، وابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٦٦، وانظر هذا المعنى في كتب الشيعة مثل: فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، مؤسسة التاريخ العربي، ج ١، ص ٣٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٤

(٤) سورة يوسف: ٣٥

وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدث العلم، وكلاهما محال على الله سبحانه. ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر، فكيف تجعل الشيعة الاثنا عشرية هذا من أعظم العبادات، وتدعي أنه ما عظم الله - عز وجل - بمثل البداء؟! سبحانه هذا بهتان عظيم.

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود، فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه.^(١)

والواقع أن كل كتب الشيعة تؤكد وجود اعتقاد هذه الفكرة عن الله، بل ووصل بهم الغلو إلى حد أنهم يعتبرونها من لوازم الإيمان، فإنه بالرجوع إلى مصادر الشيعة الإمامية الرافضة تجد أنهم متمسكون بهذه الدوغمائية، ويقولون أن الله تبدو عليه البداوات، ويذكرون في فضائل من يعتقد على الله البداء أكاذيب كثيرة منكرة.

أدلتهم على القول بالبداء :

تمسك الرافضة بعقيدة البداء تمسكاً شديداً، ولهذا فإن أدلته في كتبهم لا تكاد تحصر.

ومن ذلك ما ذكره الكليني في الكافي، حيث عقد باباً كاملاً في البداء سماه (باب البداء)، وأتى فيه بروايات كثيرة توضح بجلاء مقدار تعلقهم بعقيدة البداء، منها:

* عن زرارة بن أعين عن أحدهما عليهما السلام قال: (ما عبد الله بشيء مثل البداء).

والحقيقة ما عبد الله بشيء مثل التوحيد له عز وجل والانقياد التام، وأما البداء فهو عقيدة يهودية، من قال بها فقد وصف ربه بالنقص والجهل والتخبط في الاعتقاد.

* وفي رواية ابن عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام: (ما عظم الله بمثل البداء).^(٢)

ويذكر الكثير من العلماء أن أشد من تزعم القول بالبداء في الإسلام هو المختار بن أبي عبيد الثقفي تغطية لكذبه، وسبب ادعاء المختار القول بالبداء على الله تعالى هو: أن مصعب بن الزبير أرسل جيشاً قوياً لقتال

(١) جاء في التوراة: "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارٍ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرٌّ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ» سفر التكوين (الإصحاح ٦، فقرة: ٥ - ٧)، ومثل هذا المعنى الباطل وما أشبهه يتكرر في توراتهم (انظر: سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، فقرة: ١٢، ١٤، وسفر قضاة، الإصحاح ٢ فقرة: ١٨، وسفر صموئيل الأول، الإصحاح ١٥، فقرة: ١٠، ٣٤، وسفر صموئيل الثاني، الإصحاح ٢٤ فقرة: ١٦، وسفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح ٢١، فقرة: ١، وسفر أرميا، الإصحاح ٤٢، فقرة: ١٠، وسفر عاموس، الإصحاح ٧، فقرة: ٣، وسفر يونا، الإصحاح ٣، فقرة: ١٠ وغيرها).

هذا ما جاء في تورات اليهود، مع أنهم ينكرون النسخ، لأنه بزعمهم يستلزم البداء (انظر: الناشئ الأكبر مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تحقيق وتقديم: يوسف فان إس، دار النشر فرانكس شتاينر بفيسبادان، بيروت ١٩٧١م، ص ٧٥، فانظر إلى تناقضهم وردهم للحق وقبولهم بالباطل.
(٢) الكليني، الكافي ج ١، ص ١١١.

المختار وأتباعه، فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميظ مع ثلاثة آلاف من المقاتلة، وقال لهم: أوحى إلي أن الظفر يكون لكم، فهزم ابن شميظ^(١) فيمن كان معه، فعادوا إليه فقالوا: أين الظفر الذي قد وعدتنا؟ فقال المختار: هكذا كان قد وعدني ثم بدا^(٢) فإنه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٣).

فالسبب كما ترى أن المختار كان يدعي علم الغيب وما يحدث بالمستقبل، فكان إذا وقع خلاف ما أخبر به قال: قد بدا لربكم.

ويقول الشهرستاني في تقريره لهذه القضية: (وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء؛ لأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال، إما بوحى يوحى إليه وإما برسالة من قبل الإمام، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدث حادثة فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه، وإن لم يوافق قال: قد بدا لربكم. وكان لا يفرق بين النسخ والبداء. قال: إذا جاز النسخ في الأحكام جاز البداء في الأخبار).^(٤)

ومعلوم عند كافة أهل العلم أن النسخ ليس معناه البداء على الله تعالى، وإنما النسخ رحمة من الله تعالى وتدرج في الأحكام.

وبالرجوع إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وإلى أقوال أهل العلم، وإلى فطرة كل شخص نجد أن كل ذلك يدحض ما ذهب إليه علماء الشيعة ويبطل القول بالبداء، وأن الذين يطلقون ذلك على الله ما عرفوه وما قدره حق قدره ... ففي القرآن الكريم آيات تكذب كل زعم يقول بالبداء على الله عز وجل، ومن ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَكُنُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾^(٦).

٣- قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٧).

(١) وهو من قواد المختار، وقتل سنة (٦٧هـ).

(٢) الإسفراييني، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط ١: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٣٤، وانظر: البغدادي/ الفرق بين الفرق: ص ٥٠-٥٢.

(٣) سورة الرعد: ٣٩

(٤) الشهرستاني، الملل والنحل ج ١، ص ١٤٩.

(٥) سورة الأنعام: ٥٩

(٦) سورة طه: ٥٢

(٧) سورة الحشر: ٢٢

٤- أنها من العقائد الباطلة التي ابتدعتها اليهود، وافتروها في دينهم، قولهم بالبداء على الله عز وجل، وأنه يبدو له الشيء فيغير ما كان قد سبق له تقديره، ويقولون في التوراة: «إن الله ندم على خلق البشر لما رأى سوء أفعالهم» تعالى الله.^(١)

ولعله تم استيراد هذه العقيدة للمذهب الشيعي بدافع الحاجة، إذ أن من أصوله التي اطلعت عليها، أن الإمام يعلم الغيب، فكانت أخبار أئمتهم ترد ببشارة قريبة أو نصر متوقع، أو ظهور للمهدي، فيتخلف الوعد، ولا يحصل المأمول، فيعتذر الإمام بأن الله قد بدا له شيء فغير أمره، أما الإمام فقد أخبر على نحو ما كان قبل البداء.

ولهذا لما توفي إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، في حياة أبيه، وقد كان أبوه عينه على أنه الإمام من بعده، نسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: «ما بدا لله في شيء كما بدا له في ابني إسماعيل ... إذ اخترمه قبلي، ليعلم أنه ليس بإمام بعدي»^(٢)، وقد أمر الشيعة بمقتضى هذه العقيدة بالتسليم بالتناقض والاختلاف والكذب، ففي رواية طويلة في تفسير القمي تخبر عن نهاية دولة بني العباس قال فيها إمامهم: "إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا: صدق الله ورسوله وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله تؤجروا مرتين...".^(٣)

"إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين، لا يظهرن معهما من أئمتهم على كذب أبدًا، وهما القول بالبداء وإجازة التقية".^(٤)

فأنت ترى بعد هذا العرض أنه لو سقطت عقيدة البداء لانتقض دين الاثني عشرية من أصله؛ لأن أخبارهم ووعودهم التي لم يتحقق منها شيء تنفي عنهم صفة الإمامة، وهذا سر مغالاة شيوخهم بأمر البداء، ودفاعهم عنه، وجعله من أعظم العبادات.

لكن مقالة البداء ارتدت عليهم بأوخم العواقب وهي إضافة سبب جديد لكفرهم وردتهم^(٥)؛ لأنهم بهذا المعتقد نزهاوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد،

(١) انظر: عبد الله الجميلي، بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة الثانية، ١٤١٤ هـ فقد نقل النص من التوراة، ج ١، ص ٣١٧.

(٢) الصدوق ابن بابويه، الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٤١، وأبصار: الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى سنة ٣٨١ هـ، التوحيد، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، ص ٣٣٦.

(٣) راجع: تفسير القمي، ج ١، ص ٣١٠ - ٣١١، والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٩٩.

(٤) راجع: القمني، المقالات والفرق، ص ٧٨، فرق الشيعة للنوبختي: ص ٦٤.

(٥) انظر: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - ط ١: ١٤١٤ هـ، ج ٢، ص ٩٤٣.

ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(١)، فنزهوا المخلوق دون الخالق، لأن غلوهم في الإمام - فيما يظهر - لم يجعل للحق جل شأنه في قلوبهم وقاراً، فتأهوا في ببداء هذا الضلال والكفر والإلحاد.

دوغمائية التقية

التقية في اللغة: يراد بها الحذر، يقال توقّيت الشيء أي حذرتَه.

والتقية في مفهوم الشيعة: معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن؛ أي أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطر المكره^(٢).

ونجد مصداق هذا في أصح الكتب عندهم حيث يروي الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: (خالطوهم بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية)^(٣).

مكانة التقية

وللتقية عند الشيعة مكانة مرموقة، ومنزلة عظيمة فقد اعتبروها أصلاً من أصول دينهم لا يسع أحداً الخروج عنها، ولبيان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية:

١- التقية أساس الدين، من لا يقول بها فلا دين له، روى الكليني عن محمد بن خالد قال: سألت أبا الحسن عن القيام للولاء فقال: قال أبو جعفر: (التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له)^(٤).

٢- اعتقدوا أن التقية عز للدين، ونشره ذل له، كما روى الكليني عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله: (يا سليمان، إنكم على دين من كنتم أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله)^(٥).

ولا شك أن هذا قلب للحقائق، فإن الله عز وجل طلب من الناس جميعاً نشر العلم وبيانته، وقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٦)، وقال الله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٧).

(١) راجع: موسى جار الله، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مكتبة الخانجي، ص ١١٠ - ١٢٠.
(٢) راجع: محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب (المتوفى: ١٣٨٩ هـ)، خطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، تقديم: محمد نصيف، ص ١١، الشيعة في الميزان ص ٨٦.
(٣) الكافي، ج ١، ص ١٧٥.
(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٤.
(٥) الكافي، ج ٢، ص ١٧٦.
(٦) سورة المائدة: ٦٧.
(٧) سورة المائدة: ٦٧.

وقد امتثل الرسول صلى الله عليه وسلم أمر ربه فلم يكتف من العلم شيئاً، بل وطلب إلى أمته أن ينشروا العلم بكل وسيلة، فقال صلى الله عليه وسلم: «يَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»^(١)، وقال: (نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع).^(٢)

وقد أثنى الله في كتابه الكريم على الصادقين الشجعان الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٣)

كما ذم الله تعالى المنافقين المخادعين للناس فقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾^(٥).

٣- جعل الشيعة ترك التقية مثل ترك الصلاة تماماً، قال القمي: (التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة)^(٦)، وهذا من أغرب الأقوال، فإن التقية رخصة جعلها الله في حالة الضرورة القصوى، بشرط أن لا يشرح بالكفر صدرًا فكيف يعاقب من تركها، بل قال البغوي: "والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٧)، ثم هذا رخصة! فلو صبر حتى قتل فله أجر عظيم".^(٨)

٤- حدد الشيعة لجواز ترك التقية بخروج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر).

قال القمي: (التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج على دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة).^(٩)

(١) سورة الحجر: ٩٤

(٢) صحيح البخاري، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم الحديث: ٣٤٦١، ج ٤، ص ١٧٠.

(٣) لهذا الحديث طرق كثيرة استوعبها الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر في كتابه: دراسة حديث نضر الله امرأ سمع مقالتي رواية ودراية، ط ١: ١٤٠١ هـ.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٩

(٥) سورة المنافقون: ١

(٦) سورة البقرة: ١٤

(٧) راجع: إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧ هـ)، الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، ط ٣: ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م، ص ١٥٧، والقمي، الاعتقادات، فصل التقية.

(٨) سورة النحل: ١٠٦

(٩) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠ هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١: ١٤٢٠ هـ، ج ١، ص ٤٢٨.

(١٠) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، ص ١٥٧.

والحقيقة أن من تركها لا يخرج إلا عن دين الإمامية فقط وعن خرافاتها. ولست أدري كيف تدّعي الشيعة بأنها من أنصار الإمام "الحسين" سيد الشهداء وإمام الثائرين وهي تعمل بالتقية، وتعتقد بها وترتضيها لنفسها، والإمام "موسى بن جعفر" لم يكن على وفاق مع الخليفة العباسي "هارون الرشيد" وقضى سنوات في سجن الخليفة ببغداد، فلو كان "موسى بن جعفر" يسلك طريق التقية ويخادع الخليفة الذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلات القربى لما حدث له ما حدث.

أن فكرة التقية التي ظهرت بالمفهوم الشيعي الخاص إنما ظهرت في أواسط القرن الرابع الهجري، وذلك بعد الإعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر، وأنها ظهرت عندما أرادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية أن تتخذ العمل السري وسيلة للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والإعلان بعدم شرعيتها.^(١)

وهذه المواقف للشيعة تجعل من الصعوبة بمكان التفاهم المخلص بينهم وبين المخالفين لهم -خصوصاً أهل السنة- وذلك أن الشيعي إذا رأى أنه في موقف الضعف لجأ إلى التقية، وفي هذه الحال له من الأجر الذي قدره الشيعة ما يعادل مصافحته لعلي رضي الله عنه أو الصلاة خلف نبي من الأنبياء^(٢) كما افتروا على الله وعلى رسوله.

أسباب قول الشيعة بالتقية

والحق أنهم أوجبوا التقية؛ لظروف أحاطت بهم، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالالتكاء على دعوى التقية. ومن ذلك:

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم، يختلفون في الشيء الواحد، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبرراً لذلك التناقض؛ فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية.

وهذه الأقوال أكثرها من أكاذيب رواتهم، ليست من الأئمة الذين عرفوا بالشجاعة والصراحة، كما صرح بذلك أحد علماء الشيعة المنصفين.^(٣)

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم الشيعة ويعتبرونهم كفاراً، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية.

(١) د/ موسى الموسوي رحمه الله، الشيعة والتصحيح - الصراع بين الشيعة والتشيع، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٥٦.

(٢) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية، ص ٢٩٠.

(٣) موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، ص ٥٨.

ج- وما روه عن الأئمة وأنهم كانوا يلجؤون إليها كذب، بل كذبوا أنفسهم بأنفسهم حيث يذكرون روايات كثيرة لأناس سألوا بعض الأئمة المعصومين -حسب زعمهم- عن مسائل فأجابوا فيها بجواب، ثم سألوهم بعد مدة فأجابوا فيها بجواب آخر دون أن يوجد أي داع للتقية لصدور تلك الإجابات المختلفة من إمام واحد عن مسألة واحدة بين خاصة الإمام وشيعته وأنصاره كما صرحت بهذا مصادرهم ...

وهذا اعتراف منهم بأن الأئمة لا يلجؤون إلى التقية بسبب الخوف وإنما هو بسبب الجهل، ولا شك أن هذا طعن شنيع في أولئك الذين يدعون عصمتهم.

أدلة الشيعة على جواز التقية

تلمس الشيعة لمبدأ التقية بمفهوم له نصوص حملوها ما لم تحتمله من المعاني التي يعتقدون أنها تؤيد ما يذهبون إليه.

ومن تلك الأدلة التي تمسكوا بها ما ذكره بحر العلوم في تعليقه على فرق الشيعة للنوبختي بقوله: "التقية مما دلّ على وجوبه العقل إذا كانت لدفع الضرر الواجب، وقد دلّ عليه أيضاً القرآن العظيم، ثم نقل عن الطبرسي بعض الآيات يحتج بها"^(١):

١ - قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾

٢ - قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

٣ - قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٢٨﴾

٤ - قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٦﴾

(١) انظر: النوبختي، فرق الشيعة تعليق ص ٨٥-٨٦، وانظر: الكافي، ج ٢، ص ١٧٢.

(٢) سورة البقرة: ١٩٥

(٣) سورة الصافات: ٨٨ - ٨٩

(٤) سورة آل عمران: ٢٨

(٥) سورة النحل: ١٠٦

وفي هذا يقول محمد مهدي الحسيني الشيرازي عن الشيعة: وهم يرون التقية لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١).

والواقع أن استدلالهم بهذه الآيات على التقية التي يرونها استدلال خاطئ، وهذه الآيات وآيات أخرى كثيرة ليس فيها دلالة للشيعة على التقية التي هي بمعنى الكذب واستحلاله، بل تشير إلى جواز التورية في ظاهر الكلام إذا لزمَت الضرورة، كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٢)؛ أي من عملكم وعبادتكم للأوثان، وليس هو من الكذب بل فيه تعريض لمقصد شرعي كما يذكر العلماء (٣)؛ وهو تفسير ألتهتم بعد ذهابهم عنها.

وأما الاستدلال بالآية: (إلا أن تتقوا منهم تقاة)؛ فإن معناها الأمر بالالتقاء من الكفار.

قال البغوي: (ومعنى الآية أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداونتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم؛ فيدأريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان؛ دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يظهر الكفار على عورات المسلمين). (٤)

وأما الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٥)، (أي إلا من كان حاله مشرفاً على الخطر، واضطر إلى القول بالكفر؛ فله أن يقول به من غير أن يعتقد ويعمل به، بل يقول ما فيه تورية ومعاريض مع طمأنينة قلبه بالإيمان، وبحيث لا يشرح صدور الكفار بالمدح الظاهر لهم ولديانتهم، وإنما يلجأ إلى المعاريض التي يكون فيها صادقاً ولا تؤثر في دينه، كأن يقول لهم إنكم على معرفة، وعندكم تقدم ظاهر، قصوركم عالية وبساتينكم مثمرة، ويريد به أنهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون).

قال ابن جرير في معنى الآية، بعد أن ذكر أنها نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه: (فتأويل الكلام إذن، من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره على الكفر، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن

(١) سورة آل عمران: ٢٨

(٢) سورة الصافات: ٨٩

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ١٣.

(٤) انظر: تفسير البغوي، ج ١، ص ٢٩٢.

(٥) سورة النحل: ١٠٦

بحقيقته، صحيح على عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرًا فاختره وآثره على الإيمان، وباح به طائعاً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم).^(١)

وقد يقول بعض الشيعة في احتجاجهم بالسنة: إننا نجد أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يلين القول ويبتسم في وجوه بعض الفسقة والظلمة، وهذا كما يرى هؤلاء تقية.

والواقع أن هذه الأفعال التي صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما كانت من باب المداراة، ومن باب حسن الخلق وتأليف القلوب، مع أنه حصل مثل هذه المواقف لأناس ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاف من جانبهم شيئاً حتى يقال إنها تقية منه لهم، ثم لم تكن هذه المداراة في أمور الدين إذ لم يعرف عن أحد من الأنبياء أنه دأى أحداً في دينه، وإنما هو حسن الخلق، ومقابلة الناس بالبشر مع تألفهم لأقوامهم، ولا ينافي هذا أن يقع في القلب كراهية ما هم عليه من فجور مع محبة الخير لهم وإرشادهم إليه، وبذل النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

وأخيراً فإنه يلزم الشيعة أن يصفوا الحسن بن علي رضي الله عنه بأنه ليس له كرامة وفضل، لأنه لم يلتزم بالتقية مع معاوية، وأن المنافقين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل الناس؛ لأنهم أنقاهم أي أكثرهم عملاً بالتقية حسب تفسير الشيعة الخاطيء.^(٢)

يقول الدكتور الموسوي في رده على علماء الشيعة:

(إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية التي فرضها الإسلام على المسلمين، وهي أن المسلم لا يخادع، ولا يداهن، ولا يعمل إلا الحق، ولا يقول إلا الحق ولو كان عليه، وأن العمل الحسن حسن في كل مكان والعمل القبيح قبيح في كل مكان).

وليعلموا أيضاً أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال التقية ديني ودين آبائي (إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم).^(٣)

وقد بلغ من خطورة هذا الأمر أن الإمام يفتي بشيء، فتد عليه فتواه، ولا يقبل منه قوله، بدعوى أنه تقية. وقد نقضت هذه النصوص المتضاربة عقيدة عصمة الأئمة، وأن أقوالهم معصومة، إذ أصبح لكل قول قول

(١) انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٤، ص ١٨٢.

(٢) انظر لمزيد التفاصيل مختصر التحفة الاثني عشرية الصفحات المشار إليها سابقاً، حيث ذكر أشياء كثيرة يضيق المجال عن ذكرها.

(٣) الشيعة والتصحيح ص ٥٩.

يضره، ولكل دليل دليل يناقضه، فأين كلام الإمام الذي هو حجة على الخلق، هل هو ذا أم ذا!!! وأي القولين تقية؟!

وهكذا يتربى الشيعة على التقية، وعندما تلنقي شيعياً وتساله عن بعض عقائد مذهبه كتكفير الصحابة مثلاً، فإنك ستجده ينكر ويقسم ويتهرب، ويستخدم أغلظ الأيمان، ويدعوا ثبورا، ويلعن من قال ذلك، وكل هذا مباح في شرعه، بل هو مثاب على كذبه ونفاقه، بل لو تركها لخرج من دين الإسلام.^(١)

دوغمائية الشيعة في موقفهم من القرآن الكريم:

القرآن الكريم كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تكفل الله بحفظه وحمايته من أيدي العابثين وتأويلات المبطلين، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾^(٣).

محفوظ في الصدور كما أنزله الله، لم يزد فيه ولم ينقص منه بشهادة الله عز وجل. هكذا يعتقد المسلمون في القرآن الكريم، لكن لم يسلم القرآن الكريم من تدخل أهواء الشيعة -المتعمقين في الغلو- فقالوا بأقوال لا تجتمع معها كلمتهم وكلمة أهل السنة أبداً حتى يرجعوا عنها؛ لأنهما يسيران في طريقين متباعدين لا يلتقيان.

لقد أعلن غلاة الشيعة أن في القرآن تحريفاً ونقصاً كثيراً، ولم يكن هؤلاء من عامة الشيعة أو علمائهم غير المشاهير، بل هم من علمائهم الكبار عندهم كالقمي والكليني وأبي القاسم الكوفي والمفيد والأردبيلي والطبرسي والكاشي والمجلسي والجزائري^(٤) والكاشراني وغيرهم، وهؤلاء قد صرحوا وبكل وضوح أن في القرآن نقصاً وتحريفاً في الآيات التي يذكر فيها علي بن أبي طالب، أو الآيات التي فيها ذم المهاجرين والأنصار ومثالب قريش، وأن القرآن لم يجمعه كما أنزل إلا علي فقط.

كما يعتقدون أن مصحفاً مفقوداً سيصل إلى أيديهم يوماً ما يسمى (مصحف فاطمة) فيه أضعاف ما في المصحف العثماني الموجود بين أيدي المسلمين وأنه يختلف عن هذا المصحف اختلافاً كثيراً. فليخرجوه لنا إن كانوا صادقين ولكن أن لهم ذلك؛ والأمر ما هو إلا دوغمائية كاذبة.

(١) حامد مسوحلي الإدريسي، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، مكتبة الرضوان، مصر، ط ١: ٢٨ ١٤٤١ هـ - ٢٠٠٧ م، ص ٦٤.

(٢) سورة الحجر: ٩

(٣) سورة الحاقة: ٤٤-٦٤

(٤) نعمة بن عبد الله الجزائري.

وتوجد نماذج كثيرة من تحريفاتهم للقرآن الكريم، فيما يذكره كتاب (فصل الخطاب) في تحريف كتاب (رب الأرباب) للطبرسي، وفي الكافي وغيرهما من كتب الشيعة.

والحقيقة أن هذا الموقف لا يمت للإسلام بأدنى صلة، ومعتقد لا شك في كفره وخروجه عن الملة مهما كان ادعاؤه للإسلام بعد ذلك.

ولبيان نظرهم إلى القرآن نورد بعض الشواهد والأمثلة فيما يلي:

١- ادعى الشيعة أن سورة من القرآن تسمى سورة (الولاية) قد أسقطت من المصحف العثماني، ونصها:

(يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى والولى اللذين بعثناهما يهديانكم الصراط المستقيم) (*) نبى وولى بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير (*) إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم (*) والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين (*) إن لهم في جهنم مقاماً عظيماً إذا نودي بهم يوم القيامة أين الظالمون المكذبون للمرسلين (*) ما خلفهم المرسلين إلا بالحق وما كان الله ليظهرهم إلى أجل قريب (*) فسبح بحمد ربك وعلى من الشاهدين).^(١)

فانظر إلى هذا الكلام الفارغ الذي لو قدمه تلميذ في مادة الإنشاء لاستحق عليه الرسوب، كلام مفكك ركيك، ثم يزعمون أنه كلام الله تعالى، وأن هذه سورة من عند الله تعالى أنزلها ضمن القرآن الكريم.

وأما الكليني فقد جاء من كتابه (الكافي) بمئات الآيات التي زعم أن الله أنزلها هكذا، ونأخذ كمثال الآيات الآتية التي أوردتها في (باب فيه نكت من التنزيل في الولاية).^(٢)

١- عن أبي بصير عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: (ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً) هكذا أنزلت.^(٣)

٢- عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله في قوله: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي) هكذا والله أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم).^(٤)

٣- عن جابر قال: نزلت جبريل - عليه السلام - بهذه الآية على محمد هكذا (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله).^(٥)

(١) انظر التعليق الموجود في ص ٢٢ من مختصر التحفة الاثني عشرية وصورة (سورة الولاية).

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٤١.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣٤٢.

(٤) الكافي، ص ٣٤.

(٥) الكافي، ص ٣٤٥.

وهناك آيات أخرى كثيرة على هذا الصنيع تلاعبوا بها تركتها اكتفاءً بالأمثلة السابقة، ولعلمهم حينما وضعوها كانوا يظنون ويتمنون أنها ستقرأ في المساجد والصلوات على حسب تحريفاتهم؛ لأنهم لا يعلمون أن الله تكفل بحفظ كتابه، وأن المسلمين يكتشفون كل محاولة للتلاعب بالقرآن مهما كان خفاؤها بتوفيق الله لهم.

وقد نتج عن هذا التلاعب بالقرآن أن اختلط أمره على عامة الشيعة، فلم يوجد عندهم التمييز بين كلام الله في القرآن وما أدخلوا عليه، وهذا ما يرويه الكليني بقوله:

(روى عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن - أي أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٠٦ هـ قال: قلت له: جعلت فداك، أنا أسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم).^(١)

ينبئ عن مدى التشويش الذي أصاب الشيعة من جراء أكاذيب علمائهم عليهم وعلى أئمتهم المعصومين بزعمهم.

دوغمائية تكفير الصحابة

لقد بالغ الشيعة في العداء للصحابة وكفروهم، وحكموا بردة أخيارهم - حاشاهم من ذلك - بل وجعلوا من عبادتهم لله التقرب إلى الله بلعنهم صباحاً ومساءً، وأثبتوا من الأجر - بافترائهم على الله - ما لا يعد ولا يحصى لمن سبهم صباحاً ومساءً، وقد جاءت نصوص كثيرة لعلمائهم في تكفير الصحابة عموماً والخلفاء الثلاثة خصوصاً، حيث عقد المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) باباً بعنوان: "باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم"^(٢)، وقصد بهم: أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وقد عبّروا عن أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة بصنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها وابنتيهما، وأحياناً يعبّرون عن أبي بكر وعمر بالجبت والطاغوت، وأحياناً بكلمة الأول والثاني وقد يضيفون، والثالث يقصدون عثمان رضي الله عنه. وفيما يلي نذكر بعض النصوص من كتبهم تجاه الصحابة؛ مما يدل على دوغمائيتهم في موقفهم من الصحابة رضي الله عنهم، فقد نقلوا كذباً عن علي بن الحسين أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: "كافران، كافر من أحبهما"، وفي رواية أبي حمزة الثمالي: "كافران كافر من تولاهما".^(٣)

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٥٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ١٤٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٣٨٤، ج ٦٩، ص ٦٢٥، وخالد بن أحمد الزهراني، الغلو في التكفير بين أهل السنة والجماعة وغلاة الشيعة الاثني عشرية، مركز الفكر المعاصر - الرياض ١٤٣١ هـ، ص ٦٣.

وأما الكليني فإنه لم يتورع عن تفسير القرآن على حسب هواه في جرأته المعروفة فقال معرياً بأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم عند شرحه لقول الله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (١)، "عن زرارة، عن أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ (٢) قال: يا زرارة، أو لم تركب هذه الأمة بعد نبينا طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان". (٣)

وأما بالنسبة لبقية الصحابة فيرى غلاة علماء الإمامية أن كل الناس ارتدوا جميعاً بعد الرسول ﷺ إلا أربعة. وهذا بناء على الرواية التي أوردها الكليني: "عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال ارتد الناس إلا ثلاثة نفر: سليمان، وأبو ذر، والمقداد، قال الراوي: فقلت: عمار؟ قال: كان جاض جيزة؛ أي: عدل عن الحق ثم رجع". (٤)

بطلان دوغمائية تكفير الصحابة

أ- لقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عنهم، وأثنى الله عليهم في آيات كثيرة جليلة واضحة، لا نحتاج لمعرفة معناها إلى تأويل باطني كحال الشيعة في تأويل آيات القرآن بالاثني عشر، قال جل شأنه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥).

"وكفى فخراً لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس، فإنهم أول داخل في هذا الخطاب، ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته" (٦)، وقال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧).

(١) سورة الانشقاق: ١٩

(٢) سورة الانشقاق: ١٩

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣٤٣.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٤٤٠.

(٥) سورة آل عمران: ١١٠

(٦) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان ط ١: ١٧٤١هـ - ١٩٩٧م، ص ٢١.

(٧) سورة التوبة: ١٠٠

فالآية صريحة الدلالة على رضا الله سبحانه عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم، والخلود في جنات النعيم، ولهذا قال ابن كثير عند هذه الآية:

"فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخدولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم^(١)، عيادًا بالله من ذلك؛ وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم".^(٢)

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣).

قال ابن حزم: "فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة".^(٤)

"والذين بايعوا تحت الشجرة بالحديبية عند جبل التنعيم^(٥) كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة^(٦)؛ وهؤلاء كما يقول ابن تيمية هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم".^(٧)

ولقد خاب وخسر من رد قول ربه أنه رضي عنه المبايعين تحت الشجرة.. وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير وعمرًا والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم من أهل هذه الصفة، وقد انتظمت الخوارج والروافض البراءة منهم خلًا لله عز وجل وعنادًا.^(٨) والآيات في هذا الباب كثيرة.^(٩)

ب — السنة المطهرة:

وكتب السنة مليئة بالثناء على الصحب، وبيان فضلهم عند سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

(١) بل تجاوزوا مرحلة السب إلى الحكم بالردة والتكفير.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٤١٠.

(٣) سورة الفتح: ١٨

(٤) ابن حزم، الفصل، ج ٤، ص ١١٦.

(٥) التنعيم: على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المشرفة، سمي به لأن على يمينه جبل نعيم كزبير، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان بالفتح. (انظر: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٩).

(٦) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٢، ص ٢٤.

(٧) ابن تيمية، منهاج السنة، ج ٢، ص ٢٥.

(٨) ابن حزم، الفصل، ج ٤، ص ١١٧.

(٩) وحيدًا لو قام أحد طلبة قسم القرآن وعلومه بتسجيل موضوع في "الصحابة في القرآن الكريم" لإظهار عظيم ثناء الله على هذا الجيل القرآني الفريد.

١. فنصوص تنثي عليهم جميعاً كقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».^(١)

وقوله عليه الصلاة والسلام: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرني أو ثلاثة.^(٢)

٢. ونصوص تنثي على جماعات منهم على سبيل التعيين كأهل بدر، وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".^(٣)

ولكن الشيعة قد رضيت لنفسها أن تتأى عن هذا المورد العظيم، فهي لا تعرج في مقام الاستدلال عليها، ولا تحتج بها، ولا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها.^(٤)

ج - ثناء الأئمة على الصحابة رضوان الله عليهم:

في البحار للمجلسي:

عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: "أوصيكم بأصحاب نبيكم لا تسبّوهم، الذين لم يحدثا بعده حدثاً ولم يؤووا مُحدثاً، فإن رسول الله أوصى بهم الخير".^(٥)

وفي البحار أيضاً، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني".^(٦)

وعن موسى بن جعفر (إمامهم السابع) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أمانة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدين ظاهراً على الأديان كلّها ما دام فيكم من قد رآني".^(٧)

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم الحديث: ٣٦٧٣، ج ٥، ص ٨، ومسلم، ومسلم، واللفظ له، في كتابه فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، حديث رقم: ٢٥٤٠، ج ٤، ص ١٩٦٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٦٥١، ج ٥، ص ٣، ومسلم بنحوه في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم الحديث: ٢٥٣٣، ج ٤، ص ١٩٦٣.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، حديث رقم: ٢٤٩٤، ج ٤، ص ١٩٤١.

(٤) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد -، ج ٢، ص ٧٦٠.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

(٦) للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ص ٢٤٠ - ٢٤١، والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٠٥.

(٧) المجلسي/ البحار: ٢٢ / ٣٠٩ - ٣١٠، وعزاه إلى نواذر الزوائد: ص ٢٣.

وفي نهج البلاغة يقول علي رضي الله عنه في أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما على اختلاف بين شيوخ الشيعة في ذلك: "لله بلاء فلان، فلقد قوم الأود ودأوى العمَد، وأقام السنّة.. وخلف الفتنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته واتّقاء بحقّه".^(١)

وهذا نصّ عظيم يهدم كلّ ما بنوه وزعموه عن عداوة وصراع بين علي والشيخين رضي الله عنهم.

وقد احتار "الروافض" بمثل هذا النص؛ لأنه في نهج البلاغة وما في النهج عندهم قطعي الثبوت، وصور شيخهم ميثم البحراني^(٢) ذلك بقوله: "واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سؤالاً فقالوا: إن هذه الممادح التي ذكرها في حق أحد الرجلين تنافي ما أجمعنا عليه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه رضي الله عنه، وإما أن يكون إجماعنا خطأ".

ثم حملوا هذا الكلام على التقية، وأنه إنما قال هذا للمدح من أجل "استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين، واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام"^(٣)؛ أي: أن علياً - في زعمهم - أراد خداع الصحابة، وأظهر لهم خلاف ما يبطن فلذلك خطب هذه الخطبة العامة أمام الناس، وهي مبنية على الكذب، هذا هو جواب من يزعم التشيع لعلّي.

وما أعتقد أن عاقلاً يرضى هذا "الجواب"، وإننا نقول بأن إجماع الشيعة ضلال وقول علي هو الحق والصدق، وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

وقد يقول قائل: هذه النصوص المنقولة من كتبهم تناقض ما سلف من تكفير الشيعة للصحابة، وأقول: نعم، لأن هذا المذهب يحمل في رواياته هذه الصورة المتناقضة، لكن شيوخهم وضعوا أصولاً وأقوالاً نسبوها للأئمة؛ للتخلص من هذه الأخبار، والخروج من هذا التناقض، فمن أصولهم أن هذا التناقض أمر مقصود لإخفاء حقيقة المذهب حتى لا يقضى على المذهب وأهله من قبل العامة (يعني أهل السنة).^(٤)

^(١) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى ٦٧٩هـ، شرح نهج البلاغة، منشورات دار الثقلين، بيروت - لبنان، ط ١: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٤، ص ٨٧.

^(٢) ميثم بن علي البحراني (كمال الدين) من شيوخ الإمامية، من أهل البحرين، من كتبه: "شرح نهج البلاغة"، توفي في البحرين سنة ٦٧٩هـ (عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي) (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج ١٣ ص ٥٥).

^(٣) ينظر: ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، ج ٤، ص ٨٨.

^(٤) انظر: أصول الكافي: ٦٥/١.

وقالوا عند الاختلاف: "خذوا بما خالف العامة، فإن فيه الرشاد"^(١)؛ ولذلك يحمل شيوخهم أمثال هذه الروايات على التقية، ولأنها روايات قليلة بالنسبة لأخبارهم الكثيرة التي تفكر وتلعن، فهم لا يأخذون بها، فمفيدهم يقول: "ما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر روايات المعمول به"^(٢).

وإذا كان الأمر كذلك فإنني إنما ذكرت هذه الأخبار وأمثالها؛ لإثبات تناقض المذهب ودوغمائيته أمام العقلاء، وتبصير من يريد الحق من أتباع المذهب إلى أن هذه الروايات هي الحقيقة لا التقية؛ لاتفاقها مع كتاب الله سبحانه وإجماع الأمة.

كما أن علياً رضي الله عنه لم يكفر أحداً ممن قاتله حتى ولا الخوارج، ولا سبى ذرية أحد منهم، ولا غنم ماله، ولا حكم في أحد ممن قاتله بحكم المرتدين كما حكم أبو بكر وسائر الصحابة في بني حنيفة وأمثالهم من المرتدين، بل كان يترضى عن طلحة والزبير وغيرهما ممن قاتله، ويحكم فيهم وفي أصحاب معاوية ممن قاتله بحكم المسلمين، وقد ثبت بالنقل الصحيح أن مناديه نادى يوم الجمل: لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ولا يغنم مال، واستفاضت الآثار أنه كان يقول عن قتلى عسكر معاوية: إنهم جميعاً مسلمون ليسوا كفاراً ولا منافقين.^(٣)

وهذا ثبت بنقل الشيعة نفسها، فقد جاء في كتبهم المعتمدة عندهم: "عن جعفر عن أبيه أن علياً - عليه السلام - لم يكن ينسب أحداً من أهل حربه إلى الشرك ولا إلى النفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا"^(٤).

ولكن عقيدة التقية عندهم تجعل دينهم دين الشيوخ لا دين الأئمة، فقد قال الحر العاملي في التعليق على النص السابق: "أقول: هذا محمول على التقية"^(٥).

والخلاصة أنه قد أطلق بعض غلاة علماء الشيعة ألسنتهم بالتكفير، وبالسب والشتم، وبالتعدي على الآخرين، والتجريح لدينهم أو لشخصهم، ووصفهم بأسوأ الأوصاف، وإكالة الألقاب السيئة لهم دون نظر بصير، وفحص

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٨.

(٢) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري، البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ)، تصحيح اعتقادات الإمامية، تحقيق حسين درگاهي، ص ١٤٨.

(٣) ينظر: ابن تيمية، منهاج السنّة، ج ٨، ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٣٢٤.

(٥) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفى سنة ١١٠٤ هـ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت، ج ١٥، ص ٨٣.

دقيق، بناء على أصل معتقدهم الغالي: (من خالفنا الرأي أو المعتقد فهو كافر مشرك!!)، فلم يسلم من شرهم لا نبي، ولا صحابي، ولا إمام مذهب فقهي، ولا بلد من البلدان، ولا حتى أحد من فرقهم الشيعية المخالفة، فكفروا الفطحية والواقفية، والشيخية والاسماعيلية، والزيدية!! بل كفر الغلاة بعضهم بعضاً، فالحرب التكفيرية مشتتة داخل مذهبهم نفسه، وهي بين الأصولية والأخبارية على أشدها، حتى أن بعضهم يفتي بتحريم الصلاة خلف البعض الآخر.^(١)

(١) انظر: محمد جواد مغنية، مع علماء النجف الأشراف، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد، ص ٧٤.

المبحث الثالث

أثر دوغمائية الشيعة في عزلتهم وانقسامهم

يتضح أثر الدوغمائيات التي انتهجتها الشيعة كعقائد دينية وأنساق فكرية تحكم حياتهم وتعاملاتهم فيما بينهم ومع غيرهم من باقي المسلمين في عزلتهم وانقسامهم، وذلك من خلال عدة محاور:-

المحور الأول:

إن المحور الأول يكمن في أن عدم وجود رأي موحد عن الإمامة من حيث مواصفاتها بالنص أو بالتعيين أو بالاختيار، بأولاد الحسن أو بأولاد الحسين، العصمة أو عدمها؛ فأدى هذا إلى ظهور الانقسامات في صفوف الشيعة، وتفرقهم إلى الفرق التي سبق ذكرها من زيديه لهم مبادئ مغايرة لما أنتجه غيرهم من الإمامية والإسماعيلية فيما يخص مواصفات الإمام؛ وقد شكل هذا الاختلاف السبب الرئيسي لكل النزاعات السياسية والفكرية التي حدثت في صفوف الشيعة على مر تاريخهم^(١)، سواء بينهم وبين باقي الفرق الإسلامية أو بين فرق الشيعة وبعضها البعض.

المحور الثاني:

إنكار إمامة أحد الاثني عشر؛ لأن الإمامة عندهم صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم.. لهذا جاء حكم الشيعة الاثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر مكماً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار، قال ابن بابويه: "واعتقادنا فمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء".

واعتقادنا فيمن أقرّ بأمر المؤمنين، وأنكر واحداً من بعده من الأئمة، أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.^(٢)

فهذا النص يقتضي أن الاثني عشرية تكفر كل فرق المسلمين حتى فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ، مع أنها تتلقى عنهم دينها، لأن روايتهم من رجالها.

(١) فاخر جاسم ، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية مقدمة إلى مجلس كلية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، إشراف د. عقيل الناصري، ٢٠٠٨م، ص ٣٤.
(٢) الاعتقادات: ص ١١١، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٦٢.

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام، فيقول: "اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجد ما أوجب الله تعالى له من فرض الطاعة، فهو كافر ضالّ مُستحقّ للخلود في النَّار".^(١)

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة، فيقول: "لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا".^(٢)

وبعد هذا التكفير العام، خصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثني عشرية

المحور الثالث:

وجود علاقة وثيقة بين موضوع الإيمان بوجود الإمام المهدي، وبين نظرية الانتظار التي كانت تهيم على الفكر السياسي الشيعي طوال ألف عام، والتي كانت تحرم أي نشاط سياسي في عصر الغيبة، تلك النظرية المسؤولة عن انهيار الشيعة وانعزالهم عبر التاريخ، وخروجهم من مسيرة الحياة، فقد اعتمدت نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية التي نشأت وتكونت خلال القرن الرابع الهجري على الرواية عن أئمة أهل البيت، فيما يخص تفسير القرآن والحديث دون اعتماد العقل في نقد النصوص المروية^(٣)، ونتيجة استمرار ترديد النصوص التي كتبت بصيغة "الرواية وليس الدراية" على مر العصور جعل من نظرية الشيعة الاثني عشرية عن الإمامة مثالية الطابع، حيث بقيت تتمحور حول الإمام الملاك (المهدي)؛ مما جعلها تزداد ابتعادا عن الواقع المعاش^(٤) حيث أدى ذلك لدخول الشيعة الإمامية الاثني عشرية منذ اختفاء محمد بن الحسن العسكري في مرحلة أسموها (الانتظار)، ويعنون به: انتظار الإمام الغائب (الثاني عشر)، وقد اتسمت تلك المرحلة بالسلبية السياسية المطلقة؛ حيث حرموا الثورة وإقامة الدولة إلا بعد ظهور الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله، وعطلوا كل ما يتعلق بالدولة من أمور كجباية الخمس وإقامة الحدود وصلاة الجماعة، ورفضوا حتى نظرية ولاية الفقيه باعتبارها تقتقد إلى شروط الإمامة من العصمة والنص والسلالة العلوية الحسينية^(٥)، فقد عاش الشيعة في هذه الفترة حالة من الجمود والتصلب الفكري والانغلاق على الذات، والعزلة عن الواقع مسيجين داخل قلاع دوغمائيات الإمامة والمهدوية والرجعة، وما تقتضيه هذه الدوغمائيات من أنماط فكرية وسلوكية.

(١) الطوسي، تلخيص الشافي، ج ٤، ص ١٣١، والمجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٣٦٨.

(٢) حسين الموسوي، لله .. ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبيرة الأئمة الأطهار، دار الأمل، ط ٤، ص ٨٥.

(٣) البحرني، الشيخ يوسف، التأويل منهج الاستنباط في الإسلام، ط ٢، دار التأويل للطباعة والنشر ١٩٩٩م، ص ١٩٧، نقلا عن تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية.

(٤) فاخر جاسم، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة، ص ٣٤.

(٥) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، ص ١٢.

المحور الرابع:

نتيجة لحصر الإمامة في الإمام الثاني عشر المعصوم الغائب وانتظاره، اتسم الفكر الاثنا عشري بالانعزال السياسي والسلبية المطلقة، حتى ولادة نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي وتطورها لاحقاً إلى ولاية الفقيه؛ حيث استطاع الفكر الشيعي بقيادة الإمام الخميني بناء "جمهورية إسلامية" في إيران في نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

وبالرغم من أن الفكر الشيعي لا يعتبر الفقيه معصوماً، إلا أن الإمام الخميني أعطى للفقيه الحاكم، باعتباره "نائباً عن المعصوم" الولاية المطلقة، وكل صلاحيات الإمام والرسول الأعظم، واعتبر الولاية شعبية من ولاية الله، وسمح له بتجاوز الدستور وإرادة الأمة.

المحور الخامس:

انتشار العقائد الدوغمائية لدى العوام من الناس، والذين لا يمتلكون عادة القدرة على تحليل المسائل الفكرية والتاريخية والعقائدية بعمق ودراية، ولا يدركون أن هذا البقال أو العطار السني لم يتورط في أحداث السقيفة ولم يشهد كربلاء، هذا الجهل والتعصب الطائفي الذي كانت القوى السياسية والدينية الرسمية تستثمره في تحقيق أهدافها وتمير مخططاتها؛ وذلك عن طريق سحب الاختلاف العقائدي من دائرة أهل الخبرة والتخصص إلى دائرة العوام ليتحول من خلاف فكري إلى خصومة واختلاف^(١) وانقسام، لأن رجل الدين الشيعي متعصب تعصبا أعمى؛ بمعنى أنه غير قادر على تحمل رأي المخالف، وليس لديه أدنى استعداد للإصغاء إليه وفهم ما يقول، وليس المراد من المخالف هنا من يخالفه في الدين أو المذهب، بل حتى من يخالفه في نمط التفكير وطبيعة المزاج فإنه لا يتورع عن تكفيره بدون تردد^(٢)، ثم إن توظيف المشاعر والشعائر الخاصة بالشيعية، واستثمار الحالة الوطنية والأعراف القومية الإيرانية، أسهما معا في عزل إيران عزلا تاما عن جسد الأمة الإسلامية الكبير، وإخراجها بشكل كامل عن إطار هيمنة الدولة العثمانية.^(٣)

المحور السادس:

تمركز مصدر المعلومات في مصادر محدودة متمثلة بأئمة الشيعة أو بالاعتماد على تفسيرات واستنباطات لفقهاء عملوا على تأويل أقوال أئمتهم، واستمرار عملية تمركز المعلومات تاريخيا من خلال ظهور فقهاء يلتزمون بآراء فقهاء سابقين لهم، وتفسيرها بما ينسجم مع بقاء تمركز مصادر المعلومات حول أهل البيت وعلى وجه

(١) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ٧٦.

(٢) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ٨٢.

(٣) علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ص ١٢٠.

الخصوص الأئمة، وبناء على هذا النسق لمصادر المعلومات، تعتبر أي مناقشة لمصادقية النصوص المنقولة عن أئمة أهل البيت خروجاً على المذهب؛ حيث تعتمد هذه الطريقة كأسلوب رئيسي لعزل الفقهاء المنتقدين أو المجددين في الفكر السياسي الشيعي، ومن الأمثلة المعاصرة لهذه الطريقة في التعامل مع الآراء المنتقدة ردود فقهاء الشيعة ومفكريهم على آراء المفكر أحمد الكاتب في كتابه "الفكر السياسي الشيعي"، وكذلك آراء الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح.^(١)

المحور السابع:

أثر التقية في عزلة الشيعة يمكن القول إن العمل السري المذهبي بدأ من عصر ظهرت "التقية" فيه بمظهر الواجب الشرعي الذي يجب أن يتبعه كل من له فكرة دينية، ويخشى أن يجهر بها أمام السلطة الحاكمة أو الأكثرية الإسلامية؛ ولذلك كانت للتقية دور كبير في إسناد الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى، فبالتقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها وفي مآمن من السلطة، وإنني لا أشك أن التقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى التخلف الفكري والاجتماعي، كما أن التقية لعبت دوراً كبيراً في إبقاء الشيعة في عزلة بعيدة عن الفرق الإسلامية الأخرى، كما أنها السبب في رميها بأمور عجيبة وغريبة ما أنزل الله بها من سلطان، ففي الوقت الذي وطأت أقدام الإنسان على سطح القمر، وأصبحت الحرية الفكرية والكلامية مقدسة تدافع عن مكنونات الإنسان وعقائده خيراً كانت أو شراً، كان يعيش المجتمع الشيعي بقيادة زعاماته مغلقاً على نفسه بالتقية، فيظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر، فلا أعتقد أنه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الأرض وغربها يستطيع أن يعلن رأيه حتى في كثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي خوفاً ورهبةً من الجماهير الشيعية التي درّبتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع فأصبحت جزءاً من كيائها، فمثلاً - وليس على سبيل الحصر - الشهادة الثالثة؟ أشهد أن علياً ولي الله؟ التي يتفق عليها علماء المذهب الشيعي بأنها بدعة لم تكن معروفة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة، وحتى في عهد الإمام "علي"، وأئمة الشيعة وكلهم يجمعون على أن من قالها في آذان الصلوات بقصد "الورود"؛ أي أنه وارد في الشريعة عمل عملاً محرماً وأُتي ببدعة، مع كل هذا لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع أن يشير إلى هذا الأمر قولاً أو كتابة، كما أنه لا يوجد زعيم شيعي واحد يستطيع أن يصارح جمهور المسلمين بحقيقة الخلاف السائد بين الشيعة والسنة والعمل على رفعه.^(٢)

(١) فاخر جاسم، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثنى عشرية في عصر الغيبة، ص ٣.

(٢) موسى الموسوي رحمه الله، الشيعة والتصحيح - الصراع بين الشيعة والتشيع، ص ٥٦-٥٧.

الفصل الثالث

موقف الإسلام من الدوغمائية

ويشتمل هذا الفصل على المباحث الآتية:

- المبحث الأول: منابع الدوغمائية في المجتمع الإسلامي
- المبحث الثاني: اتهام أركان التراث الإسلامي بالدوغمائية
- المبحث الثالث: الدين الإسلامي بريء من الدوغمائية

تمهيد

إن ما تشهده الساحة الفكرية المعاصرة من هجمة شرسة على ثوابت الدين وتقريع لمضامينه باستخدام أحدث المناهج النقدية المعاصرة المستمدة من علوم النفس والاجتماع الإنساني وخصوصا مناهج ما بعد الحداثة في هذه السنوات الأخيرة التي نعيشها لهو أمر جلل، يستلزم استنفارا من المختصين والمهتمين بالشأن الديني ؛ لتحليل ونقد ما ينتج من أفكار ، وما يستحدث من مفاهيم ، وما يصاغ ويستجلب من مصطلحات غريبة، من قبل أدعياء الحداثة العربية المعاصرة من بيئتها التي أنتجتها، دون مراعاة لخصوصيتها المعرفية التي أفرزتها، وتطبيقها كما هي على هذا الدين الحنيف، لإفساد عقيدته وللتشكيك في صحته وطمس حقيقته ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (١)

ورغبة في المشاركة في التصدي لهذا الجيش الجرار الذي يعصف بالأفكار عزمت على دراسة بعض هذه الأفكار، ومن بينها مصطلح الدوغمائية الذي يستخدمه الحداثيون لنزع القداسة عن التراث والمفاهيم الإسلامية رغبة منهم في القضاء على الإسلام وتنحيته عن واقع المسلمين المعاش فتتبعت في هذا الفصل المنابع التي ينتج عنها الفكر الدوغمائي والممارسات الدوغمائية في المجتمع الإسلامي، كما رصدت اتهامات أحد الحداثيين - محمد أركون - للتراث الإسلامي بالدوغمائية مستندا في هذا الاتهام على المناهج الغربية التي طبقت على النصرانية المحرفة وكشفت عن زيفها ودوغمائيتها وهو يرنو إلى تطبيق تلك المناهج على التراث الإسلامي دون مراعاة لاختلاف الظروف الموضوعية لكل من التراث النصراني والتراث الإسلامي وفي خاتمة هذا الفصل أعرض مبحثا يوضح أن الإسلام بريء من وسمه الدوغمائية لأن تعاليمه ومبادئه تنافي الدوغمائية.

(١) سورة التوبة: ٣٢-٣٣.

المبحث الأول

منابع الدوغمائية في المجتمع الإسلامي

مدخل

إن أخطر ما نواجهه اليوم هو العقل المغلق على ذاته المتعصب لما بداخله المليء بالمعتقدات البالية والخرافات الفاسدة والذي تتدخل الميول الشخصية والرغبات النفسية في أحكامه فينزعه إلى ترجيح الأفكار التي تتفق مع هواه ولا يخضع ما يطرأ عليه للمنطق السليم.

بل نحن ككل وبوجه عام لدينا الكثير من الأفكار والمعتقدات التي صدقناها بسرعة واعتقناها بسهولة لعظم قائلها، أو لمصادفتها لهوى في نفسنا ولحاجة بداخلنا فلم نفتش في صدقها أو ننقب عن مصادرها أو نشك فيها، وتكمن خطورة تلك الأفكار والمعتقدات الخاطئة في تأثيرها الواضح علينا حيث إن الإنسان يعمل ويتصرف تبعاً لأفكاره، وأعماله كلها موجهة بفكره واعتقاده وتوقعاته وفي هذا المبحث سوف أعرض المنابع التي تولد الأفكار الدوغمائية في المجتمع الإسلامي وتساعد في نشرها وتغذيتها لتتعدى مرحلة الفكرة والمعتقد إلى مرحلة السلوك والممارسة وفيما يلي أبرز منابع الدوغمائية وأخطرها:

التطرف الديني

يعتبر التطرف الديني أحد أخطر منابع اللاتسامح (الدوغمائية) لتلبسه ببعد شرعي وتوظيفه للنص الديني، وقدرته على التخفي والتستر تحت غطاء الشرعية والواجب والجهد والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالتدقيق نجد أن أكثر المتطرفين الدينيين ممن لم تسعفهم كفاءاتهم العلمية والثقافية في إدراك الحقيقة، فالتطرف الديني لا يعدو كونه قراءة متحيزة للدين، وقراءة مجتزئة للنصوص.

وهنا ينبغي التأكيد على مسألة تعدد القراءات كواقع يدعمه أمران أساسيان:

الأول: تعدد التفاسير رغم وحدة النص القرآني، فالمكتبة الإسلامية تزخر بما لا يقل عن الثمانمائة تفسير، قديماً وحديثاً، كلها تؤكد تعدد الآراء في فهم آيات الكتاب الكريم ، ومدى تأثير المفسرين بقبلياتهم العقيدية والفكرية والثقافية، فهناك التفسير الشيعي والتفسير السني والزيدي والإباضي وغيرها وهناك تفسير علمي وفلسفي وتاريخي وأدبي إلى غيرها من الاتجاهات والمذاهب .

والثاني: تعدد الرأي الفقهي واختلاف فتاوى الفقهاء رغم وحدة المرجعي (القرآن والسنة) وعلى هذا الأساس قس الاتجاهات المختلفة في فهم الدين والأحكام الشرعية فهي تتراوح بين التطرف والتسامح وتتباين بين التزمّت وسهولة الشريعة إلا أن كل منها يمثل قراءة مستقلة لها مبرراتها . فالأول يرتكز على تجزئة النصوص، والتمسك بحرفيتها وتاريخية فهمها والجمود على ظواهرها . والثاني يرتكز على: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾^(١) ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾^(٢) ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٣) فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾^(٤)

فأزمة التطرف تكمن في بساطة الوعي، وعدم القدرة على فقه النص، والتمسك بظاهره، وقد كانت أزمة الوعي المتطرف سببا في ظهور أول فرق التطرف بالإسلام وهم الخوارج الذين تمردوا على الإمام علي في معركة صفين وفرضوا عليه التحكيم، ثم عادوا لينقضوه، غير أن التطرف اتخذ أشكالا مختلفة خلال التاريخ وتجلّى عبر حركات وتيارات فكرية وعقدية فكان دائما عقبة أمام العقل والتسامح وإصرار على الجمود والتحجر والدوغمائية فقد أفضى منهج الجمود على ظواهر النصوص وتجزئة الآيات القرآنية إلى وجود أحكام تعميمية مطلقة وعلى هذا الأساس ترتبت الأحكام الشرعية وظهرت سلسلة من الفتاوى التفسيرية التي طالت أيضا المخالفين مذهبا رغم وحدة المرجعية الفكرية لكليهما فكل منهما يرتكز إلى نصوص الكتاب الكريم والروايات لاستنباط الأحكام الشرعية وتكوين الرؤى العقدية، غير أن الاختلاف في بعض مفردات العقيدة التي لا تمس بوحداية الله تعالى ولا بنبوة النبي الكريم ولا في تمامية القرآن الكريم قد أفضت إلى تباينات كبيرة عمد المتطرفون في ضوئها إلى تكفير المذهب الآخر وترتيب نسق الأضداد المتناحرة وقد كلف هذا المنهج الدوغمائي المتحيز الإسلام والمسلمين الكثير من طاقتهم وجهدهم.^(٤)

فنجد أن أولى دلائل التطرف: هي التعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخر بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، فهو ينكر الآراء المخالفة ووجهات النظر الأخرى، ويزعم أنه وحده على الحق ومن عاده على الضلال ويتهم من خالفه في الرأي بالجهل واتباع الهوى ومن خالفه في السلوك بالفسق والعصيان وكأنه جعل من نفسه نبيا معصوما، ومن قوله وحيا يوحى ! مع أن سلف الأمة وخلفها قد أجمعوا على أن كل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا النبي صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف: ٢٩.

(٤) ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات ، ص ٥٦-٥٩ (بتصرف).

فيتضح مما سبق أن نشؤ التطرف علي الأساسيات الدينية أو انطلاقه منها يظل احد أهم القواعد التي لا تتفصل عن تغذيت الدوغمائية لدى كثيرين ممن يعتقدون بانتصارهم لعقيدة أو دين معين من خلال الأعمال والافعال الهمجية المتطرفة وهذا لا يختلف بالطبع عند المعتقدين بكل المعتقدات الدينية من اليهودية والمسيحية والإسلامية عبر التاريخ والي الآن^(١)

حديث الفرقة الناجية

إن حديث الفرقة الناجية " أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةُ سَتَفْتَرُقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ "^(٢) قد أدى دورا خطيرا في تقطيع أوصال الأمة الإسلامية وتفتيت مقوماتها، وهو الأساس المعرفي في التناحر والتصارع بين الفرق والمذاهب الإسلامية لأنه يبيح بشكل غير مباشر الاحتراب والقتال بين الفرق باعتبار الفرق غير الناجية فرق ضالة منحرفة، فيجب قتالها ولما كانت كل فرقة تعتقد أنها مصداق لهذا الحديث فهي بالتالي مخولة بقتال الفرق الضالة بموجب آيات وأحاديث أخرى ، أي أن مسؤولية حديث الفرقة الناجية هي تحديد وتفعيل موضوع الآيات والأحاديث الأمرة بقتال الضالين والمنحرفين (طبعاً من وجهة نظر متطرفة، وإلا فالمنهج القرآني قائم على الهداية والمحااجة بالأدلة والبراهين) فينبغي إعادة النظر في الوعي الذي تكون في إطار بعض النصوص الدينية والمرويات التاريخية، والتأكد من صحتها عبر دراستها سندا وممتا، كحديث الفرقة الناجية، الذي لعب دورا كبيرا في تشطي الأمة، والإصرار على احتكار الحقيقة، ورفض كل الفرق والمذاهب التي تحتفظ بوجهات نظر اجتهادية مخالفة، حتى بات الجميع إلا ما ندر يعتقد بخطأ المخالف مهما كان نوعه^(٣)

وحديث الفرقة الناجية لم يرو في المجامع الحديثية المعتمدة ولم يرد في صحيح البخاري وصحيح مسلم، ولم تحز أي من رواياته على شروط الصحة المعتمدة في الصحاح من كتب الحديث النبوي الشريف لكن رغم ذلك تجد كل فرقة من الفرق الإسلامية تتشبث بهذا الحديث، لتؤكد تفوقها على الفرق الأخرى ونجاتها يوم القيامة، وبالتالي هلاك جميع الفرق التي سيكون مصيرها إلى النار وفق منطوق هذه الرواية رغم أن القرآن الكريم أقر بوجود الاختلاف بين الشعوب والاقوام وترك الباب مفتوح لاعتماد الأسلوب الأكفاء لتوفير أجواء سلمية للاجتماع والتعايش السلمي^(٤) قال تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٥).

(١) مجلة ذوات مجلة ثقافية نصف شهرية , مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥م، ٦٤، ص ١١

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب السنة ، باب شرح السنة رقم الحديث (٤٥٩٧) ج ٤ ، ص ١٩٨ ، حكم الألباني حسن والترمذي، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله رقم الحديث (٢٦٤١) وفي رواية الترمذي عن عمرو بن العاص «كلها في النار إلا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي» وقال عنه الترمذي هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

(٣) أنظر: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٢٧ ، التعددية مشروع إنساني متقوم دينيا .. مقاربة أولية في آليات التعايش بين الأديان والثقافات .

(٤) التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ٦٠ - ٦٢ .

(٥) هود: ١١٨ .

إن الفكر الطائفي فكر جدل لا عمل، فقد ضيع أصحابه الوحي خدمة للتاريخ وأهدروا قدسية المبادئ حرصاً على مكانة الأشخاص، ولأن الطائفية استخدام لفكرة لا خدمة لها، فقلما يلتزم متمسكون بها بالأفكار التي يشعلون الحروب من أجلها، لذا فلا عجب أن نجد ملكيين في السعودية يصدرون آلاف الكتب دفاعاً عن الخلفاء الراشدين، رغم أن الخلافة الراشدة هي النقيض الشرعي والمنطقي للملك، أو أن نرى جمهوريين في إيران يصدرون آلاف الكتب دفاعاً عن حق آل البيت في توارث السلطة، رغم أن توارث السلطة هو النقيض الشرعي والمنطقي لقيم الجمهورية وسلطة الانتخاب، ومن مظاهر تناقضات الفكر الطائفي كذلك تضخيم الخلاف مع أبناء الملة الواحدة، وتحجيمه مع غيرهم، وإليك هذا المثال: ورد في فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أنه سئل عن التزاوج بين السنة والشيعة، فأجاب: "لا ينبغي"، وورد في فتاوى آية الله علي السيستاني، أنه سئل عن زواج الشيعة من سني، فأجاب: "لا يجوز إن لم يؤمن الضلال!!" مع أن كلا الفقيهين يستطيع أن يقدم لك عشرات المحاضرات عن سماحة الإسلام التي جعلت من حق المسلم الزواج من يهودية أو من مسيحية!! وليس من ريب في سماحة الإسلام وتسامحه وعدله الذي يشمل المسلمين وغير المسلمين، لكن الفكر الطائفي يحرم المسلمين من تلك السماحة فيما بينهم.^(١) ويفجر الدوغمائية.

فتاوى التكفير وخطب التحريض

تعتبر فتاوى التكفير وخطب التحريض وليدة فكر ظلامي متطرف وقراءات أحادية للنصوص الدينية (القرآن والسنة) وقد لعبت الفتاوى التكفيرية والخطب التحريضية دوراً خطيراً في تأجيج مشاعر الكراهية والحقد بين الناس ، ولم تتورع في إباحة قتل الأطفال والأبرياء والمدنيين وغير المحاربين ، باعتبارهم كفاراً مباح قتلهم والتمثيل بهم ومصادرة أموالهم ، ولا شك أن الإسلام الذي يحرم اقتلاع الأشجار والأجهزة على المريض ويحرم قتل الشيخ الكبير (كل ذلك في ظروف الحرب) لا شك أنه لا يجيز قتل العزل والأبرياء والأطفال لكن المشكلة في فهم النص وتحديد الثابت والمتغير من الدين ومعرفة الناسخ والمنسوخ بشكل دقيق يستوفي شروطه العلمية التي منها الوثوق بأخبار النسخ إلى درجة الاطمئنان بل اليقين والجزم، فلم تميز العقلية المتطرفة بين مبادئ الإسلام الثابتة والأوامر الصادرة في ظروف المعركة ، التي تنتهي بنهايتها ، ليعود الإسلام حياً من خلال مبادئه الإنسانية وقيمه العقلية الرائعة، وإنما عولوا على فهم متقدم يلغي جميع الآيات الآمرة بالرأفة والرحمة والتسامح وعدم الإكراه باعتبارها نسخت بآية السيف فتحول الدين بموجب هذا الفهم إلى صارم مازال مشهوراً

(١) محمد الشنقيطي المختار، مدير المركز الإسلامي في لوك، تكساس، الولايات المتحدة الأميركية، أرشيف ملتقى أهل الحديث .

ليقطع وتين كل من سولت له نفسه مخالفة المتطرفين الدينين بالرأي أو الاعتراض على سلوكهم وتصرفاتهم، بينما مقتضى الفهم المتزن أن يصار إلى التمييز بين الثابت والمتغير من أحكام الإسلام ، والتمييز بين ما هو جوهري وروحي في الشريعة أي ما هو أصل وعام وكلي وثابت، وبالتالي حاسم، وبين ما هو استثنائي وظرفي، أي عرضي ومتغير وبالتالي يخضع لمقتضيات الزمان والمكان والأحوال والمواقف^(١)

فيتضح أن الفهم الذي يكرس الأحقاد ويصر على تكفير الآخرين، من أجل شرعنة قتالهم ومطاردتهم هو فهم لا ينسجم مع روح الشريعة الإسلامية وبعدها الإنساني، وبالتالي فهذا الفهم يعد أخطر منابع الدوغمانية وفي هذا الصدد أورد ما كتبه روسو في العقد الاجتماعي: "يخطئ في نظري أولئك الذين يفصلون بين اللاتسامح المدني واللاتسامح اللاهوتي. فهذان النوعان لا انفصام بينهما، إذ من المتعذر العيش بسلام إلى جانب من نعتقد أنهم هالكون، فإذا أحببناهم وقبلناهم نكون قد غلطنا في حق الإله الذي عاقبهم، فلا بد إذن من أن يردوا أو يعذبوا فحيث يكون اللاتسامح الديني مقبولا ، يكون من المتعذر ألا تتمخض عنه نتائج مدنية، وحالما تتمخض عنه هذه الآثار تزول عن هيئة السيادة سيادتها حتى في الأمور الدنيوية، عندئذ يغدو الكهنة أرباب السيادة الحقيقية، ولا يكون الملوك إلا ضباطا لهم"^(٢)

التقليد

يعد التقليد من أحد أهم منابع الدوغمانية في المجتمع الإسلامي ذلك لأن انتماء نسبة كبيرة من الناس إلى الدين انتماءً تقليدياً لا عن وعي وتتبع برهان، فنجد أن أغلبهم إلا ما ندر نسخة مشابهة لعقائد آبائهم وأجدادهم وهي نسخة موروثية ليس لهم دخل في تشكيل نسقها العقدي والقيمي فيكون الجميع تقريباً مصداقاً لقوله تعالى ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٣) وتبرز الدوغمانية هنا في كون كل شخص إلا ما ندر يعتقد بما يعتقد به قومه بشكل تلقائي، وينساق للدفاع عن عقيدته ورأيه تحت تأثير العقل الجامعي، وليس الصراعات الطائفية إلا صراعات أيديولوجية أو سياسية ليس فيها نصيب من العقل والعقلانية، وكثيراً ما دافع شخص عن عقيدته وهو لا يعلم ما هو الأساس النظري لها.^(٤)

(١) فضل الله محمد حسين ، كتاب الجهاد (تقرير السيد علي فضل الله) بيروت ، دار الملاك ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م ، ص ١٧ .

(٢) جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة: عادل زعير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ص ١٦١ .

(٣) الزخرف: ٢٢ .

(٤) التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ٨٧ .

فالتقليد عريق في الإنسان، وقليل من الناس الذين يناقشون الأفكار السائدة ليعرفوا صحيحها من زيفها، وقليل منهم الذين لا يرضون بالواقع ويستطيعون تجديد حياتهم أو تجديد مجتمعاتهم^(١).

فليس التجديد والبعد عن الجمود والتصلب في أي جانب من جوانب الحياة شعارًا يرفع، ولا هو بالأمر اليسير، لأنه يتضمن نوعًا من التخلي عن بعض المألوفات والمحوبات كما يتطلب تكاليف جديدة وضبطًا أكثر للذات، وكل ذلك من الأمور الشاقة على النفس أضف إلى هذا أنه عندما يسيطر الجمود والتقليد، ويغلب على الناس ضعف الهمم، وتصاب المؤسسات الثقافية بالجمود والانغلاق والكسل الذهني، فإن الإنسان يعجز عن استيعاب الجديد و يتقهقر أمام الآخرين، ويرجع إلى الماضي لتقليده، شكليًا حتى يشعر بالانتماء، كل هذا بسبب طريقته في تعامله مع الأشياء والوقائع^(٢) "إن تيار الجمود والتقليد يخاصم النظر العقلي في حكم وعلل الأحكام التي جاءت بها النصوص .. مع إهمال فقه الواقع المتغير والذي يتطلب - في الفروع - أحكاما جديدة ، تواكب المتغيرات، وتستجيب للمصالح الشرعية المعتمدة التي تفرزها هذه المتغيرات"^(٣).

فيتبين من خلال ما سبق أن التقليد منبع لا ينضب للدوغمائية والالتزام بأفكار لا براهين عقلية أو منطقية أو شرعية عليها في نفس المقلد ولا يتوقف، خطر التقليد على ذلك بل يتعد ذلك إلى طريقة التعامل مع المخالف الذي لا يعرف المقلد الأسس التي ارتكز عليها في مخالفته ومع ذلك يبادله العداء والنفور.

الاضطهاد والكبت والحرمان

عندما يعيش الشعب الاضطهاد والكبت والحرمان، فإن ذلك يفضي إلى الخوف والنفاق والتكتم وإخفاء الحقيقة وانتشار العنف واللاتسامح (الدوغمائية) ويبقى الوضع في حالة ترقب وتأهب وإنذار مستمر، حتى تتحول النشاطات الفكرية والسياسية والثقافية إلى حركات سرية تسعى مهما طال زمن الاضطهاد لتغيير الوضع من أجل استتشاف الحرية، ومصاديق هذه الحالة من الكثرة لا نحتاج معها إلى دليل^(٤) فنرى ذلك حدث مع الشيعة بعد مقتل الحسين وما تلاه من هزيمة المختار كما ظهر ذلك مع الجماعات التي تبنت فكر الخوارج دخل السجون.

(١) محمد العبد، تأملات في الفكر والدعوة، دار الجوهري للنشر والتوزيع، عمان - الاردن - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ط١، ص٧.

(٢) التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوجماتية) لدي طلبة جامعة تبوك ، ص ١١.

(٣) محمد عمارة ، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م ، ص٥.

(٤) التسامح ومنايع اللاتسامح ، ص ١٢١.

فيتضح أنه لا يستتبع الاضطهاد الآثم ولا يستلزم التنكيل الجائر إلا امتلاء قلب المضطهد تعصبا وجمودا و
وعندما تنهياً له سلطة دنيوية تمكنه من اجتياح خصومه والتنكيل بهم فإنه يفعل ذلك في غير رفق ولا هوادة
فهو لا يتسامح معهم ولا يرى أي سبيل للحوار معهم أو وجه للاتفاق معهم بل ينكرهم بشكل دوغمائي مقابل ما
عاشه من الاضطهاد والكبت والحرمان ؛ فقد تكونت لديه في فترة الاضطهاد دوغمائيات لا تقبل النقاش ولا
سبيل لنزعها.

النزعة النصية المرضية

حيث تتخذ الدوغمائية في حالات منها شكل النزعة النصية المرضية ويراد بها تلك الحال من التمسك
الإيماني الأعمى بالنص بما هو مستودع الحقيقة والمرجع المتعال الذي يرجع إليه ويكتفى بمنطوقه ويحسم
بحجته وقد يكون النص هذا دينيا أو بشريا ؛ إلهيا أو نبويا أو رأيا واجتهادا ولما كان النص الإلهي يطلب من
متلقيه الإيمان والتسليم والكف عن محاولات عقل المعنى لوجود الفاصل بين العلم الإلهي المطلق والعلم
الإنساني النسبي فإن النص البشري سرعان ما تخلع عليه في النزعة النصية أردية من القداسة تجعله في مقام
الحرام غير القابل للانتهاك من مثل المساءلة والمراجعة وإعادة التكييف وهكذا يغدو الأفق الذهني للمفكر
والمتعلم والمتلقي محكوما بالنص بوصفه السلطة المرجعية التي لا خروج عنها فتكون النتيجة خطأ من العقل
وانحطاط بالتفكير وادخال للوعي في نفق الاجترار والسيجات الدوغمائية المقلدة^(١) وأكثر ما يتضح ذلك في
منهج الخوارج في التمسك ببعض النصوص دون عقل معناها وإضافتها إلى ملابس نزولها وما يتوائم معها
ويوضح أو يحدد معناها من حديث أو تفسير أو رأي لعالم من كبار الصحابة.

(١) عبد الله بلقزيز، أمراض العمل السياسي في نقد الدوغمائية، النهضة، العددان الخامس والسادس /صيف خريف ٢٠١٣ ، ص ٧٨.

المبحث الثاني

اتهام التراث الإسلامي بالدوغمائية

محمد أركون نموذجاً

مدخل

لقد انشغل أركون^(١) بهم معرفي أساسي وهو زعزعة اليقينيّات و"اللامفكر فيه" في الإسلام، بهدف التحرر من الانغلاقات الدينية الموروثة التي تكبل مقاصد النصوص التأسيسية وتقف حاجزاً أمامها على اعتبار أن النص الديني مفتوح على التأويلات المتعددة والمعارف المختلفة مما يسمح - وفقاً لمنهجية علم الإسلاميات التطبيقية^(٢) - بإدخال الإسلام في الحداثة واستيعابها والتصالح معها كما فعلت المسيحية في أوروبا فقد سعى أركون إلى تفكيك "الدوغمائية الحرفية" التي يعتقد أن الخطاب الإسلامي الحركي والفقهني ينهض عليها، فمشروع أركون في نقد العقل الإسلامي يقوم على إعادة قراءة التراث الإسلامي وحاضره بمنهجية الإسلاميات التطبيقية، ويرتكز منهجه على ثلاث محاور هي: زحزحة المفاهيم والمسلمات والأسيجة القرآنية الدوغمائية عن موقعها التقليدي بمعنى طمس مشاعر التقديس عنها والتشكيك فيها ثم تفكيكها وأشكالتها، ثم تجاوز معناها التقليدي إلى رؤية جديدة تماماً ؛ لإعادة قراءة القرآن في إطارها، وهدم كل ما يتعلق بالميتافيزيقا (الإيمان) وليس لتحقيق تجديد تفسيري ونهضة فكرية معرفية داخل التراث الإسلامي^(٣) ؛ وفي طريقه لتحقيق ذلك ذهب يتهم التراث والفكر الإسلامي بالدوغمائية والانغلاق وفي هذا المبحث سوف أعرض بعض هذه الاتهامات التي تتبعتها في كتبه المترجمة وكيف دلل على دوغمائية التراث والمفاهيم الإسلامية وما البديل الذي عرضه للتخلص من هذه الدوغمائية وأولى اتهامات أركون للفكر والتراث الإسلامي بالدوغمائية يتمثل في قوله بدوغمائية العقل الإسلامي.

(١) محمد أركون ولد عام ١٩٢٨م في بلدة تاويرت ميمون (آيت يني) بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر أبتدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة بالجزائر وأتمها بعد ذلك في جامعة السوربون في باريس وهو باحث ومؤرخ وواحد من أساتذة تاريخ الفكر عموماً والفكر الإسلامي خصوصاً في جامعة السوربون منذ حصوله على درجة الدكتوراة من الجامعة ذاتها عام ١٩٦٨م عمل باحثاً مرافقاً في برلين عام ١٩٨٦ - ١٩٨٧م، ومنذ عام ١٩٩٣ يشغل منصب عضو مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن وقد توفي أركون في ٢٠١٠/٥/٣م ودفن بالمملكة المغربية ينظر: محمد أركون، الأنسنة والإسلام - مدخل تاريخي ونقدي - ترجمة وتقديم: محمود عزب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ٢٠١٠م ط١، ص ٧ - ٨.

(٢) الإسلاميات التطبيقية : يقصد بها عند أركون تطبيق منهجيات العلوم الإنسانية ومصطلحاتها على دراسة الإسلام عبر مراحل تاريخه الطويل ينظر: محمد أركون الإسلام، أوروبا، الغرب، ص ١٧٨، وأما كلمة الإسلاميات فتعني عند أركون : قراءة ماضي الإسلام وحاضره انطلاقاً من تعبيرات المجتمعات الإسلامية ومطالبها الراهنة، أنظر: أركون، محمد، نافذة على الإسلام، ترجمة : صياح الجهيم، دار عطية للنشر، لبنان - بيروت ، ط١ : ١٩٩٦م، ص ١١.

(٣) ينظر: عثمان، محمود علي عثمان، التجديد في التفسير ومناهجه عند الحداثيين العرب محمد أركون وقراءته سورة العلق أنموذجاً .. عرض ونقد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، ٢٠١٩، مج ٣٤، ع ١١٨، ص ١٥.

إن أركون يصف العقل الإسلامي بالدوغمائية، ويرى أن العقل الدوغمائي هو كل ما كان منافياً للعقل العلمي الخلاق، ويقول لتأكيد ذلك "يمكن الجزم هنا أيضاً بأن الإطار المعرفي الذي يتشبَّث به الباحثون في الفكر الإسلامي لا يزال مرتبطاً ومتأثراً بالإطار المعرفي الإسلامي الموروث أكثر ممّا هو مرتبط بما كنت قد دعوته بالعقل الاستطلاعي أو المستقبلي، وأقصد به العقل الجديد الذي يطمح إلى التعرف على ما مُنِع التفكير فيه، وأبعد عن دائرة الاستطلاع والاستكشاف ؛ كي تبقى مشروعية أنواع السلطة، وقداية أنواع الحاكمية مؤثرة في المخيال الديني والسياسي"^(١) فهو يرى أن العقل الإسلامي يقف حائلاً دون تجديد الفكر الإسلامي وإظهار الحقائق كما هي.

ولكن "العقل الاستطلاعي الجديد يكافح على جميع الجبهات، إنه ينتمي إلى مذهب الاتهام الفلسفي المنهجي البناء....، ويعلم هذا العقل أنه لا سبيل البتة للعقل البشري أن يتوسط بين الخطاب الإلهي والخطابات البشرية دون أن يضع الأول في السياقات الدلالية والقوانين البلاغية والوسائل الاستنباطية والمبادئ المنطقية التي تتصف بها الثانية"^(٢) وتبعاً لذلك فهو يرى أننا ما دمنا نرفض كل ما يمتُّ إلى مشروع نقد العقل الإسلامي بصفة ونمنعه، فإننا سنبقى تائهين، مُقلّدين مُكرّرين، مُتّبِعين، محافظين، لا نُميّز بين العقلنة المنيرة المنقّدة من الجهل والضلال والتضليل الفكري والعقلنة المُزيّفة للحق، الملبسة (أوالمُقنّعة) للواقع، المؤيِّدة للوعي الخاطئ، المؤسّسة للمعارف الباطلة"^(٣)

ومن خلال ذلك يتضح أن أركون يرفض الوضع الحالي والسابق للعقل الإسلامي الذي كان ولا يزال يضع لنفسه حدوداً وضوابط للتفكير - تبعاً لطبيعته البشرية - فهو يدعو إلى التحرر من كل هذه الحدود والضوابط ويدعوها بالأسيجة الدوغمائية والانغلاق على التراث القديم ولا يهتم حقاً بقدرات العقل الحقيقية وخاصة في تعامله مع نصوص القرآن والسنة والعقائد الإسلامية بوجه عام وليته يدعو إلى إعمال الفكر والعقل بشكل فطري سليم مع النصوص والعقائد، إن الأمر ليس كذلك بل هو يدعو إلى استخدام المناهج الفكرية الحديثة في تحليل النصوص والخطابات البشرية وتطبيق هذه المناهج على نصوص القرآن والسنة وعندما نرفض ذلك للاختلاف الكبير بين النصوص البشرية والإلهية يدعو ذلك دوغمائية وتصلب عقلي ولا يدري أن ما ينتهجه من اتباع الغرب في مناهجهم دون موازنة هذه المناهج وتقييم صلاحيتها للاستخدام، هو ما يمكننا أن نطلق عليه دوغمائية وتصلب فكري، ثم لا أدري كيف يكون العقل الإسلامي دوغمائياً وقد أنتج علماً نقداً متكامل الجوانب كعلم مصطلح الحديث وعلم أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق الإسلامي.

(١) أركون، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، ص ٨.

(٢) المصدر السابق، ص ٨ - ٩.

(٣) أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم، ص ١٠.

وبعد تنديد أركون بدوغمائية العقل الإسلامي لا يقف عند ذلك بل يواصل اتهام التراث الإسلامي بالدوغمائية مطلقا عليه مصطلح عرف في الغرب ارتباطه بالنصرانية ولكنه أبى إلا أن ينقله إلى الفكر الإسلامي ثم يوسم هذا الفكر الذي يتصف بهذا المصطلح بالدوغمائية فنراه يندد في ثانيا كتاباته بدوغمائية الفكر الأرثوذكسي الإسلامي ويدلل على ذلك ببعض المواضيع التي تبناها الفكر الإسلامي، إذ " يُعدّ انتصار نزعة الانغلاق على نزعة الانفتاح في الفكر الإسلامي -في تقدير أركون- نتيجة منطقية لنشأة الفكر الأرثوذكسي القائم على فكرة التأصيل بما هو تدوين للأحكام الفقهية... وإلزام العباد بالامتثال لها واتباعها، وهو ما أغلق باب التعامل الحرّ والبناء بين الإنسان والنص المؤسس وفرض النصوص الحواف، ومواقف الفقهاء، باعتبارها نصوصاً وسيطة لا يتحقّق فهم القرآن الكريم دون الرجوع إليها" ^(١) فلا تزال -يقصد الأرثوذكسية في الإسلام- تحول حتى الآن دون فتح الأضابير التاريخية وتجديد الفكر بشكل جذري... إذ تُشكّل -بمبادئها وصياغاتها القطعية ومُسلّماتها- نوعاً من الحجاب الحاجز الذي يحول دون رؤية الأمور كما جرت عليه بالفعل. ^(٢)

وأركون عند دعوته للتعامل الحر مع النص والتنديد بمواقف الفقهاء والنصوص الحواف التي تكون وسيطاً في فهم القرآن يغفل جانباً على قدر كبير من الأهمية وهو عجمة اللسان العربي الحال الذي لم يعد كما كان وقت نزول القرآن عربياً بالسليقة، يفهم ما يلفظ به الوحي الذي جاء بلسان عربي مبين؛ كما أنه غفل عن أن الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم الفصيح احتاجوا في إيضاح بعض معاني القرآن إلى سؤال النبي ﷺ كما كان بعضهم يسأل بعض فيما خفي عليه أو غاب عنه ولم يتعاملوا مع النص معاملة الحرية في الفهم وتقديم الهوى وما يستحسنه العقل الشخصي بغض النظر عن المعنى الحقيقي وما يدعو إليه النص في واقع الأمر، وكما تدل عليه اللغة أو كما أشار إلى ذلك الرسول أو كما أخبر بذلك الصحابي الذي عاصر زمن النزول وسببه وملابساته تلك الأمور التي يندد بها أركون ويرفض وساطتها في الفهم ويعتبر الالتزام بها دوغمائية.

"وفيما يتصل بهذه المسألة، يرى أركون أن رسالة الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) تعد أول خطوة قطعها العقل الإسلامي باتجاه الجمود الفكري، فالأصوليون (واضعو علم الأصول) هم المؤسسون الحقيقيون للنزعة الثيولوجية القائمة على الانغلاق على الذات، وتحويل المعرفة من بناء مستمر للعقل إلى بناء جامد، يقوم على الأخذ بما

^(١) محمد إدريس باحث تونسي، الإسلام وسلطة الفاعلين الاجتماعيين - قراءة في بعض أسس مشروع إعادة بناء العقل الإسلامي وحدوده - بحث محكم، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٧ م، ص ٨.

^(٢) ينظر: أركون، محمد. الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، ط ٢، بيروت: مركز الإنماء القومي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص ٧-٨.

سُطِرَ في المدونات^(١)، بالإضافة إلى ذلك ف " إن مسألة الاجتهاد معتبرة داخل التراث الفكري الإسلامي بصفتها امتياز يحتكره الفقهاء نقصد بذلك الأئمة المجتهدين مؤسسي المذاهب الكبرى اللاهوتية القانونية الذين ثبتوا للقرون التالية المدونات القانونية والعقائد الايمانية الارثوذكسية وعلم أصول الفقه أي المنهجية المعيارية الضرورية من أجل استنباط الاحكام بشكل صحيح من النصوص المقدسة (القرآن والسنة) " ^(٢)

" فيرى أركون أن القرآن الكريم سمح بتعدد المعاني والاتجاهات الفكرية المختلفة وبالتالي فالحق ليس عليه في ضمورها أو ذبولها وزوالها وإنما على الفقهاء وتركيباتهم اللاهوتية الصارمة التي تحدد تخوم الإسلام الأرثوذكسي التي لا ينبغي تعديها بأي شكل فلقد حصرت الإسلام في تفسير ضيق جامد متعصب كاره للفلسفة والعقل والعلم وانتهى عندئذ إسلام التنوير وبدأ إسلام التكفير واستمر هذا الأمر على هذا النحو حتى يومنا هذا ^(٣)"

ولا شك أن نظرة أركون تلك لعلم أصول الفقه وعلمائه وللفقهاء بشكل عام نظرة مجحفة قد جانبها الصواب من كل جانب؛ فكيف له أن يحكم على هذا العلم بالجمود الفكري إنه أحد أهم العلوم التي انتجها العقل الإسلامي في تعامله مع النصوص والقواعد الشرعية وإني لأتساءل هل درس أركون علم أصول الفقه أصلا وقاعدة قاعدة أخشي أنه لم يفعل ذلك وإلا لعلم أن هذا العلم يقوم على الأسس العقلية والمنطقية ويتطور بتطور الأحوال، وبما يتناسب مع القواعد الشرعية ولا أدل على ذلك من تطور فقه الشافعي وازدهار علم أصول الفقه من المذهب القديم في بغداد إلى المذهب الجديد في مصر تبعا لمراعاة اختلاف الظروف الزمانية والمكانية، ثم من أخبر أركون أن الاجتهاد مقتصر على الأئمة المجتهدين مؤسسي المذاهب الفقهية الكبرى إن أي مسلم دارس للدين الإسلامي ممسك بالأدوات العلمية تتوفر فيه شروط الاجتهاد يحق له الاجتهاد.

ذلك لأن الاجتهاد كان ولا يزال مطلبا ضروريا لا غنى عنه، وهو ما يجعل الشريعة الإسلامية طيعة وقابلة للتكيف والتطور مع حاجات الناس ومصالحهم العامة والخاصة، أو بعبارة أدق إنه ما ينهض دليلا قاطعا في وجه المشككين الذين يرون في أحكام الشريعة الإسلامية أحكاما مرحلية، لا تعدو تعبر عن حقبة زمنية معينة، وبالإضافة لذلك نجد الامام الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) يقدم لنا رؤية مختلفة أكثر انفتاحا ردا على من يعتقد أن الإسلام يضيق على العقل عندما يقول: "فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر، ولا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع، لا تكون منصوفا على

(١) محمد إدريس ، الاسلام وسلطة الفاعلين الاجتماعيين ، ص ٨.

(٢) ينظر : اركون، محمد ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت - لبنان ط ١ : ١٩٩١م ، ص ١١ -

١٢ .
(٣) أركون ، محمد ، نحو تاريخ مقارن للاديان التوحيدية ، ترجمة وتقديم هاشم صالح ، دار الساقي بيروت - لبنان ، ٢٠١١م ، ط ١ ، ص ٣٢ .

حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد ... فإذا لابد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان^(١).

أما كلام أركون عن حصر الاسلام في تفسير ضيق فينافي هذا الكلام ويثبت بطلانه تعدد القراءات كواقع يدعمه أمران أساسيان: الأول : تعدد التفاسير رغم وحدة النص القرآني، فالمكتبة الإسلامية تزخر بما لا يقل عن الثمانمائة تفسير قديما وحديثا، كلها تؤكد تعدد الآراء في فهم آيات الكتاب الكريم ، والثاني : تعدد الرأي الفقهي واختلاف فتاوى الفقهاء رغم وحدة المرجعيات (القرآن والسنة)^(٢) مما ينافي ما ذهب إلى أركون.

كما أنّ تدوين الأحاديث النبوية في نظر أركون قد تمّ تحت تأثير سلطة الانتماء المذهبي، ورغبات السياسي، وهو ما أدّى إلى وجود الحديث السنّي، والحديث الشيعي الإمامي، والحديث الخوارجي/الخارجي، ولم يكتف كل طرف بالقول: إنّ الأحاديث، التي خطّها في مجامع خاصة به، هي الأحاديث الصحيحة، التي لا سبيل إلى التشكيك في نسبتها إلى الرسول، وإنّما سعى، أيضاً إلى إبطال المجامع التي اعتمدها الآخر المغاير مذهبياً وكلامياً^(٣)، وبناء على ما سبق يطعن الحداثيون بأصح كتب اعتمدت على المنهجية الحديثية في تصحيح الأحاديث، ورأوا أن الأمر لا يعدو فرضاً من السياسة، وسلطتها أدخلت في الأحاديث ما شاءت ثم يتبعون ذلك بالطعن في الصحابة والتابعين ففي نظرهم " لم يكن الرسول يحتل قمة الهرم بمفرده، وإنما قرّن به أصحابه، فلم يعودوا أناساً عاشوا بمحض الصدفة في زمن الوحي وكانوا شاهدين عليه، بل أصبحوا مختارين من بين جميع الخلق، ويتمتعون بمؤهلات ليست متوفرة في الأجيال اللاحقة، ولا يتسنّى هذا التوحيد للآراء والممارسات إلّا بإقصاء مجمل التأويلات التي من شأن الرسالة النبوية أن تكون مستعدة لقبولها، والاحتفاظ بتأويل واحد ؛ هو التأويل الذي دعمته السلطة السياسية حتى أصبح رسمياً وكانت الظروف التاريخية مواتية لانتشاره"^(٤)

إن كلام الحداثيون وعلى رأسهم أركون يبدو منطقياً لشخص ينظر إلى القشرة وإلى ما آل إليه حال السنة والشيعية من الانقسام أو شخص يحكم على السنة بعيون ولسان حال المستشرقين الطاعنين في الإسلام وتراثه لكنه يبدو إجحافاً وجهلاً ورمي بالباطل بالنسبة لشخص على دراية كافية بتاريخ تدوين السنة وما بذله علماء الحديث من جهود مضيئة في طلب الحديث والتأكد من صحته سنداً ومتناً ذلك لأن " توقف العلماء المتخصصين - وليس الهواة أو المتطفلين - إزاء "الرواية والرواة" شيء والتوقف إزاء " السنة " التي صحت وسلمت من الشذوذ والعلل القاذحة شيء آخر ، والأول حق من حقوق علماء هذا الفن، أما الثاني فهو تكذيب للمعصوم ﷺ " ^(٥)

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج ٥ ص ٣٨ - ٣٩.

(٢) ينظر: ماجد الغرباوي، التسامح ومنايع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات، ص ٥٧ (بتصرف).

(٣) ينظر: محمد إدريس الإسلام وسلطة الفاعلين الاجتماعيين، ص ٩.

(٤) الشرفي، عبد المجيد، لبنات، تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٤م، ص ٣٩.

(٥) محمد عمارة، شبهات حول الإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ص ٤٤.

كما أنه في الفكر الارثوذكسي يعد الامتثال للحاكم الجائر الظالم واجب شرعي على اعتبار الله بما هو مصدر الوحي في التصور الإسلامي، هو مصدر السلطة بمختلف مستوياتها، ذلك أن الفكر الديني ما انفك ينشر بين المؤمنين عقيدة (الإسلام دين ودنيا) ولما كان الفاعل الاجتماعي^(١) المُمسك بالمعنى الإلهي، العارف به دون غيره، فإن ما يقوله الفقيه أو المفسر...، هو ما أراد الله قوله، ومن خالف قول الفاعل الاجتماعي مرق عن دين الله، وحاد عن طريق الهداية الإلهية^(٢).

ويمكن الرد على ما قاله أركون "بأن الحديث في الفكر الإسلامي عن "حق الله" إنما يعني حق المجتمع، وأن القول بأن المال مال الله، معناه أن المال مال الأمة والمجتمع، ومن ثم فإن الحديث عن حكم الله وسلطانها، إنما يعني في السياسة حكم الأمة وسلطانها بحكم خلافة الإنسان عن الله في عمارة الأرض، وما يلزم لذلك من إقامة الدولة"^(٣)

كما أن "الرؤية الوضعية العلمانية الغربية التي تريد تحرير الاجتماع الإنساني من ثوابت التدبير للشرعية الإلهية، فتقول مثلاً: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، أو تحرر الوطن من الدين ومن العبودية لله، ومن الالتزام بحماية الشريعة الإلهية، بدعوى أن الدين لله والوطن للجميع، هذه الرؤية التي تعزل السماء عن الأرض هي التعبير الحديث والمعاصر عن الرؤية الوثنية الجاهلية"^(٤)

ذلك " أن الإسلام كدين (عقيدة وشرعية) وبأركانه الخمسة التي بني عليها، وبكتابه المعجز وبسننه التشريعية التي بلغ بها الرسول ﷺ تفصيلات ما أجمله الوحي... إن ذلك كله وضع إلهي... لكن الإسلام كدين لم يحدد للمسلمين نظاماً محدداً للحكم، لأن منطق صلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان يقتضي ترك النظم المتجددة قطعاً لحكم التطور للعقل الإنساني الرشيد"^(٥)

"إن الإسلام ينكر أن تكون السلطة السياسية الحاكمة دينية خالصة، أي ينكر وحدة السلطتين الدينية والزمنية، ولكنه لا يفصل بينهما، وإنما هو يميز بينهما فالتمييز لا الفصل بين الدين والدولة وهو موقف الإسلام، فاستبعاد الدين ونفيه من العوامل الحاكمة خطأ فكري، وفي نفس الوقت محاولة صبغ السياسية بالصبغة الدينية الخالصة هي محاولة غريبة عن روح الإسلام"^(٦)

(١) عَدَّ أركون الفاعلين الاجتماعيين حراساً للإيمان، مقتبساً هذا النعت من عنوان الكتاب الجماعي: حراس الإيمان في الأزمنة الحديثة علماء الدين في الشرق الأوسط؛ الذي أشرف عليه منير هاتينا والصادر سنة ٢٠٠٩ م، ضمن منشورات الجامعة العبرية في القدس. انظر: أركون، محمد: التشكيل البشري للإسلام (مقابلات مع رشيد بن زين وجان لوي شليجيل)، ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات الأبحاث، الدار البيضاء - المغرب، ط ١، ٢٠١٣ م، الفصل الحادي عشر.

(٢) محمد إدريس، الإسلام والفاعلين الاجتماعيين، ص ١٠.

(٣) محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة السياسية، دار الشروق، ١٩٨٨ م، ط ١، ص ٨٢.

(٤) محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص ١٠.

(٥) محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة السياسية، ص ٨٢.

(٦) محمد عمارة، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة السياسية، ص ٦٤ - ٦٥.

ومن توابع الفكر الارثوذكسي أيضا إخضاع المرأة إلى مكانة أدنى من الذكر وإبقائها فيها، وفي المقابل نجد الامتيازات والسلطات الموكلة إلى الرجل من القانون الديني، كل ذلك يتيح تكرار السياج الدوغمائي المغلق، وإعادة إنتاجه عن طريق الطاعة المباشرة؛ التي يقدمها الابن للأب، أو البنت للأخ وللأب، أو المرأة للزوج، أو الصغير للكبير... إلخ؛ أما خارج العائلة، فنجد أنّ المؤمن يخضع للعالم (رجل الدين)، والمريد يخضع للشيخ (شيخ الزاوية الدينية)، وكلهم يخضعون للأمير، أو السلطان، أو للخليفة، أو للإمام...^(١) «فكرة الطاعة، من هذه الزاوية، هي الفكرة الرئيسة؛ التي تأسس عليها الفكر الديني المتحجّر.

لكن أركون في كلامه هذا قد غفل عن أن المساواة بين المرأة والرجل في "الإنسانية" هي حقيقة موضوعية تدركها كل العقول وكل الحواس وإن المساواة بينهما في التكاليف حقوقا وواجبات وفي الحساب والجزاء، وفيما يلزم للنهوض بالتكاليف من عقل وقدرات منحها الله لكل منهما وركبها فيه هي مما أجمع عليه ويجمع الناظرون في الفكر الإسلامي مع تمايز كل منهما عن الآخر في علاقة المرأة بالرجل فإن تميز الرجل "درجة" هي "القوامة" وهي ثمرة لطبيعة الرجولة عن طبيعة الأنوثة^(٢) فأمر القوامة يوجب على المرأة شيئا وعلى الرجل أشياء ذلك أن الحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، يرجع إلى رأيه في الخلاف كي لا تنفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام، والرئاسة هنا إرشاد ومراقبة وليست قهرا ولا سلبا للإرادة.^(٣)

أما فكرة الطاعة التي تأسس عليها الفكر الديني المتحجّر فينبغ أن يتضح لدى أركون أنه ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتفكير من الشر، وهي سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم كما خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم، وكل سلطة تناولها القاضي والمفتي وشيخ الإسلام هي سلطة مدنية قدرها الشرع ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه^(٤)

كما أن الإجماع بكونه أحد أصول القانون الديني، فهو يشكل علامة من علامات الأرثوذكسية التي ترسخ وحدة الأمة وتراص صفوفها وفي نظر أركون إن الإجماع ليس أصلاً من أصول الفقه، بقدر ما يمثل آلية من آليات الإقصاء المُنهج المقصود للرأي المخالف^(٥)، فبحجة مخالفة الإجماع، تمّ إقصاء أتباع المذاهب المخالفة المخالفة (الشيعية، الخوارج، السنة،...)، والأديان (اليهودية، المسيحية، الإسلام،..) فالنزعة الأرثوذكسية نزعة تمجيدية منغلقة تزعم أنّ ما تؤمن به هو المطابق للحق.

(١) ينظر: أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط ٤ : ٢٠٠٧م، ط ٦ : ٢٠١٢م، ص ١٥ - ١٦.

(٢) محمد عمارة، معالم المهج الإسلامي، دار الشروق، ط ١ : ١٩٩١م، ط ٢ : ٢٠٠٩م، ص ١٥١.

(٣) محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، ص ٢٥.

(٤) محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، ص ٢٤.

(٥) مستقيم، محمد، مفاهيم أركونية ومحاكاة المشروع النقدي للعقل الإسلامي، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سورية والشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط ١ : ٢٠١٣م، ص ١٠٥.

وهذه النظرة الوثوقية، أو الدوغمائية، تنتكر للاجتهاد وتلغي الاختلاف وترفع شعار الإجماع وتشهر سلاح الخروج عن الإجماع ضد كل مخالف، وتتحو نحو الاستبداد والهيمنة، فيحل التلقين والتلقي محل البحث والتقصي.^(١)

والنقد التاريخي الحديث قد انتبه إلى الخاصية الحاسمة للإجماع ألا وهي: إنه ناتج عن صيرورة اجتماعية وثقافية وعن جملة المناقشات والصراعات والتحضيرات التي أدت إلى انتقاء بعض العناصر وتجنب بعضها الآخر تحت ضغط الإكراهات الأيديولوجية والضغط السياسي والأنظمة المعرفية التي لم تدرس أبدا بشكل دقيق وشامل.^(٢)

كما يرى أركون أن هذه الأرثوذكسية الصارمة التكرارية والاجترارية التي سادت طيلة عصور الانحطاط هي التي راحت تقضي على العلوم العقلية باعتبار أنها دخيلة أو أجنبية مشبوهة من قبل الإسلام الصحيح أو الأرثوذكسي، وما حصل في جهة الاسلام السني من جمود وتقوقع حصل في جهة الإسلام الشيعي بعد أن استولى الصفويون على إيران ورسخوا فيها الأرثوذكسية الشيعية في مواجهة الأرثوذكسية السنية، وهكذا انتهت الحيوية الإبداعية للإسلام الكلاسيكي، أي للعصر الذهبي وأصبحت نسيا منسيا ودخلنا عندئذ في عصر المذاهب والطوائف التي تخشى بعضها بعضا وتكفر بعضها بعضا، ولا يزال هذا الموقف سائدا حتى يومنا هذا حيث يرفض الأصوليون المعاصرون العلوم الحديث للغرب بحجة محاربة الغزو الفكري الهدام.^(٣)

وبعد عرض رؤية أركون لأرثوذكسية الفكر الإسلامي كما يراها يتضح أنه لا يدرك حقيقة أن التجديد في الفكر الإسلامي هو ضرورة وقانون فبدون التجديد الدائم والمستمر - للفكر والفقه والخطاب الإسلامي، تحدث الفجوة بين الشريعة الإسلامية - التي هي وضع إلهي ثابت - وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع - المتغير والمتطور دائما وأبدا - ذلك لأنه لو ساد الجمود والتقليد في الفكر والفقه والخطاب الديني فإن ذلك يفضي إلى انفلات الواقع المتطور من الشريعة الثابتة فيكون العجز عن أن تكون الشريعة صالحة لكل زمان ومكان فتغيب حجة الله على عباده بعد أن ختمت الشرائع السماوية بشريعة الاسلام.^(٤)

(١) العمري، محمد خير حسن محمد، التفكير الديني لدى الحداثيين العرب: دراسة نقدية. مجلة المنارة للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م، مج ٢٠، ع ٣، ٤١٩ - ٤٤٣.

<http://search.mandumah.com/Record/٧٤٨٠٦١>

(٢) أركون، من الاجتهاد إلى نقد العقل الاسلامي، ص ٧٧- ٧٨.

(٣) أركون، نحو تاريخ مقارنة للاديان التوحيدية، ص ٤٥.

(٤) محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، مكتبة الشروق الدولية، ط ٢٨ ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ٧.

فالحداثة بالمفهوم الذي حددته الأدبيات المعاصرة لا تعني إقامة ما انهدم من المفاهيم الإسلامية ولا إحياء ما اندثر من ثوابت الدين، بل هي التخلص من الماضي بكل ما يحتويه من أصول وثوابت والانطلاق في تجرد عن الدين بكل مكوناته، فيقدّر أركون أنّ الخروج من «الأسيجة الدوغمائية» يتطلب الانخراط من جديد، في الخطاب الأنسني، وهي قراءة بدت للعديد من نقاد مشروع أركون قراءة غير متماسكة، تسعى إلى بناء خطاب دوغمائي يقوم على وثوقية من نوع مخصوص، فإذا بـ(نقد العقل الإسلامي)، عندهم، مشروع يقيم دوغمائية جديدة بدلاً من الدوغمانيات القديمة.

الوحي

إن مفهوم الوحي في نظر أركون يعد من المفاهيم الإسلامية التي أحاطتها السياجات الدوغمائية على مدار عصور الفكر الإسلامي، ولتوضيح ذلك يقول أركون " إن الفكرة الشائعة عن الوحي في المجتمعات الإسلامية لا تزال محصورة داخل دائرة ما ندعوه بالمستحيل التفكير فيه بالنسبة للتراث الإسلامي منذ القرن الحادي عشر الميلادي، ويقصد أركون من (المستحيل التفكير فيه) عدم إمكان جعله موضوعاً للدراسة أو التحري النقدي، فقد جعل في محمية منذ أن نطق به النبي ﷺ وجمع بعد ذلك" (١)

و تبعا لهذه الرؤية فقد رفض أركون مجموعة المبادئ اللاهوتية الأساسية المشتركة لدى جميع المسلمين فيما يرتبط بالوحي والتي تشكل مسلمات لا مناقشة فيها بالنسبة للجميع ومنها: " كان الله قد بلغ مشيئته للجنس البشري عبر الأنبياء " ولكي يفعل ذلك استخدم اللغات البشرية التي يمكن للشعب أن يفهمها فيعتقد المسلمون بأن الآيات المعبر عنها باللغة العربية : تمثل الكلام الأصلي ، والتركيب النحوي والصرفي لله نفسه(٢)

ثم ذكر أركون أن الوحي في الفكر الإسلامي يواجه عدة إشكاليات ومما أورده :

- أن الوحي منحصر فيما ورد في القرآن الكريم وحده

- تجميد مفهوم الوحي وقولبته من قبل الفقهاء ، واعتقادهم بأنهم القادرون وحدهم على فهم النصوص التأسيسية (القرآن والحديث)(٣) وبذلك حول الخطاب النبوي المنفتح على المعاني الكثيرة ؛ بسبب طبيعته المجازية المتفجرة إلى قوالب جامدة وقسرية على يد الفقهاء وعلماء الكلام والمنظرين السياسيين(٤)

(١) أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة وتعليق: هاشم صالح دار الطليعة - بيروت ، ص ١٢.

(٢) أركون ، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، ص ١٩ ، ٢٢

(٣) أنظر: أركون، محمد، الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى واردة الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح دار الساقي، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) أنظر: أركون، قضايا في نقد العقل الديني ، ص ١٧٨ - ١٧٩.

كما يرى أركون أن نظرة القداسة والتعالّي للنص القرآني من قبل المسلمين لا يمكن زحزحتها إلا عبر أشكلة^(١) النص القرآني وعلى جميع المستويات أي الشكل والمضمون والتاريخية والموضوعية ، إذ هي السبب عند أركون في غرس القداسة والهيبة للنص القرآني في قلوب المسلمين ، وبالتالي عدم تعرضهم لدراسة الوحي ونقده ومناقشته وسؤاله^(٢)

وفي سبيل التخلص من نظرة القداسة الجامدة تلك دعا أركون إلى " القيام بمراجعة جذرية لمفاهيم الوحي، وكلام الله، والنص المقدس، والمعصومية، والهيبة الروحية، والتنزيه أو التعالي "^(٣) وذلك خارج التعريفات العقائدية، ووفقا لمعطيات معرفية حديثة جديدة^(٤)

والهدف من إعادة دراسة ونقد الوحي كما يقول أركون: هو "أن نتوصل إلى فهم جديد للدين ولأصوله ونشأته ووظائفه "^(٥)

ذلك أن الوحي كما يراه أركون هو " حدوث معنى جديد في الفضاء الداخلي للإنسان وهو معنى يفتح إمكانيات لا نهائية أو متواترة من المعاني بالنسبة للوجود البشري "^(٦) وهذا يعني قصر الوحي على الجانب المعنوي وتحتية الجانب العملي التعبدية له كما يعني تحويل الوحي إلى مخيال ديني، وأما الإمكانيات اللانهائية التي يفتحها هذا المعنى الجديد للوحي فلا حد لها وهي تعدد القراءات بعدد الأفراد كل حسب فهمه، وكلها يمكن اعتبارها قراءات صحيحة وعليه فيفهم من كلامه هذا أن مفهوم التنزيل فيما يرتبط بالوحي يشكل مجازا مركزيا.

وعلى ذلك فإن أركون لا يؤمن بفكرة الوحي في الإسلام، فهو يجرده من وجوده الموضوعي فالوحي مجموعة تصورات لا تصدر عن جهة لتلقي على شخص وإنما هي تصورات وليدة الشخص نفسه وذلك وفقا للظواهرية والتي تعتقد بأن الماهيات هي ماهيات محايدة لوعي الفرد، أي لا وجود لها خارج الوعي، بينما يشير منطق الوحي إلى شيء خارج الذات^(٧)

(١) الأشكلة: أي جعل المفهوم إشكالياً بعد أن كان يفرض نفسه علينا كشيء بديهي غير قابل للنقاش. انظر: أركون: القرآن من التفسير الموروث، ص ١٧ (هامش المترجم).

(٢) راجع: أركون، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ص ١٨، وأركون، نافذة على الإسلام، ص ٤٢.

(٣) محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، ص ٧٨.

(٤) راجع: أركون، نافذة على الإسلام، ص ٢٣، وأركون، محمد، العلمنة والدين الإسلام والمسيحية والغرب، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط ٣: ١٩٩٦م، ص ٥٥، و أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٤٧، ١٨٣.

(٥) محمد أركون، الإسلام، أوروبا، الغرب، ص ٧٨.

(٦) أركون، محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، ص ٨٩.

(٧) أنظر: شبر الفقيه، الفكر الفلسفي العربي المعاصر، إشكالية التأويل، دار البحار، ٢٠٠٨، ص ٢٣٦.

وبرغم ذلك فإن أركون نفسه لم يستطع تطبيق المنهج اللساني على القرآن كاملاً لذا فهي مجرد دعوات يعوزها التطبيق، وأنى له التطبيق ومنهجه يوسم بالاعوجاج والتناقض وعدم الاستقامة ! مما يعني عدم وضوح الرؤية عنده وذلك لأنه يطبق منهجين نقديين مختلفين متناقضين على ذات النص القرآني، والحال أن أحدهما جاء بعد انهيار الآخر، أعني المنهج التفكيكي الذي جاء كردة فعل بعد انهيار البنيوية في فرنسا عام ١٩٦٨ م فالمنهج البنيوي لا يعتد بقاتل النص (موت المؤلف) ولا بالمفاهيم السابقة أو الغيبية للنص، والمنهج التفكيكي يهدم المعاني الموروثة للنص القرآني ويجعل النص القرآني مفتوحاً على معاني لا حصر لها ولو كانت متناقضة فالمعاني المحتملة في المنهج التفكيكي كلها تمثل حقيقة النص ومقصده^(١)، وكلا المنهجين البنيوي والتفكيكي يأخذ بهما أركون وهما يؤديان إلى إفراغ النص القرآني مما يحتويه من عقائد وأحكام فهي بذلك أمور رمزية متغيرة المعنى بحسب تغير الزمان والمكان.^(٢)

ويتضح من كل ما سبق أن أركون غايته أن يحقق أهدافه بغض النظر عن المنهج الذي يتبعه ومدى سلامته وإمكانية تطبيقه على القرآن ؛ مما يجعلنا نصف قراءته بالتخبط

التاريخية بديل الدوغمانية عند أركون

إن أركون بعد اتهامه للتراث الإسلامي بالدوغمانية، وجد أن السبيل الوحيد للتخلص من هذه الدوغمانية، هو في سلوك منهج التاريخية ؛ وقد عرف التاريخية بأنها: "العقيدة التي تقول بأن كل شيء وكل حقيقة تتطور مع التاريخ، وهي تهتم، أيضاً، بدراسة الأشياء والأحداث، وذلك من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية."^(٣)

ومن انتهج هذه الفكرة من الحداثيين ساووا بين نصوص الوحي المعصومة والتراث المسيحي في المقدمة والنتائج، يقول أركون: "إن تطبيق منهجية النقد التاريخي على التراث... سوف تثير هزة كبيرة لا تقل أهمية عن تلك الهزة التي أثارها تطبيقها على التراث المسيحي بعد عصر التنوير، ومن ثم فإن التحرير الكبير لجماهير المسلمين لن يحصل إلا بعد دفع الثمن"^(٤)

(١) أنظر: سلطان العميري، الاتجاه الباطني في تشكيله الجديد، مقال للكاتب، مجلة البيان، العدد ٢٩٦ بتاريخ ٢٠ / ٢ / ٢٠١٢ م.
(٢) أنظر: دلال بنت كويران بن هويلم البقيلي السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث : مفهومه وضوابطه واتجاهاته ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن إشراف أ. د. أمين محمد عطية باشا، جامعة أم القرى كلية أصول الدين قسم الكتاب والفتنة شعبة التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م ، ص ٢٦٨.
(٣) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، عالم الثقافي العربي، الدار البيضاء ومركز الأسماء القومي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٨ م، ص ١٣٩.
(٤) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، عالم الثقافي العربي، الدار البيضاء ومركز الأسماء القومي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٨ م، ص ١٧٧.

فقد احتكموا إلى المنهج التاريخي وحكموه حتى في المحكمات الدينية والمسلمات العقدية والأحكام الشرعية، فيرى المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي أن الرسالة القرآنية موجهة إلى أناس بأعينهم في القرن السابع وتتضمن ظواهر تتناسب مع ثقافة ذلك العصر، وهي ظواهر بعيدة اليوم عن التصورات الحديثة.^(١)

ويدعي نصر حامد أبو زيد "أن قراءة عميقة تحليلية لبنية النصوص تقود إلى إسقاط كثير من الأحكام بوصفها أحكاما تاريخية تصف واقعا أكثر مما تصف تشريعا."^(٢)

وقد اجتمعت كلمتهم على أن التشريعات التي يحتويها الكتاب لم يقصد بها الدوام، وإنها كانت مؤقتة بزمانها مؤقتة بمكانها، وأنها الآن معيبة في سياق زماننا. يقول الباحث السوري هاشم صالح: "فكل ما جاء في النص عن خلق العالم والإنسان وتشكل الظواهر الطبيعية يتناقض كلياً مع الحقائق العلمية والقوانين الفيزيائية التي توصلت إليها العلوم الحديثة، والشيء نفسه ينطبق على التشريعات والحدود الواردة في النص، كقطع الأيدي والأرجل، والجلد، والرجم وللذكر مثل حظ الأنثيين، فهو مصاد لحقوق الإنسان وكرامته ولكل الشرائع التي جاءت بها الحضارة الحديثة، ولا يمكننا أن نتخلص من هذه الأشياء إلا إذا اعترفنا بالبعد التاريخي للنص أي بمشروعته التاريخية بالقرن السابع الميلادي وشبه الجزيرة العربية"^(٣)

وقد بين الشيخ محمد الغزالي الهدف من قولهم: "هذا نص فات أوانه، وهذا حكم انقضت أيامه، والحياة بلغت طوراً يقضي بترك كذا من الأحكام، والتجاوز عن كذا من الشرائع، وهذه كلها محاولات لهدم الإسلام وإعادة الجاهلية"^(٤)

كما ينكر نصر أبو زيد على من يدرج العقائد في خانة الثوابت، وعلى من يقول لا اجتهاد في معرض العقيدة، ويعد ذلك تجاهلاً لحقيقة التطور المعرفي فيقول: "العقائد تصورات مرتبهة بمستوى الوعي وتطور مستوى المعرفة في كل عصر ولا شك أن النصوص الدينية اعتمدت، شأنها شأن غيرها من النصوص، على جدلية المعرفي والأيدلوجي في صياغة عقائدها"^(٥) ويؤيد أركون رأي أبو زيد بل يجعل العقائد أكبر عقبة في وجه تقدم الدراسات الإسلامية فيقول "وهنا نصطدم بأ أكبر عقبة في وجه تقدم الدراسات الإسلامية والفكر العربي، ألا وهي التسليم للعقائد ورفض تاريخية تلك العقائد"^(٦)

(١) عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨ م. ص ٤٥.

(٢) نصر حامد أبو زيد، النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٦ م. ص ١٣٩.

(٣) هاشم صالح، الانسداد التاريخي، لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، دار الساق، بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م، ص ١٩.

(٤) محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٤ م. ص ١١٩ - ١٢٠.

(٥) نصر حامد أبو زيد، النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠٦ م. ص ٣٤ - ٣٥.

(٦) محمد أركون، الفكر الإسلامي، قراءة علمية، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص ١٥.

فكل شيء إذا في نظر هؤلاء الحداثيين قابل للتغير والتبديل والتطور، فلا عقائد ولا مسلمات ولا ثوابت،! كل شيء متطور ثم لا أدري كيف يسمى أركون ما يقوم به بالدراسات الإسلامية، وهو يرفض التسليم للعقائد الإسلامية ويرميها بالجمود ويعدها أكبر عقبة في طريق التقدم.

إن الدراسات التي توصف بأنها إسلامية يجب أن تتطلق من قواعد الإسلام وتتضبط بضوابطه في حدود الفهم الأصولي لمبادئه وتقريراته ومنطقاته، أما الاجتهادات التي لا ترعوى بهذه القيود فهي إلى الضلال أقرب منها إلى الهدى وإلى الكفر أقرب منها إلى الإيمان.

ومما له علاقة بموضوع التاريخية أنه أي أركون وصف مقولة: " الإسلام صالح لكل زمان ومكان " بأنها صرامة عقائدية جامدة للتصورات القديمة الموروثة عن الإسلام، الأمر الذي جعله مستعصيا على التاريخ، لأنه فوق الزمن والواقع التاريخي.^(١)

وقوله هذا هو الباطل، لأن مقولة " الإسلام صالح لكل زمان ومكان " هي مقولة صحيحة من صميم الإسلام ، معروفة منه بالضرورة ، وليس من مقولات المسلمين التي لا أصل لها وإنما هي مقولة استنبطوها من دين الإسلام نفسه لأن ختم الرسالات الإلهية بنبو محمد ﷺ وشمولية رسالته لعالمي الإنس والجن يستلزم بالضرورة القول بأن: الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

ومما ينقض مزاعم أركون أيضا، هو أن الإسلام حاز على الصلاحية المطلقة بأمرين هامين، الأول هو ثبات الإسلام بأصوله في العقائد والأخلاق، والمفاهيم والأحكام الشرعي، وهي التي حمته من الزوبان والتلاشي، وهي التي أزعجت أركون أيضا عندما سماها: صرامة عقائدية جامدة ، فجعل الحق باطلا والإيجابي سلبيا، تعصبا منه على الإسلام.

والأمر التالي: هو أن الإسلام بكثير من أحكامه العامة غير المفصلة وبتشريعه للاجتهد وحثه عليه ، استطاع أن يواكب التطورات التاريخية في كل المجالات وتعامل معها بمرونة وإيجابية شرعية ، وبذلك استعصى الإسلام على تاريخية أركون^(٢)

وهؤلاء الحداثيون رغم أنهم ليسوا من أهل الاختصاص إلا أنهم نصبوا من أنفسهم مجتهدين ومجدين فنجد أنهم تناولوا النصوص الدينية بالبيان والتأويل وأغلبهم أطباء، ومهندسون، وأدباء، وفلاسفة.. فلم يراعوا احترام

(١) محمد أركون، الإسلام أوروبا، ص ١٣.

(٢) ينظر : خالد كبير علال ، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري - دراسة نقدية تحليلية هادفة - دار المحتسب ، ٢٠٠٨م ، ط ١ ، ص ٥٣ (بتصرف).

التخصص، وصارت النصوص كلا مباحا لغير المؤهلين؛ إذ لكل فن من العلوم أهل ذكر، هم الذين ينبغي أن يستشاروا فيه، وإلا فسيؤدي عكس ذلك إلى انتكاسة العلوم وإشاعة الجهل، وانتشار الفوضى، ونصل إلى الفوضى الفكرية تحت شعار حرية الفكر بسبب عدم البراءة في القراءة وعدم الاعتماد على شيء من أدوات الفهم والقراءة " فقد أسقطوا على النص مفاهيم لا تحتملها بنيته وأقحموا فيه من المعاني ما لا يتحملة سياقه"^(١) وقد أصل الأصوليون وفصلوا في شروط المجتهد المؤهل للتعامل مع النصوص، وليس الأمر متروكا للمثقفين والهواة كل حسب هواه فإعمال العقل في فهم النص واجب وضرورة، لكن هناك فنون وآليات وشروط تسبق العقل وترافقه في قراءة النص، فلا شك أن العقل سلاح، لكن له ذخائر إن لم توجد فليس وحده قادر على اقتناص الحقيقة. يقول الإمام الشاطبي: "ليس كل ما يقضي به العقل حقا بدليل أنهم يرتضون اليوم مذهبا ويرجعون عنه غدا، ثم يصيرون بعد غد إلى رأي ثالث، ولو كان كل ما يقضي به العقل حقا، لكفى في إصلاح معاش الخلق ومعادهم، ولم يكن لبعثة الرسل عليهم السلام فائدة"^(٢)

فالحداثيون الذين منهم أركون لم يقدموا مشروعا حضاريا للأمة، ولم يتقنوا غير النقد واللوم والتحطيم للإسلاميين أو المنادين بتطبيق المبادئ والمعايير والسياسات الإسلامية الذين لم يكونوا في موقع القرار، بل كانوا مهمشين مبعدين عن موقع الصادرة وصناعة القرار يلومونهم وكأنهم هم المسؤولون عن هذا التخلف والانحطاط.^(٣)

إن تعبئة طاقات الأمة، وتحريكها لخوض المعركة المصيرية ضد هذا التخلف ضرورة يملها الحال والواقع، ونفسية الأمة وتكوينها العقائدي والأخلاقي يشكل العامل الإيجابي الأكبر في دافعية العمل وتحريك المشاعر^(٤)، ومن هنا، فإن وقوف الحداثة في وجه الأصالة والتراث، وتشويه التاريخ وتعطيل النصوص وازدراء كل ما يرمز إلى القيم الأصيلة، من أسباب الهزيمة والإخفاق والفشل الذي منيت به الأمة، وما زالت الحداثة تعيد إنتاج الفشل والانهييار والتبعية وتلقي باللوم على الشعوب، وتتهمها بالتخلف والانغلاق والدوغمائية .

(١) حميدة النيفر، النص الديني والتراث الإسلامي، قراءة نقدية، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت ط ١، ٢٠٠٤ م. ص ٢٠١.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، تحقيق: سليم الهلالي، دار ابن عفان الخبر، ط ١: ١٤١٢ هـ، ص ١٩١-١٩٢.

(٣) ينظر: جابر عصفور، الإسلام والحداثة، ندوة مواقف، شارك فيها مجموعة من الحداثيين، دار الساقى، ط ١، ١٩٩٠ م. ص ٧٨-٧٩.

(٤) ينظر: القرضاوي، يوسف، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٧ م، ص ٨٦-٨٧.

المبحث الثالث

الدين الإسلامي برئ من الدوغمائية

مدخل

حين أقول (الدين) لا أعني الدين كما يفهمه الجامدون ولا كما يفهمه الجاحدون، فما أضع الدين إلا جامد وجاحد ، إنما أعني بالدين، الإسلام كما نزل به القرآن، وكما دعا إليه الرسول الكريم ﷺ. وتلقاه عنه صحابته رضوان الله عليهم ، وكما فهمه تيار الوسطية الإسلامية رسالة شاملة متكاملة متوازنة ترحب بالحوار وتؤمن بالتجديد، وتثير العقل والقلب، وتسعد الفرد والمجتمع وتجمع بين حسنتي الدنيا والآخرة، والدين الإسلامي بهذا المنظور بعيد كل البعد عن تهمة الدوغمائية في عقائده وشرائعه ومبادئه وأخلاقه ؛ بل نقول بكل ثقة واطمئنان أنه قد حارب هذا الجمود الفكري (الدوغمائية) ولم يقبل بتعطيل العقل في المسائل الكلية والفرعية على حد سواء بشرط ألا يتعارض ذلك مع النقل الصحيح الثابت، وبراءة الدين الاسلامي من الدوغمائية تثبت من كونه يناقضها في تعاليمه من كل وجه وهذا ما سوف أوضحه في هذا المبحث من خلال عدة مبادئ إسلامية تتجلى فيها براءة الدين الاسلامي وتعاليمه من الدوغمائية وهي كما يلي :

التسامح

كيف يكون الدين الإسلامي دين دوغمائي! والتسامح الذي تم ذكره في بداية البحث على أنه نقيض للدوغمائية، هو من أخص خصائص دين الإسلام وأشهر مميزاته، بل إنه من النعم التي أنعم بها على أضعاده وأعدائه، فلم يقتصر القرآن الكريم على إشاعة هذا الخلق فيما بين المسلمين، بل جعله عاما بين الناس جميعا، فرحمة الرسالة الإسلامية وتسامحها مقرررة بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١) وشواهد القرآن الكريم على ذلك كثيرة جدا، منها قوله تعالى ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ ﴾ (٢) فالمصاحبة بالمعروف نقيض للعداء والنفور من الآخرين الذي هو سمة الدوغمائية، وقوله سبحانه: ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

(١) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سورة لقمان: ١٥.

وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾^(١) فهذه الآية يتجلى فيها التسامح الاجتماعي في المشاعر والسلوك الذي يناقض الدوغمائية الغير مبالية بالقيم الاجتماعية مع الآخر .

وأبلغ مظاهر سماحة الإسلام تبرز في نطاق الدعوة ونشر الدين، وفي معاملة العصاة والمخالفين مما يؤكد براءة الاسلام من الدوغمائية ومنافاته لها، ويتضح ذلك فيما يلي:

أولاً : اللين في الدعوة :

إن أساس الدعوة هو القول اللين حتى لو كان المدعو من أعتى الخلق يقول الله _ عز وجل _ لموسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٢) قال الحافظ ابن كثير^(٣) بعد عرض أقوال المفسرين : « والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين سهل رفيق ليكون أوقع في النفوس و أبلغ و أنجع »^(٤) وذلك خلاف لتسلط الدوغمائية وفرضها على الغير بالقوة.

ويقول تعالى راسماً لنبيه - صلى الله عليه وسلم - وللدعاة من بعده طريق الدعوة ومنهجها : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٥) وما وصف الموعظة والجدل، بالإحسان إلا من باب التأكيد على معنى السماحة في الدعوة وعدم اتخاذ العنف وسيلة لها ؛ وذلك بخلاف الدوغمائية التي من خصائصها عدم الرغبة في فتح قنوات حوار مع الآخر ، واختيار ثقافة التسلط حيث الرغبة في التحكم في الآخرين وفرض الأفكار الدوغمائية عليهم.

ثانياً : سماحة الإسلام في التعامل مع العصاة والمخالفين:

لقد كان في سنة النبي ﷺ تقرير لسماحة الإسلام مع العصاة والمخالفين حيث بين ﷺ أن الوقوع في الذنب من طبع البشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَمْ تَذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ثُمَّ أَتَى بِكُمْ يَذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ "^(٦)، كما بينت سنته أن المعاصي درجات وإنما يعامل كل

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) سورة طه: ٤٤.

(٣) إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد ابن زيد الجهضمي الأزدي: فقيه على مذهب مالك، جليل التصانيف، من بيت علم وفضل. ولد في البصرة واستوطن بغداد ولي قضاء القضاة إلى أن توفي فجأة ببغداد. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٣١٠.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٢٦٠.

(٥) سورة النحل: ١٢٥.

(٦) رواه مسلم، كتاب التوبة: باب سقوط الذنوب بالاستغفار، حديث رقم (٢٧٤٩)، (٢١٠٦/٤)، وأحمد في مسنده حديث رقم ٨٠٦٨، ج ٨، ص ١٥٩.

عاص بحسب جرمه، إذ لو عومل الجميع بالتكفير والنهر والزجر والضرب والهجر ؛ لكان ذلك سبباً في نفورهم من الدين وانفضاض الجموع عن سيد المرسلين ﷺ، وعن دعاة الإسلام من بعده ولكن رحمة الله سابقة قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمَّ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١) فالشأن مع العاصي والمخطئ ليس زجره وتكفيره، بل دعوته إلى التوبة وتصحيح المسار، وبيان وجه الخطأ الذي وقع فيه ذلك ؛ لأن المذنبين حسابهم على ما ضلوا فيه أو انحرفوا إنما هو إلى الله يوم القيامة، وليس إلى الناس اليوم، وفي هذا يقول الله لرسوله في شأن المخالفين: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢) فهذا كله شاهد على أن التسامح في الإسلام، أصل أصيل، وسمعة بارزة وما دخول الناس فيه أفواجا بدون سائق من سيف إلا من نتاج هذه السماحة ؛ وهذا بخلاف الدوغمائية التي تنفي الآخر، وتعتبر المخالفين لها على الباطل المطلق أو كفره.

ثالثاً : حرية المعتقد

حرية المعتقد، وقبول التعايش مع الآخر رغم اختلاف العقائد من المبادئ التي تتجلى فيها سماحة الدين الإسلامي فالإسلام قد صان حرية المعتقد، ومن أجل ذلك أتاح للنصارى واليهود أن يعيشوا في ظله تحت شعار قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٣) فهذه الحقيقة الناصعة التي بعث بها سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ودعا على أساسها أهل الكتاب إلى الإسلام فإن قبلوه دخلوا في الإسلام وإن رفضوه لم يكرههم على شيء فقد " كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتاباً بين المهاجرين^(٤) والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم "

ونهى المسلمين عن انتقاص الذميين بقوله: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(٥)

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ١٥.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٠١.

(٥) أبو داود سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفئ ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا ، رقم الحديث ٣٠٥٢ ، ج ٣ ، ص ١٧٠ وهو حديث صحيح صححه الالباني. وقد قوى إسناده العراقي والسخاوي وله شواهد كثيرة.

فبعد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله وذمة دين الإسلام".^(١)

وعهد الصلح الذي تم بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبين نصارى أهل نجران - نجد فيه أيضا أن النبي ﷺ أقر لهم الحرية في عقيدتهم، فقد جاء في نص هذا العهد: " عَلَى أَنْ لَا تُهْذَمَ لَهُمْ بَيْعَةٌ، وَلَا يُخْرَجَ لَهُمْ قَسٌّ، وَلَا يُفْتَنُوا عَنْ دِينِهِمْ مَا لَمْ يُحْدِثُوا حَدَثًا، أَوْ يَأْكُلُوا الرِّبَا " ^(٢) فلهم ذمة الله وعهده، وألا يفتنوا عن دينهم، ولا يغير ما كانوا عليه، ولا يغيروا حقا من حقوقهم، وأمثلتهم - يقصد: الصلبان والصور - ولا يفتن أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته ومن هذا العهد يتبين لنا جلياً مدى التسامح الذي منحه ﷺ لأهل نجران.

ولو ألقينا نظرة على ما تضمنه كتاب الصلح الذي تم بين عمر بن الخطاب وأهل إيلياء، نجد أن عمر أعطاهم الأمان على أنفسهم، وكنائسهم، وصلبانهم وضَمِنَ لهم عدم سكن هذه الكنائس، أو هدمها، أو انتقاص شيء منها، وبمعنى أعم: ضمن ألا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم بسبب عقيدته..^(٣)

فنتبين مما سبق أن الإسلام أعطى أهل الذمة في الدولة الإسلامية حقوقهم كاملة، ولم يُكرههم على اعتناق الإسلام، كما أنه أيضا أمر ببرهم من الناحية المادية، ووصلهم بقسط من أموالنا على وجه البر والصلة، حتى ولو كانوا مخالفين لنا في الدين، كما قال الله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ يَبْرُوهُمْ وَنُقِصُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ ^(٤).

ومبدئ حرية المعتقد هذا نابع من الإيمان بحقيقة كونية وهي أن الاختلاف بين البشر سنة من سنن الله في خلقه، وهذه الحقيقة التي أقرها الإسلام تعتبر مظهرا آخر من مظاهر التسامح في هذا الدين الحنيف.

رابعا : الاختلاف سنة الله في خلقه

لقد اقتلع الإسلام جذور الدوغمانية والحدق الدين، والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه وزرع فيها التسامح، وعرفهم أن اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله وما كانت مشيئته إلا حكمة وصوابا فقال

^(١) عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ط٢، ص٣٧٣.

^(٢) سنن أي داود، كتاب الخراج والإمارة والفتى، باب أخذ الجزية، رقم الحديث: ٣٠٤١، ج٣، ص١٦٧ حكم الالباني: ضعيف الإسناد.

^(٣) ينظر: مناهج جامعة المدينة العالمية، السياسة الشرعية، كود المادة: GFIQ٥٢٠٣، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية ص ٧٦٠-٧٦٢.

^(٤) سورة الممتحنة: ٨. سورة المائدة: ٤٨.

تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾^(١)، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾^(٢) ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) وعرفهم بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لتقدم الانسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾^(٥) ثم أقر المخالفين على ما ينتحلون ويعتبرونه ديناً وسماه ديناً وحكم بأن يترك لهم فقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(٦) وأقر معابدهم وذكرها بما يقتضي وجوب احترامها بما يذكر فيها من اسم الله وقرنها بالمساجد تأكيداً لذلك الاحترام فقال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتِ صَوْمِعٌ وَبَيْعٌ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^(٧) وأقر كتبهم لهم وسماهم أهل الكتاب وأقر ما يعملونه من دينهم وسماه عملاً فقال: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾^(٨) وأقر أحكامهم فيما بينهم ومنع من من التعرض لهم إلا إذا جاءوا بطوعهم واختيارهم متحاكمين إلى الإسلام فقال: ﴿فَإِنْ جَاءَوْكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(٩)

فقد أبقى لهم الإسلام كل كيانهم الديني وجميع مقوماته، وأحاط دينهم بسياج من الاحترام بعد ما عرّف المسلمين أن ما هم عليه من تلك الأديان هو من مقتضى مشيئة الله وحكمته وفي صالح البشرية والعمران ، وأن الجزاء على ذلك إنما هو الله وحده يوم يرجع إليه العباد فقال: ﴿كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٠) ثم أمر بعد ذلك كله بالعفو والصفح عنهم مع العلم بحقيقة قصدتهم فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١١)

(١) سورة المائدة: ٤٨.

(٢) سورة يونس: ٩٩.

(٣) سورة هود: ١١٨.

(٤) سورة يونس: ١٠٠.

(٥) سورة المائدة: ٤٨.

(٦) سورة الكافرون: ٦.

(٧) سورة الحج: ٤٠.

(٨) سورة القصص: ٥٥.

(٩) سورة المائدة: ٤٢.

(١٠) سورة الأنعام: ١٠٨.

(١١) سورة البقرة: ١٠٩.

وببيان هذه الحقائق من سنن الله وحكمته، وتقرير هذه الأحكام من شريعته، ربّى الإسلام المسلمين على التسامح وكوّن نظرهم لغيرهم من أهل الملل فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئاً قد قضاه الله، واقتضته حكمته لعمارة هذه الدار وظهور آثار عدله وفضله وإحسانه ورحمته، فسلمت قلوبهم من الحقد الديني الممقوت والتعصب المذموم وجرت معاملتهم لهم في أيام قوة المسلمين وأيام ضعفهم على سنن التسامح والاحترام^(١) فاين الدوغمائية من هذا التسامح والود والصفح والاحترام للآخر؟

خامسا : رحابة الثقافة الإسلامية

وسعت الثقافة الإسلامية في رحابها الفسيحة الأديان المختلفة والأجناس المختلفة، والألوان المختلفة واللغات المختلفة، ولم تضيق بدين ولا عرق ولا لون ولا لسان وكانت هذه الثقافة تجسد (التنوع) في إطار (الوحدة) ولا غرو أن عاش في ظلها اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أهل الملل والنحل غير مُضيق عليهم في عقائدهم أو عبادتهم وشعائهم، ولم تعش هذه الأديان والعروق المختلفة على هامش الحضارة الإسلامية، بل ساهمت في شتى مجالات هذه الحضارة.

ولم يفرض الإسلام على غير المسلمين الذين يعيشون في كنفه وفي ظلال حضارته أن يلزمهم بأحكام شريعته فيما يتعلق بخصائصهم الدينية، مثل الزواج والطلاق ونحوها من شؤون الأسرة، أو ما يسمى (الأحوال الشخصية) وجاء عن الصحابة في ذلك: أتركوهم وما يدينون.

بل ذهب بعض فقهاء المسلمين إلى أننا لا نفرض عليهم قوانيننا الجنائية، إلا إذا رضوا بها، واستدلوا في ذلك بقول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٢)

قارن هذا بما تفعله اليوم بعض دول الحضارة الغربية، التي تفرض على المسلمين أن يخالفوا دينهم جهرة، وأن يعرضوا عن أحكام شرعهم وأوامر ربهم، علانية، إذ لا تتسع الفلسفة القائمة، التي انبثقت عنها الأنظمة والقوانين، لفئات تخالف الأغلبية في عقائدها وقيمها وأحكامها؛ ولهذا يجد المسلم الملتزم بدينه حرجا في أنظمة الزواج والطلاق والميراث التي لا تتفق مع أحكام شريعته ويفرض عليه القانون أن يطيعها ويضرب بشريعته عرض الحائط.^(٣)

(١) ينظر: عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩ هـ) آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، (عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ ميلادية)، ط١، ج٣، ص ٨٨ - ٨٩ بتصرف.

(٢) سورة المائدة: ٤٢.

(٣) ينظر: القرضاوي، يوسف، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشوق، القاهرة، ٢٠٠٠م - ١٤٢١ هـ، ط١، ص ٢٥-٢٧.

فالتسامح لا يعني إلغاء الخصوصيات بقدر احترامها بشكل متساو لجميع أبناء المجتمع، أي أن وجود مجتمع متعدد الأديان والمذاهب لا يعني إلغاء الخصوصيات التي تنطلق من عناصر الالتزامات الدينية والمذهبية ... أو النزاع الشخصية في مسألة العلاقات الخاصة والعامة، بل كل ما هناك أن يركز المجتمع على قاعدة الاحترام للخصوصيات في نطاق النظام العام الذي يحفظ للمجتمع سلامته واستقامته وتوازنه، بحيث لا يعتدي فريق على فريق آخر ولا يضطهده في خصوصياته.^(١)

وبعد عرض مظاهر التسامح في الدين الإسلامي نجد أن تحديد (اليونسكو) للتسامح قريب من التصور الإسلامي للتسامح حيث تقرر اليونسكو " إنه يتفق تماما مع احترام حقوق الإنسان القول بأن الأخذ بالتسامح لا يعني التسامح تجاه الظلم الاجتماعي، أو تنازل الإنسان عن معتقداته، أو التغاضي عن بعضها، إنه يعني أن تكون للإنسان الحرية في التزام ما يعتقد وقبول حرية الآخر في الالتزام بما يعتقد، إنه يعني قبول حقيقة أن البشر بحكم الطبيعة يختلفون في صورهم وأوضاعهم ولغاتهم وسلوكهم وقيمهم، ولهم الحق في أن يعيشوا في سلام وأن يكونوا كما هم، فالتسامح يعني تسليم الإنسان بأن عقائده يجب أن لا تفرض على الآخرين".^(٢)

فكيف لمنصف بعد أن يطلع على خاصية التسامح التي هي من لوازم الدين الاسلام أن يتهمة بالدوغمائية أو يتهم من يتبع منهجه بأنه دوغمائي وليس مبدئ التسامح فقط ما يجعل الاسلام منافي للدوغمائية بل هناك أيضا مبادئ أخرى منها ترحيبه بالحوار مع الآخر، والحث عليه ويتبين ذلك في النقاط التالية.

الإسلام دين يرحب بالحوار

الدين الإسلامي يرحب بالحوار مع الآخر بل يدعو إليه، ولا يخاف منه وهذا بعكس الدوغمائية وإنكارها للآخر ومحاوراته، ومن قرأ القرآن ألفاه كتابا حافلا بالحوار على مستويات شتى حوار بين رسل الله _ عليهم السلام _ وأقوامهم كما نجد ذلك جليا في حوار إبراهيم مع قومه في سورة الأنعام وفي سورة الأنبياء وفي سورة الشعراء، وفي حوار لأبيه في سورة مريم، كما نجد ذلك في حوار شعيب لقومه في سورة هود وكذلك في سورة الأعراف والشعراء وغيرها، ومثل ذلك في حوار كلیم الله موسى مع فرعون في سورة الشعراء على وجه الخصوص وفي سور أخرى، وأجل وأكبر من ذلك كله حوار الله _ تعالى _ مع خلقه كما يتجلى ذلك في رد

(١) ينظر : ماجد الغرباوي ، التسامح ومنابع اللاتسامح ، ص ٨٤.

(٢) صالح بن عبد الرحمن الحصين ، التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، مؤسسة الوقف ، الرياض ، ط ١ : ١٤٢٩ هـ ، ص ٢٧-٢٨.

القرآن على أباطيل المشركين، وعلى شبهاتهم وإقامة البراهين العقلية على ما ينكرونه من الوجدانية والبعث وإرسال الرسل مبشرين ومنذرين.^(١)

كما تتضح دعوة الاسلام للحوار في أمر الله _ سبحانه _ نبيه _ صلى الله عليه وسلم _ بالحوار والنقاش والجدال مع غير المسلمين ؛ لتبيان الحق في جميع المسائل فقال سبحانه لنبيه، ولمن جاء بعده من المؤمنين: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٢) .

ويؤكد ذلك أيضا مطالبة الله عز وجل في كتابه المخالفين بالإتيان بالدليل والبرهان على صدق أقوالهم ومعتقداتهم في غير آية من آيات القرآن الكريم، فقال سبحانه: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (٣) وقال أيضا: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ اتَّخَذُوا لِكُلِّ قَبْلٍ هَذَا أَوْ أَثَرًا مِّنْ عِلْمٍ إِنَّ كُنُوزَ صَدِيقَتِ ۖ ﴾ (٤) وغير ذلك من الآيات الكثيرة المطالبة بالدليل والبرهان.

فقد دعا الإسلام إلى الحوار العلمي الهادئ المتزن القائم على المسلمات العقلية وقواعد المنطق المتفق عليها بين العقلاء ؛ ذلك أن الحوار هو النافذة المطلقة على عقلية الآخر، فالآخر بالنسبة لنا مجهول حتى يتكلم ويفتح لنا المجال لنخوض رحلة اكتشافه واكتشاف عقليته وبالتحديد ما فيها من أفكار وأراء وتوجهات، وليس في مناقشة رأي الآخر والحوار معه غضاضة أو قمع أو اضطهاد لأي من حقوقه، بل إن مناقشة فكره يمثل إحتراما له باعتباره نتاجا له ويوحي بالاهتمام به من خلال دراسته في كل عناصره الايجابية والسلبية.^(٥)

فيتضح مما سبق أن الإسلام يدعو إلى الحوار والمناقشة، وطرح قضايا العقيدة للحوار الفكري ولا يفرضها فرض ولا يلزم بها دون قناعة، بل بسند من الدليل العقلي والنقلي، واعتماد لمنهج الحوار والمناقشة والتحليل والنقد للأفكار؛ وذلك بخلاف الدوغمائية التي تمنع الحوار وتحرم المناقشة وتفصل بين فكرها وفكر الآخر دون محاولة لإيجاد نقاط اتفاق أو تواصل.

(١) ينظر: القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص ٩٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٤.

(٤) سورة الأحقاف: ٤.

(٥) ينظر: ماجد الغرباوي، التسامح ومنابع اللاتسامح، ص ٨٨.

حرية الفكر وإعمال العقل

لقد حرر الإسلام الفكر الإنساني من ربقة الجمود، وسما به عن الارتكاس في حماة التقليد، ولم يسمح له بالانطلاق وراء الوهم والخيال بل رسم له الحدود ووضع بين يديه المعالم على الطريق فدعاه للتأمل وإعمال عقله، ووصف من لا يستخدم عقله في الوصول إلى الحقيقة ونزل بهم إلى الدرك الأسفل فألحقهم بالأنعام بل جعلهم أضل سبيلا لأن الأنعام ليس لها عقول ؛ وقد جعل الإسلام المعرفة شرطاً للإيمان، فالاعتقاد الحق هو الناشئ عن دليل وفهم وليس الموروث أو الناشئ عن اضطرار أو عن تقليد مجرد.

ولتأكيد ذلك دعا الإسلام إلى حرية الرأي والفكر، وخلص من سلطان الماضي وتحكم الآباء واستبعد الأعراف والتقليد وذم الأشخاص المقلدين، وذم الرجل الإمامة الذي يقول إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت،^(١) فقد ورد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال " لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا " (٢)

فالأساس في العلوم الدينية والثقافة الإسلامية هو أن يدرس المسلم علوم دينه ويفكر فيها بحرية، وينتقي منها بوعي فهو حر في البحث حول مصادر الدين وفي قبول ما يتوصل إليه بدراسته وبحثه فثمة عشرات الآيات والروايات التي تدعو الإنسان إلى الخروج من ظلمة الجهل إلى نور العلم؛ لئلا يقع في تقليد الأبحار والرهبان أو الآباء والأجداد وغيرهم، وتدعوه إلى الاعتماد على العلم، وما يتوصل إليه بنفسه فالأساس هو العمل بالقناعة الذاتية، أما التقليد فهو حالة استثنائية ومرحلة متدنية جداً، والاجتهاد هو القمة التي ينبغي على المؤمنين جميعاً أن يرتقوها، فإن عجزوا عنها كان لهم أن يقلدوا من يرونه أهلاً للتقليد.

أما قول بعض الجاهلين بأن التقليد المطروح في الفقه هو نوع من الطاعة العمياء لعدم فسح المجال للمناقشة بين المجتهد والمقلد، فهو في الحقيقة مجانب للصحة ولا يعدو أن يكون قولاً بغير علم فالمقصود بالتقليد، أو الرجوع إلى أهل الخبرة في الأحكام الشرعية ليس الاتباع الأعمى فمثل، هذا الأمر بعيد عن الروح العلمية للإسلام التي تقوم على أساس البحث والتحقيق والوعي، وإلى جانب ذلك ليس هناك من يدعي أن اتباع المجتهد أمر تعبدى يقطع على المقلد كل طريق للبحث والتحقيق بل جميع الفقهاء مجمعون على أن المقلد إذا ما تيقن من خطأ المقلد في فتواه لم يجز له العمل بهذه الفتوى.

(١) ينظر : حسين بن سعيد القحطاني، التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوجماتية) لدى طلبة كلية المعلمين بمدينة تبوك ، ص ٥٠ .
(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، رقم الحديث : ٢٠٠٧ (٤ / ٣٦٤) . وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . و(الإمامة): هو الذي لا رأى له فيواتي الناس بالخير والشر.

وإذا اتضح لنا أن التقليد طريق للذين يعجزون عن الاجتهاد، والاستنباط لمعرفة تكليفهم الشرعي وبأن لنا أنه ليس مجرد حركة عمياء، بل هو حركة واعية ومدرسة، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هل يكون التقليد في جميع جوانب الدين أم يقتصر على جانب الأحكام فقط؟

إن دائرة التقليد في العلوم الإسلامية محدودة، وحتى في الأحكام فإنه إنما يسوغ في الفروع منها فقط، أما ضرورات الدين، وأصوله فلا يجوز فيها التقليد، فمثلاً لا يجوز التقليد بشأن الاعتقاد بوجوب الصلاة، والحج، والزكاة، والصوم، وما إلى ذلك بل على المسلمين جميعاً أن يتوصلوا بأنفسهم للاعتقاد بهذه الأمور من خلال العلم والوعي، بينما يجوز تقليد ذوي الخبرة الثقة في فروع هذه الأحكام والعمل بما يوافق رأيهم. ^(١)

كما أنه " لا خلاف بين العلماء يذكر في النهي عن التقليد في جانب العقائد ويبقى أمر التقليد في الأحكام الشرعية الفقهية والتقليد في عرف الفقهاء، هو قبول قول الغير من غير حجية، ولا يسمى الأخذ بالكتاب والسنة أو الإجماع تقليداً لأن ذلك هو الحجة في نفسه ومن المعلوم أن كل ما نص عليه الكتاب والسنة نصاً صريحاً لا يجوز العدول عنه إلى ما يؤدي إليه الاجتهاد، وكذلك ما أجمع عليه علماء المسلمين، لا يصح أن يخالف فيه وانحصر الخلاف (في الاجتهاد أو التقليد) في الأحكام الشرعية التي لم ينص عليها الكتاب ولا السنة، ولم يجمع على حكمها علماء الأمة في عصر من العصور، وقد صرح الأئمة الأربعة بالنهي عن التقليد، وبتقديم النص على آرائهم " ^(٢)

والإسلام كدين يوصي أتباعه بالانفتاح الدائم على العلم والمعرفة كما جاء في الخبر (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها)، بل تقوم فلسفة الإسلام أساساً على محاربة الأفكار المتصلبة التي تشكل أغلالاً للعقل قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٣) أما العقيدة الإسلامية فقائمة على ضرورة النظر والاجتهاد، ولا يجوز فيها التقليد والإتباع الأعمى وإنما يجب على كل مسلم تحصيل العلم فيها بالدليل والبرهان، وبذلك يكون الإسلام كدين أبعد ما يكون عن وصف الدوغمائية طالما يطالب الجميع بضرورة النظر والاجتهاد فيما يجب الإيمان به

فقد شجع الإسلام كدين على السؤال، وأمر به قال الله _ تعالى: ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤)

^(١) ينظر: آراء في المرجعية الشيعية، مجموعة من الباحثين، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط ١: ١٥٤١هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٤- ٢٥.

^(٢) محمد حامد الناصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميدان التغريب، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ط ٢، ص ٥٠.

^(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

^(٤) سورة النحل: ٤٣.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: " العلم خزائن ومفتاحه السؤال فسألوا رحمكم الله فإنما يؤجر في العلم ثلاثة القائل والمستمع والأخذ"^(١) وعليه لا يوجد أي مبرر نتهم به الدين الإسلامي بالدوغمائية طالما شجع على السؤال، وأمر بإعمال العقل والتفكير، ولم يفرض عقائده على أتباعه فرض تسلط وإجبار.

كما شجع الإسلام أيضا على الانفتاح العقلي والاختلاف في، الرأي فقد أخرج البخاري أن النبي _ صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: " لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة " فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها (ديار بني قريظة) وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي _ ﷺ فلم يعنف واحدا منهم"^(٢). فالمسلم إذن له أن يأخذ بظاهر النص وله أن يستنبط من المعاني ما يحمله النص، ويمكن التدليل عليه، ولا لوم على من بذل جهده وكان مؤهلاً لهذا النوع من الجهد.^(٣)

فالإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آباءه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يسخره باسم الدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشرار، ولا يكلفه في أمر من هذه الأمور شططا يقول تعالى: ﴿ لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾^(٤) ويدعوه إلى إعمال عقله، والسؤال والبحث عن الحقائق، وعدم الجمود على ما لديه من أفكار واجترارها، دون وعي ومن خلال كل ذلك يتضح مدى تناقض الاسلام مع الدوغمائية إذ هو مخالف لها من كل وجه.

وحدة الأخلاق وعالمية الرسالة

لا يعترف الدين الإسلامي بتجزئة الأخلاق، أخلاق لمعاملة المسلمين وأخرى لغير المسلمين، فالخير خير للجميع والشر شر على الجميع، والحلال حلال لكل والحرام حرام على الكل، لا كما جاء في التوراة المحرفة، من تحريم الربا إذا كان بين الإسرائيليين وبعضهم وبعض، أما مع غير الإسرائيليين فلا بأس به ولا حرج فيه، فاحترام الإنسان ورعاية فطرة الإنسان وكرامة الإنسان وحقوق الإنسان مبادئ أساسية في الاسلام، فهو يقوم على اعتبار أن الإنسان " مخلوق مكرم " من ربه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(٥) وأن الله جعله في الأرض خليفة، وأنه تعالى سخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

(١) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، الفقيه و المتفقه، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١ هـ، ج ٢، ص ٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء، رقم الحديث ٩٤٦، ج ٢، ص ١٥.

(٣) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٧ م، ص ٣٥.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) سورة الإسراء: ٧٠.

كما يدل على تكريم الاسلام للإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن جنسه أو لونه، أو لغته أو موطنه، أو طبقته، بل عن دينه نفسه، ما رواه البخاري " إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةٌ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا» " (١) بلى، ولكل نفس في الإسلام حرمة ومكان ، وتبعاً لذلك نجد أن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية مفتوحة لكل الجماعات البشرية، غير مغلقة على نفسها ولا متعصبة ضد غيرها، مثل الثقافة اليهودية المغلقة، التي تقوم على تمجيد جنس خاص وشعب معين ، حتى وصفت الله بأنه " رب إسرائيل " واعتبرت الشعب الإسرائيلي وحده - كجنس - شعب الله المختار لكن بخلاف ذلك الإسلام عالمي الرسالة، من أول يوم جاء يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ (٢) وغيرها لا " يا أيها العرب " ويدعو إلى الله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣) وغيرها لا " رب المسلمين ولا رب العرب وحدهم " ويعلن أن دعوته عامة لا خاصة (٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥) فنرى من خلال ذلك كله وحدة الاخلاق الاسلامية وعالمية الرسالة وعدم انغلاق الاسلام في دعوته لا على المسلمين فقط ولا على العرب فقط، فهو لا يضع حدود فاصلة بين البشر كما هي سمة الدوغمائية، وإنما يربطهم جميعاً برابط الأخوة في الإنسانية.

الاعتزاز بثقافتنا لا ينافي الانفتاح بضوابطه

أود أن أقرر هنا حقيقة مهمة، قد تخفى أو تلتبس على كثيرين، وهي: أن اعتزازنا بثقافتنا، المعبرة عن هويتنا، ورفضنا الذوبان في الآخرين، ومقاومة تيار (العولمة) أو (التطبيع) أو (التغريب) الغازي لعقل الأمة وضميرها لا يعني (الانغلاق الدوغمائي) عن ثقافات الآخرين، وإقفال الأبواب كلها دون أي استفادة مما لديهم مما قد ينفع من حق، فجرت سنة الله أن يتخلل الباطل بعض الحق الذي لا ينتبه إليه إلا أولو البصائر، الذين يستلونه استللاً من بين ركام الباطل، ولا يمنعونهم اتصاله أو امتزاجه بالباطل أن يقتبسوه وينتفعوا به" (٦) ومن دلائل الانفتاح في الثقافة الإسلامية ما يأتي :

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب من قام لجنازة يهودي ، رقم الحديث : ١٣١٢ ، ج ٢ ، ص ٨٥

(٢) سورة البقرة: ٢١.

(٣) سورة الفاتحة: ٢.

(٤) ينظر: القرضاوي، يوسف ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ، ص ٢٤ - ٢٥ (بتصرف)

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٦) القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص ٣٥.

الإيمان بالكتب والرسل السابقين

فالإسلام قد فرض على المسلم أن يؤمن بكل كتاب أنزل وبكل نبي أرسل ولا يقبل إيمانه، ولا يصح إسلامه إلا بهذا قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

كما أن القرآن جاء مؤكدا لما جاءت به الكتب السابقة من الحقائق والعقائد والأصول التي لا تختلف فيها الأديان، وهي التي نزل فيها قوله تعالى: ﴿ * شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٢) ومن هنا جاء الإسلام ليتمم ويبني، لا يلغي ويهدم، إلا ما كان من باطل.

الرسول أبقى الصالح من أحوال لجاهلية

فهو لم يلغ كل ما كان عليه العرب قبل الإسلام بل ألغى الفاسد وأبقى على الصالح من أعرافهم وعقودهم ومعاملتهم فنجد أن عبادة مثل الحج أبقي الإسلام على الكثير من مناسكها التي توارثها العرب من ملة إبراهيم مثل الطواف والسعي بين الصفا والمروة وغيرها، وحذف منها ما يخالف عقائد الإسلام وقيم الإسلام مثل قولهم في التلبية: لبك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك يعنون الاصنام كما أبطل الطواف بالبيت في حالة العري وكذلك في أمر الزواج والبيوع وغيرها. (٣)

شرع من قبلنا

إن من أبرز الأصول الإسلامية التي تنفي عن الإسلام الدوغمائية هو اعترافه بالحق لدى الآخرين ليس هذا فقط، بل اتخاذه هذا الحق شريعة له يلتزم بها المسلم في حياته فالإسلام لا ينغلق على إنتاجه الخاص متجاهل كل ما سبقه إذ أنه لا يشترط للحقيقة حتى تثبت أن نجد لها شواهد من ثقافتنا ، فإن عدم وجود مانع لدينا كاف لإزالة كل الحواجز التي تقف في وجه قولها، وإن كل ثقافة تقبل من النظم والآليات واللوائح والإجراءات ما لا يتعارض مع مبادئها العليا.

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة الشورى: ١٣.

(٣) ينظر: القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص ٣٦ - ٣٧.

ومن هذا المنطلق ذهبت العديد من المذاهب الفقهية إلى اعتبار شرائع من قبلنا من الأديان السماوية أحد أصول الفقه الإسلامي، وأكدت على أن (شرع من قبلنا هو شرع لنا ، مالم يأت ما ينقضه) فالقول الراجح: إنه دليل معتبر ما لم يأت في شرعنا ما ينسخه، وإلا فلما ذكره القرآن ؟ ومن ذلك اتصاف المرشحين للأعمال والوظائف بالقوة والأمانة معا، أخذاً مما ذكره القرآن من قول ابنة الشيخ الكبير: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَجْرَةُ إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(١) واستدلوا بخرق الخضر للسفينة على قاعدة شرعية مهمة جدا وهي قاعدة ارتكاب أخف الضررين.^(٢)

ذلك لأن الثقافة الإسلامية تعمل على تعزيز النزعة الموضوعية، وتحفز على تنميتها والالتزام بقيمها وتجعل الاهتمام بالموضوعات ومضمونها بؤرة الاهتمام ومحل النظر، وموضع البحث وفي الوقت ذاته تعمل على إضعاف الذاتية أو الشخصية وتهميش تأثيرها، وكل ذلك ينوء بها عن سلوك مسار التفكير الدوغمائي.

المسلم يلتمس الحكمة من أي وعاء خرجت

إن المسلم الحق المنطلق من تعليم الإسلام ليس دوغمائيا كما يتصوره أو يصوره بعض الناس إنسان متوقفا مغلقا على نفسه، قد وضع على عينيه غشاوة فلا يرى شيئا خارج محيطه، وسد أذنيه فلا يسمع إلا لشيوخته، وأغلق على عقله بقفل محكم فلا يفتحه لشيء غير ما لقنه، وإن قام عليه برهان العقل أو دليل الحس، أو سلطان الواقع، إن المسلم الحق قد تعلم من كتاب الله ومن سنة رسول الله أن الحق يلتمس في آفاق الكون، وفي أغوار النفس، أو في عبر التاريخ، كما قال تعالى: ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا بُصُرُونَ^(٤)

وقد نقل القرآن بعض كلمات تعبر عن الحقيقة من أناس لم يكونوا مؤمنين، كما رأينا نقله قول ملكة سبأ في وصف المستعمرين إذا دخلوا بلدا ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾^(٥) وقد علمنا القرآن الكريم من خلال قصصه التي يسوقها عبرة لأولي الألباب ، أن الإنسان من قديم

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) ينظر: القرضاوي، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص ٣٨

(٣) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

(٤) سورة النمل: ٣٤.

الزمان تعلم من غراب وأن نبي الله سليمان _ عليه السلام _ استفاد من الهدد بعض ما لم يكن يعلم والنبي ﷺ قال: " أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد بن ربيعة : ألا كل شيء ما خلا الله باطل"(١)

ومن هنا لم يجد المسلمون حرجا في عصورهم الذهبية أن يقتبسوا العلوم الكونية من الطب والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها من أمم الحضارات القديمة كالليونان والفرس والروم (٢)

تجديد الدين

" والتجديد المقصود ليس تغييرا في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم ، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة ، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين "(٣)

وكيف لا نؤمن بالتجديد، وهذا رسولنا يقول بصريح العبارة مبشرا لأمته : "إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها" (٤)

فليس لقائل أن يقول: كيف يجدد الدين وهو نصوص محكمات، وآيات كريمات وأحاديث شريفات ؟

والرد عليه: إن تجديد الدين بمعنى: تجديد الإيمان به وتجديد الفهم له ، والفقه فيه وتجديد الالتزام والعمل بأحكامه وتجديد الدعوة إليه، ولهذا عرف تاريخ أمتنا مجددين من أمثال عمر بن عبد العزيز _ رحمه الله _ الذي جدد سنن الخلفاء الراشدين بعد اندثارها ، والشافعي الذي وضع علم أصول الفقه، والذي يعد من أكثر النماذج الفقهية في الإسلام مكافحة ورفض للدوغمائية، وعمل بالتجديد والتطور حسب ما تقتضيه الظروف الزمانية والمكانية، وبما لا يتعارض مع شرع الله فقد اختلف مذهب الفقهي في مصر عن مذهب القديم في العراق، وذلك عكس الفكر الدوغمائي الذي لا يغير من اتجاهاته بالرغم من تغير الظروف، و أيضا الغزالي الذي أحيا الله به علوم الدين ، وابن القيم وابن الوزير وولي الله الدهلوي ، وغيرهم .

(١) متفق عليه عن أبي هريرة . محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد (المتوفى: ١٣٨٨ هـ) ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان دار إحياء الكتب العربية - محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ) ودار الحديث، القاهرة، بتاريخ: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، توزيع: دار الريان للتراث، رقم الحديث: ١٤٥٤ ج٣، ص٧٨.

(٢) ينظر: القرضاوي ، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، ص ٣٩ - ٤٢ .
(٣) التجديد في الإسلام، المنتدى الإسلامي، الجزء الاول ، ص ٢٤ نقلا عن : محمد حامد الناصر العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص ٣٥٧.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المائة ، رقم الحديث ٤٢٩١ ، ج ٦، ص ٣٤٩ إسناد صحيح: "صحيح الجامع الصغير" للالباني ص ١٤٣.

بالنظر إلى العلاقة بين الدوغمائية والتدين نجدها غامضة، وهذا يعود إلى عدم أتساق نتائج الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع في توضيح العلاقة بينهما، إلا أن بعض الدراسات ترى أن التدين المفرط يؤدي إلى الدوغمائية وبالتالي إلى موقف معادي من (الديانات الأخرى) لذلك نجد بعض الدراسات أظهرت وجود علاقة موجبة بين التدين والدوغمائية والبعض الآخر لم يصل لأي علاقة جوهرية بينهما، فالدين في حد ذاته ليس سببا مؤديا إلى التعصب ولكن الأمر مرتبط بفهم الأفراد للتعاليم الدينية بطريقة تدفعهم للتعصب ، فيجب إذاً الحذر في تعميم نتائج الدراسات على جميع الأديان أو المجموعات الدينية، لأن أغلب الدراسات في هذا المجال تستخدم المنهج الارتباطي^١ وليس التجريبي وأيضاً لا يمكن إغفال تأثير المتغيرات الحضارية والنوعية.

ومن هذه الدراسات التي أوضحت العلاقة بين التدين والدوغمائية دراسة (سميه بن لمبارك) على طلاب الجامعة التي أظهرت أن طلاب أقسام العلوم الشرعية أقل دوغمائية من طلاب الأقسام العلمية، وأرجعت الباحثة في تفسيرها تلك النتيجة أن النطق في الدين الحنيف والبحث فيه يزيد من درجة انفتاح الذهن لمختلف القضايا.^(٢)

وأيضاً دراسة الخضر (٢٠٠٠) حول العلاقة بين السلوك الديني والشخصية أحادية العقلية وقد أظهرت ارتباطاً سالباً دالاً إحصائياً بين السلوك الديني وبين أحادية العقلية أي أن الأشخاص المتفهمين في الدين لديهم انفتاح عقلي، أما دراسة القحطاني (٢٠٠٧) حول التدين وعلاقته بالدوغمائية أظهرت وجود ارتباطاً موجباً ضعيف جداً بين الدوغمائية والتدين ، فقد فسر التدين (١ %) فقط من مقدار الجمود الفكري لدى الطلاب^(٣).

وفي دراسة (لبني الصراف) قد بلغ معامل الارتباط بين التدين والجمود الفكري حيث يشير معامل الارتباط إلى وجود علاقة دالة إحصائية ، لكن الإشارة السالبة تدل على ان الارتباط أو العلاقة عكسية ، أي كلما قلت

^١ المنهج الوصفي الارتباطي (منهج الدراسات الارتباطية) أحد أنواع المناهج الوصفية، ويستخدم في قياس العلاقة بين متغيرين (متغير مستقل، ومتغير تابع)، وهل هذه العلاقة موجبة أم سالبة، ومن ثمّ التنبؤ بمستوى معين من الدلالة في صورة رقمية، وتعتبر العلاقات الارتباطية بمثابة خطوة أولية تنحى بالباحث نحو دراسة أكثر شمولاً، ومن ثمّ الارتقاء في خطوات تالية نحو دراسة سببية أو تجريبية تُعد أكثر قدرة على الوصول لنتائج أكثر منطقية، ويستخدم في قياس الترابط بين المتغيرات كثير من معاملات الارتباط (بيرسون، سبيرمان، كندل، وتتراوح النسبة بين ١ : ١). ينظر : موقع مبعث للبحوث والدراسات الأكاديمية .

^(٢) ينظر: بن لمبارك، سمية، أسلوب الدوغمائية لدى الطلبة الجامعيين، ص ٩٦.

^(٣) ينظر : حسين بن سعيد القحطاني ، التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوغمائية) لدى طلبة كلية المعلمين بمدينة تبوك ، ص ٧٦.

درجة التدين زادت درجة الجمود الفكري (الدوغمائية) والعكس صحيح) وهذه النتيجة ظهرت ؛ لأن التدين والجمود الفكري على طريق نقض فكلما كانت حالة التدين عالية كلما كانت درجة الدوغمائية ضعيفة جدا (١)

وبالنظر إلى الدين الإسلامي الحنيف نجده أنه قد حض على التفكير، وإعمال العقل وعدم التقيد بالأفكار أو الاعتقادات بدون اختبار أو تمحيص أو مناقشة فالإسلام أوصى بتفتح العقل عكس مبادئ وسمات الدوغمائية، إذ أنها تعني امتلاك الحقيقة أو الانغلاق والتشدد برأي معين والتمسك به على الرغم من ظهور حجج وبدائل جديدة، فهي هنا نقيض للعقل النقدي، وفي المقابل لا بد للمعتقدات أن تُبنى على براهين، فالدين الإسلامي جاء ليرسخ التفكير النقدي كما حدث مع سيدنا إبراهيم _ عليه السلام _ مع عقائد قومه في الكواكب والنجوم عندما شك فيها، وأيضاً حينما طلب منهم البرهان وسعى له حتى في سؤاله لله _ تعالى _ ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾ قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّطَمَإِنَّ قَلْبِي ﴿١﴾ وأراه الله البرهان بمعجزة ولم ينكر عليه السؤال، وكذلك موسى _ عليه السلام _ حين سأل ربه أن يراه، فالعقل لا مصادرة عليه، وإنما تحميه في النهاية حدوده وسقف بشريته، فالقرآن الكريم يؤكد على إمكانية المعرفة ووجود معايير للمعرفة الحقة.

إن الدين الإسلامي بما هو وضع إلهي، فإنه أبعد ما يكون عن الدوغمائية فتعاليمه ومبادئه وشريعته تنافي الدوغمائية في مظهرها وجوهرها، فهو يدعو إلى التسامح والحوار، وإعمال العقل في كل ما يعرض للمسلم من أمور حياته، وينبذ التقليد والجمود والاتباع الأعمى بدون بينة أو دليل، كما أنه يدعو إلى احترام الآخر المخلف معنا في الدين والرأي، كما أن الثقافة الإسلامية ثقافة منفتحة على غيرها تعترف بما لدى الآخر من الحق وتستفيد منه، كما تسعى إلى تجديد وتطوير نفسها بما يتفق مع الظروف الزمانية والمكانية وبما لا يخالف ثوابت الدين الحنيف، هذه بالنسبة للدين أما التدين الذي هو التزام أحكام الدين فقد أجريت دراسات تربوية متخصصة لضبط علاقة الدوغمائية بالتدين، وقد أسفر جلها عن عدم وجود ارتباط بينهما وفي بعضها كان الارتباط ضعيفاً جداً، وفي البعض الآخر كان الارتباط عكسياً مما يعكس التنافي بينهما، ويثبت براءة الدين الإسلامي من الدوغمائية ومخالفته لها من كل وجه .

(١) ينظر : الصراف ، لبنى عبد الرسول ، التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوغمائية) لدى طلبة جامعة الكوفة ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، ص ١٤١ .
(٢) سورة البقرة: ٢٦٠ .

الخاتمة

وتشتمل على

أولاً: النتائج

ثانياً: التوصيات

أولاً: النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبتوقيفه تَحَقُّقُ الغايات ، أحمده _ عز وجل _ أن هداي لإتمام هذا العمل، وسدد خُطاي، وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وبعد:

فقد منَّ الله . تعالى . عليَّ بإتمام هذا البحث، بعد رحلة طويلة من البحث والاجتهاد وقد كانت خاتمة هذا الجهد الوصول إلى جملة من النتائج والتوصيات التي أدعو الله تعالى أن تكون مفيدة لمن يطلع على هذا البحث ويحاول خوض غمار هذا الموضوع من جوانب أخرى أو من يسعى إلى التوصل لحل مشكلة الدوغمائية في المجتمعات الإنسانية بشكل عام والمجتمع الإسلامي بشكل خاص وهذه هي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال هذا البحث وأرجو من الله القبول وما كان من توفيق فهو من الله وحده وما كان من خطأ أزل فمني ومن الشيطان والله المستعان.

(١) أن مفهوم الدوغمائية واسع ولكنه في مختلف الحالات يؤدي إلى نفس المعنى وهو أنه عبارة عن أمر، أو قاعدة ، أو عقيدة، مبنية على أساس وإِه لم يسبق نقده فهي معتقدات وآراء غير مبرهن عليها ببراهين قاطعة من العقل أو الواقع، ولكن تم الإيمان بها إيماناً راسخاً على أنها حقيقة مطلقة غير قابلة للنقاش أو النقد، حتى وإن وجد دليل ينقضها فهو غير معترف به، ولا يلتفت إلي من يقدمه، مع نبذ من يخالف هذه العقيدة وإنكاره واتهامه بالكفر والهرطقة.

(٢) أننا كلما مددنا أعيننا في الزمان والمكان، أدركنا أنه لا توجد عقائد أو أيديولوجيات حسنة تماماً أو شريرة تماماً. يوجد فقط أناس علي قناعة راسخة بأن بعض الأفكار تمثل الخير المطلق والأفكار المعارضة تمثل الشر المطلق، وهذا يحدث لأن هؤلاء يفسرون بطريقة جامدة المثل والنواميس التي انتقلت إليهم من خلال معلمين مبرزين، ومن خلال حكمة تكونت عبر آلاف السنين، مثل ونواميس أصبحت في النهاية سجناً لهم، لا يمكنهم التحرر منها حتى وأن غيروا الظروف.

(٣) أنه منذ بدء الخليقة والمجتمعات تعرف العديد من الصراعات بين هذه الطائفة أو تلك أو بين صاحب اعتقاد وآخر، نزعات وإن اختلفت وتنوعت حسب نوعية كل ظرفية وأخري فأنها تشكل صراعات عنصرية أساسها التمييز علي أساس اللون، أو الدين و الانتماء لصاحب هذا الطرح أو ذاك من أجل التأسيس للرأي الأوحد والقناعة اليتيمة " الدوغمائية " إلا أن المشترك بين كل هذا وذاك يظل العنف وعدم اعتبار الآخر أو احترامه و ما يصطلح عليه بالتطرف " الدوغمائي " .

- (٤) أن الفكر الدوغمائي ليس شيء مستحدث وإنما هو فكر له جذوره التاريخية في حياة الإنسان سواء كانت هذه الجذور دينية أو اجتماعية أو سياسية أو حتى من ناحية النشأة النفسية في علم النفس .
- (٥) ظهور الدوغمائية في حياة الفرد أو الجماعة يرجع لأسباب عديدة قد تكون نفسية أو اجتماعية أو معرفية .
- (٦) أن المؤسس الحقيقي للنزاعات الدوغمائي المتطرفة في الديانات السماوية لا يكمن في بنية النص المقدس عموماً مع أن لكل قاعدة استثناء ولكنها تكمن في التعامل مع النص فهما وتنزيلاً ولا يوجد إنسان معصوم من الخطأ في الفهم والتنزيل.
- (٧) أنه قد تجمعت لدى اليهود كل أسباب الدوغمائية سواء نفسية نتيجة لما تعرضوا له من ذل واضطهاد ومهانة أو اجتماعية نتيجة الشتات والنقل الجماعي الدائم والشعور بالظلم الاجتماعي أو المعرفية بسبب ضياع توراتهم وقلة علمهم وانغلاقهم على أنفسهم .
- (٨) أن النقد التاريخي الذي أنهى العهد القديم إلي ركام من الأساطير لم يبلغ تعلق عامة اليهود حتى الملحد من منهم، بما فيه من تعاليم ووصايا ومؤشرات أخلاقية وسلوكية تتضح بالدوغمائية.
- (٩) أن عقيدة الشعب المختار التي يتشبث بها اليهود ما هي إلا دوغمائية باطلة لا أصل لها من الوحي الإلهي لأنها تناقض مفهوم العدالة الإلهية وتركيز مفاهيم العنصرية والاستعلاء وإنكار الآخر وعدم الاعتراف بحقه ولا سند لها من عقل سليم خالي من الأهواء والضلال.
- (١٠) إن عقيدة أرض الميعاد التي يتمسك بها اليهود ويزعمون من خلالها أن أرض فلسطين حق مطلق لهم لا ينازعهم فيه غيرهم عقيدة دوغمائية لا تثبت أمام النقد العلمي لا من الناحية الدينية ولا من الناحية التاريخية والدليل على ذلك بطلان أدلتهم على هذه العقيدة ؛ ومع ذلك يتمسكون بها بنوع من التعسف والتزمت الدوغمائي منكرين حق العرب في هذه الأرض رغم وضوح هذا الحق سواء من الناحية الدينية أو من الناحية التاريخية.
- (١١) أن دوغمائية الهولوكوست تكمن في تلك الهالة المقدسة التي وضع فيها ما تعرض له اليهود على يد النازيين من مبالغة وفرادة وتميز واختلاق للعديد من الأحداث والتفاصيل وعلى الجانب الآخر محاربة إي رؤية نقدية لتلك الصورة النمطية التي تبناها اليهود للهولوكوست فأى بحث علمي أو تاريخي دقيق لهذه الحادثة يطالب بالحقائق المجردة يعد محرماً ويجب العقاب عليه.

- (١٢) أن انقسام اليهود إلى فرق وجماعات وحركات مختلفة كان أثرا للدوغمانية التي شكلت جزءا من التعصب والعنف بين الجماعات الدينية، إذ أن هذه الدوغمانية من سماتها جعل الأفراد متشددين دينيا، يرون جماعتهم بمنزلة أفضل وأقوى من الجماعات الأخرى مما يحفزهم ذلك على الشعور بالعداوة والكراهية والتنافس الديني والمذهبي، وتمنحهم مبررات غير منطقية نحو القيام بأعمال العنف ونبذ الأفراد الذين يختلفون معهم بالرأي.
- (١٣) أن الصهيونية تعتبر أحد أهم نتائج وآثار الدوغمانيات التي اعتنقها اليهود وقد ظهرت لديهم بعد أسر بابل واستمرت إلى العصر الحاضر ولكن لم تحقق أهدافها الا بعد أن استخدمت اخس الأساليب ذلك لأن الصهيونية عبارة عن أيديولوجية انعزالية تقوم على فكرة الدم والأرض.
- (١٤) أن الصهيونية تعد امتدادا وتطورا للأفكار الدوغمانية عند اليهود تبلورها بما يتناسب مع العصر الحديث وتظهرها في شكل جديد ولكنها تتبع النهج القديم نفسه من الانغلاق على الذات وتمجد العنصر اليهود وازدراء الآخر واضطهاده وإنكار حقوقه بشكل كلي والسعي لفرض رؤيتهم الدوغمانية بالسلطة والقوة في احتلال الأرض وإخراج أهلها منها
- (١٥) أن كل الادعاءات التي نادى بها بولس كانت بمثابة البذور للعقائد الدوغمانية التي وجدت لدى أتباع النصرانية حيث أن الديانة النصرانية تقوم اليوم على تلك المزاعم التي نادى بها بولس من ألوهية المسيح وصلبه وغيرها دون أن يكون لهذه العقائد أصل من الدين الصحيح الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.
- (١٦) تشربت الديانة النصرانية بعد رفع المسيح _ عليه السلام _ الأديان الوثنية التي توجهت إليها، وقد كان هذا التشرب من أهم أسباب ظهور الدوغمانية عند النصارى إن لم يكن أهمها على الإطلاق.
- (١٧) الأنجيل المعتمدة عند النصارى ككتب مقدسة مشكوك في نسبتها إلى من تنسب إليهم كما أنها غير متواتر الإسناد بالإضافة إلى احتوائها على العديد من الاغلاط والمتناقضات مما يجعل تقديسها والإيمان بها دوغمانية.
- (١٨) أن المجامع النصرانية كانت أهم مؤسس للأفكار والعقائد الدوغمانية بفرضها صفة القداسة على تلك العقائد التي تقرها وفرضها الإنكار والحرمان على من يخرج على هذه العقائد أو ينادي برأي مخالف لما أقرته تلك المجامع.

(١٩) أن حركة الإصلاح الديني وإن كانت قد نشأت نتيجة للممارسات الدوغمانية التي سيطرت على توجهات الكنيسة وسلوكها إلا أنها لم تكمل طريق الإصلاح إلى آخره بل ما لبثت أن تحولت هي الأخرى إلى حركة دوغمانية تحارب مخالفيها ولا تجعل موضع للتسامح مع الآخر هذا بالإضافة إلى ما زالت تعتقه من دوغمائيات الكاثوليك.

(٢٠) تمارس الجماعات والمعتقدات الدينية أثرا كبيرا على حياة الأفراد الشخصية والاجتماعية إذ ترجع معاملات الناس اليومية وتفاعلاتهم وقرارتهم إلى ما تفرضه جماعتهم الدينية من أحكام ، وما توصي به من معايير وقيم وعبادات متنوعة وبذلك فإن للجماعة الدينية سلطة كبيرة على توجيه الناس وتحريكهم نحو القيام بسلوكيات وافعال معين تتسجم مع منظومتها ومخططاتها المعرفية الجماعية

(٢١) الفصام الموجود بين المذاهب الإسلامية أصله تراكمات تاريخية أعطت بعض الأحداث بعدا فكريا وفلسفيا وعقديا وحولت النزاع السياسي إلى تباين عقيدي وفكري وفقهي ، طالما انتهى إلى التكفير والإقصاء عن الدين والحقيقة . ولو أتيح هامش من الحرية يسمح بتناول المفردات العقيدية والتاريخية المنتجة للتعصب بشكل حر لتبين أن كثير منها أوهام وأكاذيب وفبركات اقتضتها المصالح الايديولوجية ولأوضح أيضا أن الخلافات التاريخية لا تقتضي هذا القدر من العدا والحساسية ، وثمة أصول عقيدية منصوصة متفق عليها تؤكد إيمان الجميع وعدم كفرهم.

(٢٢) جمعت في إطار واحد سلسلة طويلة من الأحداث والعناصر التي توضح كيف أن أشكال اللاتسامح المختلفة ؛ التعصب الديني، وكراهية الأجانب، والعنصرية ، والشمولية ، والتطهير العرقي وهكذا دواليك ما هي إلا أوجه مختلفة لمنشور واحد وجوانب لظاهرة واحدة ترتبط بقوة فيما بينها ويمكن إرجاعها لمصدر واحد مشترك ألا وهو اليقين المطلق أي المذهب اليقيني الدوغمائي ؛ فتعتبر الدوغمانية هي الدافع المحرك لهذا العمل والخيط الخفي الذي يربط بين أكثر أشكال اللاتسامح تباينا ورفضاً لآخر وما أنتجته من تقسيم وانشقاق وشقاق بين أتباع الدين الواحد وما تبعه من عزلة وتقوق على الذات.

(٢٣) أن الدوغمانية توفر القاعدة المعرفية لظهور النزاع والتخالف مع أبناء الجماعات الدينية الأخرى وتدفع الأفراد نحو إعلان القطعية والمعاداة لهم كذلك تؤدي الدوغمانية بالأفراد إلى تقييم الجماعات المستهدفة بصورة عدائية في ضوء التعبير بألفاظ الكراهية والصور الانفعالية الغاضبة والصريحة والتي تعلن عن مدى رفضهم وامتعاضهم لها (جوييم ، زنادقة محكمة ، نواصب)

(٢٤) أن اتهامات أركان التراث الإسلامي بالدوغمائية بعد تحليلها والرد عليها اتضح أنها نوع من الدوغمائية في التمسك بالمنهاج والرؤى الغربية وتقليدها دون موازنة وتحليل لطبيعة استخدامها وإمكانية تطبيقها على نصوص الكتاب والسنة .

(٢٥) أن الدين الإسلامي بما هو وضع إلهي فإنه أبعد ما يكون عن الدوغمائية فتعاليمه ومبادئه وشريعته تنافي الدوغمائية في مظهرها وجوهرها فهو يدعو إلى التسامح والحوار وإعمال العقل في كل ما يعرض للمسلم من أمور حياته وينبذ التقليد والجمود والاتباع الأعمى بدون بينة أو دليل كما أنه يدعو إلى احترام الآخر المختلف معنا في الدين والرأي كما أن الثقافة الإسلامية ثقافة منفتحة على غيرها تعترف بما لدى الآخر من الحق وتستفيد منه، كما تسعى إلى تجديد وتطوير نفسها بما يتفق مع الظروف الزمانية والمكانية وبما لا يخالف ثوابت الدين الحنيف.

(٢٦) أجريت دراسات تربوية متخصصة لضبط علاقة الدوغمائية بالتدين وقد أسفر جلها عن عدم وجود ارتباط بينهما وفي بعضها كان الارتباط ضعيفا جدا وفي البعض الآخر كان الارتباط عكسيا مما يعكس التنافي بينهما.

ثانيا: التوصيات

- (١) إن الجمود والانغلاق والانكفاء حول النفس والعيش في عالم آخر بعيد عن عالمنا الحالي، من شأنه أن يحدث فجوة بيننا وبين الواقع؛ لذلك لابد من التجديد والانفتاح المنضبط، إذ هو ليس مجرد أمر مشروع وجائز ومقبول، وليس مجرد حق من حقوق العقل المسلم على أهل الذكر والاختصاص من علماء الإسلام، وإنما هو سنة وضرورة وقانون، فإذا لم نفعل ذلك ساد الجمود والتقليد، وهذا يؤدي إلى عجز الشريعة والدين لأن تكون صالحة لكل زمان ومكان ولا شك أن للعلماء دور هام في التأثير على المجتمعات في هذا الأمر.
- (٢) تطبيق الأساليب الحديثة في التعليم من مشاركة وتفاعل وعصف ذهني وأسلوب ناقد، وإلغاء الطرق القديمة من التلقين والتقليد وعدم الحوار مع المعلم والإكتفاء بالتلقي المحض.
- (٣) قيام أئمة المساجد وعلماء الأزهر الشريف بالتوعية بخطورة الجمود الفكري والدوغمائية من خلال المنافذ المتاحة سواء في شكل دروس علمية مباشرة أو كتابات أو برامج حوارية عن طريق أجهزة الاعلام المختلفة.
- (٤) البحث عن حلول تمتد إلى الجذور، وتعيد انتاج الثقافة والمعرفة من جديد انتاجا يزيح عنها تراكم عهود طويلة من التخلف ومن فقه النزاع والتخندق الطائفي الذي انتجته تلك العهود إنتاج بمستوى المسؤولية أمام الرسالة التي سوت بين البشر ووضعتهم على بساط واحد.
- (٥) فتح نوافذ حوار بين الشيعة والسنة لتقريب الرؤى ونبذ الفرقة والتحرر من الأفكار الدوغمائية.
- (٦) توجيه طلاب الدراسات العليا للكتابة حول الاتجاهات الفكرية المعاصرة والأطاريح الحداثية بصورة معمقة ومناقشة أفكارها بمنهج علمي رصين.
- (٧) العمل على إيجاد مرصد فكري يقوم برصد الأفكار والتوجهات الهدامة والتي تتكاثر تكاثر بيض الأفاعي وإحالتها على أهل الفكر والاختصاص لمناقشتها، لما قد يكون لها من خطورة على النشئ والأمة، مع الاستفادة من الشبكة العنكبوتية التي توفر الجهد وتضاعف الاستفادة من أكبر عدد ممكن من أهل العلم والتخصص، والعمل على إقامة منتديات فكرية تعنى برصد ومناقشة الأفكار التي تطرحها النخب الثقافية الحداثية.

٨) إن خطوات قيام (مجتمع متسامح) لا دوعمائي تبدأ من العقل من نقد الأنساق المعرفية ، تبدأ من نقد العقيدة والفكر والثقافة ، ليصار إلى فهم بديل للدين والحياة والمجتمع يساعد على استتباب قيم التسامح إذ السلوك والأفعال الخارجية والمواقف لا تصدر إلا عن فكر مؤسس داخل العقل، ولا تتطلق إلا في ضوء مفاهيم ومقومات متجذرة في اللاوعي مالم يتم نقد هذه المفاهيم وتفكيكها تبقى على فاعليتها داخل بنيتها المعرفية مهما كان نوع الصيغ العلاجية، ويبقى منهج الإقصاء وعدم الاعتراف بالآخر بل والتكفير والرفض متفشيا في المجتمع ويتجلى عبر صيغ مختلفة.

٩) عقد كثير من المؤتمرات والندوات التي تناقش مفهوم الدوعمائية لتحليله وإيجاد حلول للحد منه. هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث فأرجو أن أكون قد وفقت في تناول موضوع البحث فإن كان كذلك فلسان حالي ومقالي يرددان قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] وإن كانت الأخرى فأسال الله أن يغفر لي وحسبي أنني حديثة عهد بالبحث العلمي، وما أنا وبحتي إلا كنبئة تنمو بحسن الرعاية وجميل النصح من أهل العلم والفضل في هذا الصرح العلمي العامر المبارك .

**أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

الباحثة

عبير أحمد محمد أحمد

مدرس مساعد بقسم العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات سوهاج

الفهارس الفنية

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم - جلّ من أنزله - .

ثانياً: الكتب الإسلامية

- (١) ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ج٤ ، ج١٣ ، ج١٩ .
- (٢) ——— ، منهاج السنة النبوية ، التحقيق: محمد رشاد سالم ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، ج٣، ج٧ ، ج٨ .
- (٣) ——— ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م ، ج ٦ .
- (٤) ابن جرير الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ج٤، ج٨، ج١٩ .
- (٥) ——— ، تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، دار التراث - بيروت - ، ط٢: ١٣٨٧ هـ، ج ٥ .
- (٦) ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ ، ج ١ .
- (٧) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤٢٢ هـ، ج١ .
- (٨) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ج١، ج٤ ، ج٥، ج٦ .
- (٩) ——— ، البداية والنهاية ، دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م ، ج٦ .
- (١٠) ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م ، ط٢، ج١ .
- (١١) أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م ، ط١، ج٤ ، ج٧ .

- (١٢) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣: ١٣٩٢هـ، ج٢.
- (١٣) أحمد ولد محمد محمود الشيخ، المنطق وأصول الفقه، الناشر دار الكتب العلمية، ٢٠١٣م.
- (١٤) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٥هـ، ج٣، ج٢٠.
- (١٥) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- (١٦) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ، ج١.
- (١٧) الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) الجامع الكبير - سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٨ م.
- (١٨) الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (١٩) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، الفقيه و المتفقه، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ، ج٢.
- (٢٠) سعيد بن علي بن وهف القحطاني، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة - المفهوم والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط، والنواقص، والنواقض، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ج٢.
- (٢١) سيد سابق (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي - بيروت.
- (٢٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ج٢.
- (٢٣) ———، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٥.
- (٢٤) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١: ١٤١٤هـ، ج٤.
- (٢٥) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج٦.

- (٢٦) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ج ٥.
- (٢٧) عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة دراسة علمية حول مظاهر الغلو ومفاهيم التطرف والأصولية، مؤسسة الرسالة، ط ٢: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٨) عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك، شرح العقيدة الطحاوية، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، ط ٢: ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- (٢٩) عثمان جمعة ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تقديم: الدكتور/ عبد الله بن عبد الكريم العبادي، مكتبة السوادي للتوزيع ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ط ٢.
- (٣٠) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣: ١٤٢٠هـ، ج ٢٥.
- (٣١) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي (المتوفى: ٤١٥هـ)، تثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى - شبرا - القاهرة، ج ١.
- (٣٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد، شرح الأصول الخمسة، تعليق: الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبية.
- (٣٣) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة.
- (٣٤) محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط ٣.
- (٣٥) محمد بن خليل حسن هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، شرح العقيدة الواسطية، ضبط نصه وخرّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ ج ١.
- (٣٦) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م ج ١٢.
- (٣٧) محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد (المتوفى: ١٣٨٨هـ)، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان دار إحياء الكتب العربية - محمد الحلبي (بدون طبعة وبدون تاريخ) ودار الحديث، القاهرة، بتاريخ: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، توزيع: دار الريان للتراث، رقم الحديث: ١٤٥٤، ج ٣.
- (٣٨) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٣٩) المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، ط١٣٥٦: ١هـ، ج٢، ٣.

ثالثاً: كتب المعاجم والموسوعات والقواميس

٤٠) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: ٤٣٨هـ) الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط٢: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ط٢، ج١.

٤٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ ط٣ أبي عبد الله عامر عبد الله فالح، معجم ألفاظ العقيدة، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين، مكتبة العبيكان، ط١: ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ج١، ج٢، ج٣.

٤٤) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، نسخة الشاملة، ج٢، ص٩٠، [الكتاب مرقم آلياً غير موافق للمطبوع]

٤٥) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٤٦) اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل احمد خليل، منشورات عويدات بيروت - باريس، ٢٠٠١ م، ط٢، المجلد الأول.

٤٧) بطرس البستاني، دائرة المعارف: قاموس عام لكل فن ومطلب، بيروت: المطبعة الكاثوليكية ج٢.

٤٨) البعلبكي، منير، ورامز منير البعلبكي، المورد الحديث قاموس إنجليزي عربي، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ٢٠٠٨ م.

٤٩) جلال الدين سعد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر والتوزيع تونس.

٥٠) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، مكتبة المشعل، بيروت ط٥، ١٩٨١ م ص٤٦٧، ٤٦٨.

٥١) جورج بوست، قاموس الكتاب المقدس، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٨٩٤ م، ج١ ج٢.

٥٢) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط٣.

٥٣) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ج٦.

- ٥٤) جويس م. موكنز، جونوسترن، جوليا سوانل، قاموس أكسفورد المحيط انجليزي عربي ترجمة د. محمد بدوي، اكاديميا، بيروت، لبنان.
- ٥٥) خشبة، سامي، مصطلحات فكرية، القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.
- ٥٦) دائرة المعارف البريطانية لعام ١٩٨٢م، ط٥، ج١، ص٨٧٩.
- ٥٧) روزنتالوب يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، الناشر: دار الطليعة بيروت.
- ٥٨) روني إيلي ألفا، أعلام الفلسفة العرب والأجانب بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ط١، ج١، ج٢.
- ٥٩) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج٣٠.
- ٦٠) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط١٥: ٢٠٠٢م، ج٣.
- ٦١) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٦٢) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب مكتبة المدرسة دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- ٦٣) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ج١، ج٢.
- ٦٤) عبد الكافي، اسماعيل عبد الفتاح، معجم مصطلحات عصر العولمة (مصطلحات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية وإعلامية).
- ٦٥) عبد المنعم الحفني، الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، مكتبة مدبولي - القاهرة، ط١ ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٦٦) عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج١٣.
- ٦٧) فخر الدين الطريحي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني مؤسسة التاريخ العربي، ج١.
- ٦٨) فريدريك لوبرون، قاموس السوسولوجيا، ترجمة زكريا الإبراهيمي.
- ٦٩) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٧٠) الكيلاني، عبد الوهاب، وآخرون، موسوعة السياسة، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج٢، ج٣.

- (٧١) مجلس التحرير: الدكتور القس صمائل حبيب – القس فايز فارس – القس منيس عبد النور - جوزيف صابر قاموس الكتاب المقدس (دار المعارف الكتابية)، دار الثقافة، ط ٢ ج ٥.
- (٧٢) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٩هـ.
- (٧٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة، ج ١، ج ٢.
- (٧٤) محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة المحقق: محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م ج ٧.
- (٧٥) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية تاج العروس: ج ٥.
- (٧٦) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط ١٩٧١م، ج ١.
- (٧٧) المسيري، اليهود واليهودية والصهيونية الموسوعة الموجزة، القاهرة، دار الشروق ٢٠٠٦م، ط ٣، مج ٢.
- (٧٨) المسيري، عبد الوهاب محمد، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية (رؤية نقدية)، القاهرة، مكتبة المهتدين، ١٩٧٥م.
- (٧٩) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة ط ١، ١٩٩٩م.
- (٨٠) المنجد في اللغة والأعلام جزء الأعلام، دار المشرق، بيروت، ط ٢٩: ٢٠٠٨م.
- (٨١) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، ط ٥: ٢٠٠٧م.
- (٨٢) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م ج ١.
- رابعا: مراجع ومصادر اليهودية والنصرانية
- (٨٣) الاب آي. بي. براناتيس، فضح التلمود – تعاليم الحاخامات السرية، اعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ط ٤.
- (٨٤) الاب مايكل برير، الكتاب المقدس، والاستعمار الاستيطاني أمريكا اللاتينية جنوب افريقيا فلسطين، ترجمة أحمد الجمل وزباد منى، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط ٢: ٢٠٠٤م.
- (٨٥) إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال "العصور القديمة"، ط مكتبة الوعي العربي ١٩٦٩م.
- (٨٦) إبراهيم خليل أحمد، الغفران بين الإسلام والمسيحية، دار المنار، القاهرة، ط ١: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٨٧) إبراهيم سليمان الجهان، معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير، عالم الكتب السعودية، ١٩٨١.
- (٨٨) إبراهيم موسى هندوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة.
- (٨٩) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المحقق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، ط ١: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ٩٠) ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد ، دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ج١، ج٢، ج٣، ج٤ .
- ٩١) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ج ١ ج ٢، ج ٤.
- ٩٢) أبو زهرة ، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرّت عليها عقائد النصاري وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم)، دار الفكر العربي - القاهرة ، ط ٣ : ١٣٨١ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٩٣) أحمد إدريس ، تاريخ الإنجيل والكنيسة، دار الحراء، مكة، ١٩٨٧.
- ٩٤) أحمد اييش ، التلمود كتاب اليهود المقدس تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه ، قدم له سهيل زكار ، دار قتيبة .
- ٩٥) أحمد حجازي السقا ، نقد التوراة (أسفار موسى الخمسة) السامريه، العبرية واليونانية مكتبة النافذة.
- ٩٦) أحمد حجازي السقا، أقانيم النصارى، دار الأنصار القاهرة ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ٩٧) أحمد ديدات، مناظرتان في استكھولم، ترجمة : علي الجوهري، دار الفضيلة ..
- ٩٨) أحمد ديدات، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ترجمة : إبراهيم خليل أحمد ودراسة تحليلية وتقديم : نجاح الغنيمي، دار المنار، ط ١ : ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.
- ٩٩) أحمد ديدات، وأنيس شروش، مناظرة العصر بقاعة ألبرت بلندن، ترجمة : علي الجوهري ، دار الفضيلة
- ١٠٠) أحمد شلبي ، المسيحية مقارنة الأديان (٢) ، القاهرة ، مكتبة النهضة، ط ١٠ : ١٩٩٨ م .
- ١٠١) أحمد شلبي ، مقارنة الأديان اليهودية، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٨ ، ١٩٨٨ م .
- ١٠٢) أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١١ ، ٢٠٠٠ م.
- ١٠٣) أحمد عبد الوهاب ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب ، مكتبة وهبة صفحة، ط ٢ : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٠٤) أحمد عجيبة ، تأثر المسيحية بالأديان الوضعية ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ط ١ : ٢٠٠٦ م .
- ١٠٥) أحمد عجيبة ، موسوعة العقيدة والأديان أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، دار الأفاق العربية، القاهرة ، ط ١ : ٢٠٠٤ م.
- ١٠٦) أحمد مختار رمزي ، عقائد أهل الكتاب - دراسة في نصوص العهدين - دار الفتح للدراسات والنشر ، عمان ، الاردن ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م .
- ١٠٧) أديب نصر الدين ، الينابيع في المسيحية والاسلام ، بيروت ١٩٩٤ .
- ١٠٨) الأعظمي ، محمد ضياء عبد الرحمن ، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند ، مكتبة الرفشد ، الرياض ، ط ٣ : ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- ١٠٩) الإمام الألوسي ، الجواب الفسيح لما لفته عبد المسيح ، أحمد حجازي السقا، ج ١ .
- ١١٠) أيوب بك صبري أدام ، الجوهر الفريد في رد التثليث وتأييد التوحيد ، العامرة ، الشرقية ط ١ ، ١٣١٩ هـ.
- ١١١) البار ، محمد علي ، تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية ، دار القلم ، دمشق ، الدار الشامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١١٢) باروخ سبينوزا ، رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة حسن حفني ومراجعة فؤاد زكريا ، مؤسسة هنداوي.
- ١١٣) بسمة أحمد جستنيه ، تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ١١٤) بهاء النحال ، تأملات في الأنجيل والعقيدة ، ط ٢ : ١٩٩٤ ، عدد الأجزاء : ١ ، [الكتاب مرقم آليا].
- ١١٥) البيروتي ، محمد طاهر التنير ، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحو للنشر .
- ١١٦) التغلبي سهيل ، الصهيونية تحرف الإنجيل ، مجموعة مهتدون ، ١٩٩٩ م.
- ١١٧) توفيق الطويل ، الاضطهاد الديني في المسيحية ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة.
- ١١٨) جاد المنفلوطي ، تاريخ المسيحية (المسيحية في العصور الوسطى) دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية.
- ١١٩) الحسن بن طلال ، المسيحية في العالم العربي ، مكتبة عمان ، الاردن ، ١٩٩٥ م.
- ١٢٠) حسن ظاظا ، أبحاث في الفكر اليهودي ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٢١) حسن ظاظا ، الشخصية الإسرائيلية ، دار القلم ، دمشق ، ط ١ : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٢٢) حسن ظاظا ، الفكر الديني الاسرائيلي أطواره ومذاهبه ، معهد البحوث والدراسات العربية.
- ١٢٣) حسن ظاظا وآخرون ، الصهيونية العالمية وإسرائيل ، الهيئة العامة للكتب والأجهزة لعلمية ، القاهرة ، ١٩٧١ م
- ١٢٤) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون ، ترجمة: محمد خليفة التونسي (نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر) (المتوفى: ١٤٠٨ هـ) ، قدم له: عباس محمود العقاد دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ط ٤ .
- ١٢٥) الخلف ، سعود بن عبد العزيز ، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ، مكتبة اضواء السلف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ت ١٤٢٥ هـ — ٢٠٠٤ م ، ط ٤ .
- ١٢٦) د. روهلينج ، الكنز المرصود في قواعد التلمود ، ترجمه من الفرنساويه: يوسف نصر الله .
- ١٢٧) الدسوقي ، محمد كمال ، الصهيونية والنازية ، دراسة مقارنة ، مصر ، ١٩٦٨ م.
- ١٢٨) ربحي كمال ، دروس اللغة العبرية ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م ، ط ١ .

- (١٢٩) رجا عبد الحميد عربي ، سفر التاريخ اليهودي اليهود تاريخهم عقائدهم فرقهم نشاطاتهم سلوكياتهم الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية ، دمشق ، الأوائل ، ط٢ ، ٢٠٠٦م.
- (١٣٠) رجبنا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية وجذورها في التاريخ الغربي ، ترجمة : أحمد عبد الله عبد العزيز ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٥م.
- (١٣١) روجه جارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، تقديم محمد حسنين هيكل القاهرة ، دار الشروق ، ط٤ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- (١٣٢) رؤوف شلبي ، أضواء على المسيحية دراسات في أصول المسيحية ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت.
- (١٣٣) رؤوف شلبي ، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، مكتبة الأزهر ، ط١ : ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، ج١.
- (١٣٤) زامل ، مريم عبد الرحمن عبدالله ، موقف ابن تيمية من النصرانية ، جامعة أم القرى مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ج٢ .
- (١٣٥) ساجد منير ، المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل ، دار السلام للنشر والتوزيع.
- (١٣٦) سارة بنت حامد بن محمد العباوي موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله ، مكتبة الراشد ، الرياض ، ط١ : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- (١٣٧) سعد الدين السيد صالح ، مشكلات العقيدة النصرانية ، طبعة دار الأرقم للطباعة والنشر الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.
- (١٣٨) سعد الدين صالح ، العقيدة اليهودية وخطرها علي الإنسانية ، دار الصفا ، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (١٣٩) سعد الدين صالح ، مشكلات العقيدة النصرانية ، مطبعة دار البيان ، القاهرة ، ١٩٨٣م.
- (١٤٠) سلطان عبد الحميد سلطان ، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط١ : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (١٤١) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ) بذل المجهود في إفحام اليهود، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، ط١.
- (١٤٢) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ)، إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ ، تقديم ، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية ، ط١ : ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (١٤٣) سوسة ، أحمد ، أبحاث في اليهودية والصهيونية ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، أربد - الأردن ، ٢٠٠٣م .
- (١٤٤) سيد احمد الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية ، دار النهضة العربية ، ط٢ : ١٩٩١م
- (١٤٥) سيد فراج راشد ، السامريون واليهود ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- (١٤٦) صابر طعيمة ، الأسفار المقدسة قبل الإسلام دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية، عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- (١٤٧) الطهطاوي ، محمد عزت الطهطاوي ، النصرانية والإسلام ، مكتبة النور .
- (١٤٨) ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، الناشر: دار النفائس، الطبعة: الثامنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (١٤٩) عابد توفيق الهاشمي، فلسطين في الميزان، مؤسسة الرسالة، ط١ : ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- (١٥٠) عابد توفيق الهاشمي، التربية في التوراة ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
- (١٥١) عابد توفيق الهاشمي، العقيدة اليهودية في تملك فلسطين ونقدها دار اقرأ - اليمن ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ط ١.
- (١٥٢) العاني، عثمان سعيد، الأساطير التاريخية اليهودية حول أرض المسجد الأقصى، دار النهضة ، دمشق، ط١،ت: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- (١٥٣) عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب ،طبع في القاهرة سنة ١٣٥١هـ.
- (١٥٤) عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة : فهمي شمّا، مراجعة وتعليق: أحمد محمد الصديق، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، ط١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٥٥) عبد الرحمن الباجه جي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق ، تصحيح ومراجعة : عبد المنعم فرج درويش، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧هـ.
- (١٥٦) عبد الرحمن بن سليم البغدادي الشهير بباجه جي زاده ، الفارق بين المخلوق والخالق طبعة مكتبة الثقافة الدينية- تعليق د/ أحمد حجازي السقا، طبعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- (١٥٧) عبد الكريم الخطيب ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار الكتب الحديثة ، ط١: ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- (١٥٨) عبد الله التل ، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ، دار القلم.
- (١٥٩) عبد الوهاب صالح الشايع ، تاريخ النصرانية مدخل لنشأتها ومراحل تطورها عبر التاريخ ، ٢٠١٥.
- (١٦٠) عرفان عبد الحميد فتاح ، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، دار عمار.
- (١٦١) عرفان عبد الحميد فتاح ، اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية ، دار عمار، عمان ، ط١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (١٦٢) علاء أبو بكر، المسيحية الحق كما جاء بها المسيح بين الالتزام والتحريف ودعوة الإسلام ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٧م.
- (١٦٣) على وافي، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ط دار النهضة العربية.
- (١٦٤) عمر رشدي، الصهيونية ورببيتها اسرائيل ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢ : ١٩٦٥م.
- (١٦٥) الفاروقي ، اسماعيل راجي ، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث والدراسات العربية مكتبة وهبة .

١٦٦) الفاضلي، داود علي ، أصول المسيحية كما يصورها القرآن، مكتبة المعارف، الرباط ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.

١٦٧) فتحي محمد الزغبى، تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٦٨) فنكلشتاين، نورمان ، كيف صنع اليهود الهولوكوست ؟ (المحرقة) ، ترجمة ماري شهرستان، صفحات للدراسات والنشر.

١٦٩) قدح ، محمود عبد الرحمن ، موجز تاريخ الأديان اليهودية والنصرانية.

١٧٠) القس انسلم تورميدا الشهير بعبد الله الترجمان الاندلسي، تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب ، تحقيق: محمود علي حماية، دار المعارف ، القاهرة ط٣.

١٧١) كامل سغان ، اليهود من سراديب الجيتو إلي مقاصر الفاتيكان ، دار الفضيلة.

١٧٢) مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (المتوفى: ١٣٩٣ هـ)، وجهة العالم الإسلامي - الجزء الثاني (المسألة اليهودية)، مكتبة الأسد - آفاق معرفة متجددة، ط١: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .

١٧٣) مانع بن حماد الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ، ج ٢.

١٧٤) مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وكالة الطباعة والترجمة ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٣هـ ، مقال أ/ إبراهيم خليل أحمد.

١٧٥) محمد أحمد الحاج ، النصرانية من التوحيد إلى التثليث ، دار القلم دمشق ، دار الشامية ، بيروت ط١ : ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

١٧٦) محمد خليفة حسن أحمد ، تاريخ الديانة اليهودية، دار قباء ، القاهرة ، ط١: ١٩٩٨م.

١٧٧) محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي (المتوفى : ١٣٠٨هـ) إظهار الحق، دراسة وتحقيق وتعليق : الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ج١، ج ٢، ج ٣.

١٧٨) محمّد رشيد رضا، عقيدة الصلب والفداء، طبعة دار الفتح للإعلام العربي ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

١٧٩) محمد شريدة، شخصيات إسرائيلية، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق ط١: ١٩٩٥م.

١٨٠) محمد عبد العزيز منصور، يامسلمون اليهود قادمون، دار الاعتصام.

١٨١) محمد مجدي مرجان، الله واحد أم ثلوث ، مكتبة النافذة، الجيزة ، ط١ ، ١٩٧٢م ، ط٢ ٢٠٠٤م.

١٨٢) محمد وصفي ، المسيح بين الحقائق والأوهام ، دار الفضيلة.

١٨٣) المسيري ، عبد الوهاب ، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلي انتفاضة الأقصى دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط٢ ٢١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

١٨٤) المسيري ، عبد الوهاب ، اليهود والصهيونية واسرائيل ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ط١، ت: ١٩٧٥.

- ١٨٥) مصطفى شاهين، النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتبا ومذاهب، دار الاعتصام .
- ١٨٦) المطعني، عبد العظيم إبراهيم المطعني، الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، دار الوفاء، المنصورة، ط١: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٢: ١٤٢٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٨٧) مناظرة بين الإسلام والنصرانية، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية، مثل الجانب الإسلامي في المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازي والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٢: ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٨٨) منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة؟، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ١٨٩) منقذ بن محمود السقارة، هل افتدانا المسيح على الصليب؟، الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط١: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ١٩٠) ناصر بن عبد القفاري وناصر عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، الناشر دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ت١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ١٩١) النعامي، صالح محمد، في قبضة الحاخامات تعاطم التيار الديني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية، الرياض، البيان، ١٤٣٥هـ .
- ١٩٢) نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الاسلام، دار الأوائل .
- ١٩٣) نويهض: عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الجليل، عمان، ١٩٨٤م، المجلد ٢ الجزء ٤ .
- ١٩٤) وشاهين مكاربيوس، تاريخ الإسرائيلين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .
- ١٩٥) ول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت (المتوفى: ١٩٨١م)، قصة الحضارة، تقديم: الدكتور محيي الدين صابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود وآخرين، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- ١٩٦) يوسف العاصي إبراهيم الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجزء ٢ - الممارسة - سبل المواجهة)، صوت القلم العربي، مصر، ط٣: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ج٤ .
- خامساً: مراجع ومصادر النصرانية لمؤلفين نصارى
- ١٩٧) الأب بولس إلياس اليسوعي، يسوع المسيح، المطبعة الكاثوليكية بيروت .
- ١٩٨) أفلاطون مطران موسكو، الخلاصة الشهية في اخص العقائد والتعاليم الأرثوذكسية عربيه بتصرف يوحنا حزبون، منشورات النور بيروت .
- ١٩٩) أندرو وطن، شرح أصول الإيمان، راجعه: إبراهيم سعيد، مطبعة النيل المسيحية ١٩٣٠، القاهرة، ص٤٦،
- ٢٠٠) أندريه نايتون وإدغار ويند وكارل غوستاف يونغ، الأصول الوثنية للمسيحية، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية .

- (٢٠١) بطرس ديناسيوس، القول الصريح في تثليث الأقانيم وتجسيد المسيح، مطبعة الوطن القاهرة ، ط١: ١٩٨١م.
- (٢٠٢) بولس إلياس اليسوعي: يسوع المسيح شخصيه وتعاليمه، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط٢: ١٩٦٦م.
- (٢٠٣) جون ستوت، المسيحية الأصل، تعريب: ريد زخاري، صادر عن منشورات النفير- بيروت .
- (٢٠٤) جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة عصر الآباء من القرن الأول وحتى السادس ، القاهرة دار الثقافة ، ط١: ٢٠١٣.
- (٢٠٥) جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة، ترجمة : عزرا مرجان ، دار الثقافة، القاهرة ، ط١ : ١٩٩٠م ج٤
- (٢٠٦) حبيب سعيد ، أديان العالم ، دار التأليف والنشر الكنسية الأسقفية - القاهرة
- (٢٠٧) حبيب جرجس : خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية طبعة وزارة المعارف ، ١٩٢٦م ، القاهرة .
- (٢٠٨) حنانيا إلياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة منشورات النور، بيروت ، لبنان، ط٢: ١٩٩٨م.
- (٢٠٩) زكي شنودة ، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية، مكتبة المحبة ، ط١ : ١٩٦٢م
- (٢١٠) شارل جنبيير ، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة الدكتور عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت .
- (٢١١) عوض سمعان ، الله ثالث وحادانية ووحداية ثلاثية، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ، القاهرة .
- (٢١٢) ——— ، الله بين الفلسفة المسيحية ، ط١ : ١٩٩١ .
- (٢١٣) القس جيمس أنيس، علم اللاهوت النظامي، مراجعة القس منيس عبد النور، الكنيسة الانجيلية بقصر للدوبارة، القاهرة .
- (٢١٤) القس حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي يسوع المسيح عبر أجيال، دار الثقافة ، القاهرة ، ج١.
- (٢١٥) القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، الكتاب المقدس هل هو كلمة الله، مطرانية القليوبية - قطاع شبرا الخيمة، مطبعة الأخوة المصريين.
- (٢١٦) القس فايز فارس ، حقائق أساسية في الإيمان المسيحي .
- (٢١٧) القس فهم عزيز، المدخل إلى العهد الجديد، ١٩٨٠م - ١٤٤٤هـ.
- (٢١٨) القس منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة.
- (٢١٩) القمص بيشوي عبد المسيح ، المسيحية ديانة التوحيد، مكتبة المحبة ، القاهرة .
- (٢٢٠) القمص غبريال عبد المسيح، الرأي الصريح في طبيعة ومشينة المسيح.
- (٢٢١) الكتاب المقدس، القاهرة، دار الكتاب المقدس بمصر، ٢٠١٣م، ط٩.

- (٢٢٢) ماري بن سليمان ، أخبار بطارقة المشرق من كتاب المجلد، طبع في رومية الكبرى ١٨٩٩م.
- (٢٢٣) مجلس التحرير ، لقس منيس عبد النور ، والقس فايز فارس ، والقس اندريه زكي والقس انور زكي ، دائرة المعارف الكتابية، المحرر: وليم وهبه بباوي ، دار الثقافة ، ط ١ ، ج ٨
- (٢٢٤) مريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ : ١٩٩٦م ، ط ٢ : ٢٠٠٤م
- (٢٢٥) مفيد كامل، الثالث الذي به نؤمن ، راجعه وقدم له : القمص عبد المسيح ثاوفيلس الكلية الاكليريكية بالبلينا بسوهاج ، القاهرة
- (٢٢٦) ه.أ.ل. فيشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة : محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العريني ، دار المعارف ، مصر ط ٦ ،
- (٢٢٧) وليمسن ، تفسير أصول الإيمان، ترجمة : فايز فضيل دار الثقافة المسيحية ، ١٩٧٧م القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٦ ،
- (٢٢٨) يوسابيوس القيصري ، تاريخ الكنيسة ، ترجمة : القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة ، القاهرة سادسا: مراجع ومصادر فرق الخوارج والشيعة
- (٢٢٩) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: أسعد داغر ، الناشر: دار الهجرة - قم ، ١٤٠٩هـ.
- (٢٣٠) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
- (٢٣١) أبو الفرج الأصبهاني ، مقاتل الطالبين ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ط ٢ : ١٣٥٥هـ - ١٩٦٥م.
- (٢٣٢) أبو زهرة ، محمد ، الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه، در الفكر العربي، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- (٢٣٣) أبو قحف ، محمد محمود عبد الحميد أبو قحف ، قصة الخلافة نشأة الخوارج وتطور فرقهم ومذاهبهم حتى العصر الحديث ، المكتبة القومية الحديثة ، طنطا ، ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م .
- (٢٣٤) أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، مؤسسة الإمام المهدي.
- (٢٣٥) أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف بمصر، ط ٢.
- (٢٣٦) إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ) ، الشيعة وآل البيت، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ، مطبعة جاويد الرياض.
- (٢٣٧) — ، الشيعة والسنة ، إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان ، ط ٣ : ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٩ م.
- (٢٣٨) أحمد الكاتب ، تطور الفكر السياسي الشيعي من الثورة إلى ولاية الفقيه ، الدار العربية للعلوم، دار الشورى : لندن ، ط ٣ : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- (٢٣٩) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط ٧.
- (٢٤٠) — ، فجر الإسلام، مؤسسة هندوي للتعليم والثقافة.

- (٢٤١) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي - كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة - لبنان ط ١: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٢٤٢) آراء في المرجعية الشيعية، مجموعة من الباحثين، دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- (٢٤٣) أركون دارول ، تاريخ الجماعات السرية ، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، الرباط المغرب ، تانيت للنشر ، ١٩٩٣م .
- (٢٤٤) الإسفراييني، طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - لبنان، ط ١: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- (٢٤٥) الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، صيدا بيروت ، المكتبة العصرية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، ج ١ .
- (٢٤٦) آية الله عبد الحسين الشيخ عبد الله المظفر (١٣٤١هـ - ١٩٢٠م) (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، الشافي في شرح أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان، باب دعائم الإسلام ، ط ١: ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ج ٦ .
- (٢٤٧) البحرني، الشيخ يوسف، التأويل منهج الاستنباط في الإسلام ، ط ٢ دار التأويل للطباعة والنشر ١٩٩٩ .
- (٢٤٨) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، القاهرة ، مكتبة ابن سينا .
- (٢٤٩) بكير بن سعيد أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، ط ٣: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- (٢٥٠) جعفر الطوسي، تلخيص الشافي، قدم له وعلق عليه السيد حسين بحر العلوم.
- (٢٥١) جمال سلطان ، البيئة : التحليل الفكري لطائفة التكفير والهجرة، ١٩٨١م.
- (٢٥٢) جوزي ، بندلي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين الامانة العامة ، جمعية الصداقة الفلسطينية - السوفياتية، ط ٢: ١٩٨١م .
- (٢٥٣) حامد مسوحلي الإدريسي، الفاضح لمذهب الشيعة الإمامية، مكتبة الرضوان، مصر، ط ١: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م .
- (٢٥٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن الحرّ العاملي المتوفى سنة ١١٠٤هـ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت ، ج ١٥ .
- (٢٥٥) ——— ، محمد بن الحسن الحر عاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة تكملة الوسائل تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائيني، مؤسسة معارف إسلامي امام رضا ط ١: ١٤١٨هـ ، ج ١ .

- (٢٥٦) الحسن بن موسى النوبختي ، فرق الشيعة ، منشورات الرضا ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م .
- (٢٥٧) حسن صادق ، جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى اغتيال السادات ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط١ : ٢٠٠٤ م .
- (٢٥٨) حسين الموسوي ، لله .. ثم للتاريخ كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، دار الأمل ، ط٤ .
- (٢٥٩) خالد بن احمد الزهراني ، الغلو في التكفير بين أهل السنة والجماعة وغلاة الشيعة الاثني عشرية ، مركز الفكر المعاصر - الرياض ١٤٣١ هـ .
- (٢٦٠) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط٣ : ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
- (٢٦١) الدهلوي ، عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ، مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية إلى العربية : (سنة ١٢٢٧ هـ) الشيخ الحافظ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي ، اختصره وهذبه : (سنة ١٣٠١ هـ) علامة العراق محمود شكري الألوسي حققه وعلق حواشيه : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .
- (٢٦٢) روح الله الخميني ، الحكومة الإسلامية ، ط٣ .
- (٢٦٣) — ، الوصية السياسية الإلهية ، دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر .
- (٢٦٤) الزنجاني ، السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني ، عقائد الإمامية الاثني عشرية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط٢ : ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- (٢٦٥) سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي ، كتاب المقالات والفرق ، صححه وقدم له وعلق عليه : محمد جواد مشكور ، مركز انتشارات علمي وفرهنگي .
- (٢٦٦) السكسكي ، أبي الفضل عباس بن منصور التريني السكسكي الحنبلي رحمه الله المتوفى سنة ٦٨٨٣ هـ ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، تحقيق : بسام علي سلامة العموش مكتبة المنار ، الأردن - الزرقاء .
- (٢٦٧) الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري ، البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) ، تصحيح اعتقادات الإمامية ، تحقيق حسين درگاهي .
- (٢٦٨) الشيخ المفيد ، محمد بن محمد بن نعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري البغدادي (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) ، أوائل المقالات ، دار المفيد ط١ : ١٤٣١ هـ .
- (٢٦٩) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى (١٣٧٣ هـ) ، أصل الشيعة وأصولها ، تحقيق : علاء آل جعفر ، مؤسسة الإمام علي عليه السلام ، ط١ .
- (٢٧٠) الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، المتوفى سنة ٣٨١ هـ الاعتقادات في دين الإمامية ، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط٢ : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- (٢٧١) — ، التوحيد ، تحقيق : تصحيح وتعليق : السيد هاشم الحسيني الطهراني .
- (٢٧٢) — ، الامالي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة

- (٢٧٣) ——— ، إكمال الدين وتمام النعمة، تحقيق: أحمد الماجوري، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط١: ١٣٩٧هـ-١٠١٨م، ج١،
- (٢٧٤) الطبرسي ، أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم ، دار المرتضى ، بيروت - لبنان، ط١: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ج٣ .
- (٢٧٥) الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، كتاب الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ على احمد ناصح، مؤسسة المعارف الاسلامية، ج١.
- (٢٧٦) ——— ، كتاب الغيبة، قدم له الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف (الذريعة) ، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.
- (٢٧٧) العاملي، عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي، المراجعات، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٣٥٥هـ - ١٩٦٣م.
- (٢٧٨) عبد الواحد الأنصاري، أضواء علي خطوط محب الدين العريضة ، دار معجم متن اللغة للطباعة والنشر، بيروت.
- (٢٧٩) العش، يوسف، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر .
- (٢٨٠) علي الكوراني، معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام ، مؤسسة المعارف الاسلامية ط١: ١٤١١ هـ . ج٤ .
- (٢٨١) علي شريعتي ، التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، تقديم إبراهيم دسوقي شت ، ترجمة : حيدر مجيد ، دار الامير للعلم والثقافة ، ط١: ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م ط٢: ١٤٣٨هـ-٢٠٠٧م .
- (٢٨٢) عمار طالبي ، آراء الخوارج الكلامية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الأباضي، موفم للنشر ، الجزائر ، ٢٠١٣، ج٢.
- (٢٨٣) غالب بن علي عواجي ، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة ، ١٣٩٨هـ - ١٣٩٩هـ .
- (٢٨٤) فاخر جاسم ، تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثنى عشرية في عصر الغيبة أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية مقدمة إلى مجلس كلية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك ، اشراف د. عقيل الناصري، ٢٠٠٨ .
- (٢٨٥) الفخري ، علي محمد عبد الله ، تلخيص البيان في ذكر الفرق أهل الأديان ، تحقيق رشيد البندر ، دار الحكمة لندن ، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- (٢٨٦) فيصل نور ، الإمامة والنص ، دار الصديق .
- (٢٨٧) الكليني، محمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ - ٣٢٩هـ، أصول الكافي، دار المرتضى، بيروت، ط١: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج١ .
- (٢٨٨) كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى ٦٧٩هـ ، شرح نهج البلاغة، منشورات دار الثقلين ، بيروت - لبنان، ط١ : ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٤ .

- (٢٨٩) المجلسي، محمد باقر المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ)، بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، ط٢: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ٢٥،
- (٢٩٠) محب الدين بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب (المتوفى: ١٣٨٩ هـ)، خطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية، تقديم: محمد نصيف.
- (٢٩١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- (٢٩٢) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، آل رسول الله ﷺ وأولياؤه موقف أهل السنة والشيعة.
- (٢٩٣) محمد بن عبد الله السالمي، عمان تاريخ يتكلم، دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- (٢٩٤) محمد جواد مغنية، مع علماء النجف الأشرف، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد
- (٢٩٥) —، الشيعة في الميزان، دار الشروق.
- (٢٩٦) محمود اسماعيل، فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفى الديني، سينا للنشر، ط١: ١٩٩٥
- (٢٩٧) مصطفى حلمي، الخوارج الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم، دار الأنصار ١٩٧٧ م.
- (٢٩٨) —، نظام الخلافة بين أهل السنة والشيعة، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٢٩٩) المظفر، محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، قدم له: حامد حفني داود.
- (٣٠٠) موسى الموسوي رحمه الله، الشيعة والتصحيح - الصراع بين الشيعة والتشيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٣٠١) موسى جار الله، الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، مكتبة الخانجي.
- (٣٠٢) الناشئ الأكبر، مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تحقيق وتقديم: يوسف فان إس، دار النشر فرانتس شتاينر بفسبادان، بيروت ١٩٧١.
- (٣٠٣) ناصر بن عبد الكريم العقل، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام منهجهم وأصولهم وسماتهم - قديما وحديثا وموقف السلف منهم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- (٣٠٤) ناصر بن عبد الله بن علي القفاري مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٣: ١٤٢٨ هـ، ج١.
- (٣٠٥) —، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - ط١: ١٤١٤ هـ، ج٢.
- (٣٠٦) النشار، على سامي، نشأت الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ج٢.
- سابعاً: المراجع العامة
- (٣٠٧) ابن خلدون، المقدمة دار العودة، بيروت، ١٩٩٦ م.
- (٣٠٨) أبو سفيان مصطفى باخو السلاوي المغربي، العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب جريدة السبيل، المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ.

- (٣٠٩) أحمد إدريس الطعان ، العلمانيون والقرآن ، دار بن حزم ، الرياض، ط١: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- (٣١٠) أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دار الشروق ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- (٣١١) أركون، محمد ، الاسلام ، أوروبا ، الغرب، رهانات المعنى و ارادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقى.
- (٣١٢) ——— ، الأنسنة والإسلام - مدخل تاريخي ونقدي - ترجمة وتقديم : محمود عزب ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ٢٠١٠م ، ط١ .
- (٣١٣) ——— ، العلمنة والدين الإسلام والمسيحية والغرب، دار الساقى، بيروت - لبنان ، ط٣: ١٩٩٦م .
- (٣١٤) ——— ، الفكر الإسلامى نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، مكتبة الفكر الجديد دار الساقى، ط٤: ٢٠٠٧م ، ط٦: ٢٠١٢م.
- (٣١٥) ——— ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامى، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت - لبنان ط١: ١٩٩١م
- (٣١٦) ——— ، نافذة على الإسلام، ترجمة : صيَّاح الجهيم، دار عطية للنشر، لبنان - بيروت ط١: ١٩٩٦م
- (٣١٧) ——— ، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية ، ترجمة وتقديم هاشم صالح ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ٢٠١١م ، ط١ ، ص٣٢
- (٣١٨) ——— ، قضايا في نقد العقل الدينى كيف نفهم الإسلام اليوم،، ترجمة وتعليق : هاشم صالح ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت .
- (٣١٩) ——— ، التشكيل البشرى للإسلام (مقابلات مع رشيد بن زين وجان لوي شليجيل) ترجمة: هاشم صالح، المركز الثقافى العربى، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الدار البيضاء - المغرب، ط١، ٢٠١٣م.
- (٣٢٠) ——— ، الفكر الإسلامى قراءة علمية، ترجمة : هاشم صالح، مركز الانماء القومى بيروت المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء ، ط٢: ١٩٩٦م
- (٣٢١) ——— ، الفكر الإسلامى نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الساقى، بيروت - لبنان، ط٤ : ٢٠٠٧م، ط٦ : ٢٠١٢م.
- (٣٢٢) ——— ، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدينى، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة - بيروت .
- (٣٢٣) ——— ، تاريخية الفكر العربى الإسلامى، عالم الثقافى العربى، الدار البيضاء ومركز الأسماء القومى، بيروت، ط٣، ١٩٩٨م.
- (٣٢٤) توفيق الواعى، أوهام العلمانية حول الرسالة والمنهج ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٨م .
- (٣٢٥) توفيق لطويل ، قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط٣ : ١٩٧٩م.
- (٣٢٦) جابر عصفور، الإسلام والحداثة، ندوة مواقف، شارك فيها مجموعة من الحداثيين، دار الساقى، ط١، ١٩٩٠م.

- (٣٢٧) جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة : عادل زعتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .
- (٣٢٨) الجزائر، هاني، أزمة الهوية والتعصب دراسة في سيكولوجية الشباب، هلا للنشر والتوزيع ، الجيزة ، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- (٣٢٩) جوزيف نسيم يوسف (في تعليقه على كتاب : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، لمؤلفه الانجليزي كولتون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ : ١٩٦٧م
- (٣٣٠) حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، العلمانية وموقف الإسلام منها ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد ١١٥ - السنة ٣٤ - ١٤٢٢ هـ .
- (٣٣١) حميدة النيفر، النص الديني والتراث الإسلامي، قراءة نقدية، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م.
- (٣٣٢) خالد كبير علال ، الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد أركون ومحمد عابد الجابري - دراسة نقدية تحليلية هادفة - دار المحتسب ط١ : ٢٠٠٨م
- (٣٣٣) رعد مهدي رزوقي وجميلة عيدان سهيل ، التفكير وأنماطه ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- (٣٣٤) رفيق عبد السلام ، في العلمانية والدين والديمقراطية المفاهيم والسياقات ، مركز الجزيرة للدراسات ، الدار العربية للعلوم بيروت ، ط١ : ١٤٢٩هـ.
- (٣٣٥) رندل كلارك ، الرمز والاسطورة في مصر القديمة، ترجمة : احمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- (٣٣٦) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ : ٢٠٠٢ م، ج ١ .
- (٣٣٧) سالم البهنساوي ، تهافت العلمانية في الصحافة العربية ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط١ : ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- (٣٣٨) ——— ، الإسلام لا العلمانية مناظرة مع د. فؤاد زكريا ، دار الدعوة .
- (٣٣٩) ——— ، الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ط٤ : ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- (٣٤٠) سفر بن عبد الرحمن الحولي، العلمانية - نشأتها وتطورها وأثارها في الحية الإسلامية المعاصرة ، رسالة دكتوراه ، دار الهجرة.
- (٣٤١) السنوسي محمد السنوسي ، إضاءات في الوعي مداخل أساسية وقضايا شائكة ، الناشر دار البشير للثقافة والعلوم ، ط١ : ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- (٣٤٢) السيد أحمد فرج، جذور العلمانية الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلامية صراع منذ البداية وحتى عام ١٩٤٨م ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط٣ : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط٤ : ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- (٣٤٣) سيد فراج راشد ، أقدس عَرَبِيَّة إسلامية ، دار المريخ للنشر ، الرياض .
- (٣٤٤) شبر الفقيه ، الفكر الفلسفي العربي المعاصر، إشكالية التأويل ، دار البحار، ٢٠٠٨ .

- (٣٤٥) شحاتة محمد صقر، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي.
- (٣٤٦) الشرفي، عبد المجيد، لبنات، تونس: دار الجنوب للنشر، ١٩٩٤ م.
- (٣٤٧) الشقري، عبد الله أحمد لطفي، الأصولية الدينية حول العالم، الأصولية الانجليزية نموذجا مؤسسة وعي للابحاث والدراسات، ط١: ٢٠١٦ م.
- (٣٤٨) صابر طعيمة، أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي بحوث حول العقائد الوافدة عالم الكتاب، ط١: ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (٣٤٩) صالح بن إبراهيم البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين ط٢: ١٤٠٤ هـ، ج١.
- (٣٥٠) صالح بن عبد الرحمن الحصين، التسامح والعنوانية بين الإسلام والغرب، مؤسسة الوقف، الرياض، ط١: ١٤٢٩ هـ.
- (٣٥١) طلعت عبد الحميد، دليل ادارة الذات بالقيم، كلية التربية جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلو.
- (٣٥٢) طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فيرجينيا - الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٧ م.
- (٣٥٣) عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١ هـ)، معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع ط١: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
- (٣٥٤) عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩ هـ) آثار ابن باديس، المحقق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، (عام ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ ميلادية)، ط١ ج٣.
- (٣٥٥) عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم بيروت، ١٩٧٩ م.
- (٣٥٦) عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥ هـ)، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، دار القلم - دمشق، ط٢: ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- (٣٥٧) عبد العزيز الشناوي: أوربا في مطلع العصور الحديثة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤: ١٩٨٢ م.
- (٣٥٨) عبد المجيد الشرفي، الإسلام بين الرسالة والتاريخ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، ط٢، ٢٠٠٨ م.
- (٣٥٩) عبد الوهب المسيري وعزيز عظمة، العلمانية تحت المجهر، دار الفكر، ط١: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- (٣٦٠) علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، انبعاث الإسلام في الأندلس، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط١.
- (٣٦١) علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط١: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، ط٣: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- (٣٦٢) علي حرب، الممنوع والممتنع نقد الذات المفكرة، المركز الثقافي العربي، ط١: ١٩٩٥ م.
- (٣٦٣) علي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الأعتصام، ط٣: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- (٣٦٤) علي محمد عبد الله ، الإنسان حكمة الروح والجسد : تأويل المعاني والدلالات ، الناشر AL ManhalK ، ٢٠١٧م.
- (٣٦٥) غالب بن علي عواجي ، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، ط١: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ج٢.
- (٣٦٦) فريال حسن خليفة ، الفلسفة والتسامح مع البيئة ، الناشر Ktab ink ، ٢٠٠٦م.
- (٣٦٧) فضل الله ، السيد حسن ، حوارات في الفكر والإجتماع ، بيروت ، دار الملاك ، ط١.
- (٣٦٨) فضل الله محمد حسين ، كتاب الجهاد (تقرير السيد علي فضل الله) بيروت ، دار الملاك ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
- (٣٦٩) القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكري ،دستور العلماء =جامع العلوم في اصطلاح الفنون ،الناشر دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت ، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، ج٣ ، .
- (٣٧٠) القرضاوي ، يوسف ، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٧م.
- (٣٧١) ——— ، ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشوق ، القاهرة ، ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ ، ط١ .
- (٣٧٢) ——— ، بينات الحل الاسلامي وشبهات العلمانيين والمغتربين ،مكتبة وهبة القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، ط٣.
- (٣٧٣) ——— ، الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ، مكتبة وهبية ، القاهرة ، ط٧ : ١٤١٧هـ - ١٩٩٧١ .
- (٣٧٤) ——— ، الصحوۃ الإسلامية بين الجحود والتصرف، ط١ : ١٤٠٢هـ ،
- (٣٧٥) كريم فرحات، لست ملحدًا، ٢٠١٤م .
- (٣٧٦) ماجد الغرباوي ، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الأديان والثقافات الحضارية ، العراق - بغداد ، مؤسسة العارف للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م ، ط١ .
- (٣٧٧) مايكل هارت، الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله، ترجمة : أنيس منصور، المكتب المصري الحديث ، ص٢٣ - ٢٤ ،
- (٣٧٨) محمد إدريس باحث تونسي ، الاسلام وسلطة الفاعلين الاجتماعيين - قراءة في بعض أسس مشروع إعادة بناء العقل الاسلامي وحدوده - بحث محكم ، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث ، ٢٠١٧ م ، ص٨
- (٣٧٩) محمد أسد ، منهج الإسلام في الحكم ، ترجمة : منصور محمد ماضي ، دار العلم للملايين، بيروت ، ط١: ١٩٥٧م ، ط٥ ١٩٧٨م
- (٣٨٠) محمد العبدۃ ، تأملات في الفكر والدعوة ، دار الجوهري للنشر والتوزيع ، عمان - الاردون - ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ط١
- (٣٨١) محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢: ٢٠٠٤م.
- (٣٨٢) محمد بن سلام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)، طبقات فحول الشعراء، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ج١.

- (٣٨٣) محمد حامد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر الرياض ، ط٢ : ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- (٣٨٤) محمد سرور بن نايف زين العابدين ، الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو ، دار الأرقم للطباعة والنشر ، ١٩٩٢م .
- (٣٨٥) محمد شاکر الشریف، العلمانية وثمارها الخبيثة، تقديم : عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ، دار الوطن للنشر ، الرياض، ط١: ١٤١١هـ .
- (٣٨٦) محمد علي أبو ريان ، وعباس محمد حسن سليمان ، مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية دار المعرفة الجامعية.
- (٣٨٧) محمد عمارة ، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ : ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- (٣٨٨) ——— ، الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (٣٨٩) ——— ، الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي، مكتبة الشروق الدولي ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- (٣٩٠) ——— ، الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة السياسية ، دار الشروق، ١٩٨٨م ط١ .
- (٣٩١) ——— ، شبهات حول الإسلام ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢م .
- (٣٩٢) ——— ، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- (٣٩٣) ——— ، معالم المنهج الإسلامي ، دار الشروق ، ط١ : ١٩٩١م ، ط٢ : ٢٠٠٩م .
- (٣٩٤) ——— ، الإسلام بين التنوير والتزوير، دار الشروق، القاهرة ، ط١ : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م ، ط٢ ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م ، ص٢١ .
- (٣٩٥) محمد فؤاد شكري ، محمد أنيس : أوربا في العصور الحديثة ، مكتبة الانجلو ، ط٢: ١٩٦١م ، ج١
- (٣٩٦) محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة الديمقراطية الشيوعية العلمانية العقلانية القومية والوطنية الإنسانية الإلحاد، دار الشروق، القاهرة، ط٣: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، ط٩: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
- (٣٩٧) محمود حمدي زقزوق ، دراسات في الفلسفة الحديثة ، ط٣.
- (٣٩٨) مستقيم، محمد، مفاهيم أركونية ومحاكاة المشروع النقدي للعقل الإسلامي، دار النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سورية، والشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١: ٢٠١٣م .
- (٣٩٩) معتز سيد عبد الله ، الاتجاهات التعصبية ، عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ١٩٨٩م .
- (٤٠٠) نصر حامد أبو زيد، النص، السلطة، الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٦م .
- (٤٠١) نعيان عبد الرازق السامرائي ، التكفير جذوره ، أسبابه، مبرراته، المنارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- ٤٠٢) نور الدين حاطوم تاريخ الحركات القومية الجزء الأول يقظة القوميات الأوروبية تأليف وتعريب الدكتور ، دار الفكر علي مولا ط ١: ١٣٨٠هـ - ١٩٦٧م، ط ٢: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٤٠٣) هاشم صالح، الانسداد التاريخي، لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي، دار الساقى، بالاشتراك مع رابطة العقلايين العرب.
- ٤٠٤) الهضيبي، حسن إسماعيل ، دعاة لا قضاة أبحاث في العقيدة الإسلامية ومنهج الدعوة الى الله ، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ١٩٧٧م.
- ٤٠٥) هيوأ حاجي ديلوي ، الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العرقية ، دراسة اجتماعية ميدانية في اقليم كردستان العراق ، مطبعة خاني. دهوك، مؤسسة موكريافي للبحوث والنشر ، ٢٠٠٨م، ط ١.
- ٤٠٦) وهبة ، مراد ، ملاك الحقيقة المطلقة، حركة علمانيون.
- ٤٠٧) ——— ، الاصولية والعلمانية ، دار الثقافة ، ط ١ .
- ٤٠٨) ——— ، أصوليات هذا الزمان ،سلسلة كتاب قضايا فكرية ، بإشراف محمود أمين العالم الكتاب الثالث والرابع عشر، ٢٠١٧م ، جريدة المصري اليوم
- ٤٠٩) ——— ، الأصولية والعلمانية ، سلسلة قضايا العصر (١)، دار الثقافة ،القاهرة، ط ١.
- ٤١٠) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة.
- ٤١١) ——— ، تاريخ الفلسفة اللأروبية في العصر الوسيط ، دار الكاتب المصري ، القاهرة ط ١: ١٩٤٦م.
- ٤١٢) ——— و إبراهيم مدكور ، دروس في الفلسفة ، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع ،بيروت ، لبنان، ط ١.

ثامنا: الابحاث والرسائل العلمية

١. إبراهيم سلامة ، القرآن وعقائد الكتاب، رسالة كتوراة، كلية أصول الدين، القاهرة.
٢. أبو شندي، يوسف عبد القادر علي، الدوجماتية عند طلبة كلية العلوم التربوية والاداب /الأنروا وعلاقتها بأسلوب تفكيرهم ومستوى نرجسيتهم، كلية العلوم التربوية والآداب – الأنروا ، المملكة الأردنية الهاشمية , مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي مج ٣٧, ع ١ , ت ٢٠١٦م.
٣. أحمد بن عبد بن الحسين الغوايشة، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، رسالة ماجستير، في العقيدة كلية الشريعة للدراسات الإسلامية بمكة المكرمة جامعة الملك عبد العزيز، إشراف: عبد الحمن حسن حبنكة الميداني، ١٣٩٩هـ - ١٤٠٠هـ.
٤. البحيري، عبد الرقيب محمد، الدوجماتية والتسلطية وعلاقتها بالوعي الديني لدي طلبة الجامعة، المؤتمر الخامس لعلم النفس في مصر طنطا، مصر ١٩٨٩.
٥. بن لمبارك ، سمية ، أسلوب الدوجاتية لدي الطلبة الجامعية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس المعرفي، تحت إشراف جبالي نور الدين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الحاج لخضر، الجزائر ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م .

٦. الخشت , محمد عثمان ،الدوجماطيقية وهم امتلاك الحقيقة المطلقة مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث .
٧. دلال بنت كويران بن هويل البقيلي السلمي ،التجديد في التفسير في العصر الحديث : مفهومه وضوابطه واتجاهاته ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن إشراف أ . د. أمين محمد عطية باشا، جامعة أم القرى كلية أصول الدين قسم الكتاب والثنية شعبة التفسير وعلوم القرآن، ١٤٣٥ هـ — ٢٠١٤ م.
٨. رائدة إبراهيم اللحام ، أحمد ديدات وجهوده في الرد على النصارى رسالة ماجستير، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة إشراف د. عماد الدين عبد الله الشنطي، ١٤٢٩ هـ — ٢٠٠٨ م.
٩. السيد البهي الخولي - مقال بعنوان بنو اسرائيل قبل الإسلام ضمن المؤتمر السادس لمجمع البحوث الإسلامية.
١٠. صالح، علي عبد الرحيم، الدوجماتية الدينية وعلاقتها بفقدان الثقة الاجتماعية المتبادلة لدى طلبة كلية الآداب/ جامعة القادسية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ٢٠١٨ م، ٣٩٤.
١١. الصراف، لبنى عبد الرسول، التدين وعلاقته بالجمود الفكري "الدوغماتية" لدى طلبة جامعة الكوفة، مجلة مركز دراسات الكوفة ٢١٤، ت ٢٠١١ م.
١٢. على ، مناع حسن عبد المحسن ، العادات والتقاليد في البلدان الإسلامية من خلال رؤية فتاحية الرجنسبرجي : دراسة تحليلية نقدية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة المنصورة - كلية الآداب ، ٢٠٠٨ م ٤٣٤، مجلد ٢.
١٣. علي إبراهيم عبد الرحمن محمد، أثر استخدام قواعد هداية العقل لديكارت في تدريس بعض المشكلات الفلسفية الدوجماطيقية لدى طلاب كلية التربية، كلية التربية جامعة الزقازيق، ١٩٩٨ م.
١٤. علي مهدي محمد محمد، الدوجماتية وعلاقتها بالتفوق الدراسي لدى طلبة الجامعة رسالة ماجستير بقسم التربية وعلم النفس بالأكاديمية الليبية ببنغازي سنة ٢٠١٥ م.
١٥. عيد ، محمد إبراهيم ، التسامح وعلاقته بالدوجماطيقية لدى طلاب الجامعة المؤتمر الدولي السابع - بناء الإنسان لمجتمع أفضل جامعة عين شمس، مركز الارشاد النفسي ، القاهرة .
١٦. القحطاني , حسين بن سعيد , التدين وعلاقته بالجمود الفكري (الدوغماتية) :دراسة ميدانية علي طلبة كلية المعلمين لمدينة تبوك المصدر مؤته للبحوث والدراسات - العلوم الانسانية والاجتماعية - الاردن , مج ٢٣ , ع ٤ , ت ٢٠٠٨.
١٧. محمد الالافي شرعان ، موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث والقول بألوهية المسيح ، رسالة دكتوراة ، كلية أصول الدين.
١٨. المعاينة، عطا الله بخيت حماد ، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، كلية الدعوة واصول الدين قسم العقيدة ، إشراف : الاستاذ الدكتور أحمد المهدي ، ت ١٤٠٩ هـ .

١٩. النصراوي , حامد عادل عباس , القيادة النرجسية وأثرها في تعزيز السلوك الدوغمائي: دراسة حالة في محل الالبسة الرجالية في محافظة النجف, الاشراف جامعة الكوفة . كلية الاداب , مج ١٠ ع ٣١٤, ٢٠١٧م

٢٠. الهشلمون , رانيا محمد, الجمود الفكري (الدوجمائية) والتعصب ودورهما في ارتكاب الجريمة من وجهة نظر نزلاء مراكز الإصلاح والتأهيل في الأردن, رسالة ماجستير , جامعة مؤته .

تاسعا: المواقع والمجلات والندوات والمؤتمرات

١. <http://www.elmessiri.com> موقع الدكتور عبد الوهاب المسيري

٢. إبراهيم عوض، فكر محمد أسد (ليو بولد فايس) كما لا يعرفه الكثيرون، شبكة التفسير والدراسات القرآنية www.tafsir.net

٣. أرشيف ملتقى أهل الحديث ، محمد الشنقيطي المختار، مدير المركز الإسلامي في لبك، تكساس، الولايات المتحدة الأمريكية

٤. اقبال الغربي : مقارنة نفسية لفهم التطرف الديني ، جامعة الزيتونة ٢٠٠٤ (موقع إلكتروني)

٥. البدرين ، محمد ، الدوغمائية تعوق المجتمعات العربية , مجلة القافلة

٦. دكتور ميسرة طاهر , ندوة جذور التطرف والتعصب وعلاقتها بالتفكير الدوغمائي الجمعة ٢٧/٣/٢٠١٥م

٧. السرجاني , راغب , فلسطين حتي لا تكون اندلسا اخري , دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية

٨. سلطان العميري ، الاتجاه الباطني في تشكيله الجديد ، مقال للكاتب مجلة البيان ، العدد ٢٩٦ ، بتاريخ ٢٠ / ٢ / ٢٠١٢م

٩. صالح ، هاشم ، بين مفهوم الارثوذكسية والعقلية الدوغمائية ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الانماء القومي ، ع ٤٣ ، ١٩٨٧م ع ٤٣ .

١٠. طارق القزيري ,بمجلة الحقيقة العدد الخامس - فبراير ٢٠٠٤. مع تعديلات في هذه النسخة وإضافات.

١١. العباسي ، نظام عزت ، سياسة ألمانيا النازية تجاه اليهود والصهيونية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي ، مج ٤، ع ١٤، ت: ١٩٨٤م

١٢. عبد الله بلقزيز ، أمراض العمل السياسي في نقد الدوغمائية النهضة ، العددان الخامس والسادس /صيف خريف ٢٠١٣ .

١٣. عثمان ، محمود علي عثمان ، التجديد في التفسير ومناهجه عند الحداثيين العرب محمد أركون وقراءته سورة العلق أنموذجا .. عرض ونقد ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠١٩ ، مج ٣٤ ، ع ١١٨

١٤. العدد الخاص عن التميز العنصري , الذي صدر عن " الفكر المعاصر" في عددها الرابع والسبعين (أبريل ١٩٧١)

١٥. علي صكر جابر وأسماء تركي أحمد , الإنغلاق المعرفي لدي معلمي المرحلة الابتدائية, مجلة القادسية في الادب والعلوم والتربية -المجلد (١١) العدد(١) سنة ٢٠١٢م,ص ١٦٤

١٦. العمري، محمد خير حسن محمد، التفكير الديني لدى الحداثيين العرب: دراسة نقدية. مجلة المنارة للبحوث والدراسات، ٢٠١٤م مج ٢٠، ع ٣، ٤١٩ - ٤٤٣ .
١٧. غسان زكي بدر، الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع، (حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية (العدد الرابع، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ٨٩.
١٨. ليني برينر، ترجمة وتقديم د. محجوب عمر، الصهيونية في زمن الدكتاتورية - التاريخ الموثق لعلاقة الصهيونية بالفاشية والنازية نقلا عن مجلة العلوم الاجتماعية جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي مؤسسة الأبحاث العربية، درار البيان للنشر والتوزيع، ط ١، ت: ١٩٨٥م
١٩. مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - العدد ٤٧-٤٨ ج ٢١، ص ٤١١، المكتبة الشاملة، النسخة غير موافقة للمطبوع)
٢٠. مجلة ذوات مجلة ثقافية نصف شهرية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥م، ع ٦، ص ١١،
٢١. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد ٢٧، التعددية مشروع إنساني متقوم دينيا .. مقارنة أولية في آليات التعايش بين الأديان والثقافات .
٢٢. مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موسوعة الملل والاديان، الناشر موقع الدرر السنية علي dorar.net، تم تحميله ١٤٢٢هـ، ج ١.
٢٣. محمد أبو زيد، أرض الميعاد نظرة قرآنية في العهود التوراتية بحث منشور في مجلة التراث العربي، دمشق
٢٤. مناهج جامعة المدينة العالمية، السياسة الشرعية، كود المادة: GF1Q5203، المرحلة: ماجستير، الناشر: جامعة المدينة العالمية ص ٧٦٠-٧٦٢
٢٥. الموسوعة الحرة
٢٦. الناصر، محمد بن حامد، من تقاليد الجاهلية وعاداتها، التوعية الإسلامية، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٠م ص ١٦، ع ٣ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
الباب الأول الدوغمائية تاريخها وخصائصها	
١٠	تمهيد:
الفصل الأول: التعريف بالدوغمائية وما يتعلق بها من مصطلحات	
١٢	المبحث الأول: التعريف بمصطلح الدوغمائية
١٢	الاشتقاق اللغوي وأصل كلمة الدوغمائية
١٤	التعريف الاصطلاحي لمفهوم الدوغمائية
١٥	مفهوم الدوغمائية في الفلسفة
١٦	مفهوم الدوغمائية في علم النفس
١٧	استخدامات مصطلح الدوغمائية
١٨	المبحث الثاني: مصطلحات لها علاقة بالدوغمائية
١٨	التعصب
٢١	التيوقراطية
٢٣	النقدية أو التفكير النقدي
٢٤	الشك أو الشكبة (الريبية)

الصفحة	الموضوع
٢٦	اللاأدرية (اللاعرفانية)
٢٧	التسامح
الفصل الثاني : الجذور التاريخية للدوغمائية	
٣٠	تمهيد
٣١	المبحث الأول: جذور الدوغمائية الدينية
٣٣	سلطة القدماء وغيرهم من أصحاب المكانة
٣٥	التشدد في الاعتقاد الديني
٣٦	النفور من سماع الحق
٣٨	المبحث الثاني: جذور الدوغمائية الاجتماعية
٣٨	العنصرية
٤٠	لعصبية القومية (الشوفنية)
٤٠	العادات والتقاليد
٤٢	سيطرة الخرافات والأساطير
الفصل الثالث: خصائص الدوغمائي وما يتعلق بها	
٤٤	المبحث الأول: أسباب الدوغمائية
٤٤	أولاً : الأسباب النفسية للدوغمائية

الصفحة	الموضوع
٤٦	ثانيا : الأسباب الاجتماعية للدوغمانية
٤٧	ثالثا :الأسباب المعرفية للدوغمانية
٥٠	المبحث الثاني: خصائص التفكير الدوغمائي
٥٤	المبحث الثالث: سمات الشخصية الدوغمانية
الباب الثاني الدوغمانية عند اليهود وأثرها	
الفصل الأول : مظاهر الدوغمانية عند اليهود	
٦٠	تمهيد
٦٢	المبحث الأول: دوغمانية الكتب المقدسة
٦٣	أولا: المصادر الكتابية
٧٥	القسم الثاني من الأسفار المقدسة عند اليهود التلمود
٨٢	المصدر الدوغمائي الثالث القبالة
٨٧	المبحث الثاني: دوغمانية شعب الله المختار
٩٣	المبحث الثالث: دوغمانية أرض الميعاد
١٠١	المبحث الرابع: دوغمانية الهولوكوست (الإبادة الجماعية)
الفصل الثالث: أثر الدوغمانية على اليهود	

الصفحة	الموضوع
١١٠	تمهيد
١١٢	المبحث الأول: تفرق اليهود وانقسامهم
١٢٢	المبحث الثاني: الانعزالية اليهودية والجيتو
١٢٢	أولا : الانعزالية اليهودية
١٢٣	ثانيا : الجيتو
١٢٧	المبحث الثالث: الصهيونية
١٢٧	مفهوم الصهيونية
١٢٨	جذور فكرة الصهيونية وتاريخها
١٢٩	الركائز الدوغمائية لحركة الصهيونية العالمية
١٣٠	عوامل أنتشار الصهيونية وتطورها
١٣٤	المسارات الدوغمائية التي سلكتها الصهيونية
الباب الثالث الدوغمائية عند النصارى وأثرها	
الفصل الأول : أسباب ظهور الدوغمائية في النصرانية	
١٣٩	تمهيد
١٤٠	المبحث الأول: النصرانية التي جاء بها المسيح

الصفحة	الموضوع
١٤٥	المبحث الثاني: الاضطهادات التي تعرض لها النصارى
١٤٦	نتائج هذه الاضطهاد
١٤٩	المبحث الثالث: تحريفات بولس
١٥٦	المبحث الرابع: التأثير بالفلسفات الوثنية
١٦١	المبحث الخامس: التأثير بالوثنيات
الفصل الثاني : مصادر النصرانية الدوغمائية	
١٦٦	المبحث الأول: دوغمائية الأناجيل الأربعة
١٦٦	مصادر النصرانية بعد عيسى - عليه السلام -
١٧١	تاريخ الأناجيل الأربعة هو دليل دوغمائية الإيمان بها
١٨٠	الأناجيل الأربعة متناً
١٨٤	رأي النصارى في أغلاط الكتاب الأناجيل
١٨٧	المبحث الثاني : دوغمائية المجامع النصرانية
١٨٧	تعريف المجامع ونشأتها وأنواعها
١٨٩	مجمع نيقية سنة ٣٢٥م
١٩٤	المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م
١٩٦	مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م

الصفحة	الموضوع
١٩٧	مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م
١٩٨	مجامع أخرى
الفصل الثالث: العقائد الدوغمائية لدى أتباع الديانة النصرانية	
٢٠٤	تمهيد
٢٠٦	المبحث الأول : دوغمائية ألوهية المسيح
٢٠٦	أولاً: مقولة النصارى الباطلة التي تقول بتأليه المسيح -عليه السلام-
٢٠٦	ثانياً : الأدلة التي يستدل بها النصارى على تأليه المسيح -عليه السلام-
٢٠٧	ثالثاً : نقد أدلة القائلين بدوغمائية تأليه المسيح
٢١٤	أسباب دوغمائية ألوهية المسيح
٢١٦	المبحث الثاني: تأليه الروح القدس
٢٢٠	المبحث الثالث: دوغمائية التثليث
٢٢٠	تعريف التثليث ومرادهم به
٢٢٣	دعوى حتمية الثالوث وبطلانها
٢٢٥	الأدلة التي يستند عليها النصارى في قولهم بالتثليث
٢٢٦	بطلان استنتاج النصارى عقيدة التثليث من الأدلة السابقة

الصفحة	الموضوع
٢٣٣	نقد عقيدة التثليث بالأدلة والبراهين العقلية
٢٣٥	نقد عقيدة التثليث بأدلة من الكتاب المقدس
٢٣٧	مصدر هذه الدوغمائية
٢٣٨	المبحث الرابع: دوغمائية الصلب والفداء
٢٣٨	موقف النصرانية الأولي من عقيدة الصلب والفداء
٢٣٩	بداية ظهور عقيدة الصلب والفداء
٢٤٠	الأدلة التي يستند عليها النصارى في إثبات دوغمائية الصلب والفداء
٢٤٠	المجامع تقرر الإيمان بصلب المسيح
٢٤١	قصة الصلب إجمالاً كما وردت في الأناجيل
٢٤١	النقض التفصيلي لأحداث الصلب والفداء

الصفحة	الموضوع
٢٤٥	بيان بطلان دوغمائية النصارى في الصلب والفداء بالإضافة لما سبق
الفصل الرابع : أثر الدوغمائية على أتباع الديانة النصرانية	
٢٥٣	المبحث الأول: الفرق النصرانية
٢٥٣	الفرق التي ظهرت في عصر التوحيد
٢٥٦	دخول الوثنية على التوحيد
٢٥٨	الفرق القديمة في عهد التثليث
٢٦٠	أهم الفرق النصرانية المعاصرة
٢٦٤	المبحث الثاني : الطغيان الكنسي
٢٦٥	استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة
٢٦٥	حقوق الحرمان والغفران
٢٦٨	فرض سلطانها على الملوك
٢٧٠	فرض الرهينة قسرا
٢٧١	الحروب الصليبية
٢٧١	محاكم التفتيش
٢٧٥	المبحث الرابع: حركات النقد والإصلاح الديني
٢٧٥	حركات نقد الكنيسة

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	حركة الإصلاح الديني البروتستانتي
٢٨٧	المبحث الخامس: العلمانية
٢٨٧	تعريف العلمانية في اللغة والاصطلاح
٢٨٩	أسباب العلمانية
٢٩٤	مراحل العلمانية أو (صورها)
٢٩٥	مظاهر العلمانية
٢٩٧	مغالطات العلمانية
الباب الرابع الدوغمائية عند بعض الفرق الإسلامية وموقف الإسلام منها	
٣٠٢	تمهيد
الفصل الأول: الدوغمائية عند الخوارج	

الصفحة	الموضوع
٣٠٥	المبحث الأول: مظاهر الدوغمائية عند الخوارج
٣٠٥	أولاً: تعريف الخوارج
٣٠٦	ثانياً: نشأة الخوارج
٣٠٦	ثالثاً: مظاهر الدوغمائية عند الخوارج
٣٢٠	أسباب غلو ودوغمائية الخوارج العلمية
٣٢١	أسباب غلو ودوغمائية الخوارج المنهجية
٣٢٣	المبحث الثاني: أثر دوغمائية الخوارج في العزلة والانقسام في المجتمع الإسلامي
٣٢٣	مقولة الخوارج أول مقولة فرق الأئمة
٣٢٤	فرق الخوارج
٣٢٥	أثر دوغمائية الخوارج على الجماعات الإسلامية المعاصرة
الفصل الثاني: الدوغمائية عند الشيعة الاثنى عشرية	

الصفحة	الموضوع
٣٣٠	المبحث الأول: التعريف بالشيععة وفرقهم
٣٣٧	المبحث الثاني: مظاهر الدوغمائية عند الشيعة الاثني عشرية
٣٣٨	دوغمائية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية
٣٤٣	دوغمائية عصمة الأئمة والأوصياء

الصفحة	الموضوع
٣٤٧	دوغمائية المهدي
٣٥٠	دوغمائية الرجعة
٣٥٣	دوغمائية قولهم بالبذاء على الله
٣٥٧	دوغمائية التقية
٣٦٣	دوغمائية الشيعة في موقفهم من القرآن الكريم
٣٦٥	دوغمائية تكفير الصحابة
٣٧٢	المبحث الثالث: أثر دوغمائية الشيعة في عزلتهم وانقسامهم
٣٧٦	الفصل الأول الدوغمائية عند الخوارج
٣٧٧	تمهيد
٣٧٨	المبحث الأول: منابع الدوغمائية في المجتمع الإسلامي
٣٧٨	التطرف الديني
٣٨٠	حديث الفرقة الناجية
٣٨١	الفكر الطائفي
٣٨١	فتاوى التكفير وخطب التحريض
٣٨٢	التقليد

الصفحة	الموضوع
٣٨٣	الاضطهاد والكبت والحرمان
٣٨٤	النزعة النصية المرضية
٣٨٥	المبحث الثاني: اتهام التراث الإسلامي بالدوغمائية (محمد أركون نموذجاً)
٣٨٦	دوغمائية العقل الاسلامي
٣٨٧	الفكر الأرثوذكسي
٣٩٣	الوحي
٣٩٥	التاريخية بديل الدوغمائية عند أركون
٤٠٠	المبحث الثالث: الدين الإسلامي برئ من الدوغمائية
٤٠٠	التسامح
٤٠٠	الإسلام دين يرحب بالحوار
٤٠٧	حرية الفكر وإعمال العقل
٤١٠	الاعتزاز بثقافتنا لا ينافي الانفتاح بضوابطه
٤١١	الايمان بالكتب والرسل السابقين
٤١١	الرسول أبقى الصالح من أحوال الجاهلية
٤١١	شرع من قبلنا

الصفحة	الموضوع
٤١٢	المسلم يلتزم الحكمة من أي وعاء خرجت
٤١٣	تجديد الدين
٤١٤	الدوغمائية والتدين
الخاتمة	
٤١٧	أولاً : النتائج
٤٢٢	ثانياً : التوصيات
الفهارس الفنية	
٤٢٥	فهرس المصادر والمراجع .
٤٥٢	فهرس الموضوعات .

